

مقدمة الطبعة الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات، وفضلهم على العباد كفضل القمر على سائر الكواكب، وجعل مسلكهم لطرق طلب العلم من أسباب تسهيل سلوك طريق الجنة.

وبعد:

فلقد قيَّض الله تعالى لأمة الإسلام علماء ربانيين، عمَّروا أوقاتهم ومجالسهم بالاستفادة والإفادة، فأثروا على طلاب العلم، وأثروا مكتبات العلم بما سطرته أقلامهم، ونقله عنهم طلابهم.

ومن أشهر أولئك العلماء في هذا الزمن إمامان كبيران، طارت بكتبهم الركبان، بل لو حلف حالفٌ أنَّ غالب مكتبات العلم الخاصة والعامة لا تخلو من كتاب أو كتب لهما لَمَا حنث في يمينه.

وأعني بالإمامين: ابن باز والألباني؛ جعل الله الفردوس الأعلى مثواهما... آمين.
وقد يسَّر الله تعالى لي ترجمة مفردة في كتاب لكل واحد منهما، وقد طُبِع الكتابان - بحمد الله تعالى - بتقديم الشيخ عبد المحسن العباد البدر لترجمة ابن باز، وتقديم الشيخ عبد الله العقيل لترجمة الألباني.

وقد رغب الأستاذ الفاضل محمد الشريف داودي الجزائري، صاحب الدار
الأثرية الجزائرية بجمع الكتابين في كتاب واحد، فأذنت له بذلك، مع عدم
التصرف في المادة العلمية، وهو -حفظه الله تعالى- حريص على ذلك
والله أسأل أن ينفع بتلك التراجم الكاتب والقارئ والسامع والناقل ومن بلغ.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبد العزيز السدحان

١٢ / ٤ / ١٤٣٨ هـ

صورة خطية من مقدمة الطبعة الجديدة

رسم الرسم (الح)

١٢ / ٤ / ١٤٣٨ هـ

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات
وفضلهم على العباد كفضل القمر على
سائر النجوم.
وجعل مسلكهم لطلب العلم
من أسباب تسهيل سلوك طريقه الجنة. وبعد
فلقد اقتضى الله تعالى لأمة (الإسلام)
علماء ربانيين. فمروا أوقاتهم رجالهم
بالدراسة والبحث. فاشروا على طلاب العلم
وأثروا مكتبات العلم بما طهره أعلامهم
ونقله عنهم لطلابهم.
ومن أشهر أولئك العلماء في هذا الزمان
إمامنا الكبير طهارة بكتبتهم (الركبانه)

١

طبعة / ٥٠٥٤٦٩٩٤٦

إبراهيم بن محمد بن عبد الله السدحاني

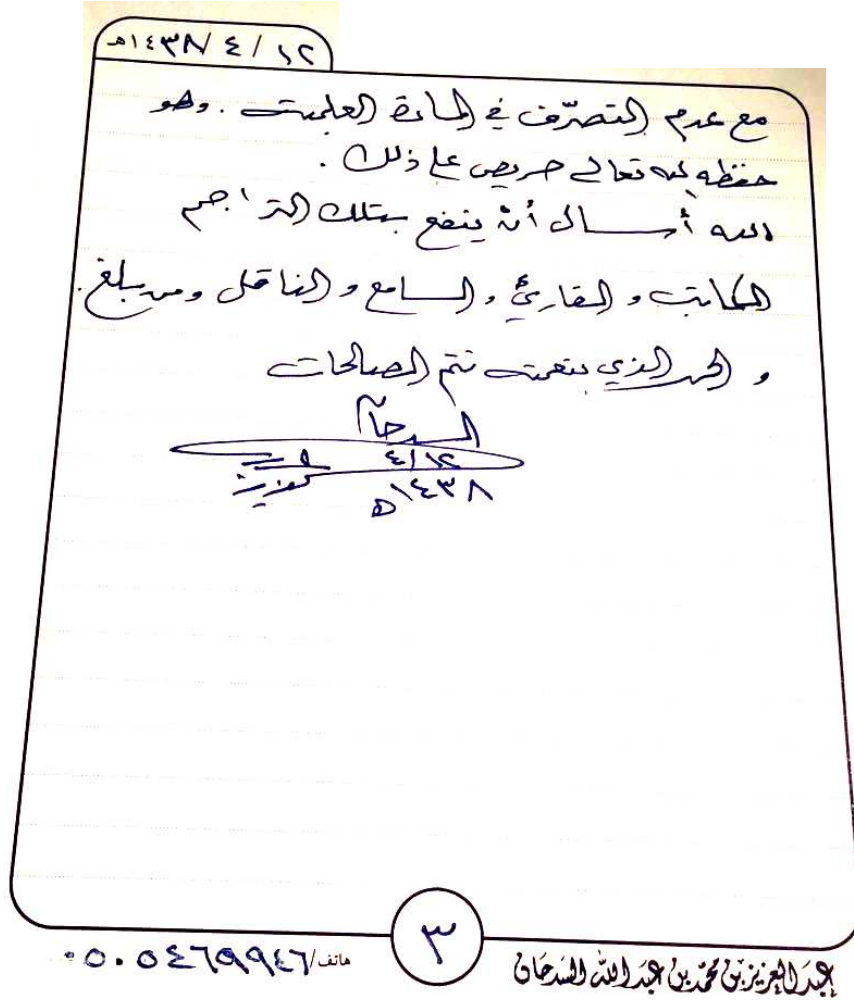
١٩/٤/١٤٣٨ هـ

بسم الله
 بل لو حلف حالف أنه أم الكتاب (العلم
 الخاصة) العامة لا تخلو منه كتاب
 أو كتب لو، لما حلفت في حقيقته.
 وأعني بالبرصامية. ابن باز و (الطائي
 جعل لئله (الضروس) (العلم) (العلم) (العلم)
 وقد يشر الله تعالى في ترجمة مفردة في كتاب لكل
 واحد منها، وقد طبع الكتاب بحمد الله تعالى.
 بتقديم الشيخ عبد الحميد العباد (البر) لترجمة ابن باز
 وتقديم الشيخ عبد الله العقيل لترجمة (الطائي
 وقد رغب الأستاذ لفاضل محمد الشريف داودي
 لجزائري. صاحب الدار (الأثرية) الجزائرية
 جمع (الكتاب) في كتاب واحد فأذنت له بذلك

٢

هاتف / ٠٥٠٥٤٦٩٩٤٦

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السحان



تقديم لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطلعتُ على الكتاب القيم الذي ألفه أخونا الشيخ الفاضل: عبد العزيز
ابن محمد السدحان عن حياة شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
-رحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء-، الذي سمّاه
«الإمام ابن باز: دروس ومواقف وعبر».

ولا شكَّ أنَّ حياة شيخنا رَحِمَهُ اللهُ حافلةٌ بالأعمال الجليلة في الدعوة إلى
الإسلام والنصح للمسلمين، وإنَّه لإمامٌ من أئمة الهدى، وفي حياته دروسٌ
عظيمةٌ، ومواقف نبيلة، وعبرٌ للمعتبرين.

ولقد أحسن المؤلف فيما كتب عن شيخنا رَحِمَهُ اللهُ، وأجاد وأفاد، ومما زاد في
حسن ما كتب عنايته بالربط بين أحوال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ وصفاته الحميدة
وما كان عليه سلف الأمة؛ فهو رَحِمَهُ اللهُ في صدقه وإخلاصه وعلمه وعمله يُذكرُ
بالعلماء السابقين الذين خلد الله ذكرهم، وقد مضى على موتهم مئآت السنين.

وهكذا فلتكن الحياة: علماً وعملاً، فقهاً وأثراً، أمراً بمعروف ونهيًا عن

منكر، دعوة إلى الحق والهدى، وتحذيرًا من أسباب الشقاء والردى.
وما أقوى شَبْهَهُ رَحِمَهُ اللهُ فيما منحه الله من صفات حميدة وأخلاق كريمة
وجهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين بالإمام عبد الله بن المبارك
المروزي رَحِمَهُ اللهُ، الذي قال فيه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: «ثقة ثبت،
فقيه عالم، جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير»، وقد ذكر ذلك المؤلف في
آخر كتابه - جزاه الله خيرًا وبارك فيه وفي جهوده -.
وإني أوصي طلبة العلم بقراءة هذا الكتاب القيم والاستفادة منه.
وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه
أجمعين.

عبد المحسن بن حمد العباد البدر^(١)

في ٢١ / ٧ / ١٤٢١ هـ

(١) أصل هذا الكتاب محاضرة أُلقيت في قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية بتاريخ ٧ / ١ / ١٤٢١ هـ، وقد تَكَرَّم فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر فحضر المحاضرة وعلَّق عليها وأوصى بطبعها، ثم قدَّم لها وأبدى بعض الملحوظات، فشكر الله لفضيلته حرصه ونُصَحَه.
ثم زدت على الكتاب في طبعته الثانية - بعد مقدمة الشيخ هذه - بعض الزيادات وميزتها عن طبعة الكتاب الأولى فجعلتها بين معقوفين هكذا [].

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيختلف الناس في علو مراتبهم وشريف منازلهم بحسب ما يمتازون به من الصفات الحميدة.

وميزان التفاضل في ذلك راجع إلى كثرة تحصيلهم واتصافهم بجميل الصفات وكريمها.

وقد يتقارب جماعة من الناس، أو يتقارب أكثرهم؛ لاشتراكهم في صفات كريمة تتفق نوعاً أو عدداً.

إلا أن أفراداً من الناس قد يصلون إلى منزلة يصعب الوصول إليها، والرقى إلى مرتبتها ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

شاهد المقال: أن مثل أولئك الأكارم الأماجد، تتوق النفوس إلى معرفة سيرهم؛ بل يدفعها فضول محمود إلى التشوف والتبع لأخبارهم وأحوالهم جملة وتفصيلاً.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فمن أولئك الأفاضل النواذر رجل أحسبه -والله حسبيه- بأنه لم يُرزق القبول في عصرنا هذا أحد مثل هذا الرجل، ألا وهو الشيخ، بل شيخ الإسلام والمسلمين، الحافظ المحدث، الفقيه المفتي، ناصر السنة وقامع البدعة: أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جعل الله الفردوس الأعلى مثوانا ومثواه.

وقد تكلم الكثيرون، وكتبوا عن سماحته ما بين مُستقلٍّ ومُستكثر، ولا تزال الأقلام مستمرة في تدوين سيرته العطرة. ومن المعلوم أن قراءة ومعرفة سير الصالحين، تزيد الهمة، وتقوي العزيمة، وتبعث النشاط في النفس.

ومما يحسن ذكره هنا ما قاله سماحته -رحمه الله تعالى- بنفسه عندما أفرد محاضرة عن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- حيث قال في مطلعها رَحِمَهُ اللهُ:

«لما كان الحديث عن المصلحين والدعاة والمجددين، والتذكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم التي دلت على إخلاصهم وعلى صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم.

ولما كان الحديث عن هؤلاء المصلحين المشار إليهم وعن أخلاقهم وأعمالهم وسيرتهم مما تشاق إليه النفوس وترتاح له القلوب، ويود سماعه كل غيور على الدين، وكل راغب في الإصلاح والدعوة إلى سبيل الحق...

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: رأيت أن أتحدث إليكم عن رجل عظيم ومصلح كبير وداعية غيور؛ ألا وهو الشيخ المجدد للإسلام في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-». اهـ

قلت: وأنا في هذا الكتاب سأحدث عن مقام رجل عظيم، وعن مصلح كبير، وعن داعية غيور، وهو - كما تقدم - سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى -.



كتب التراجم

إن كلام أهل العلم في العناية بجانب الترجمة للأئمة الأعلام واضح وجلي.
ومن شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر ما ذكره الإمام الحافظ
ابن حجر - رحمه الله تعالى - في كتابه «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس»
- يعني: الإمام الشافعي رحمه الله تعالى - حيث قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله الذي
جعل نجوم السماء هداية للخياري في البر والبحر من الظلماء، وجعل نجوم الأرض
- وهم العلماء - هداية من ظلمات الجهل، وفضل بعضهم على بعض في الفهم
والذكاء، كما فضل بعض النجوم على بعض في الزينة والضياء»^(١).
وقال ابن خَلِّكان في «وفيات الأعيان»: «لكن ذكرت جماعة من الأفاضل
الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زماني ولم أرهم؛ ليطلع على حالهم من
يأتي بعدي»^(٢).

وهذا ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»
المعروف بـ: «معجم الأدباء» يقول: «فهذه أخبار قوم عنهم أخذ علم القرآن
المجيد، والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمر
السلطان والوزارة، وبعلمهم يتم الإسلام، وباستنباطهم يُعرف الحلال من

(١) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» (ص ٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» المقدمة (١/ ٢٠).

الحرام»^(١).

وهذا الغبريني المتوفى في عام ٧١٤ هـ، يقول في مقدمة كتابه «عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»: «وذلك بحيث يعلم طالب العلم الأئمة الذين بهم يُقتدى، وبسلوك سننهم السوي يُهتدى»^(٢).

إن معرفة أخلاق العلماء ومعرفة سيرهم مكسبٌ كبير، وتجارة رابحة لطالب العلم، فإذا قرأ طالب العلم تراجم أولئك الأئمة الأعلام، ازداد بصيرة وتنوراً في سلوك طريقه، وفي المقابل يعلم مكان من النقص والخلل في ذاته وسيرته.

إن معرفة سير العلماء والحرص على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجهودهم، سنة ماضية عند أهل العلم المتقدمين والمتأخرين، يشهد لهذا ويؤكدده عشرات، بل مئات الكتب المتضمنة في مجموعها لآلاف التراجم.

وقد تفنن أهل العلم -رحمهم الله- في تصنيفهم لكتب التراجم فمنهم من أفرد ترجمة مستقلة عن إمام معين مثل الإمام الموفق بن أحمد المكي حينما أفرد ترجمة مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة^(٣) -رحمه الله تعالى-، وفعل مثله الكردي^(٤)، فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة، والصيمري له كتاب «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

هذا الإمام القاضي عيسى الزواوي، أفرد مصنفًا مستقلًا في ترجمة الإمام مالك -رحمه الله تعالى-.

(١) «معجم الأدباء» (١/ ٣٢).

(٢) «عنوان الدراية» (ص ١٩-٢٠).

(٣) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».

(٤) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».

وأفرد الأئمة: ابن أبي حاتم الرازي^(١) والبيهقي^(٢) وابن كثير^(٣) وابن حجر^(٤) مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا الإمام ابن الجوزي، أفرد مصنفًا مستقلًا في مناقب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

ونحا بعض أهل العلم منحى آخر، فأفردوا كُتُبًا مستقلة في ترجمة طبقة معينة يشتركون في عصر أو قطر أو علم أو مذهب، فهناك مَنْ أفرد بعض أتباع المذاهب بمصنف مستقل مثل «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات اللكنوي، و «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين بن عبد القادر الدارمي، و «الجواهر المضوية في طبقات الحنفية» للقرشي.

و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.

و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي، و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني.

و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب، و«ذيل» ابن عبد الهادي على «طبقات» ابن رجب.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفن والتخصص: طبقات المفسرين: وقد صنف فيها الداودي، والسيوطي.

وطبقات المحدثين: مثل «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها»

(١) واسم كتابه: «آداب الشافعي ومناقبه».

(٢) واسم كتابه: «مناقب الشافعي».

(٣) واسم كتابه: «مناقب الإمام الشافعي».

(٤) واسم كتابه: «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس».

لأبي الشيخ الأصبهاني.

وطبقات الحفاظ: وقد صنف فيها الإمام الذهبي كتاباً سماه «تذكرة الحفاظ».

وطبقات القراء: وقد صنف فيها الإمام الذهبي أيضاً كتاباً سماه «معرفة

القراء الكبار».

وطبقات النحاة: وقد صنف فيها السيوطي كتاب «بغية الوعاة».

وطبقات الأطباء: وصنف فيها ابن أبي أصيبعة، وهلم جرّاً.

وكما سلف آنفأ، فمنهم من أفرد علماء قطر معين ك: «تاريخ بغداد»

للخطيب البغدادي، و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر، و«تاريخ أو أخبار

أصفهان» للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، و«تاريخ حلب» لابن العديم واسمه «بغية

الطلب في تاريخ حلب»، و«تاريخ إربل»^(١) لابن المستوفي.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر:

«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن

حجر، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني، إلى غير ذلك

من أنواع التراجم.

وأخيراً: فهذا كتاب يجمع أخباراً موجزة عن شيخ الإسلام الشيخ عبد العزيز

ابن باز - رحمه الله تعالى -، وهذا من باب البر به وردّ شيء من الجميل تجاه ما

قدمه للإسلام والمسلمين.

وفي هذا الكتاب سأذكر أخباراً ووقائع في حياة سماحة الشيخ عبد العزيز

(١) إربل: بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة ولام، بوزن إثميد. انظر: «معجم البلدان»

ابن باز - رحمه الله تعالى -، وسأجعلها مصنفة تحت عناوات؛ ليكون الحديث أكثر وضوحاً وأكثر استجماعاً للفائدة.

وأما حياة الشيخ وترجمته الزمنية التفصيلية وذكر مشايخه -رحمهم الله- وذكر تلاميذه -وفقهم الله- فلن أعرج عليه؛ لأن هذا قد بُسِطَ وبُحِثَ كثيراً^(١).

والقصد من ذكر هذه المواقف والأخبار: أن يأخذ الإنسان الدروس والعبر وأن يتبصر فيها، وبخاصة طالب العلم المحب لسماحته، فعندما يعرف تلك المواقف يدرك كيف تَمَثَّلَ الشيخُ السَّنةَ فيها، وكيف أقام الشيخ سيرته ونهجه على العلم الشرعي المؤصل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.



(١) ولقد ألقى فضيلة الشيخ المحدث عبد المحسن العباد محاضرة عن سماحة الشيخ في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ليلة الجمعة ٦ / ٢ / ١٤٢٠ هـ، وهي قبل محاضرة المؤلف التي أقيمت في قاعة المحاضرات في الجامعة نفسها في يوم ٧ / ١ / ١٤٢١ هـ.

سمت الشيخ ووقاره

ليست الفائدة من حضور خلق العلم مقصورة على التحصيل العلمي فحسب، بل القصد أوسع من ذلك، فهناك خلق الشيخ، وتعامله مع السائلين، ورحابة صدره عند الاعتراض عليه، والتواضع في سماع المداخلة من طلابه.

قال أبو بكر بن المطوعي رَحِمَهُ اللهُ: «اختلفت إلى أبي عبد الله -يعني: الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله تعالى- ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه»^(١).

وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أن مجلس الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كان يحضره خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون والباقون يستمدون من سمته وخلقه وأدبه^(٢).



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٦).

(٢) المصدر السابق.

من صفات دروس الشيخ

دروس سماحة الشيخ - رحمه الله تعالى - تغشاها الهيبة من حيث وقار الشيخ وتعظيمه للعلم، وجلوسه الطويل للطلاب، وحسن طرحه للدرس، وسعة صدره، ورحابة نفسه في قبول السؤال، وتحمل تكرار السؤال عليه، والإنصات من طلابه، والمواظبة على المتابعة في أثناء الدرس، والإصغاء التام لكلام سماحته، ويزين ذلك دموع طيبة تغلب الشيخ في بعض المواقف خاصة مواقف السيرة النبوية - على صاحبها أتم الصلاة والتسليم -، فقد كان شيخنا سريع الدمعة، تسبق عبارته عباراته في كثير من المواقف.

ومن الهيبة والوقار: أن الطالب إذا حضر في درس سماحته يشعر بشعور روحاني، ولعل ذلك من نزول السكينة وغشيان الرحمة وحف الملائكة بتلك الحلقة.

حتى يُخيل للحاضر أن مجلسه كمجلس عبد الرحمن بن مهدي - شيخ الإمام أحمد - ذلك المجلس الذي وصفه أحمد بن سنان بقوله: «كان لا يتحدث في مجلس عبد الرحمن، ولا يُبرئ قلم، ولا يتبسم أحد، ولا يقوم أحد قائماً كأن على رؤوسهم الطير، أو كأنهم في صلاة»^(١).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠١-٢٠٢).

وقد جمع الله للشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - في دروسه ومحاضراته من الصفات الحميدة والسجايا الشريفة نصيباً وافراً، فهناك هيبة ووقار وسمت في الإنصات وخشوع وعبرات.

وكما قال ابن الجوزي عن شيخه الأنماطي: «كنت أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره»^(١).



(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/١٣٦).

ظهور القدوة في جميع شأنه

جاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان أنه كان كثير العبادة والتأله، رآه علي بن عبد الله بن عباس فأعجبه نسكه وهديه، فاقتدى به في الخير^(١). وقال عبد الله بن وهب: «ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه»^(٢).

[وذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة الحسن البصري ما نصه: «وقال يونس بن عُبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به، وإن لم يسمع من كلامه ولم ير من عمله.

وكان ابن سيرين إذا دخل السوق يقف أهل السوق عن البيع والشراء ويذكرون الله.

وكان الرجل ينتفع برؤية ابن قدامة -صاحب المغني- قبل أن يسمع^(٣).

وقال جعفر الصادق: إذا قسا قلبي ذهبت إلى المسجد الذي فيه محمد بن واسع فأنظر إلى وجهه فقط فأجتهد أسبوعاً في طاعة الله من تلك النظرة.

وقال ابن القيم: كانت تتكالب علينا الهموم فنأتي شيخ الإسلام فما أن نراه حتى يذهب عنا ذلك الهم، فسبحان من أدخل عباده جنته قبل لقاءه.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٠-١١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١٣).

(٣) «تذكرة الحفاظ».

وقال رشأ بن نظيف: قد شاهدت سادات، فما رأيت مثل أبي محمد بن أبي نصر، كان قُرَّةَ عَيْنٍ^(١).

ويجمع هذا كله قوله ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ»^(٢).

إن سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يتأثر الرائي له، إذا رأى أخلاقه، ورأى تمسكه بالسنة، فهو قدوة في صلاته، وفي لباسه، وقدوة في كلامه، وقدوة في رفته ولبينه، وقدوة في شدته في الحق، فحقاً إنه مبارك في أي مكان حل فيه أو ارتحل إليه، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧ / ٣٦٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم والواحدي وغيرهما، انظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٦٤٦)، (١٧٣٣).

محافظة الشيخ على وقته

[كان ولا يزال أهل العلم -رحمهم الله تعالى- أحرص الناس على أوقاتهم؛ لعلمهم بعظيم شأن العلم وتحصيله، وأن إهمال شيء من الأوقات بلا فائدة معناه ضياع شيء من العمر وفوات شيء من الخير.

ومن تتبع أخبار سير العلماء ونظر في تراجمهم عرف مصداق ذلك، ومن هذا الباب ما ذكره ابن عساكر رحمته الله في ترجمة الإمام سليم بن أيوب الرّازي رحمته الله «أنه كان يُحاسب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي عليه بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ أو ينسخ شيئاً كثيراً».

قال ابن عساكر: «ولقد حدثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يوماً إلى داره ورجع فقال: قد قرأتُ جزءاً في طريقي.

قال: وحدثني المؤمل بن الحسن أنه رأى سليماً حفي عليه القلم فإلى أن قطه جعل يُحرك شفّتيه فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ، أو كما قال»^(١).

ومن تتبع مجالس الشيخ -رحمه الله تعالى- وجد أنها لا تخلو من الفوائد، حتى في بيته وأثناء حضوره الأعراس والزيارات الخاصة التي يدعى إليها من بعض الناس، بل حتى في المستشفى وهو يتلقى العلاج، وقد أخبرني ابنه أحمد

(١) «تبين كذب المفتري» (ص ٢٦٣). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/٦٤٦).

أن سماحة الشيخ لما كان في المستشفى كان يصلي بمن معه وهم أربعة أو خمسة نفر، فإذا صلى والتفت عقب الصلاة أخذ يعظهم ويذكرهم ويعلمهم، فإذا كان هذا حاله في المرض، فكيف حاله في الصحة؟!

ومن العجيب في محافظة الشيخ على وقته ومجالسه: ما حدثني به ابنه أحمد: أن سماحته رَحِمَهُ اللهُ كان حريصاً حتى على الثواني من وقته، حتى في أثناء ركوبه في السيارة، فهو يشتغل بالعلم إما إملاءً أو سماعاً، ولقد أخبرني ابنه أحمد قال: قرئ على الشيخ في السيارة كتبٌ وذكر منها:

- «مجموع فتاوى» الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -.

- «إغاثة اللهفان» لابن القيم - رحمه الله تعالى -.

- «الإقناع» لابن المنذر - رحمه الله تعالى -.

- كتاب «مرويات اللعن في السنة».

إضافة إلى مجموعة من الرسائل الصغيرة.

ولقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يشغل الثواني والدقائق من وقته بالتسبيح والاستغفار والتهليل.

ولقد ذكر الإمام السمعاني في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» أن المحدث إذا كان في حلقة كبيرة كان هناك مستملون فإذا قال المحدث: حدثنا وكيع، قال المستملي: حدثنا وكيع، وفي أثناء قول المستملي يبدأ الشيخ بالاستغفار والتسبيح حتى يرجع الصوت له.

وسماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إذا طلب أحداً على الهاتف وكان في انتظار الردّ تجده يسبح ويستغفر الله تعالى.

وقد حدثني الشيخ عبد الرحمن الجلال^(١): أنه خرج مع سماحة الشيخ مرة للنزهة، قال: فلما جلسنا وصلينا المغرب - فيما أذكر - جاءت سحابة، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، واشتد نزول المطر فأمرنا الشيخ بالرجوع فرجعنا.

وفي أثناء رجوعنا كان الليل قد أسبل ظلامه، وكنا حينما خرجنا قد رأنا بعض أهل المزارع عندما مررنا بهم ويعرفون أن الشيخ معنا، قال: فأخذوا يوقدون بعض النيران في عشب النخيل حتى نرى طريقنا، فلما رأينا النار اهتدينا إلى مزارعهم فجئنا، وكانت حال الناس في ذلك الوقت في قلة ذات اليد.

قال: فأدخلونا في غرفة صغيرة من الطين كانت توضع للتبن ولا زالت السماء تمطر، فأدخلنا الشيخ، ثم صعدنا مع الشيخ على هذا التبن وجلسنا عليه ننتظر أن يخف المطر.

قال: فقال لي الشيخ: يا أبا عبد الله، اقرأ - وهذه كنية الشيخ عبد الرحمن الجلال أثابه الله - قال: فعجبت، كيف أقرأ في هذا الوقت الحرج، ليل، ومطر، وبروق.

فقال الشيخ: بما أننا جالسون اقرأ واقراء من حزبك. يقول: فلما قال الشيخ اقرأ من حزبك عرفت أن مراد الشيخ أن أطيل القراءة.

قال: فقرأت من سورة الأعراف، فلما انتهيت بدأ الشيخ يشرح ويفسر ودموعه تسابق كلماته رَحِمَهُ اللهُ.

(١) هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن الجلال، وهو من أشهر طلاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لما كان في مدينة الدلم، وهو لا يزال في الدلم - أثابه الله وبارك فيه وفي ذريته -.

فانظر -رعاك الله- أيُّ حرص بعد هذا الحرص؟! ليلة ماطرة وشديدة الظلمة، ومع هذا كله كان يستشعر قيمة الوقت.

ومن الشواهد على حرص سماحته -رحمه الله تعالى- على إدراك الفضل ومسابقتها إلى الخيرات: استغلاله لوقت البكور وعدم نومه فيه، قال ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(١).

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى-: «مبحث البكور إلى مجالس الحديث» ثم ساق بإسناده هذا الحديث^(٢).

وكذا صنع السمعاني -رحمه الله تعالى- في كتابه: «أدب الإملاء والاستملاء» وقال: «البكور إلى مجالس الحديث»^(٣).

وعن علي بن المديني قال: «قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب»^(٤).

وقد حدثني الشيخ عبد الرحمن بن جلال -أثابه الله تعالى- فذكر بأن الشيخ عبد العزيز -رحمه الله تعالى- لا ينام بعد الفجر طيلة مكثه في الدلم، وذكر الشيخ عبد الرحمن أيضًا بأن هذا من عادة الشيخ حتى في الأيام التي لا يكون في صباحها دروس.



(١) أخرجه أحمد وأبو داود.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٣).

(٣) «أدب الإملاء والاستملاء» (ص ١١١).

(٤) «الرحلة في طلب الحديث» (ص ١٩٦-١٩٧).

تحضير الشيخ ومراجعته للدرس قبل حضوره

هذا الإمام الفحل العلم، كبير في علمه، كبير في تواضعه، وليس عجباً إذا رأيته في الدرس يقول: لا أدري، بل والله تكل الآذان من قوله: «لا أدري، لا أعلم، تحتاج المسألة إلى تأمل، سنبحثها إن شاء الله» عبارات اعتادت الآذان على سماعها منه رَحِمَهُ اللهُ.

وترى الشيخ في بيته مع أمين مكتبته الشيخ صلاح -أثابه الله- معتكفاً على التحضير وعلى البحث، فهذا كتاب يقرأ في الحديث، وهذا كتاب يقرأ في التفسير، وهذه مسألة من درس البارحة تحتاج إلى زيادة إيضاح. ومما يلاحظ على سماحة الشيخ أنه يحرص على سماع البحوث التي يكلف بها، بل قد يطلب إعادة القراءة مرتين أو ثلاثاً، بل أحياناً يسأل الطلبة: من يعرف؟ هكذا هو العالم الرباني، وهذا هو التواضع، وهذا هو الخلق الذي كان عليه سلف الأمة -رحمهم الله-.

وإن المرء ليعجب من شدة حرص سماحته على الفائدة والإنصات التام من سماحته عند سماعها وطلبه الاستزادة من القراءة فيما يتعلق بها، بل قد يكلف سماحته الباحث أو القارئ بزيادة التتبع والاستقراء لأجزائها.

شاهد المقال هنا: أن سماحة الشيخ قد شارك بلسان الحال الإمام الشافعي بلسان

المقال عندما سُئل الشافعي -رحمه الله تعالى- ف قيل له: كيف شهوتك للعلم؟

قال: «أسمع بالحرف -مما لم أسمعه- فتود أعضائي أن لها أسمعاً تنعم به مثلما تنعمت به الأذنان.

ف قيل له: كيف حرصك عليه؟ فقال: حرص الجموع المَنوع في بلوغ لذته للمال.

ف قيل له: فكيف طلبك له؟ فقال: طلب المرأة المضلة ولدها، ليس لها غيره»^(١).

ومما يَحْسُنُ إيرادُه في هذا المبحث، وهو متعلق بحرص الشيخ على تحصيل الفائدة ما جاء في هذا الخبر:

دعا الشيخ عبدُ الله بنُ جبرين سماحةَ شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز، وكعادة سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- في كل مجلس يشغل المجلس بالفائدة، وفي ذلك المجلس كان شيخنا الشيخ عبد الله، يقرأ في كتاب لابن القيم وسماحة الشيخ عبد العزيز يعلق على القراءة، فمرت جملة استشكلها سماحة الشيخ ولم تتضح له وغلب على ظنه أنها سبق قلم من ابن القيم -رحمه الله تعالى-، فأوضح الشيخ عبد الله بن جبرين مراد ابن القيم من سياقه تلك الجملة، فسُرَّ سماحة الشيخ عبد العزيز، وقال: هذه فائدة، ثم أمر الشيخ عبد الله أن يعيد كلامه ليستفيد الجميع.

ومما يَحْسُنُ ذكرُه هنا أيضًا ما نقله الذهبي -رحمه الله تعالى- عن أيوب بن المتوكل أنه قال: «كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه»^(٢).

(١) «توالي التأسيس» (ص ١٠٥ / ١٠٦).

(٢) في «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٤٣١).

عناية الشيخ بصحة الحديث

هذه الخصلة تميز بها الشيخ، وبزَّ بها علماء عصره، فهو معدود من كبار المحدثين، ولقد تميزت فتاواه بربطها بالدليل، لا بالدليل فحسب، بل بالدليل الصحيح، ويؤكد ذلك معرفته بالرواة، وتضعيفه للحديث مع ذكر علته.

ويمكن إجمال جهود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا المبحث في الأمور التالية:

- ١ - العناية بسماع الأسانيد: إذا بحث الباحث بحثاً للشيخ يَمَلُّ بعض الأحايين من كتابة الأسانيد وقراءتها، بينما ترى الشيخ مصغياً، وقد يطلب إعادة مرتين وثلاثاً لبعض الأسانيد، وقد يطلب إعادة قراءة البحث كله.
- ٢ - الفحص عن الرجال: فكتاباً «التقريب» و«الخلاصة» ملازمان لدرس سماحة الشيخ، لا يكادان ينفكان عن درسه رَحِمَهُ اللهُ.
- ٣ - العناية بتتبع الطرق والشواهد والمتابعات.
- ٤ - العناية بذكر الصحابي والراوي عند الاستشهاد أو الاستدلال بالحديث.
- ٥ - التنبيه على الأحاديث الضعيفة.
- ٦ - استدراكه على غير واحد من المحدثين.

ومن هنا ينبغي لطالب العلم أن يعتني بالأحاديث الصحيحة؛ حيث يعاب على بعض طلبة العلم استشهادهم بالأحاديث الضعيفة، بل قد يصل في بعض الأحيان إلى الأحاديث الضعيفة جداً، بل قد ترى في كتابات بعضهم أحاديث

موضوعة، وهذا مما يدل على التقصير في الطلب.
 وقد سُئل بعض أهل العلم من أئمة القرن التاسع عن خطيب يرتقي المنبر
 كل جمعة، ويستشهد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأجاب بأنه يجب أن يُنبّه
 من هذا، فإذا لم ينتهِ رُفِع أمره إلى من بسط الله يده حتى يكفه عن التغيرير
 بالمسلمين ونشر الكذب على مسامع الناس في خطبه^(١).



(١) «الفتاوى الحديثية» (ص ٤٣).

صبر الشيخ وجلده على البحث

أذكر هنا مثالين عايشتهما أنا بنفسي يدلان على حرص الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وصبره على البحث، وهما:

الأول: في عام ١٣٩٨ أو ١٣٩٩ هـ كلفني سماحته ببحث حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات فرضهن الله...» فنقلت أسانيد الحديث من عشرين مرجعاً تقريباً من السنن والمسانيد، فلما أكملت البحث وأحضرتة إلى سماحته بعد صلاة العشاء، بدأت القراءة عليه بعد طعام العشاء وفي أثناء القراءة كان يأمر بقراءة بعض التراجم من كتب الرجال. فلما شارفت عقارب الساعة على الثانية عشرة تغشاني النعاس فشعر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بذلك، فاستأذنته في الانصراف فأذن -رحمه الله تعالى- وقال لي جملة كلامية مفادها: أسهرناك هذه الليلة، أو نحوها، وطلب إكمال القراءة في الغد أو بعده.

الثاني: طلب مني سماحته في عام ١٣٩٨ هـ بحث حديث «النهى عن الانتعال قائماً» وكان سماحته قد استمع إلى تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» للألباني^(١)، واستعاد الشيخ كلام الشيخ الألباني مراراً -وكان الذي يقرأ عليه الشيخ خالد الشريمي- وكانت جلسة منزلية في دار سماحته بعد العشاء.

(١) الجزء الثاني، حديث رقم (٧١٩).

شاهد المقال: أن الشيخ أراد الثبوت من اكمال رجال السند -سند ابن ماجه^(١) - وعدم وقوع السقط من الطابع، فطلب سماحته إحضار كتاب سنن ابن ماجه، فأحضر وقرئ عليه، فكان السند مطابقاً لما ذكر الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، فأمرني الشيخ بإحضار كتاب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» للبوصيري -فيما أظن- فبحثتُ عنه في مكتبته فلم أعثر عليه فأمرني أن أعود للبحث مرة أخرى، وقال إنه موجود، ومع ذلك لم أعثر عليه لكثرة الكتب وتراكمها.

وقبل انصرافي من منزل سماحته أشار إليَّ الشيخ إبراهيم الحصين^(٢) -رحمه الله تعالى- بأن الشيخ يريدك، فلما جئت إليه أمرني بالذهاب إلى المكتبة السعودية ونقل إسناد الحديث من النسخ الخطية لسنن ابن ماجه، ثم أمر الشيخ إبراهيم الحصين أن يكتب لي خطاباً موجهاً إلى المكتبة لكي أتمكن من البحث في النسخ الخطية.

فذهبتُ إلى المكتبة وأحضروا لي ثلاث نسخ، وقالوا: بقيت رابعة، فقلت: يكفيني ثلاث نسخ.

وبعد البحث وجدت إسناد الحديث مطابقاً للنسخة المطبوعة، فرجعت إلى الشيخ وأخبرته بما فعلت، فأمرني بالعودة إلى المكتبة مرة أخرى والبحث في

(١) هناك مبحث نفيس في تحقيق ضبط لفظ ابن ماجه هل يقال ابن ماجّة أو ابن ماجه، انظر سنن ابن ماجه (٢/ ١٥٢٠) بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين: رجل فاضل، طلق الوجه، دمث الأخلاق، لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ للكتابة له منذ قدومه المدينة أوائل عام ١٣٨١هـ، وبعد انتقاله إلى الرياض إلى أن توفي رَحِمَهُ اللهُ في شهر ربيع الأول ١٤١٠هـ، أي: قبل وفاة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ بعشر سنوات تقريباً.

النسخة الرابعة - وقد أخبرت الشيخ عنها - كما أوصاني أن أنقل سماعات النسخة من آخرها.

وبعد العودة إلى المكتبة طلبت النسخة الرابعة، وكانت المفاجأة وهي أن الحديث غير موجود في موضعه - في سائر النسخ المخطوطة أو المطبوعة - فجئت إلى سماحة الشيخ في منزله بعد المغرب فأخبرته بعدم إيجادي للحديث في النسخة الخطية الرابعة، فترجع علي كرسيه وتبسم ضاحكاً وقال: (ذلك ما كنا نبغ) ثم سألتني عن سماع النسخة فأخبرته بأنها قرئت على الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى -، فترحم الشيخ على الإمام الشوكاني....

بكل حال أتذكر أن الشيخ أعلّ الحديث في سنن ابن ماجه من جهة علي بن محمد الذي يرويه عن وكيع، وذكر لي الشيخ أن وكيعاً إمام مشهور وطلابه كثر ومع هذا لم يرو هذا الحديث عنه إلا علي بن محمد وليس من طلاب وكيع المشهورين.

هذا ما يحضرني من فحوى كلام الشيخ حول هذا الحديث^(١).
والذي أريد أن أقوله هنا: إن إعلال الشيخ لطريق ابن ماجه بسبب تفرد علي بن محمد عن وكيع إعلال وجيه، وهذا المأخذ يعلّ به السند عند أهل العلم.
مثال ذلك: ما رواه الترمذي من طريق شريك بن عبد الله النخعي عن أبي إسحاق عن عطاء بن أبي رباح عن رافع بن خديج - رضي الله تعالى عنه - قال:

(١) للحديث شاهد عند ابن ماجه أيضاً من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ، كما ذكر ذلك الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - في السلسلة، والذي جرى البحث فيه من الشيخ هو حديث ابن عمر ولعلّ الشيخ - والله أعلم - لم يرتض إسناد أبي هريرة بسبب عنعنة الأعمش.

قال رسول الله ﷺ: «من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقته».

قال الحافظ ابن حجر: «وتفرّد شريك بمثل هذا الأصل عن أبي إسحاق مع كثرة الرواية عن أبي إسحاق؛ مما يوجب التوقف عن الاحتجاج به...»^(١).

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: «وأما الغريب من الحديث، كحديث الزهري وقتادة وأشباههما من الأئمة ممن يُجمع حديثهم -إذا تفرد الرجل عنهم بالحديث- يسمى غريباً»^(٢).

وقد نص على هذا الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه ومثّل بالزهري وهشام بن عروة وأنهما من الشهرة والرواية وكثرة الأصحاب بمكان، ولو روى عنهما أحد حديثاً لا يعرفه أصحابهما فغير جائز قبول حديث هذا الضرب من الناس^(٣).

ومن جلد الشيخ رحمه الله: ما نقله بعض تلاميذه حيث قال: جلس الشيخ ساعتين ونصفاً في درس يوم الخميس وفي نهاية الدرس قال سماحته: «لولا الأشغال الأخرى لجلسنا مع الإخوان حتى الظهر».

وسُئل عن أحسن كتاب قرأه فقال: «شرح النووي على مسلم»، وذكر الناقل أن الشيخ قال: «قرأته أكثر من ستين مرة».

وهذه المهمة تذكرنا بما ذكره الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة عبد الغافر بن محمد النيسابوري، فقد جاء في ترجمته أن الحسن بن محمد

(١) «النفح الشذي» (١/٢٠٣).

(٢) «النفح الشذي» (١/٣٠٧).

(٣) «مقدمة صحيح مسلم» (ص ٧) مختصراً.

السمرقندي الحافظ قرأ عليه «صحيح مسلم» نيِّفًا^(١) وثلاثين مرة، وقرأه عليه أبو سعيد البحيري نيِّفًا وعشرين مرة، هذا سوى ما قرأه عليه المشاهير من الأئمة^(٢).

وذكر ابن بشكوال في «كتاب الصلة» في ترجمة غالب بن عبد الرحمن المحاربي أنه كرَّر «صحيح البخاري» سبعمائة مرة^(٣).

ومثل هذا أيضًا ما ذكره صاحب «ذيل طبقات الحنابلة»: أن عبد الله بن محمد فقيه العراق طالع كتاب «المغني» لابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ ثلاثًا وعشرين مرة^(٤)، والإمام المزني كان قد قرأ كتاب «الرسالة» للشافعي خمسين مرة^(٥)، والحر بن عبد الرحمن قال عن نفسه: طلبت إعراب القرآن ٤٥ سنة^(٦).

وكذا ما ذكره ابن عبد الهادي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه سمع «مسند الإمام أحمد» مرَّات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته «معجم الطبراني الكبير»^(٧).



(١) النيف: من واحدة إلى ثلاث. «القاموس المحيط» (٣/ ٢١٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٠).

(٣) «الصلة» (٢/ ٤٥٨).

(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤١١).

(٥) مقدمة تحقيق «الرسالة» للشافعي (ص ٤).

(٦) «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/ ٨٢).

(٧) «العقود الدرية» (ص ٣).

حفظ الشيخ وضبطه

ومما تميز به سماحة شيخنا رحمته الله: الحافظة العجيبة والاستحضار السريع، وإذا أردت مصداق ذلك فاستمع إلى سرده للآيات والأحاديث التي يستشهد بها في محاضراته وندواته، ولو أدركه الإمام الذهبي أو علّم عنه لترجم له في كتابه «تذكرة الحفاظ».

وقد حصلت لي قصة مع الشيخ في ذلك، وهي وإن كانت عليّ فأرجو أن يكون هذا من أمانة النقل، وقد يكون ذلك من الطرافة المليحة.

ويحسن قبل ذلك ذكر ما رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن المنكدر قال: «صلى جابر رضي الله عنه في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب، فقال له قائل: تصلي في إزار واحد فقال جابر: ليراني أحرق مثلك»^(١).

الشاهد: أن محمد بن المنكدر قد ذكر ما عليه وهذا من أمانة النقل.

وبعد هذا أسوق الشاهد: كنت أقرأ على الشيخ سنداً أظنه في كتاب «التاريخ الكبير» للبخاري، وكان من ضمن رجال السند رجل اسمه صدقة بن صالح، وطلب الشيخ الاستزادة من ترجمة صدقة بن صالح، ثم قال: ابحت لي عن اسمه صدقة، فقلبت الصفحات فوقعت عيني على صفحة فيها (صدقة الثوري)، فقال: اقرأ

(١) «فتح الباري» (١/٥٥٦)، حديث رقم (٣٥٢)، قال ابن حجر: وقال في جواب ابن المنكدر: «فأحببت أن يراني الجهال مثلكم».

فقرأت والشيخ رَحِمَهُ اللهُ يتبسم.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يحاول أن يجعلني أوافق الصواب، فقال: «سبحان الله! أعد»
فقلت: «صدقة الثوري» فقال: «اللهم اهده، تأكد» وفي تلك الحال ظننت أن
الشيخ يرد عليّ نحوًا وأنا ضعيف في النحو فقلت يا شيخ: «صَدَقَ الثوري» فقال:
«هداك الله، صَدَقَ الثوري».

وفي هذا نلاحظ أدبًا جمًّا من سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- في حسن
تعليمه، فعندما يقع القارئ في خطأ نحوي أو إملائي، لا يرد عليه مباشرة بل يأمره
بالإعادة، فإن تنبّه القارئ للخطأ بنفسه وإلا بيّنه له.

ومن ضبط الشيخ وحفظه أني سألته ذات مرة في درس قديم فقلت: يا شيخ،
حديث ذكره الحافظ في بلوغ المرام وهو: «نعم الأجر يؤخذ على القرآن»
فسكت فقال: «ليس في البلوغ». فقلت: يا شيخ أنا قرأته في البلوغ، فمكث يفكر
ثم قال: «ليس في البلوغ» فأشار إليّ أحد الإخوة أن الشيخ مصرّ، فقلت: «يا شيخ
أنا قرأته» فقال: «أحضره غدًا معك»، وكان ذلك الدرس يوم الخميس.

فأخذت أقلب «البلوغ» صفحة صفحة ولم أعرّ عليه، وبعد مضي مدّة
أقدرها بأربعة إلى خمسة أشهر وجدت الحديث في «البلوغ»، فأتيت إلى الشيخ
وقلت: «يا شيخ أحسن الله إليك، سألتكم عن حديث وذكرت لك أنه في بلوغ
المرام ونفيتم ذلك وهو الآن معي».

فقال: «اقرأ» فقلت: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن
أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» قال: نعم، لكن أنت سألت عن لفظ: «نعم
الأجر يؤخذ على القرآن» أما هذا الحديث فهو في البخاري في حديث الرقية.
ومن ضبط الشيخ العجيب: أنه قرئ عليه هذا السند -وانظر كيف استدرك

الشيخ على القارئ - قال القارئ: قال الدارقطني: أخبرنا نصر بن علي حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن الأغر أبي عبد الله صاحب أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة...» ثم ذكر تقريب الدجاجة والبيضة إلى آخر الحديث.

فاستعاد الشيخ القارئ مرة أخرى، فقال القارئ: قال الدارقطني: أخبرنا نصر بن علي... ثم ساق السند مرة أخرى، ولم يرتضِ الشيخ هذا النقل. فقال الشيخ: ما أظن، ما أدرك نصر بن علي لعله سقط منه شيخ الدارقطني، فقال القارئ: نعم يا شيخ، الدارمي وليس الدارقطني، قال: نعم. فانظر إلى دقة الحفظ وضبط العلم!!

ومن حفظ الشيخ رحمته الله: أن حديثاً في طبقات ابن سعد أشكل على بعض الإخوة، وكان السند فيه رجل منسوب إلى الجد الثاني فلان بن فلان بن فلان، يعني وصل النسب إلى الجد الثاني. وبعد البحث المضي من بعض الإخوة لم يعثروا عليه، فسألوا سماحة الشيخ فقال رحمته الله: «ابن» الثانية صوابها «عن»، فيكون هذا الاسم راويين وليس راوياً واحداً.

ومن هذا القبيل ما جاء في تعجيل المنفعة^(١) في ترجمة عمرو بن حبيب الأسلمي، قال الحافظ رحمته الله: لا وجود له ثم صوّب وقال: أخبرني عمرو عن حبيب الأسلمي، فتصحّفت «عن» إلى «ابن».

ومن حفظ الشيخ رحمته الله: أن أحد الإخوة كان يقرأ عليه سنداً فقال: «عن جويرية به» فقال الشيخ: صوابه عن جوير به.

وأخبرني أحمد ابن الشيخ قال: كنت أقرأ على والدي فإذا انتهت القراءة أو وقفت السيارة فأحياناً من العجلة أنسى رقم الصفحة، فإذا رجعنا قال الشيخ: «افتح» فأقول: «نسيت رقم الصفحة» فيقول الشيخ: «صفحة كذا».

وأخبرني أحمد أيضاً أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان يضبط الأرقام بالمصطلح المعروف في العدد «حساب الجُمَّل»^(١)، وهذا المصطلح معروف عند القدامى.

ولقد ذكر الدكتور محمد الشويعر - أثابه الله تعالى -، أن الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ مرَّ عليه حديث في إحدى الكلمات التي سمعها فطلب منه أن يبحث الحديث، وبعد البحث المضني لم يعثر عليه، فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: بعض المحدثين يضعون الحديث في غير مظهره، ثم قال: أحضر كتاب «الإيمان» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قال: فأحضرتة، ثم قال: افتح صفحة كذا وحدد رقمها، ثم قال: اقرأ سطر ١٢.

قال: فوقعت على الحديث بعينه.

ثم قال: انظر إلى الهامش فوجدت هامشاً يحيل إلى سنن النسائي.

ثم قال الشيخ: كتاب الإيمان آخر مرة قرأته منذ (٤٠) عاماً، وحدد سماحته اسم القارئ عليه وهو صالح بن حسين.

وممَّا يَدُلُّ على حفظ الشيخ وضبطه:

(١) وهذا المصطلح يُراد به ما يقابل الحروف الأبجدية من الأرقام، ولزيادة الإيضاح: إليك الحروف مع ما يقابل كل حرف من الأرقام:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

سرعة استحضاره للأدلة

(أ) أذكر مرة أن مسألة علمية اختلف فيها بعض طلبة العلم والمشايخ في الرياض، وهي مسألة السلام على الإمام عقب الصلاة، فقال بعضهم: إنهم بحثوا عن أصل لهذه المسألة فلم يجدوا.

ثم سئل سماحته، فأجاب أن ذلك له أصل في الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه عندما قال: «كنت آتيه في مصلاه الذي صلى فيه فأسلم عليه فلا أدري أرد علي السلام أم لا» وذكر كذلك حديث المسيء صلاته، وهو في الصحيحين^(١).

(ب) سأله أحدهم: هل المعطي من أسماء الله تعالى؟

فأجاب من فوره: نعم حديث: «إنما أنا قاسم والله يعطي»^(٢).

(ج) تشرفت بتقديم لقاء مفتوح مع سماحته وقبل بدء التقديم طلبت منه أن يكون الكلام -إذا أذن- عن تغير السنن الكونية، لأن الوقت كان على أبواب الشتاء، وبعد أخذ موافقته ذكرت في المقدمة خمسة أدلة أو ستة كنت قد اجتهدت في إعدادها فلما فرغت سرد الشيخ ضِعْف العدد الذي ذكرته.

(١) قال الشيخ عبد المحسن العباد البدر: «ينظر في هذا الدليل؛ لأنه لا يظهر مطابقته للسلام على الإمام عقب الصلاة».

(٢) أخرجه البخاري.

(د) نقل أحدهم مقولة عن بعض أهل العلم مفادها: «لو لم نخبر بختام النبوة لقلنا: إن ابن تيمية نبي» فعُرِضت العبارة على بعض أهل العلم فبالغ في إنكارها، وعرضتها بنفسها على سماحته - رحمه الله تعالى - فتبسم ضاحكاً وقال - ما معناه -: نعم لذلك أصل، ثم ذكر حديث: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»^(١).



(١) رواه أحمد وأحمد والترمذي.

تطبيق الشيخ العملي للسنة ونشر العلم

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يهتم بإحياء السنن، فالذي يجلس معه في بيته أو في درسه وهو مهمل لبعض السنن سرعاناً ما يتأثر إذا رأى محافظة الشيخ عليها والمواظبة على تطبيقها يتأثر من ذلك الرائي والسامع.

ومن تلك السنن التي أهملها الكثير من الناس:

١ - متابعة المؤذن، فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ إذا أذن المؤذن يقطع الكلام سواء كان الكلام هاتفياً أم محادثة لمن حوله، يفعل ذلك ليتفرغ لسماع المؤذن، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن جريج رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «حدثت أن الناس كانوا ينصتون للمؤذن إنصاتهم للقراءة، فلا يقول شيئاً إلا قالوا مثله»^(١).

٢ - وحدثني سعد الداود^(٢) قال: خدمت الشيخ أحد عشر عاماً وحفظت من عمله وتطبيقه سنناً كثيرة، ثم ذكر مثلاً يتعلق بلبس اليمين عند التنعل.

فقال: في زحمة الشيخ وبعد الفراغ من المحاضرة ومع كثرة السائلين وتوافد الناس عليه، تعمدت فوضعت نعله الشمال عند قدمه الشمال، قال فبدأ يرفع قدمه اليمين يبحث عن نعله اليمين، قال: فوضعت الشمال مرة ثانية، فبحث الشيخ عن اليمين، وفي المرة الثالثة رأيت الشيخ يطأ النعل الشمال بشماله ثم بحث عن

(١) «فتح الباري» (٢/١٠٩).

(٢) سعد الداود هو رئيس الحرس الخاص بسماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

النعل اليمين حتى يبتدئ بلبسها.

- ٣- وأخبرني ابنه أحمد في ذكر مرض الشيخ الأخير فقال: كان رَحِمَهُ اللهُ إِذَا خلع الجورب الذي يرتديه بدأ بالأيسر تطبيقاً للسنة حتى في مرض الموت رَحِمَهُ اللهُ.
- ٤- وكذلك رَحِمَهُ اللهُ كان يبدأ باليمين في لبس المشلح.

٥- سنة القدوم من السفر والبدء بصلاة ركعتين: حدثني الشيخ عبد الرحمن بن جلال قال: إن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قدم الدلم عصر يوم الخميس في شهر شعبان عام ١٣٥٧هـ، وكان في استقباله أمير الدلم رَحِمَهُ اللهُ ومعه بعض الأعيان وجمع من الناس.

فلما قدم الشيخ ونزل من سيارته دعاه القائم على شئون البلد إلى تناول القهوة، فقال: «أين المسجد دلوني على المسجد» قال: «فبدأ فصلتي ركعتين»، ولم يزل رَحِمَهُ اللهُ محافظاً على السنة حتى مات رَحِمَهُ اللهُ.

٦- مداومته رَحِمَهُ اللهُ على لعق الأصابع بعد الفراغ من الطعام لحديث: «إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يُلْعَقَهَا -أو: يُلْعِقَهَا-»^(١).

٧- وأخبرني أمين مكتبته -الشيخ صلاح أثابه الله-: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان إذا صلى إماماً في فجر يوم الجمعة يقرأ ب: السجدة والإنسان^(٢).

٨- عند نزول المطر كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يحسر عن رأسه، فذات مرة أخبروه أن السماء تمطر، فحسر عن رأسه من السيارة إلى دخول الجامع وكذلك فعل عند مشيه من بيته إلى المسجد والمطر ينزل مع قوله: اللهم صيباً نافعاً.

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) وعند الطبراني زيادة أن النبي ﷺ كان يُديم ذلك، لكن هذه الزيادة ضعيفة.

وهذه السنة قد وردت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: يا رسول الله، لِمَ صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه تعالى»^(١).

وفي كتاب «أخلاق النبي ﷺ»^(٢) لأبي الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يكشفون رءوسهم في أول قطرة تكون من السماء في ذلك العام ويقول رسول الله ﷺ: «هو أحدث عهد بربنا وأعظمه بركة».

٩ - المحافظة على الدعاء بين الأذان والإقامة: قال سعد الداود: وصلى سماحة الشيخ مرة ركعتين، فلما أردت سؤاله، قال: يا سعد، الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، وهذا العمل من سماحته تمثلاً لحديث: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»^(٣).

١٠ - وقد بلغني أن أحد الناس أهدى له وأكثر وكان من ضمن الهدية طيب فأخذ الطيب ورد الباقي، لما رواه أنس: «أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب»^(٤).

١١ - أنه كان يحرص في سفره أن يكون ذهابه يوم خميس لما ورد في ذلك عن النبي ﷺ كما أخرجه البخاري^(٥)، وقد كان سفره الأخير رحمته الله من هذه الدنيا

(١) «صحيح مسلم» (٢/٦١٥).

(٢) (ص ٢٦١).

(٣) رواه أحمد (٣/٥٥، ١١٩)، والترمذي برقم (٢١٢) في الصلاة.

(٤) «صحيح البخاري» (١٠/٣٨٣ - الفتح).

(٥) «كان يحب أن يخرج إذا غزا يوم الخميس». هذا لفظ البخاري، وعند الطبراني وغيره: «كان يستحب أن يسافر يوم خميس».

يوم الخميس.

١٢ - [ومن حرص الشيخ على إحياء السنة التي أهملها كثير من الناس ما حدّثني الشيخ سليمان الهديب - أثابه الله تعالى - : أنه في حج عام ١٤٠٩ هـ مرض معهم أحد الإخوة فلم يرم جميع الأيام، فاستفتي فأفتي بأن يرمي الجميع قضاءً مبتدئاً بالعقبة أولاً في يوم العيد، ثم يعود فيرمي الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى عن اليوم الحادي عشر، ثم يعود لليوم الثاني عشر، ثم يعود لليوم الثالث عشر.

قال محدّثي الشيخ سليمان: كنت مرافقاً لأخي المريض، فلما كان في اليوم الثالث عشر بدأنا بالعقبة عن يوم العيد ثم اتّجهنا إلى الصغرى لنبدأ قضاء رمي اليوم الحادي عشر فرأينا سماحة الشيخ ابن باز يدعو رافعاً يديه متقدماً الجمرة جهة اليمين، فقضينا رمي الحادي عشر ودعونا عند الصغرى ثم الوسطى، ثم رجعنا لقضاء رمي اليوم الثاني عشر ثم رجعنا لرمي اليوم الثالث عشر والشيخ ما زال في مكانه].

١٣ - ومما يدخل في ذلك إجاباته رَحِمَهُ اللهُ للمستفتين المقرونة بالفعل ليتضح للسائل كيفية.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ : «باب من صلى بالناس، وهو لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته»، ثم ساق بإسناده حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما قال: «إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي»^(١). والشيخ رَحِمَهُ اللهُ يهتم بالتطبيق العملي في نشر العلم والسنة، فمرة سأل سائل عن كيفية مسح الرأس وكان في المسجد، فأزال الشيخ ما على رأسه ثم أراه كيفية

(١) «فتح الباري» (٢/ ١٦٣).

مسح الرأس باليدين.

وسأله آخر عن كيفية وضع اليدين في القيام في الصلاة، فوضع الشيخ يده اليمنى على اليسرى ووضعهما على صدره وقال: هكذا.



تجرد الشيخ في مقولة الحق

هذه الصفة من أعظم الصفات التي تميز بها سماحته، فإذا تبين له الحق أفتى به بعلم وبحكمة لا يتردد في قول ما يدين الله تعالى به بغض النظر عن الآخرين. والعجب أن بعض الناس يتحاشى ذكر الحق مراعاة لكثرة رصيده من الناس، أو مراعاة لمصلحة خاصة يرجوها، وقد قال النبي ﷺ: «من أرضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»^(١).

وطالب العلم الذي يجعل نصب عينيه وفي سويداء قلبه هذا الحديث يوفقه الله ويرى بواذر التوفيق الإلهي شريطة أن يتكلم بعلم، أو يصمت بحلم. وهنا تذكر مسألتان اثنتان اعترض على الشيخ فيهما، وكثر الرد عليه وهو كالجبل الأشم؛ لأنه يدين الله تعالى بهذا الاختيار.

المسألة الأولى: إفتاؤه بجواز استقدام القوات الأجنبية، فقد أفتى الشيخ بذلك وهو يرى أن ذلك من الحق، واعترض عليه من اعترض ومع هذا كله لم يحرك ساكنًا عنده ولم يسكن متحرًا.

فكان كما قال القائل:

(١) رواه الترمذي وغيره.

ولو رجم النجم جميعُ الورى لم يصل الرّجْمُ إلى النجم^(١)

والمسألة الثانية: إفتاؤه بجواز الصلح مع اليهود، فكم تكلم المعترضون وكتبوا، لكن العالم الرباني يتبع الدليل الشرعي، ويتكلم بعلم، فإذا رأى الحق وتبصر بالعلم الشرعي على منهج سلف الأمة؛ قال به ولو اعترض من اعترض. وقد سأل بعض المشايخ أو طلبة العلم سماحة الشيخ عن سبب محبة الناس له على رغم اختلافهم فيما بينهم؟

فقال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «لا أعلم شيئاً إلا أني -بحمد الله- منذ عرفت الحق في شبابي وأنا أدعو إليه وأصبر على الأذى في ذلك، ولا أحابي في ذلك أحداً، ولا أداهن في ذلك أحداً، أقول الحق وأصبر على الأذى؛ فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فالحمد لله.

هذا هو الطريق الذي رسمته لنفسى مشافهة ومكاتبة، قبله من قبله، وردّه من ردّه، ما دمت على بصيرة، ما دمت على علم فيما أعتقد فأنا أقول وإن خالفني من خالفني من الناس، فلهم اجتهادهم، والله -جل وعلا- يعطي المجتهد أجرين إن أصاب، وأجرًا واحدًا إن أخطأ.

فلا أعلم سبباً إلا هذا السبب، أني أقول الحق -بحمد الله- حسب طاقتي، وأنشره قولاً وعملاً، ولا أعتب ولا أذيعه، إذا قدرت، بل أدعو له بالتوفيق والهداية، هذا هو طريقي مع الملوك ومع غير الملوك^(٢).

إن هذا الكلام من سماحته رَحِمَهُ اللهُ يذكرنا بما ذكره الإمام ابن رجب في كتاب

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/٤٦٢).

(٢) «مواقف مضيئة» (ص ٢٥-٢٦).

«الذيل على طبقات الحنابلة» في ترجمة محمد بن الخضر بن تيمية حيث قال:
 «... فإنني إذا كنت مع رسول الله ﷺ في حربه متبعًا لستته، ما أبالي من خالفني ولا من
 خالف فيّ، ولا أستوحش لفراق من فارقني، وإنني لمعتقد أن الخلق كلهم لو خالفوا
 السنة وتركوها وعادوني من أجلها، لما ازددت لها إلا لزومًا، ولا بها إلا اغتباطًا إن
 وفقني الله لذلك، فإن الأمور كلها بيديه، وقلوب العباد بين إصبعيه»^(١).



(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥٤).

تعظيمه للنصوص الشرعية

ما أجمل ما ذكره ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «الوابل الصيب» في علامات تعظيم النصوص، حيث قال:

«الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال الله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون الله تعالى عظمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام^(١) في تعظيم الأمر والنهي: هو ألا يعارضا بترخيص جاف، ولا يعارضا بتشديد غال، ولا يحملا على علة توهن الانقياد^(٢).

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مَبِينًا لمعنى كلام الإمام الهروي:

«ومعنى كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق ﷻ: تعظيم أمره ونهيه؛ وذلك لأن المؤمن يعرف ربه ﷻ برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس، ومقتضاها: الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالًّا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود

(١) هو أبو إسماعيل الهروي.

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٢٥).

لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر»^(١).
ومما تميز به سماحته رَحِمَهُ اللهُ في دروسه ومحاضراته وكتاباته: تعظيمه
للنصوص الشرعية والوقوف عندها والأخذ بالدليل -متى صحَّ- وعدم الالتفات
إلى ما سواه من مذهب أو عادة أو اشتهاه أمر، والله دره فكم أحيا الله به سنناً،
وأما به بدعاً، وأزال به جهلاً.

وكم رأينا وسمعنا من الشيخ أمثلة كثيرة على ذلك، فإذا ثبت الدليل أخذ به
رَحِمَهُ اللهُ، وكثيراً ما يحسم النقاش بوصول الدليل إليه، بل يغضب أحياناً، وقد
يضطر إلى زجر السائل إذا زاد في سؤاله عن الحد المطلوب الذي جاء به الدليل.

ومما يدل على تعظيم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ للنصوص الشرعية:

١ - قال سعد الداود: حضر سماحة الشيخ من الطائف إلى الرياض، واستقبلناه
في المطار يوم الخميس، ثم ذهبنا مباشرة إلى الجامع ليتولى التعليق والإجابة عن
الأسئلة بعد الندوة.

وعندما خرج من الجامع أخرج ورقة من جيبه، قال سعد: فقرأتها فإذا فيها
دعوة زواج والقصر بعيد، فقلت: يا شيخ أنت متعب وتحتاج إلى الراحة، فلو
ألغيت ذلك الموعد. فسأل الشيخ الجنود: «أحد منكم يعرف القصر؟» قال سعد:
وفرحت أن الشيخ ما سألني لأنني أعرف القصر. فقال الجنود: لا نعرفه.

فقال الشيخ: سعد تعرف القصر؟ قلت: نعم، فقلت: يا شيخ، أنت قادم من
سفر وتحتاج إلى راحة. فقال: ماذا أقول لربي، وقد قال رسول الله ﷺ: «من دُعي
إلى عرس أو نحوه فليجب»^(٢) استعن بالله، فذهب الشيخ ولبى دعوة الداعي.

(١) «الوابل الصيب» (ص ٢٥-٢٦).

(٢) رواه مسلم.

٢- جاء رجل فقال للشيخ: يا شيخ عبد العزيز. قال: «نعم» قال: أنت تقول بأنه ينبغي أو يجب أن يحضر الإنسان دعوة الزواج؟ قال: «نعم، إذا لم يكن فيها منكر، ولم تكن على موعد سابق».

فأعاد على الشيخ فقال الشيخ له: «لا بد أن تحضر، احضر». قال: وإذا ما حضرت؟ فألزمه الشيخ وقال: «احضر»، قال: يا شيخ، يعني إذا لم يكن فيها منكر، ولم أكن مرتبطاً بموعد سابق أحضر؟

قال: «نعم»، قال: يا شيخ، أنا أدعوك غداً إلى زواج ولدي. ففوجئ الشيخ، فسأل من كان معه فقالوا: ليس عندك موعد. فقال: «نحضر إن شاء الله».

فانظر إلى اتباع الشيخ للحق؛ فما دام أنه ثبت النص الشرعي وفي ذلك قرينة أخذ به، ولو أنه وقع لبعض الناس مثل هذا فقد يأنف ويقول: لا، أنت استدرجتني ثم لا يذهب.

٣- دعا أحد السفراء الشيخ إلى الإفطار في رمضان، فأفطر مع جمع من الضيوف، ثم لما أراد الصلاة، قال صاحب الدعوة: نصلي في البيت جماعة يا شيخ. فأطرق الشيخ ثم ضرب بعصاه الأرض ونهض قائلاً: «من سمع النداء فلم يأتِهِ فلا صلاة له إلا من عذر»^(١) قوموا فاذهبوا إلى المسجد، فقام القوم كلهم، وصلوا جماعة في المسجد.

٤- تخطئة المخالف للحق ولو كان المخالف من كان، بل إنه يخطئ بعض المادحين له في شعرهم وكلامهم، ويرد عليهم إن كان حاضراً مشافهة، وإن كان غائباً مكاتبة، وقد اشتهر ذلك عن سماحته -رحمه الله تعالى-، فقد كان يقاطع الشاعر أحياناً إذا كان في شعره مخالفة للصواب ويبين وجه الخطأ.

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان.

التثبت في نقل الأخبار

كان سماحته مثلاً يُحتذى به، والأصل عنده أنه يحمل الناس على المحمل الحسن، ويتثبت إذا بلغه خبر، وهكذا ينبغي أن يكون منهج طالب العلم، وألا يصدق كل خبر يسمعه، فهو قدوة، وكلامه يؤخذ به، وقد يُدان به، فليحرص طالب العلم وليجعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

ومن تثبت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الأخبار:

- ١- أنه دخل عليه رجل في مجلسه وفيه رائحة دخان، فجاء أحد الناس وقال: يا شيخ هذا رجل مدخن، ثيابه فيها رائحة الدخان، فقال الشيخ: «لعله ركب مع شخص مدخن، لعله جلس مع أحد فأثرت رائحة ذلك المُجَالِس فيه عليه»، وهذا المثل يعطي انطباعاً عظيماً عن حسن ظن الشيخ بالمسلمين.
- ٢- إذا سأل سائل وبخاصة إذا نقل له كلاماً عن آخر كزوجة عن زوجها والعكس، أجاب بما معناه: «إن كان الواقع كما ذكر...».
- ٣- سئل مرة عن رجل يعالج بالرقى الشرعية، وذكر له أن عليه بعض الملحوظات، فأمر السائل بالكتابة عن ملحوظاته حتى يسأل الشيخ عنه ويتأكد.



وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ

عندما تقرأ بعض الكتب أو تسمع بعض المتكلمين فإنك تحتاج إلى قاموس لحل غامضها، وكشف خفيها، وهذا النهج يتعسر من خلاله الحصول على الفائدة، وكان كلام النبي ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه»^(١).

قال بعض شراح الشمائل: «أي: ظاهر مفصول ممتاز بعضه من بعض؛ بحيث يتبينه من يسمعه ويمكنه عده، وهذا أدعى لحفظه ورسوخه في ذهن السامع، مع كونه يوضح مراده ويبينه بياناً تاماً بحيث لا يبقى فيه شبهة»^(٢).

وكلام الشيخ عبد العزيز رحمته الله يفهمه العامي والمتعلم، ويفهمه الصغير والكبير، كلامه في منتهى الوضوح لا غموض فيه، ولا تكلف ولا تشدق، فالذي يسمع محاضرات الشيخ ودروسه ومواعظه وإجاباته يرى مصداق ذلك، وهذا هو الأنفع للناس، لأنه بهذا تكون الفائدة مشاعة لجميع المسلمين والمستفيدين، ولا تتم الفائدة إلا بوضوح أسلوبها.

وما أجمل ما ذكره الذهبي في السير عن الأصمعي رحمته الله أنه قال: «كنت إذا

(١) «الشمائل» للترمذي (ص ١٨٦).

(٢) «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» (ص ١١٢).

سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننته لا يعرف شيئاً، كان يتكلم كلاماً سهلاً^(١)،
ومن أبو عمرو هذا؟! إنه شيخ القراء والعربية.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠).

تورع الشيخ في الفتيا وقوله : « لا أدري »

تقدم شيء من الأمثلة على ذلك، وهذا هو منهج كبار العلماء، وهو منهج أسسه وأصله نبينا محمد ﷺ فيما جاءه عن ربه **وَعَلَّامٌ** : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وعلى هذا المنهج سار الفحول من أهل السنة -عليهم رحمة الله-.

وقد قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: «كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء»^(١). وقد نُقل في هذا الباب أخبار كثيرة عن السلف وأتباعهم في قول: «لا أدري» والتوقف في الجواب، ومن ذلك:

١- ما ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية حينما عرض عليه ابن كثير أثرًا عن علي رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْكُمْ أَلْتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. في سورة النساء فاستشكله وتوقف فيه.

٢- توقف الإمام الذهبي في عمر سلمان الفارسي رضي الله عنه بعد أن رجع عن قوله الأول حيث قال: «وما أراه بلغ المائة فمن كان عنده علم فليفدنا»^(٢).

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٦٤-٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٦).

- ٣- وساق الذهبي أيضًا أثرًا مشكلًا في السير، ثم قال بعده: «ما فهمته»^(١).
- ٤- ذكر الإمام ابن حزم في مفتاح كلامه في كتابه «حجة الوداع» أن كثيرًا من الناس لما تكاثرت عليهم روايات حجة الرسول ﷺ ظنوها بعضهم متعارضة وترك بعضهم النظر فيها لما تعذر عليه التوفيق.
- ثم قال ما نصه: «فلما تأملناها وتدبرناها -بعون الله ﷻ وتوفيقه إيانا لا بحولنا وقوتنا- رأيناها كلها متفقة ومؤلفة منسردة متصلة بينة الوجوه واضحة السبل لا إشكال في شيء منها حاشا فصلاً واحداً لم يلح لنا فصل الحقيقة فيه أيّ النقلين هو منهما، فنبهنا عليه وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة؟ ففعل غيرنا يلوح له بيان ذلك، فمن استبان له ما أشكل علينا منه يوماً ما فليضفه إلى ما جمعناه ليقنتي بذلك الأجر الجزيل من الله تعالى»^(٢).
- [٥- وكذا ما ذكره الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- عندما تكلم عن حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور، وهل الصلاة باطلة أو مكروهة، قال -رحمه الله تعالى-: «... وإن القول بالبطلان محتمل، فمن كان عنده علم في شيء من ذلك فليتفضل ببيانه مع الدليل مشكوراً مأجوراً»^(٣)].
- والذي يسمع فتاوى سماحة الشيخ أو يسمع دروسه يعتاد على سماع كلمة «لا أعلم»، أو «لا أدري»، أو «الله أعلم»، أو «يحتاج الأمر إلى بحث» كما ذكر سابقاً.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٦).

(٢) «حجة الوداع» لابن حزم (ص ١٣، ص ٢٨).

(٣) «تحذير الساجد» (ص ١٨١).

مناصحة الشيخ للمسلمين^(١)

نُصح الشيخ مستمر مع كل طبقة من طبقات المجتمع، ولا يبخل بالنصيحة للصغير والكبير والعامي والمتعلم، ولو قسم نصح الشيخ على مجموعة من الناس لكفاهم، والذي يسمع محاضرات الشيخ ويقرأ رسائله يرى عجباً من كثرة مناصحته.

وسماحة الشيخ من أكثر الناس تمثلاً بحديث أبي رقية رضي الله عنه: «الدين النصيحة»^(٢). فالشيخ له نصيب الأسد وقصب السبق في النصيحة لله، في تبين صحة الاعتقاد وتقرير التوحيد، فكل محاضرة في الغالب يتدثها الشيخ بتوحيد الله وتقرير العقيدة وإخلاص النية لله مع كثرة الاستدلال والتعظيم للنصوص الشرعية، وغيرته الشديدة على من خالف الدليل الشرعي الصحيح. وإن شئت فانظر إلى رد الشيخ الشفهي ورده الكتابي على الفرق الضالة وبيان ضلالها، ناهيك عن تحذيره من البدع صغيرها وكبيرها. وأما النصيحة لكتاب الله: فما أكثر ما أوصى الشيخ بكلام الله وقراءته وحفظه وتدبره والرجوع إلى ما قاله أهل العلم في تفاسيرهم.

(١) تكون الفائدة من هذا المبحث أكبر - إن شاء الله - بقراءة مبحث «معرفة الشيخ بحال المسلمين» (ص ١٠٤).

(٢) الحديث في مسلم دون قوله ثلاثاً فهي عند أبي داود.

وأما النصيحة للرسول ﷺ: فقد كان يحث على محبته واتباع سنته وعلى الاهتمام بكتب السنة مع تحذيره من البدع، ويعمل على نشر السنة، وعلى إرسال دعاة السنة إلى كل مكان، وتشجيع المراكز القائمة على السنة.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فقد كان يناصح الحكام مشافهة ومكاتبة، وليست نصيحته للحكام في بلاد الحرمين فقط بل لحكام كثيرين، يناصحهم، ويدعو لهم، ويبين لهم الحق برفق وعلم وإدراك.

وقد أخبرني الشيخ صلاح أن سماحة الشيخ كان يكثر الدعاء لولاة الأمور، وذكر أنه رأى سماحة الشيخ ما لا يحصي في مواطن الإجابة: في عرفة، وفي الطواف، وفي السعي يكثر الدعاء لولاء الأمور، وهذا من بُعد نظر الشيخ ومن فقهه ومن ورعه. وكما قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان»^(١).

وأما النصيحة العامة لعموم المسلمين: فكم تكحلت أعيننا وتشنفت آذاننا برؤية وسماع هذه العبارة: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى عموم من يراه من المسلمين» وهذا دليل على نصح الشيخ - رحمه الله تعالى - ومحبته للناس أن يسلكوا دروب الخير.

[وبالنظر إلى كتابة العالم الرباني - في مجال النصح والرد على من أخطأ - وكتابة غيره من الغيورين والوعاظ وطلبة العلم تلحظ في كتابات هذا العالم خصائص كثيرة مجتمعة عنده تتفرق عند غيره.

فمن ذلك: شمولية فهمه للواقع دون إيغال في التشاؤم وتثبيط للناس.

(١) «السنة» للبربهاري (ص ٥١).

ومن ذلك: علاج واقع الأمة ومشكلاتها على ضوء الأدلة الشرعية.

ومن ذلك: كثرة سياق الأدلة الشرعية مما يزيد الكلام نوراً وبرهاناً.

ومن ذلك: خلو تلك المقالات من كثرة الأسلوب الإنشائي المجرد من الأدلة الشرعية، كما هو الغالب على بعض الكتّاب الإسلاميين الذين لا ترى الأدلة الشرعية في كثير من كتاباتهم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فعليهم أن يستفيدوا من هذا المنهج الكتابي في الرد والنصح والتوجيه.

ومن ذلك: سلوك السبيل الأقوم في الرد على المخالفين وعدم التسرع في الطعن في مقصدهم والاتهام في عقائدهم دون تروٍّ ونظر.

ومن ذلك: مناصحة المسئولين والدعاء لهم، من ولاية الأمور بخاصة، وغيرهم بعامة، وتحذيرهم من أهل السوء، كل ذلك بالأسلوب الشرعي.

ومن ذلك: الدعاء للمقصرين بالهداية والتوفيق، وتذكيرهم بالله تعالى، كل ذلك بأسلوب يحبب أولئك أو غالبهم إلى التوبة والرجوع إلى القول الحق.

ومن ذلك: شكر من أحسن من أولئك المقصرين مما يجعلهم يزدادون حباً للخير وأهله.

ومن ذلك: التثبت من صحة الخبر إلى قائله، وذلك بذكره المصدر الذي ذكر الخبر، فإن كان في جريدة مثلاً ذكر عددها وتاريخها.

ومن ذلك: نقل بعض كلام غير المسلمين الموافق للحق إمعاناً في زيادة الرد على المخالفين، وبخاصة أولئك المتأثرين بحضارة الغرب دون تمييز بين غثها وسمينها^(١).

(١) انظر: أمثلة من ردود الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتاب: «الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، توجيهات وردود...»، جمع وإعداد: أحمد بن عبد الله بن فريح الناصر.

شفاعة الشيخ للمحتاجين

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. ذكر بعض المفسرين أن الشافع مأجور سواء قبلت شفاعته أم رُدَّتْ؛ لأن الله تعالى بيّن أن النصيب يكون بمجرد الشفاعة وليس بقبولها، والنبى ﷺ يقول: «اشفعوا تؤجروا»^(١).

[قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -: «والشافع يؤجر فيما يجوز وإن لم يُشَفَّعْ؛ لأنه تعالى قال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ ولم يقل: ومن يُشَفَّعْ»^(٢). وقال أبو الحسن الواسطي:

اشفع إذا كنت مسئولا فربما سألت ما كنت مسئولا فلم تُجِبْ
ويقول الآخر:

لا تمنع يد المعروف من أحدٍ ما دُمْتَ مُقْتَدِرًا فالسَّعْدُ تَارَتْ
قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتٌ
والشيخ مات لكن مكارمه حية، براءة، مضيئة في كل مكان.

وقد جاء في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» في ترجمة الإمام محمد بن

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٩٦/٥).

أحمد بن محمد بن قدامة: «أنه كان كثيرًا ما يكتب إلى أرباب الولايات شفاعات لمن يقصده، فقال له المتولي -صاحب السلطة- يومًا: إنك تكتب إلينا في قوم لا نريد أن نقبل فيهم شفاعته، ونشتهي ألا نرد رقعتك» فقال: أما أنا فقد قضيت حاجة من قصدي، وأنتم إن أردتم أن تقبلوا ورقتي وإلا فلا. فقال له: لا نردها أبدًا»^(١).

وجاء في «تاريخ إربل»: «أن أبا المظفر الخزاعي كان يلزم نفسه بقضاء حوائج الناس ويرفعها إلى المتولي، فيوقع عليها بقضائها، ف قيل له مرة: أيها الشيخ، ربما وقع ضجر من إنهاءك ما تنهيه. فقال: أنا لا أزال أكتب، فإن قضيت حاجة من كتبت فذلك الغرض، وإن لم تقض فقد أعذرت ولا أتاثر بذلك»^(٢).

وفي «سير أعلام النبلاء»: «أن الإمام بقي بن مخلد رَحِمَهُ اللهُ مشى مع ضعيف في مظلمة إلى إشبيلية»^(٣).

وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم، شفاعة للمحتاجين إذا كان مقتدرًا.

وسماحة الشيخ معروف بكثرة شفاعاته.

ومن أعظم شفاعاته: شفاعته لعلماء الصومال، عندما حكم عليهم بالإعدام، فقد جاءه الخبر بعد المغرب وإعدامهم في اليوم التالي صباحًا، فكلم سماحته ولاية الأمور، فبادروا -أثابهم الله- إلى الكلام مع من له الأمر، فأنجاهم الله تعالى من القتل فهنيئًا للشيخ، وهنيئًا لمن أعان الشيخ، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٥).

(٢) «تاريخ إربل» (ص ٤٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٩٥).

ومن ذلك: شفاعته -رحمه الله تعالى- لبعض الإخوة الذين سجنوا بسبب قيامهم بالدعوة الإسلامية والتحذير من عبادة الأولياء والاستغاثة بهم والدعوة إلى هدم القباب والأبنية التي على الأضرحة لكونها من أسباب الفتنة بالمقبورين والغلو فيهم^(١).

ومن تلك الشفاعات: شفاعته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ بالبقاء في الأردن عندما أرادوا إخراجه حيث كتب إلى ملكها كتاباً فيه النصيح والتذكير بمقام الشيخ، فما كان من المسئول هناك إلا أن وافق على إبقاء الشيخ. ومن ذلك: شفاعته -رحمه الله تعالى- للشيخ محمد الأشقر وأخيه عمر بالعودة إلى الكويت.

فقد حدثني بذلك الشيخ عمر الأشقر عن الشيخ خالد المذكور ثم حدثني الشيخ خالد المذكور شخصياً أنه لما جاء إلى الرياض بعد تحرير الكويت، وفي أثناء تلك الأيام قابل سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-، فسأله سماحته عن الشيخ محمد بن سليمان الأشقر وعن أخيه الشيخ عمر فلما علم سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- بمغادرتهم الكويت طلب من الشيخ خالد المذكور أن ينقل إلى أمير الكويت طلب شفاعته الشيخ بعودتهما إلى الكويت، فنقل الشيخ خالد ذلك إلى أمير الكويت، فقبل الأمير شفاعته الشيخ ورحب بها، ولما عرض أمر الرجوع على الشيخ محمد وعمر اعتذر الشيخ محمد بظروف صحية واعتذر الشيخ عمر بارتباطه بجامعة الأردن إضافة إلى ظروف عائلية^(٢).

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/٢٤٨).

(٢) وقد حدثني الشيخ عمر الأشقر أنه عجب من كون السماح جاء من الأمير شخصياً، فأخبره الشيخ خالد المذكور أن سبب ذلك شفاعته الشيخ عبد العزيز -رحمه الله تعالى-.

[ومما يؤكد حرص سماحته على الشفاعات المتعلقة بالعلم وأهله زيادةً على تقدم عنايته -رحمه الله تعالى- بذلك الأمر عند أولي الأمر في حياته العلمية كلها، وليس ذلك مقصوراً على وقت دون وقت، فتلك الخصلة في نفس الشيخ منذ وقت شبابه، ومن شواهد ذلك ما ستراه في هذه الشفاعات التي أملاها سماحته قبل بلوغه سن الأربعين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ثبتته الله على الإيمان ونصر به السنة والقرآن، آمين.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده: حفظكم الله من خصص^(١) الطلبة بطرفنا قد مسّت غالبهم الحاجة، ولا يخفى جنابكم حالة الوقت وشدة المؤنة، فالرجاء من جنابكم الكريم التفضل عليهم بما يساعدهم في معيشتهم؛ لأنه ليس لهم إلا الله ثم أنتم، ضاعف الله أجركم وأجزل مثوبتكم وحفظكم من كل سوء، آمين، والسلام.

الختم

١٣٦٧هـ

(١) كذا في الخطاب، وصوابها: «من خصوص».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الإمام الأمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بن عبد
الرحمن آل البيت ونصيريه السنة والقرآن آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بعد حفظكم الله من خصص الطلبة بطرفنا قد مست غالبهم الحاجة
ولا يخفى جنابكم حالة الوقت وشدة المؤنة فارجأ من جنابكم الكريم
التفضل عليهم بما يساعدهم في معيشتهم لأنه ليس لهم إلا الله ثم انتم ضاعف
اسراجكم واجزل مشورتكم وحفظكم من كل سوء آمين والسلام

صورة الخطاب السابق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة ولي العهد المكرم سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، ثبته الله على الإيمان ونصر به السنة والقرآن، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده: حفظكم الله، معلومكم ما قد أصيب به المسلمون من قلة حملة العلم الشرعي وقلة طلابه الحقيقيين لأسباب كثيرة:

منها: ضعف الداعي القلبي الإيماني إلى طلبه.

ومنها: قلة المساعدة المادية لمن قد يوجد فيه رغبة في الطلب في غالب البلدان التي يوجد فيها معلم.

ومنها: قلة المشجع والمرغّب في الطلب باللسان والمال.

وقد جبلكم الله بفضله على محبة العلم وأهله وعلى محبة مساعدة طلابه وتشجيعهم لما قد علمتم من فضل ذلك وجزيل المثوبة لمن ساعد في تحصيله، ولكن تغير الأحوال وشدة المؤنة أمر لا يخفاكم، وبسبب ذلك لا يتهيأ ترغيب الطلبة واستقرارهم في الطلب بالمساعدة القليلة، لاسيما وقد وجدت وظائف كثيرة دينية ودنيوية بمقررات كثيرة يرغب الكثير من الطلبة في التوظيف فيها لمسيس حاجته إلى زيادة المقرر فيشتغل بها عن طلب العلم الشرعي.

وبملاحظة ما ذكر يتضح لجنابكم الكريم أن مقام طلبة العلم الشرعي يحتاج إلى إمعان نظر ومساعدة مادية جيدة ترغّب في طلب العلم في جميع أنحاء المملكة التي يوجد فيها من يصلح للتعليم.

وهذا المقام من أهم المقامات وأجدرها بالعناية لعظيم ما يترتب على القيام

به من المصلحة العظيمة للمسلمين في دينهم ودنياهم.
ولا يكفي عن ملاحظة هذا المقام والاهتمام به فتح المدارس التابعة للمعارف؛ لأن أكثر طلاب المدارس من حين يأخذ الشهادة الابتدائية يخرج من المدرسة ويكون في حاجة نفسه أو في وظيفة دنيوية، ومثل هذا لا يحصل به مصلحة كبرى للمسلمين لعدم اشتغاله بتكميل دروس العلم الشرعي.

وهذه إشارة مختصرة، وجنابكم الكريم يفهم ما وراءها والمقصود منها إلفات نظر جنابكم الكريم إلى العناية بهذا المقام وبذل الوسع فيما يرغب في طلب العلم الشرعي الذي به السعادة والنجاة وصلاح أمر المسلمين في دينهم ودنياهم، والنفقة في هذا السبيل من أفضل النفقات وأعظمها جدوى؛ لأنها من النفقة في سبيل الله التي يضاعف الله بها الأجور ويحط بها الخطايا.

وتشجيع طلاب العلم الشرعي من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولم يزل جنابكم الكريم وجناب والدكم -وفقهما الله- دائبين في العناية بالمصالح العامة، فليكن هذا المقام من أهمها، ولا ينبغي أن يستكثر ما يصرف فيه من المال؛ لأنه من أهم الأمور وأحقها بالنفقة؛ إذ لا سعادة للعباد ولا نجاة لهم في الدنيا والآخرة إلا بمعرفة الحق والعمل به، ولا يمكن العلم بالحق إلا من طريق طلاب العلم الشرعي، فتبين بذلك وجوب تشجيعهم وترغيبهم في طلبه بكل وسيلة.

والله المسئول أن يوفقكم ووالدكم لما يرضيه، وأن يرفع بكم مقام العلم النافع وأهله، وأن ينصر بكم دينه ويخذل بكم أعداءه، وأن يعيذك من موجبات الخذلان ومضلات الفتن، إنه سميع الدعاء قريب الإجابة.

هذا ما لزم، والله يتولاكم ويحفظكم، والسلام ٣٠ / ١ / ١٣٦٨ هـ.

الختم

ومن ذلك: أن أحد العسكريين أراد الحج مرارًا فلم يأذن له مرجعه فسأل الرجل الشيخ عن جواز الحج بدون رخصة من مرجعه فأفتاه بعدم جواز حجه بدون إذن مرجعه لأنه أجير في مصلحة المسلمين ثم قال -بعد كلام له-: «... وإذا لم يتيسر لك من مرجعك الإذن أو الإجازة فأخبرني وأنا إن شاء الله أكتب إلى مرجع الجميع في هذا الموضوع، ولا مانع أن تشفع كتابك لمرجعك بصورة من هذا الكتاب لعله يكون سببًا لموافقته على منحك الإذن أو الإجازة...»^(١).

[وأما شفاعته لقضاء الديون وقضاء حوائج الأيتام الفقراء وغيرهم فكثير، وإليك مثال من ذلك:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الشثري قاضي محكمة نعام -وفقه الله لكل خير، آمين- . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإشارة لكتابكم رقم (١٨٢) وتاريخ ١٤١٦/٦/٢٨هـ، المرفقة صورته نشفع لكم مع كتابنا هذا شيكًا رقم (١٦٩) وتاريخ ١٤١٨/٦/٢٨هـ، بمبلغ قدره مائة وثلاثون ألف ريال مساعدة من الشيخ وأبناء أخيه -وفقههم الله- في شراء سكن لأيتام.....

نرجو احتساب الأجر في شراء السكن المناسب وموافاتنا بما يفيد ذلك. وأسأل الله وَعَلَّاهُ أن يخلف على المتبرعين بالخلف الجزيل، ويضاعف لهم الأجر ويجعل عملنا جميعًا خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع قريب.

(١) «مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز» (الجزء الخامس، القسم الثاني: الحج والعمرة). د. عبد الله الطيار، وأحمد بن باز (ص ٣٠٦-٣٠٧).

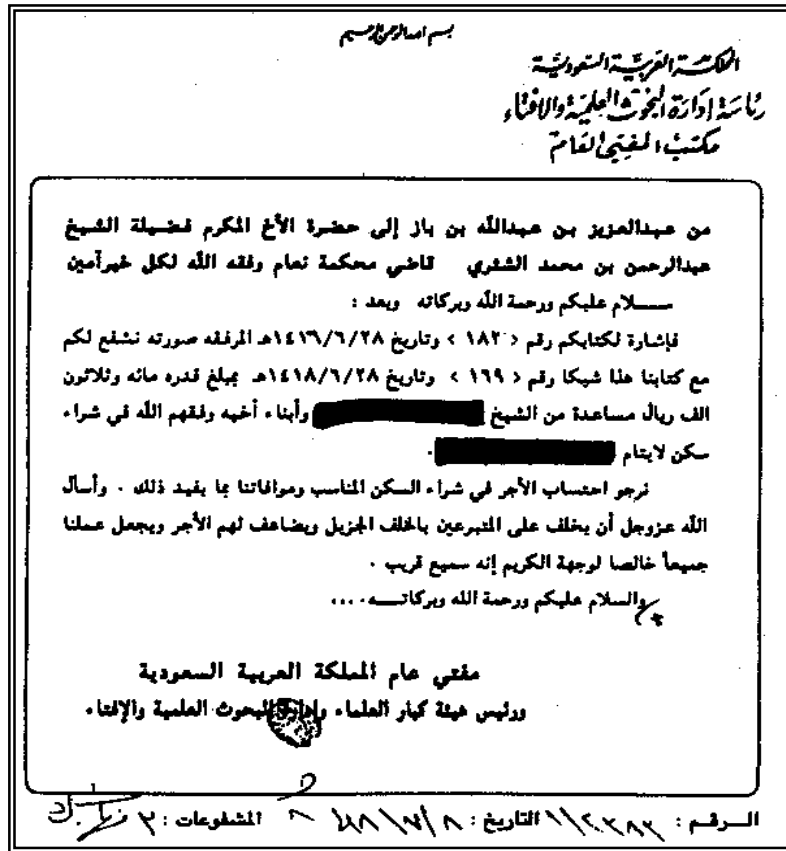
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء»

الختم

هذا ما ظهر من شفاعات الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ وما يخفى أكثر.



صورة الخطاب السابق

حرص الشيخ على أداء عمله وعلى قضاء الحوائج

إن المرء ليرى أثر البركة في الوقت في برنامج الشيخ اليومي، فالأعباء العلمية والوظيفية التي يقوم بها سماحة الشيخ لو قسمت على سبعة بل على عشرة لكفتهم بل أكلفتهم، ومع هذا كان رَحِمَهُ اللهُ يقابل تلك الأعمال بصدر رحب، وتراه مباركاً له في وقته في تنظيمه وترتيبه.

ويزيدك عجباً إذا رأيته مع كثرة مشاغله يسعى جاهداً لإدخال السرور على المسلمين من حيث حضور الأعراس أو عيادة المرضى وذلك فضل الله، وهو بذلك ينهج منهج مَنْ كان قبله من السلف.

وقد ذكر الذهبي في «السير»: «أن عمرو بن الحارث المصري كان يخرج من داره، فيرى الناس صفوفاً، يسألونه عن القرآن، والحديث، والفقه، والشعر، والعربية، والحساب»^(١).

وفي السير أيضاً: «أن الإمام مالكا رَحِمَهُ اللهُ كان يأتي المسجد فيشهد الصلوات والجمعة والجنائز، ويعود المرضى ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابه»^(٢) مع كثرة أشغاله رَحِمَهُ اللهُ.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٥٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٦٤).

والذي يرى تزاحم الناس على سماحة الشيخ يرى العجب؛ فيرى جميع طبقات الناس حوله؛ هذا كبير، وهذا صغير، هذا طالب علم، وهذا عامي، هذا يطلب حاجة، وهذا يطلب مالاً، وهذا يريد الذهاب مع الشيخ، والشيخ يتقبل ذلك بصدر رحب ويعطي كلاً حاجته على قدر جهده واستطاعته -رحمه الله تعالى-.

ويحضرني هنا قول القائل:

فبوركت مولوداً وبُوركت ناشئاً وبوركت عند الشَّيبِ إذ أنت أشيبُ

ومن العجب في تحامل الشيخ على نفسه لمصالح الناس: ما حدثني به ابنه أحمد: أنه في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٩ هـ دخل سماحته المستشفى بعدما تعسر عليه البلع وأصبح يتقيأ، فعمل له منظار بعد صلاة العشاء واقترح الأطباء عليه أن يبقى يوماً في المستشفى ليكون تحت المراقبة، فبات في المستشفى.

فلما قاربت الساعة التاسعة صباحاً قال سماحته: نتوجه إلى المكتب.

قال أحمد: فأشرت عليه بالذهاب إلى المنزل وكلم أحمد بعض موظفي

الشيخ وطلب منهم التوجه إلى المنزل لقدم الشيخ.

فلما وصلوا قرب المنزل وأخبروا الشيخ قال: نذهب إلى المكتب، فلما رأى

أحمد إصراره قال له: تعود يا أبي بعد الظهر، قال: نعم الساعة الثانية والنصف، فكلم

أحد المسؤولين ابنه أحمد وسأله عن الشيخ، فطلب منه أحمد أن يقنع الشيخ حتى

يرتاح، فكلم المسئول الشيخ فأجابه الشيخ بقوله: راحتي في العمل.



دعابة الشيخ ومزاحه

كان للشيخ رَحِمَهُ اللهُ لطافة ودعابة ومن ذلك:

١ - أن أحد طلبة العلم كان مرة راكبًا مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وكان الشيخ ناصر يُسرع في قيادته للسيارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سرعة ولا تجوز، والشيخ ابن باز أخبر أن ذلك من إلقاء النفس في التهلكة أو كلامًا قريبًا من هذا، فضحك الشيخ الألباني، وقال: هذه فتيا من لم يجرب فن القيادة.

فقال الطالب: يا شيخ سأنقل هذا الكلام إلى الشيخ عبد العزيز، فقال: انقله. قال الطالب: فقابلت الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في مكة، وأخبرته بكلامي مع الشيخ الألباني، وأخبرته بكلام الشيخ لي، فضحك الشيخ، وقال: قل له: هذه فتوى من لم يجرب دفع الدية.

٢ - كان من عادة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إذا كان عنده أناس بعد صلاة العشاء، أن يدعوهم إلى العشاء، فإذا تعذر أحدهم، قال: أنت تخاف من امرأتك إذا كنت لا تخاف فاجلس معنا، لتتعشى وإن كنت تخاف فاذهب، فيضطر المدعو إلى الجلوس.

٣ - وذات مرة قال لبعض طلبة العلم: لِمَ لا تعدد؟ - يعني: في الزواج - فقال: يا شيخ أنا موحد، فقال الشيخ: مسكين، هذا توحيد الخائفين.

٤ - ومن الطرائف: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ذات مرة كان يأكل عشاءه، وكان عنده

أحد الإخوة المهتمين بالطب، ومن حرصه على الشيخ، كان يقول: يا شيخ دع عنك هذا الأكل، هذا فيه كولستروول، وهذا فيه كذا، وهذا فيه كذا، والشيخ يأكل، ومن حرصه أكثر الكلام على الشيخ، والشيخ لا يزال يأكل.

فقام الشيخ ليغسل يديه بعد الأكل، وقام معه أحد المشايخ، والطبيب جالس، فقال ذلك الشيخ: يا شيخ عبد العزيز، من هذا الرجل الذي يقول لك كذا وكذا؟ فقال: هذا طبيب، ولكن «خذ وخلّ خذ وخلّ»^(١)!

٥ - ومن مداعباته - رحمه الله تعالى - تعليقاته على بعض الأسماء:

فمن ذلك أنه قرأ عليه مرة أحد الناس في كتاب فأخطأ القارئ فصوّبه الشيخ - رحمه الله تعالى -، ثم أخطأ ثانية فردّ عليه، ثم ثالثة، فسأله الشيخ عن اسمه فقال: اسمي صقر. فتبسم الشيخ - رحمه الله تعالى - وقال: الصقر يتعلم من أول مرة. وجاءه رجل اسمه المطرود فقال له: أنت المقبول.

وحدثني شاب اسمه متعب، قال: إن الشيخ سألني عن اسمي فقلت له: اسمي متعب فقال: أنت متعب العدو إن شاء الله. وجاءه رجلان اسم أحدهما: ذيب. والآخر: ذياب. فقال لهما مازحًا: أنتما تأكلان الناس.

٦ - ومن ذلك: أنه سأله رجل عنده وسوسة فقال: إنه دائمًا يطلق امرأته بينه وبين نفسه وأكثر التردد على الشيخ، وذات مرة عندما سأل الشيخ كعادته رفع الشيخ العصا وقال له: إن كنت لا تريدها فطلقها الآن، فقال: لا لا لا. فقال الشيخ: إن رجعت فسأضربك بالعصا مرة أو مرتين. فقال سعد الداود: اجعلها ثلاثًا. فقال الشيخ: كذلك نجعلها ثلاثًا. فقال الموسوس: إن كانت ستنتفع فأهلاً بها.

(١) أي: خذ ما شئت واترك ما شئت.

٧- ومن طرائفه رَحِمَهُ اللهُ: أنه في أحد دروسه عام ١٣٩٨ هـ كان سماحته يعلق بعد القراءة من كتاب: «تيسير العزيز الحميد»، وتطرق الشيخ إلى سيرة البدوي وكيف يعظمه الجهال ويدعونه من دون الله... إلى أن قال: حتى إن بعض أهل مصر يقول: لا يدخل مصر زرة -بالزاي بدل الذال- ولا يخرج منها زرة إلا بعلم البدوي - فقل: يا شيخ ذرة أو زرة؟ فقال: زرة زرة كما يقول المصريون. قالها الشيخ وهو يتبسم.

٨- ومن طرائفه رَحِمَهُ اللهُ: أنه دعاه أحد أزواج قريباته فاعتذر، وبعد إلحاح قال الشيخ: «نحن حضرنا زواجك، فإذا تزوجت مرة أخرى حضرنا زواجك» فذهب الزوج وأخبر امرأته، فكلمت الشيخ معاتبة، فطيب الشيخ خاطرها، وأخبرها أنه يداعبه، وأتى الشيخ ولبى دعوتهم.

٩- ومن ذلك: أن أحد الناس ممن قدموا للحج أو العمرة، أراد استخراج إقامة نظامية فعجز، فقال: يا شيخ عبد العزيز، قال: نعم. قال: رأيت الرسول ﷺ في المنام فشكوت له حالتي، فقال: اذهب إلى الشيخ ابن باز وسيصلح أمرك، فضحك الشيخ وقال: لعلك لم تر الرسول، ولكن ارفع لنا من يزكك وسنسعى - إن شاء الله - في بعض ما نستطيع.



اجتهاد الشيخ في العبادة

قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللهُ: «كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفتنه التكبيرة الأولى»^(١).

وقال القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: «لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين، وكأني لم أصلها»^(٢).

وقال محمد بن سماعة رَحِمَهُ اللهُ: «مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أُمِّي...»^(٣).

وجاء في ترجمة إبراهيم بن ميمون الصائغ رَحِمَهُ اللهُ أن ابن معين رَحِمَهُ اللهُ كان يقول عنه: «كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها»^(٤).

وفي ترجمة سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: «ما نودي بالصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد»^(٥).

وقال الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: «ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»^(٦).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٨).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٦٥).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٠٤).

(٤) «تهذيب التهذيب» (١/ ١٧٣).

(٥) «تهذيب التهذيب» (٤/ ٨٧).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

وسماحة الشيخ رحمه الله قدوة، ومثال يُحتذى به في حرصه على العبادة، وفي تكبيره إلى المسجد، ومحافظة على السنن الرواتب، ومحافظة على الأذكار، وقد قال لي ابنه أحمد: «منذ عرفت والدي وهو يقوم قبل الفجر بساعة، ويصلي إحدى عشرة ركعة».

فطالب العلم ينبغي أن يكون مثلاً يُهتدى به وقدوة في عباداته وفي جميع شأنه، ومما يؤخذ على بعض طلبة العلم التثاقل عن الصلاة المكتوبة، وكثرة قضاء الصلاة بعد سلام الإمام وبخاصة صلاة الفجر مع التفريط في النوافل. والعامّة إذا رأوا طالب العلم، جعلوه قدوة لهم، فإن أساء أساءوا واحتجوا به، وإن أحسن أحسنوا وتأثروا به، وكان له مثل أجرهم لا ينقص من أجرهم شيئاً.



زهده في متاع الدنيا

قال عليه السلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(١).

وقال محمد بن كعب القرظي: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا، وفقهه

في الدين، وبصره بعيوبه، ومن أوتيها أوتي خير الدنيا والآخرة»^(٢).

كان الشيخ -رحمه الله تعالى- في عصرنا هذا مثلاً عجباً في زهده في الدنيا، فعلى رغم ما بلغ من المنصب والجاه واحترام جميع طبقات المجتمع له، مع هذا كله فقد كان مسخراً ذلك لنفع المسلمين، ولو أراد أمور الدنيا لاجتمع له الكثير منها، ولكن:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وزهد الشيخ -رحمه الله تعالى- وقناعته واضحات لدى الجميع، والأمثلة

واضحة وكثيرة في ذلك، وسأكتفي هنا بمثالين:

١ - أثناء إقامة الشيخ رحمته الله في المدينة النبوية أرادوا أن يملكوه بيتاً فرفض

ذلك، وأمر أن يكون البيت باسم رئيس الجامعة ليسكنه غيره إذا تولى رئاستها.

٢ - وقبل موت الشيخ رحمته الله ببضع سنين اشتكى الشيخ من ركبته، فأراد

(١) أخرجه ابن ماجه وغيره، وانظر: تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» حديث رقم (٩٤٤).

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢١٧/١).

ولي الأمر - أثابه الله - أن يبني للشيخ بيتًا بلا درج حتى لا يتكلف الصعود، ولما استشاروه في أي مكان يُبنى البيت، قال بعد أن دعا له بخير: «ليس في العمر بقية، ويكفينا هذا البيت الذي نحن فيه».



سلامة قلبه على المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وورد في الحديث ^(١) أن رجلاً قال عنه النبي ﷺ: «يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة...» وفي آخر الحديث ذكر الرجل: «أنه لم يضع جنبه على فراشه وفي قلبه غل على أحد من المسلمين».

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنهما- قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ: «أفضل الناس: كلٌّ مخموم القلب، صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد» ^(٢).

وعن زيد بن أسلم رحمه الله قال: «دخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقل له: «ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً» ^(٣).

إن من جالس الشيخ وقرب منه يشعر أنه أحب الناس إلى الشيخ، وذلك من

(١) أخرجه الإمام أحمد.

(٢) أخرجه ابن ماجه وغيره. انظر: «السلسلة الصحيحة» حديث رقم (٩٤٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٤٣).

خلال تحفّي الشيخ بجليسه وسؤاله عن أحواله الخاصة والعامة، وإيّم الله كم يغبط المرء نفسه إذا أحاطه الشيخ بالسؤال والدعاء.

وقد سألته ذات مرة في سيارته، وقلت له ما معناه: يا شيخ عبد العزيز ما أعلم أحداً إلا يحبك صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، وهذا أمرٌ شبه متفق عليه، فما السر يا شيخ في ذلك؟ فحاول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يتعذر من الجواب، فكررت السؤال مرة أو مرتين، فقال ما معناه: «ما أعلم في قلبي غلاً على أحد من المسلمين، ولم أعلم بين اثنين شحناء إلا سارعت بالصلح بينهما».

ومن الأمثلة على سلامة قلب الشيخ: ما حدثني به الشيخ عبد الرحمن بن جلال -أثابه الله- حيث قال بأن الشيخ ابن باز قضى على رجل في مسألة، فتضايق الرجل وكان الرجل لسنّاً، فأخذ يقذع في الشيخ، ويتكلم على الشيخ. وبعد مدة مات ذلك الرجل وكان الشيخ حاجاً في عامه ذاك فلما قدّم ذلك الرجل بعد صلاة الفريضة ليُصلّى عليه، سأل الإمام -وهو أحد طلاب الشيخ-: من المتوفى؟ فقالوا: فلان، فقال: الذي يتكلم في الشيخ ابن باز ويشتم، والله لا أصلي عليه، قال: فصلينا عليه مع الناس، وكان بعضهم يقول بأن هذا الإمام الذي ما صلى عليه سيكون له منزلة وحظوة عند الشيخ عبد العزيز.

فلما رجع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من الحج أخبروه بأن فلاناً قد مات فترحم عليه، ثم أخبروه بأن الإمام لم يصل عليه، فغضب الشيخ وتمعر، ولم يرخص بذلك، ثم أمر الشيخ رجلاً -عبد الرحمن بن جلال أو غيره- أن يأخذه إلى المقبرة، فوقف على قبره وصلى ودعا له.

فانظر إلى سلامة قلبه ونقائه وترحمه حتى على من عاداه.

ومما يحسن ذكره هنا ما قاله الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في أثناء

كلامه عن أخلاق المحدث قال: «مبحث: الرفق بمن جفا طبعه منهم» ثم ساق بأسانيده حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط». وحديث عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاحش ولا متفحش ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح». وحديث جرير رضي الله عنه: «من يحرم الرفق يحرم الخير». ثم ساق الخطيب من الآثار قول سليمان بن حرب: «زين هذا العلم حلم أهله».

وعن الأصمعي أنه قال: قيل لأعرابي: من الأديب العاقل؟ فقال: الفطن المتغافل»^(١).

ولقد كان سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- من أرفق الناس في معاملة الناس، وبخاصة من جفا طبعه وساء خلقه، وهذا مشاهدٌ بل متواتر في أخلاق الشيخ.

ولعل من شواهد سلامة قلب الشيخ هذا الخبر:

ذكر الشيخ محمد بن موسى أن أحد المشايخ من طلاب الشيخ والمتلمذين عليه والعاملين معه، كتب للشيخ كتاباً قاسياً، ملأه بالعبارات القاسية والكلمات الفظة، وقال: أنت لم تعد تهتم بي، وأنت تقدم غيري علي، وأنا ظلمت معك، والناس ينتظرون فيك العدالة وسأقف أنا وأنت بين يدي الله، لقد عملت معك مدة طويلة، فلم أحصل على ترقية، وتحسين لمستواي الوظيفي... إلى غير ذلك من الكلام الجاف المزعج.

قال الشيخ محمد: فقرأت الرسالة على سماحته كاملة فلما فرغت منها تبسم

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٨-٢٨٠).

الشيخ، وقال: «الله يسامحه، لقد أحسست بهذه الجفوة فيه، وشعرت أن في نفسه شيئاً عليّ، اكتب: من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الابن فلان بن فلان - حفظه الله وبارك فيه - أما بعد:

فوالله إنك من أحب الناس إلى قلبي، وأنا ليس في نفسي عليك شيء، أما بالنسبة لموضوعك فأنت لم تكلمني فيه أبداً، ولكن أرجو منك أن تغير خطابك هذا بخطاب آخر تشرح فيه موضوعك وننظر في الأمر - إن شاء الله - ونجتهد فيه، ثم دعا له بالتوفيق والصالح.

قال الشيخ محمد: «فلما وصل الخطاب إلى الرجل احمرَّ وجهه من الخجل، ووقع في حرج عظيم، وتأثر بموقف الشيخ تأثراً بالغاً وقال: «حسبي الله ونعم الوكيل» كيف أستطيع مقابلة الشيخ الآن بعد الذي حصل مني؟ قال: فجاء إلى الشيخ ليزوره ويعتذر إليه، فرحب به الشيخ، وأجلسه بجواره وأرخى له سمعه واعتذر إليه ودعا له ووعدته خيراً^(١).

ومن الأمثلة على سلامة قلبه رَحِمَهُ اللهُ: أنهم ذكروا أن شاباً كان يغتاب الشيخ ويتكلم فيه، وبعد أن منَّ الله تعالى على الشاب بالهداية جاء إلى سماحة الشيخ وتأسف منه وتعذر عن الذي حصل منه وطلب التحلل من الشيخ، فدعا له الشيخ بخير وأوصاه بالخير وحلله من مظلمته.



(١) انظر: كتاب «إمام العصر»، د. ناصر الزهراني (ص ١١٨).

تواضع الشيخ وعفوه ومحبته للفقراء

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].
وقال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً،
ومن تواضع لله رفعه»^(١).

وقال الشاعر:

تواضع تك كالنجم لاح لناظر على طبقات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو ضيع

كان الشيخ رحمه الله آية من آيات الله في التواضع، فتحسب أنك إذا جلست
بجواره أو تكلمت معه كأنك أمام شخص من أمثالك، وما ذاك إلا لسمو أخلاقه
وعدم ترفعه على جلسيه، بل إنك تعجب إذا قام سماحته يسأل من في المجلس
من المشايخ أو طلبة العلم عن بعض الإشكالات التي قد ترد عليه من السائلين،
وهكذا العلماء الربانيون.

ومن تواضعه: أن فقير المسلمين يجد عنده من الرحابة والتقدير ما لا يحظى
به عند غيره.

(١) أخرجه مسلم.

تنبيه: يزيد بعضهم بعد قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»: «بل تزده»، وهذه الزيادة
«بل تزده»: ليست في لفظ الحديث.

ويقول ابنه أحمد: إن الشيخ يغضب علينا إذا رفع إليه بعض الفقراء شكوى بأنهم يُمنعون من الأكل ولو كانت الشكوى غير صحيحة أو مبالغاً فيها، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ متعاطفاً مع الفقراء، حريصاً على عدم جرح مشاعرهم.

و ذات مرة أساء الأدب معه بعضُ الوافدين الذين يؤويهم الشيخ و يقيمون تحت رعايته وكفالتة، فجاء أحدُ منهم مرة ورفع صوته يخاصم في مجلس الشيخ ويقول: «لماذا ما أنهيتم إجراءات إقامتي، فقال الكاتب: يا شيخ هذا طبعه دائماً و صدره ضيق ومجادلاته كثيرة.

فقال الشيخ: هؤلاء مساكين وأغراب فارحموهم وارفقوا بهم وتحملوهم، ألم تسمعوا قول النبي ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفقَ بهم فارفقُ به»^(١).

ومن تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وحلمه: أنه كان يتحمل السائلين، فمع كثرتهم وكثرة أسئلتهم، إلا أنه كان يتصف بسعة الصدر لهم وعدم الضجر والسآمة منهم، وهذا يعطي طالب العلم منهجاً في تحمل السائلين.

وأعجب من هذا: أن السؤال قد يتكرر عليه عشرات المرات كما يحصل ذلك في مخيمه في الحج حتى إن الجالس عنده قد يمل من سماع الجواب فكيف بمن يجيب؟! ولكن هكذا العالم الرباني، يتواضع للجهال من المسلمين والفقراء منهم فيستمع إليهم.

ورحم الله الشيخ ابن سعدي عندما قال شاكرًا للسائل ومبيناً فائدة السؤال: «... ونحن ممنونون في كل ما يقع لكم من الإشكالات؛ لأنها قد تصير سبباً لبحث أمور لم تخطر على البال. ومراجعة محالِّها، وهذا من طرق العلم فلا تحرمونا

(١) أخرجه مسلم عن عائشة -رضي الله تعالى عنها-.

ذلك...»^(١).

وقال هشام بن مسلم القرشي: «لولا المسائل لذهب العلم»^(٢).
ومن تواضع الشيخ -رحمه الله تعالى-: «أنَّ السائق تأخر عليه أو تعطلت السيارة الخاصة به، فطلب من الشيخ صلاح أن يأتي بسيارته فاعترض الشيخ صلاح بأن سيارته لا تواجه ولا تليق بمقام الشيخ فداعبه الشيخ قائلاً: «سيارتك ما تمشي؟». وذات مرة جئت إلى منزله فصادفته، وقد قام لتوّه من العشاء وهو في طريقه ليغسل يديه، وكان معه ابنه أحمد -بارك الله فيه- فسلمت عليه وقلت: يا شيخ، أريد أن أحدثك عن شيء في نفسي -قلت ذلك مغتبطاً لفرصة وجود الشيخ وحده- فقال: خيراً -إن شاء الله تعالى-.
فلما انتهيت من غسل يديه قلت له: يا شيخ أحمد الله فمِنْ عاجِلٍ بُشْرَاكَ محبةُ الناس لك وقبولهم لكلامك، وذكرت له كلاماً من هذا القبيل.
فقال لي ما مفاده -بعد أن حمد الله تعالى وشكره-: نسأل الله العون نحن مُقَصِّرون ونحتاج إلى التعاون على النصح والخير نحن محتاجون للنصح والتذكير.
فرحم الله شيخنا وأجزل له المثوبة والمغفرة، فله دره من شيخ يرى نفسه صغيراً وهو عند الناس كبيراً.
ومن حسن خلقه وتواضعه -رحمه الله تعالى-: رجوعه عن الأمر إذا تبين له الصواب.

ومن شواهد ذلك: ما حدثني به الأخ سعد الداود -سلمه الله تعالى- قال:

(١) «الفتاوى السعدية» (ص ١٠٣).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٤٨).

كان من عادة الشيخ أن يخرج من بيته من الباب الغربي قبل المغرب بوقت يسير عندما يريد الذهاب إلى الجامع ليلة الجمعة للتعليق على الندوة الأسبوعية. قال سعد: وذات يوم تأخر الشيخ على غير عادته حتى فرغ المؤذنون من أذانهم، قال سعد: فقامت بجولة حول البيت من الخارج، فإذا بالشيخ قد خرج من الباب الشرقي، قال: فأشرت للحرس الخاص بالشيخ بالإسراع بالمجيء عند الشيخ، فلما أراد الركوب عاتبنا وقال فيما قال: لِمَ لَمْ تنبهوني، فأجبت به بأن المتبع الخروج من الباب الغربي، فركب وعليه آثار التأثر من التأخر وعاتبنا عتاب المغضب.

قال سعد: فلما رجع من الجامع ودخل البيت، طلب مني إحضار الحرس المرافقين له، فلما حضروا تأسف لهم مما بدر منه، وقال: إنها ساعة غضب. ومن صور تواضعه: عدم انتصاره لنفسه، فقد ذكروا لسماحة الشيخ أن أحد الناس عنده أخطاء ومخالفات، فبدأ الشيخ يملي كتاباً لتوبيخه وفي أثناء الكتابة قال أحد الحضور: يا شيخ إنه يتكلم فيك وينال منك، فأمر الشيخ الكاتب بالتوقف وترك الخطاب خشية الانتصار للنفس.

وذات مرة أمسكت عجوز بطرفي شماغه، فمنعها أحد الجنود فقال الشيخ: دعها هذه من عجائز الأولين، فأخبرت الشيخ برؤيا رأتها فقال الشيخ: خيراً إن شاء الله، فقالت: يا شيخ خير؟ فقال: نعم. فقالت: مع السلامة. وهذا يذكرنا بحديث «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطق به حيث شاءت»^(١).

ومرة سأله شخص عن أخذ ما تحت اللحية ووضع السائل يده تحت لحية

(١) «صحيح البخاري» (١٠/٤٨٩ - الفتح).

الشيخ فأبعد أحد المرافقين للشيخ يد السائل، فقال الشيخ للمرافقين: هل وضعها على رقبتك؟ ثم أخذ الشيخ يد السائل ووضعها على رقبتة مرة أخرى.

ومن تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: أن سائلاً أغلظ على الشيخ فقال: يا شيخ، صلى إمامنا المغرب، فقام إلى ركعة رابعة، فقال الشيخ: ما سببتم به؟ فقال السائل: اصبر يا شيخ، وهذا السائل رجل كفيف البصر، كان متكئاً على عمود جوار الشيخ.

فرد السؤال مرة أخرى، فكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أراد الاستيضاح فقال السائل: اصبر يا شيخ حتى أكمل سؤالي، فردّ سؤاله ثالثة، فقال في الثالثة ما معناه: يا شيخ لا تعجل أنت مفتٍ تأكد من السؤال ثم أجب.

فأرخى الشيخ سمعه فقال السائل: إن إمامنا قام إلى الركعة الرابعة في صلاة المغرب، فلما سأله عن ذلك قال: لم أقرأ الفاتحة في الركعة الثالثة.

فقال له الشيخ فيما أذكر: «أمهلنا ثلاثة أيام حتى نبحت هذه المسألة».

وليس حليماً من تُقبَّل كفه فيرضى ولكن من تُعَضُّ فيحلم^(١)

ومن تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: أنه جاءه رجل وقدم له معروضاً، وقال: يا شيخ أنا مدين بأربعة آلاف ريال، فأمر الشيخ سعداً، وقال: اكتب يا سعد إلى مدير مكتبتنا الشيخ عبد الرحمن بن عتيق يُعطي المذكور أربعة آلاف ريال إذا كان لم يُصرف له شيء من قبل، فأخذ المسكين هذا المبلغ، ثم عمل معروضاً آخر وزور الشرح الذي كتبه الأخ سعد وبدلاً من أن يكتب ابن عتيق كتب إلى مدير مكتبتنا الشيخ ابن عثيمين^(٢).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/٣٩٦).

(٢) لاحظ التشابه في كتابة «ابن عتيق»، و«ابن عثيمين».

فلما أتى بالخطاب، عُرِف أنه مزور، فأخبر الموظفون الشيخ، فجاء الجنود فقبضوا عليه ثم حُكِمَ عليه بالسجن فأدخل السجن.

ثم بعد ذلك جاءت ورقة يحملها أقارب ذلك الرجل بعد مضي شهرين أو ثلاثة، وإذا في الورقة اعتذار من ذلك الرجل بأنني يا شيخ أخطأت عليك وقصرت في حقك، فأرجو أن تسامحني وأن تكون فرجاً لي بعد الله.

فكتب الشيخ إلى من له الأمر فأفرج عنه، فجاء ذلك الرجل إلى الشيخ، ثم أعطاه الشيخ مبلغاً من المال، وأصبح ملازماً لمائدة الشيخ حتى مات الشيخ -رحمه الله تعالى-.

ومن ذلك: أن الشيخ أعطى مسكيناً شيكاً بألفي ريال، لكن المسكين زاد في الشيك صفراً، فأصبح المبلغ عشرين ألف ريال، وصار العدد الرقمي في الشيك يخالف العدد الكتابي، فأعيد الشيك فرجع ذلك المسكين بالشيك إلى مكتب الشيخ، فأخبروا الشيخ بذلك، وأنه زور الشيك، فلما علم الشيخ بذلك قال: مسكين لعله محتاج، اكتبوا له شيكاً بعشرين ألف ريال وذلك لأن حاجته في عشرين ألف ريال.

ومما يدخل تحت تواضعه ومحبته رَحِمَهُ اللهُ للفقراء وبخاصة طلبة العلم منهم: ما أخبرني أخوه الشيخ محمد أنه لما كان في الدلم، كانوا يلاحظون عليه قلة أكله مع الأهل، فكلموه فكان جوابه بأن راحته الأكل مع المساكين.

وأخبرني الشيخ صلاح أنه لم يره يأكل وحده، فالكرم صفة غالبية، لا، بل دائمة في الشيخ.

وفي حديث عبد الله بن سلام أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة

بسلام»^(١).

وفي حديث صهيب الرومي أن النبي ﷺ قال: «خيركم من أطعم الطعام ورد السلام»^(٢).

وأحسب أن إمامنا وشيخنا ابن باز ممن ضرب مثلاً في الكرم، أتعب به من عاصره وفاق به كثيراً ممن قبله فيما نسمع، فلا تكاد مائدته تخلو من أحد، بل لو حلف أحد على عدم خلو مائدته من أحد فأحسب أنه لم يحنث.

ومن عجيب محبة الشيخ للفقراء: أن بعض الناس نقل إليه اقتراحاً مفاده: أن جلوسك يا شيخ على الطعام يشارك فيه عرب وعجم وفقراء وآخرون من دهماء الناس، فلو كان لك مجلس طعام خاص ولهم مجلس آخر؟

فتغير وجه الشيخ من هذه المقولة وقال: مسكين مسكين صاحب هذا الرأي هذا لم يتلذذ بالجلوس مع المساكين والأكل مع الفقراء!

ثم قال سماحته: أنا سأستمر على هذا وليس عندي خصوصيات، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء يجلس، والذي لا يعجبه وتأبى نفسه فليس مجبوراً على ذلك.

واقترح عليه آخر أن يرتاح بعد مجيئه من عمله، فقال له الشيخ: يا سبحان الله! تريد أن آتي إلى بيتي وعشرات الناس ينتظرونني من الضيوف والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، فأتركهم وأدع الجلوس معهم وأصعد إلى منزلي! أين أنت من خلق النبي ﷺ الذي كان لا يحتجب عن الناس؟ وكان ﷺ يقول:

(١) رواه أحمد (٥/٤٥١)، والترمذي (٤/٥٦٣)، وابن ماجه (١٠/٤٢٣).

(٢) رواه أحمد والحاكم.

«ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»^(١).

ثم قال سماحته للذي أشار عليه: «إنني سأستمر على هذا ما استطعت». وقد فعل -رحمه الله تعالى-.

ومن ذلك: ما حدثني الشيخ أحمد بن محمد بن سنان^(٢) -أثابه الله تعالى- قال: حدث ذات يوم لما كان الشيخ في المدينة النبوية أن الشيخ عندما أمر الناس بالدخول لتناول طعام الغداء دخل الناس، وأخذوا مجالسهم وجلس أحد الفقراء على الصحن الذي يجلس الشيخ عنده، فقام أحد العاملين في منزل الشيخ فأقام الفقير من ذلك الصحن إلى صحن آخر.

قال الشيخ أحمد: وعندما خرج الناس وحان وقت العصر وخرجنا مع الشيخ في سيارته متجهين إلى المسجد النبوي سألني الشيخ: هل حصل على غدائنا اليوم أمر؟ فقلت للشيخ: يا شيخ، الشيخ إبراهيم الحصين موجود معنا في السيارة، وهو أقرب الناس إليك، فسأله الشيخ، فأجابه الشيخ إبراهيم بأن ليس هناك ما يذكر.

ثم سأل الشيخ السائق فأخبره السائق بما حصل من إقامة الفقير من صحن إلى صحن آخر، وأن هذا غاية ما في الأمر فتأثر الشيخ وبدا عليه الغضب وقال: هل البيت بيته؟ لماذا أقيم الفقير؟ لماذا لم يخبره بعدم الجلوس قبل أن يجلس؟ قال الشيخ أحمد: وعندما جلس الشيخ كعادته بعد صلاة المغرب جاء ذلك

(١) أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد بن سنان كان ممن صحب الشيخ عند سفره من الرياض إلى المدينة ومكث معه في بيته ثمانية عشر شهراً.

الموظف الذي أقام الفقير ليصب للشيخ القهوة فلما مدّ الفنجال^(١) للشيخ زجره الشيخ بكلمة ثم تكلم -رحمه الله تعالى- عن فضل الرفق بالفقراء، ثم بكى من التأثر وبكى بعض من حضر مجلسه ذاك.

ومن تواضع سماحته ومحبته للغرباء: ما شاهدته بنفسه في منزل سماحته، وخلاصة الخبر أن ثلاثة أشخاص ممن لهم مكانة في المجتمع بحسب وظائفهم الشرعية تناولوا طعام العشاء معه، وفي أثناء الطعام سأل سماحته أحد الموظفين عنده في المنزل عن صاحبه الذي جاء ضيفاً عليه، فدعاه إلى طعام الشيخ، فأخبره الموظف أنه جالس معه على العشاء فرحب به الشيخ أطيب ترحيب وأخذ في سؤاله عن صحته وعن أهله وبلده.

ووالله لقد رأيت ذلك الضيف الغريب يتהלل بشراً بكلام سماحته وهو يفيض في الإجابة على كلام الشيخ، والشيخ منصت له. والشاهد من هذا: عدم انشغال الشيخ عن ذلك الضيف الغريب مع وجاهة أضياف الشيخ.

ومن ذلك: محبته للمغتربين من طلبة العلم:

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في أثناء كلامه عن أخلاق المحدث: «مبحث: إكرامه الغرباء من الطلبة وتقريبهم». ثم ساق بإسناده عن أبي هارون العبدى قال: «كنا إذا جئنا أبا سعيد الخدري، يبسط لنا رداءً فيقول: اجلسوا على

(١) الفنجال: قدح صغير من الخزف ونحوه تشرب فيه القهوة ونحوها (مع) (ج): فناجيل. والفنجان: الفنجال (ج): فناجين. كذا في «المعجم الوسيط»، (٢/ ٧٠٢). وهذا الرمز (مع) في «المعجم» يستعمل للكلمة المعربة، وهي اللفظة الأجنبية التي غيرها العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب. «مقدمة المعجم» (ص ١٦).

هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ويطلبون حديثي فإذا جاءوكم، فأكرمواهم».

وعن علقمة قال: كان عبد الله -يعني: ابن مسعود- يقربهم إذا أتوه ويقول: أنتم دواء قلبي.

وكتب أبو يعقوب البويطي إلى الربيع بن سليمان: أن اصبر نفسك للغرباء وأحسن خُلقك لأهل حلقك»^(١).

إن مما شاع واشتهر كثرة الوافدين إلى دروس الشيخ -رحمه الله تعالى- من طلبة العلم المغتربين، وهذا الأمر ليس جديداً بل عُرف ذلك من خلال دروسه في مدينة الدلم لما كان قاضياً فيها.

شاهد المقال: أن مما زاد أولئك المغتربين من طلبة العلم محبةً للشيخ وملازمة لدروسه والتردد إلى مجالسه: ما لمسوه من تقديره لهم وترحيبه بهم ومساعدة من يحتاج إلى المساعدة منهم، وقد نفع الله أولئك المغتربين ونفع بهم، فأصبح عدد منهم من طلبة العلم ومن الدعاة والمحققين وغيرهم، زادهم الله من فضله وبارك في جهودهم.



(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٤).

بُعد الشيخ عن الشهرة

ويدخل تحت مبحث تواضعه:

بُعدُه - رحمه الله تعالى - عن الشهرة وعدم طلبه لها، ولو أرادها لأتته من جميع وسائلها.

ورحم الله الشيخ فقد طرد الشهرة ونبذها لكنها غلبت الشيخ بمحبة الناس له وبتببعهم أخباره وشغفهم وشوقهم إلى سماع كلامه وحضور مجالسه ومواعظه.

ولقد كان البعد عن الشهرة منهجاً للسلف الصالح؛ ذلك لأن طلب الشهرة من طرق الرياء والسمعة.

ومن شواهد بعد السلف وذمهم لطلب الشهرة: ما ورد عن عمر - رضي الله تعالى عنه -: «أنه رأى أناساً يمشون خلف رجل فضربه عمر بالدرة، وقال: إنها فتنة للمتبوع مذلة للتابع»^(١)؛ ذلك لأن عُمرَ لما رأى أولئك يمشون خلفه خشي على المتبوع من فتنة العجب.

وقال حماد: «كنت أمشي مع أيوب، فيأخذ في طُرُقٍ إنِّي لأعجبُ كيف يهتدي لها فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب»^(٢).

(١) «مسند الدارمي» (١/١٤٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٧٦).

وقال الإمام أحمد: «أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف وقد بليت بالشهرة»^(١).

وقال بشر بن الحارث: «ما اتقى الله من أحب الشهرة»^(٢).

ولقد حصل للشيخ مراراً أمور تدعو إلى الشهرة فنبذها الشيخ، من ذلك:

- ١- أن جريدة المدينة أرادت أن تخرج ملحقاً كاملاً في سيرته فرفض.
- ٢- وذات مرة طلبت من شاعر شاب أن يقول قصيدة في سماحة الشيخ فيها ثناء على الشيخ ووعدته أن أشفع له عند الشيخ، فلما فرغ من القصيدة، شفعت له عند الشيخ، فقال الشيخ لي: القصيدة في أي شيء؟ قلت: يا شيخ أحسن الله إليك في شخصك الكريم. فقال: «لا داعي لها» فقلت: يا شيخ هذا الشاعر دبجها وقرضها وحرص على أن يلقيها على مسامعك، فقال: لا داعي لها، يلقي غيرها خيراً منها فشفع بعض الإخوة عند الشيخ فوافق الشيخ.
- ٣- ومن عجيب بُعد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن الشهرة رَدُّهُ على الشيخ محمد الهالبي رَحِمَهُ اللهُ عندما مدحه بقصيدة أطرئ فيها الشيخ فكتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ما نصه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، أما بعد:
فقد اطلعت على قصيدة نشرت في العدد التاسع من مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس -الهند- لفضيلة الدكتور تقي الدين الهالبي، وقد كدرتني كثيراً وأسفت أن تصدر من مثله.. وذلك لما تضمنته من الغلو في المدح لي ولعموم قبيلتي

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

وتنقصه للزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم رحمهم الله وتفضيلي عليه في الزهد وعلى حاتم في الكرم، وتسويتي بشريح في القضاء إلى غير ذلك من المدح المذموم الذي أمر الرسول ﷺ بحثي التراب في وجوه من يستعمله. وإنني أبرأ إلى الله من الرضا بذلك، ويعلم الله كراحتي له وامتناعي من القصيدة لما سمعت فيها ما سمعت.

وإنني أنصح فضيلته بالعود على مثل ذلك، وأن يستغفر الله مما صدر منه، ونسأل الله أن يحفظنا وإياه وسائر إخواننا من زلات اللسان ووساوس الشيطان، وأن يعاملنا جميعاً بعفوه ورحمته، وأن يختم للجميع بالخاتمة الحسنة إنه خير مسئول.

ولإعلان الحقيقة وإشعار من اطلع على ذلك بعدم رضائي بالمدح المذكور جرى نشره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين^(١).

٤ - ومن الشواهد أيضاً على بغضه - رحمه الله تعالى - للمدح: أن رجلاً قدّم محاضرة لسماحته، وفي أثناء التقديم أثنى على الشيخ وبالغ في الإطراء والثناء، فقال أحد الحضور لذلك المقدم: اتق الله في نفسك ألا تعلم أن الشيخ يكره المدح والثناء في الوجه، فقال سماحته - رحمه الله تعالى -: وأكرهه كذلك من خلف ظهري^(٢).

٥ - ومن عجيب حرص الشيخ - رحمه الله تعالى - على نشر العلم والخير

(١) «عيون المرائي البازية» (ص ١٢).

(٢) أفاد بذلك الشيخ ربيع بن هادي - أثابه الله تعالى - خيراً - كما حدثني بذلك عنه أحد طلبة العلم من أهل الإمارات في ١٧ / ٤ / ١٤٢١ هـ في مدينة العين في دولة الإمارات.

وعدم مبالاته بكثرة الجمع أو قلته: ما حدثني به الشيخ عبد المحسن العباد -أثابه الله- أن الشيخ عمر فلاته ذكر أنه عندما كان سماحة الشيخ يدرس في المسجد النبوي، وكان يحضر حلقة عدد قليل، بينما يجتمع الحشد الكثير عند غيره من الوعاظ، فذكر له أن الحضور عنده قليل فقال سماحته: كم الحضور؟ عشرة؟ ثم قال: عشرة وبهم بركة إن شاء الله، أو كلمة نحوها^(١).

وأختم هذا المبحث بخطاب من سماحته يظهر فيه حرص الشيخ على البعد عن الشهرة، وكذا حرصه على عدم ظهور عمله.

الله أسأل أن يجعلنا جميعاً من أهل الإخلاص في السر والعلن وفي القول والعمل، إنه تعالى سميع مجيب.

وهذا نصُّ الخطاب المذكور:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم اليحيى رئيس محاكم منطقة حائل، وفقه الله للخير، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده: يا محب إليكم برفقه شيكاً بثلاثمائة ألف ريال (٣٠٠٠٠٠) من فاعل خير بواسطتي أرجو احتساب الأجر في تشكيل لجنة من أهل الأمانة والخبرة لتوزيعها على خواص الفقراء، ولا يخفى على فضيلتكم أن هذا من التعاون على البر والتقوى، وأرجو أن يكون توزيعها سرّاً حتى لا يحصل على فضيلتكم ولا على اللجنة شيء من الإحراج، كما أرجو عدم الإخبار بوصولها من طريقي، أثابكم الله ومن يساعدكم

(١) علق فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد البدر هنا بقوله: «ولعلّ قلة العدد في ذلك الوقت راجعة إلى عدم تفتُّن كثير من أهل الخير إلى أهمية طلب العلم وأثره على الفرد والمجتمع».

كما أرجو أيضًا أن يكون جوابكم لي فيما يتعلق بشأنها داخل ظرف باسم
الابن إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين بمكتبنا، حرصًا على عدم انتشار الخبر.
شكر الله سعيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

الملك الموفق
 الملك الناصر
 كتب اليه
 المرقبات
 الرقم
 التاريخ
 المرقبات

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى صفته الأفاضل المكرم فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم السبيعي رئيس محكمة جازان
 وفقه الله الخيرة آية الله عليه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 بعد يا محبا اليكم برفقة تشيكا سلمت له الحق في فاعل غير بواسطه ارجو فاستب الأجر
 في تشكيل لجنة من اهل الاعانة والخبرة لتوزيعها على خواص الفقراء، ولا يخفى على فضيلتكم
 ان هذا العمل التعاون على البر والتقوى، وارجوا ان يكون توزيعها سرياً حتى لا يحصل
 على فضيلتكم ولا على اللجنة شيء من الاعراج كما ارجو عدم الاخبار بوصولها بطريق
 انما يكتم اسمها ويساعدكم على توزيعها وهذا على الأمل للجميع
 كما ارجو ايضاً ان يكون جوابكم لي فيها يتعلق بشأنها داخل ظرف باسم الامين ابراهيم بن عبد الله بن عيسى
 حرصاً على عدم انتشار الخبر شكرهم جميعاً واسألهم عن جوابكم

صورة الخطاب السابق

صلته للرحم

كان الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ مَثَالاً في صلته لأخيه محمد الذي يكبر الشيخ ببضع سنين، وقد أخبرني أخوه محمد -وهو يسكن في الرياض- بأن سماحة الشيخ كان يزوره قبل سفره من الرياض بكثرة، وعندما سافر الشيخ إلى الحجاز قال: إن سماحة الشيخ يتصل به يومياً حتى في اليوم الذي مات فيه يوم الأربعاء ليلة الخميس.

وقد رأيت سماحة الشيخ بعيني يقبل رأس أخيه تقديرًا له، ومع كثرة زيارة الشيخ واتصاله بأخيه محمد، فقد كان يعاتب أخاه محمدًا إذا زاره، يريد بذلك أن أخاه أولى أن يزار.

وقد أخبرني ابنه أحمد أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان حريصًا على الاتصال بذويه، وبخاصة من كان منهم مريضًا.



عناية الشيخ بأهله

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

وذكر المنذري في الترغيب أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «علموهم الخير»^(١).

وقال البيهقي في السنن^(٢): «باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة» ثم ساق بإسناده حديث: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع». وقال عليه السلام: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(٣).

وقد أخبرني ابنه أحمد أن الشيخ رحمته الله كان يتصل بالهاتف الداخلي في البيت بأولاده يوقظهم لصلاة الفجر، وكان إذا أيقظهم يلقنهم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» لأن النوم يغالبهم فيأمرهم بإعادة الجملة النبوية حتى يتأكد أنهم تيقظوا.

وذكرت إحدى بناته رحمته الله أنها كانت تختلف مع بعض إخوانها في بعض

(١) «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٨٣-٨٤).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه.

أمور العبادة، ومن ذلك في أمر من أمور الوضوء، قالت: فأمر الشيخ بإحضار كتاب فقه فأمر بفتح باب الوضوء، ثم قرأناه عليه وشرحه وبصرنا فيه، ثم قال: فهتمم. قالوا: نعم. فحمد الله.

فهكذا العالم، يكون في أهله مدرسة، وفي مسجده مدرسة، ومع جيرانه مدرسة، وطالب العلم ينبغي أن يكون هكذا، وأن ينفع الناس بما آتاه الله من العلم.



توقير الشيخ لمشايخه

قال ابن جماعة الكناني رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»: «وينبغي له -أي: لطالب العلم- أن يدعو له -أي: لشيخه- مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه»^(١).

وكثيراً ما دعا سماحة الشيخ لأشياخه، وقد كان سماحته يذكر مشايخه بأسمائهم إذا سئل عن سيرته العلمية، وقد يبكي أحياناً خصوصاً عند ذكر شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمة الله على الجميع- بل بلغ من توقيره له توقيره لأبنائه وزيارته لذوي الشيخ، وهذا من بر الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ بمن كان لهم عليه فضل بعد الله تعالى.

وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم، فيذكر الفضل لأهل الفضل، ويعرف فضل مشايخه، ويوزورهم، بل إن بعض من كتب في آداب الطلب، قالوا: ينبغي للطلاب أن يتعاهد أهل شيخه وأن يقضي حوائجهم برّاً بشيخه. ولم يقف توقيره ومحبته عند مشايخه، بل تعدى الأمر إلى أهل الخير ممن كان له فضل في خدمة الإسلام والمسلمين.

ومن الشواهد على ذلك: أن سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بلغه وفاة عبد الله بن صالح الفضل سفير السعودية في سوريا، وكان رجلاً محبوباً عند الشيخ لخلقته

(١) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» (ص ٩٠).

ومسارعتة في الخير، وقد دُفن -رحمه الله تعالى- في مكة فذهب الشيخ إلى المقبرة للصلاة عليه فصلّى على قبر آخر، ولما أخبرهم حارس المقبرة بمكان القبر الصحيح قال الشيخ: رحمك الله يا فلان كنت سبباً لفعل الخير للناس في حياتك وبعد مماتك، ثم صلى على قبره^(١).



(١) أفادني بذلك الشيخ حسن عيش في ١٦/٤/١٤٢١هـ، في مدينة أبو ظبي في دولة الإمارات.

عناية الشيخ بالصغار

لقد عُني الإسلام عناية فائقة بالاهتمام بأمر الصغار وطرق إصلاحهم؛ ذلك لأن صلاح الصغار وتنشئتهم نشأة صالحة، تزيد قوة البناء، وتجعل الأجيال القادمة محفوظة -بعون الله تعالى- وفصله - من مضلات الفتن.

وهذا مما يعود على الصغار بالنفع، وعلى الكبار بالأجر.

ولقد جاءت نصوص كثيرة في العناية بأمر الصغار وتعاهد شأنهم، فمن ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. قال علي عليه السلام: «علموا أهليكم الخير»^(١).

وثبت في السنة أنه عليه السلام قال: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر» أخرجه البيهقي، وبوّب عليه: باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة^(٢).

وقال الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-: «وكذلك ينبغي أن يُدربوا ويُعلموا الشرائع من الصلاة والصوم، إذا أطاقوا ذلك، ويجنبوا الحرام كله»^(٣).

وكان عليه السلام يهتم بتعليم الصغار وتربيتهم، وشواهد ذلك في السنة كثيرة فمن ذلك:

(١) «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٨٣-٨٤).

(٣) «المحلى» (٧/ ٢٧٦).

١ - ما رواه أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: أخذ الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - تمر من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ» ليطحرها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة» أخرجه البخاري^(١).

وذكر الحافظ في أثناء عده لفوائد الحديث: تأديب الصغار بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات، وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك.

٢ - وعن عمر بن أبي سلمة - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد. أخرجه البخاري^(٢).

ومن جميل فوائد هذا الحديث تأثر الصغير بالتعليم وبقاء ذلك الأثر في نفسه دائماً.

٣ - ومن شواهد تربية الصغير وتعليمه ما أخرجه البخاري^(٣) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقامت عن يساره، فأخذ رسول الله ﷺ برأسي من ورائي فجعلني عن يمينه...».

٤ - وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: دخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً فقال: «من وضع هذا؟» فأخبر، فقال: «اللهم فقهه في الدين»^(٤). وقد كان سماحة الشيخ - رحمه الله تعالى - كثير الملاحظة والتعليم للصغار،

(١) «فتح الباري» (٣/ ٤١٤).

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٤٣١).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٤) أخرجه البخاري.

ومن شواهد ذلك:

- كثرة استقباله لطلاب المدارس.
- عرف عنه أنه عندما يصادفه أحد الصغار يأخذ في سؤاله عن ربه وعن دينه وعن نبيه.
- تقول إحدى بناته: إنها عندما كانت صغيرة كانت تخطئ في ترتيب الوضوء واختلفت مع أحد إخوانها فأخبروا سماحته فجمعهم ثم أمر بإحضار أحد كتب الفقه وطلب مبحث صفة الوضوء، وطلب منها القراءة، قالت: فعرفت خطئي ثم شرح لي صفة الوضوء فقال: هل عرفت؟ فقلت: نعم. فحمد الله.



معرفة الشيخ بحال المسلمين

معرفة حال المسلمين ليس بمجرد جمع الأخبار على هئاتها وعلاقتها؛ بل باستقراء حال المسلمين ومعاشتهم ومعرفة ما يكاد لهم وتفويض من يوثق في علمه بنقل أخبارهم وحالهم إليه، ثم يعالج قضايا المسلمين بالعلم الشرعي لا بالعاطفة المجردة.

والشيخ رحمه الله من أكثر الناس فيما يعرف إحاطة بمعرفة حال المسلمين، بل ومن أدرك الناس بعلاج قضاياهم ومشكلاتهم بما آتاه الله من معرفة الكتاب والسنة، وإن الإنسان ليعجب من إدراك الشيخ وسعة اطلاعه ومعرفته بحال المسلمين.

ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:

أولاً: نشره وإكثاره الكلام عن العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص.

ثانياً: تحذيره ورده القولي والكتابي على كثير من البدع مثل المولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان. انظر ما جمعه د. محمد الشويعر (١ / ١٨٣، ١٨٨، ١٩١)، و(٥ / ٥٦).

وفي بدع شهر رجب (١١ / ٤٢٧)، والمصافحة بعد الفريضة (١١ / ١٩٩) وحسينيات الرافضة (٨ / ٣٢٠).

ثالثاً: التحذير والرد على كثير من الطوائف والفرق المنحرفة مثل «نقد

القومية العربية» انظر (١/ ٢٨٤)، و«النظام الاشتراكي» (٧/ ٣٩٤)، و«البوذية» (١/ ٤٤١)، و«العقيدة الصوفية» (٩/ ٤٥٧)، و«السمانية الصوفية» (٦/ ٣٢٨)، و«التيجانية» (٦/ ٣٣٠)، و«البابية والبهائية» (٧/ ٤٠٣)، و«الحبشية» (٩/ ٣١٥)، و«التبليغ» (٩/ ٣٠٧ و ٨/ ٣٣١).

رابعاً: التفاعل مع مصاب الإسلام والتعاطف معهم فمن ذلك: تعاطفه مع ما جرى في البوسنة والهرسك، انظر (٨/ ٢٥٦) و(٧/ ٣٥٦) و(٦/ ٤١٩).
والشيشان (٨/ ٢٦٦)، والاعتداء على المسجد البابري (٧/ ٣٥٠)، وكذلك تفاعله مع المسلمين المصابين عند حدوث الزلازل والأعاصير والفيضانات في بلادهم (٦/ ٢٦٩)، و(٩/ ١٤٨) ومعرفته بالأقليات الإسلامية (٢/ ٣٧٠).

وكذلك مناصرته للأخوات المسلمات في سويسرا في غيرتهن ونصحهن حينما عرض التلفزيون السويسري فيلماً عن الإسلام والمسلمين في مصر يشتمل على مشاهد ليست من الإسلام، إذ عرض ما يجري عند الأضرحة وفي حفلات المزمار ومولد البدوي وغيرها من الأمور المبتدعة وكذلك عرض لقطات لامرأة مسلمة!! بلبس عارٍ أمام الرجال ثم وهي تصلي وتلبس الطرحة ثم وهي تراقص صديقها^(١).

خامساً: إرسال الدعاة إلى مختلف البلدان لتعليم الناس التوحيد والسنة ومتابعة عملهم ودعمهم مثل:

إرسال دعاة إلى أمريكا (٦/ ٢٣٥) و(١٠/ ١٦٧) وإرساله الشيخ الأرناؤوط إلى كوسوفا عام ١٣٨٠ هـ فقد حدثني الشيخ عبد القادر الأرناؤوط أن

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٨١).

الشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - لما علم بمعرفته للغة البوسنية أرسله إليهم وأمره بتعليمهم التوحيد.

سادساً: تحذيره من بعض الكتب، وكشفه عن بعض أخطائها، وردّه على بعض الكتاب والمجلات والصحف مثل رده على ما نشر في مجلة المصور ومجلة اقرأ وصحيفة «البلاد»، انظر (٣ / ١٥٦، ١٧٠) و (٨ / ٣٧٩)، و (٣ / ٢٠٢).

وكذلك تنبيهه على ما جاء في برنامج إذاعي (٦ / ٣٤٢)، وردّه على صالح محمد جمال حول الآثار الإسلامية (١ / ٤٠٥) والرد على مصطفى أمين حول آثار المدينة وقبورها (١ / ٣٩٥).

وتنبيهه على وجود أخطاء في خطب ابن نباتة (١٢ / ٤١٩)، وتعقيبه على شيخ الأزهر جاد الحق حول علاقة الإسلام بالأديان الأخرى (٨ / ١٩٠)، وملحوظاته على بعض كتب عبد الرحمن عبد الخالق (٨ / ٢٤٠).

وتعقيبه على القرضاوي في الصلح مع اليهود (٨ / ٢٢٦)، وتعقيبه على شيخ الأزهر عبد الحليم محمود في وصيته بدفنه في المسجد (٨ / ٣٣٣)، و (١٠ / ٣٠٠). والرد على صالح محمد جمال عند اعتراضه على خطيب المسجد الحرام في المولد النبوي ولوائح العزاء (٢ / ٣٥٢).

والرد على هيئة الإذاعة البريطانية (٢ / ٣٨٠)، والرد على رشاد خليفة في إنكاره للسنة (٢ / ٤٠٠)، وتحذيره من كتاب درة الناصحين (٦ / ٤٠٧).

وبيان كُفر روجيه جارودي الفرنسي الذي ادعى دخوله في الإسلام (٩ / ١٩٣) وتعقيبه على محيي الدين الصافي حول صفات الله ﷻ (٢ / ٩٨).

وتنبيهه على ما ذكره الصابوني في مقابله مع مجلة المجتمع (٣ / ٥١) وبيان أن الدين ليس فيه قشور (٦ / ٣٢٣)، وبيان حكم توظيف النساء في الدوائر

ومخاطره (٤٢٨ / ٦)، وبيان حكم من يحتكم إلى القوانين الوضعية (٢٥٧ / ١)، وحكم من يدرسها (٣٢٥ / ٢).

وبيان حكم عيد الأم والأسرة (١٨٩ / ٧)، وبيان حكم من وصف أهل الدين بالتطرف (٥١ / ٦)، و(٢٣٣ / ٨)، والرد على من أنكر تعدد الزوجات (٢٩٩ / ٣)، والرد على من أنكر دخول الجني في الإنسي (٢٩٩ / ٣)، و(٥٧ / ٨)، (٣٨٣ / ٨)، والرد على من زعم إباحة تحديد النسل (٣٢٦ / ٣).

والتحذير من مؤتمر بكين عن المرأة (٢٠٣ / ٩)، والتحذير من إخراج فيلم محمد رسول الله ﷺ (٤١٧ / ١)، والتحذير من وصية أحمد خادم الحجرة (١ / ١٩٨).

وكلامه عن الغزو الفكري (٣٨٩ / ١)، (٤٣٨ / ٣)، وعن الجهاد ضد اليهود في هذا الزمن (٤١٣ / ٢)، (٢٢٦ / ٨)، والصعود إلى الكواكب (٢٥٩ / ١). مع قائمة من رئاسة الإفتاء بمنع بعض الكتب.

سابعاً: تشجيع المراكز القائمة على الدعوة إلى التوحيد والسنة. ثامناً: مناصحته لحكام المسلمين وشعوبهم انظر (٢٤٢ / ٣)، (٦٢ - ٦٣ / ٦)، (١٦١ / ٢)، ونصيحته لبعض أرباب الولايات الصغيرة (٢٢٩ / ٦). ونصيحة إلى المسؤولين من شعب الأفغان (٢٤٧ / ٨)، (٢٤٠ / ٩)، ونصيحته للمسؤولين من شعب اليمن (٢٥١ / ٨)، ونصيحته إلى بعض أمراء الخليج (٦ / ٢٢٨).

ونصيحته إلى الشعب الكويتي والشعب العراقي وأهالي الشهداء (١٨٠ / ٦)، ونصيحته إلى الملك فيصل (٧٢ / ٦)، ونداء إلى قادة المجاهدين الأفغان (٧ / ٣٤٦)، (١٤٨ / ٥).

ومن حكمة الشيخ -رحمه الله تعالى- وسياسته الشرعية شكره لأهل الحل والعقد عندما يحصل منهم ما يوجب ذلك، ومن شواهد ذلك هذا الخطاب الموجه من سماحته إلى الملك حسين ملك الأردن السابق حيث جاء في خطاب^(١) سماحته ما نصه:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة جلالة الملك الكريم حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية -عمّان- وفقه الله لما فيه رضا ونصر به دينه.. آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فلقد أبلغني صاحب الفضيلة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في عمان في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/١/٥ هـ أن جلالتم قد منع إقامة تمثال لكم في عمّان، فسرّني ذلك كثيرًا، وشكرت لجلالتم هذا العمل، ورأيت الكتابة إلى جلالتم في ذلك شاكرًا وراجيًا من جلالتم إصدار الأمر الكريم بتحكيم الشريعة المطهرة في المملكة الأردنية الهاشمية في جميع الشئون، كما حكم بها جدكم أفضل الخلق محمد ﷺ وحكم بها خلفاؤه الراشدون وأئمة الهدى بعدهم؛ عملاً بقول الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]،

(١) صدر هذا الخطاب في ١٤/١١/١٤١٧ هـ.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ولا يخفى على مثل جلالكم أن في تحكيم الشريعة المطهرة صلاح أمر الدنيا والآخرة والفوز بالسعادة الأبدية.

فأسأل الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يشرح صدركم لذلك ويعينكم عليه، وأن يصلح لكم البطانة، وأن يعيذنا من مضلات الفتن وبطانة السوء، ونزغات الشيطان إنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وهكذا ينبغي على صاحب العلم أن يشارك المسلمين آلامهم وآمالهم، وأن يتفقد حال المسلمين لا بالعاطفة فحسب، فالعواطف قد تنقلب إلى عواصف إذا لم تزم بزمام العلم الشرعي، وليتذكر قول النبي ﷺ: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»^(٢).



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري عن أنس.

إنزال الناس منازلهم

ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»^(١).

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -: «مبحث: في تعظيم من كان رأساً في طائفته وكبيراً عند أهل نحلته» ثم ساق الحديث السابق وساق بإسناده قوله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

وذكر أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس»^(٢).
وفي إنزال الناس منازلهم، كسب لقلوبهم واختصار لجهود كثيرة وقبل هذا كله، اقتداء بهدي النبي ﷺ، فقد كان ﷺ ينزل الناس منازلهم.
وهذا من السياسة الشرعية التي تعود على الداعي والمدعو بالمصلحة.

(١) ذكره مسلم في مقدمة «صحيحه» بلا إسناد تعليقاً (١/١٦)، وأخرجه بلفظ: «أنزلوا...» أبو داود في كتاب الأدب، باب (٢٣) رقم (٤٨٤٢) (٥/١١٢).
وقد ورد من غير حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر تفصيل ذلك في كتاب «المقاصد الحسنة» للسخاوي الحديث رقم (١٧٩)، وقد قال في آخر كلامه: «وبالجملة، فحديث عائشة حسن».

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/٢٧٣).

وشواهد ذلك كثيرة، ومن ذلك: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وفيه: «من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم...».

ذكر الحافظ ابن حجر عن قوله: «عظيم الروم» أن النبي ﷺ لم يُخلِه من إكرام لمصلحة التألف^(١).

وسماحة الشيخ رحمه الله قد سار على هذا المنهج في خطابه ونصائحه لكبراء القوم.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ - نصيحته رحمه الله لقادة الدول العربية بمناسبة اجتماعهم لما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٧ هـ حيث قال:

«حضرات أصحاب الجلالة والفخامة من قادة الدول العربية وفقهم الله لما فيه رضاه وصلاح أمر عباده آمين..»

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فبمناسبة هذا الاجتماع العظيم الذي تعلق عليه الشعوب...»^(٢).

٢ - رسالته إلى بعض أمراء الخليج لوجود قبر يعبد من دون الله في بلده حيث قال:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأمير المكرم... وفقه الله ونصر به الحق...»^(٣).

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٠).

(٢) «مجموع مقالات وفتاوى متنوعة» (٦/ ٦٣).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٢٢٨).

٣- وصيته لبعض الأمراء بمناسبة تعيينه أميراً على إحدى المناطق حيث

قال:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم.... وفقه الله للخير...»^(١).

٤- نصيحته لرئيس دولة أفغانستان والمسؤولين فيها عام ١٤١٦هـ حيث

قال:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية إلى حضرة الأخ الكريم فخامة رئيس دولة أفغانستان الإسلامية...»^(٢).

٥- نصيحته للملك فيصل بن عبد العزيز حول الدعوة إلى الله لما كان

نائباً لرئيس الجماعة الإسلامية حيث قال:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز وفقه الله لكل خير وبارك في حياته آمين...»^(٣).

٦- شكره للملك حسين على منع إقامة تمثاله وذلك عام ١٤١٧هـ حيث

قال:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة جلالة الملك الكريم حسين ابن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية -عمّان- وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينه آمين...»^(٤).

(١) المرجع السابق (٦/ ٢٢٩).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٢٤٠).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٧٢).

(٤) المرجع السابق (٩/ ٤٤٨). وراجع (ص ١٠٨) من هذا الكتاب.

- ٧- خطابه لأحد الأمراء حول قضية إسلام امرأة وبقائها في وظيفتها وذلك عام ١٤١٦هـ حيث قال:
- «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة سمو الأمير المكرم وفقه الله لكل خير...»^(١).
- ٨- خطابه لوزير التعليم العالي بشأن إقامة محاضرات في الجامعات وذلك عام ١٤٠٠هـ حيث قال:
- «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله...»^(٢).
- ٩- رسالته إلى شيخ الأزهر حول وصيته بدفنه في المسجد حيث قال:
- «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم سماحة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وفقه الله...»^(٣).



(١) المرجع السابق (٩/ ٤٥٩).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٢٤٤).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٣٣٣).

آخر أيام الشيخ

قال ابنه أحمد: «لاحظت على والدي في الأيام الثلاثة الأخيرة أمرين اثنين:

الأول: أن قواه البدنية قد ضعفت.

الثاني: أن نفسه يتلاحق.

ومع هذا كله كان يتحامل على نفسه، فقد استقبل الناس مساء يوم الثلاثاء كعادته، وكذلك في صباح يوم الأربعاء ومغرب الأربعاء الأخير في حياته يقول أحمد: أجلسناه على كرسيه، وكعادته رَحِمَهُ اللهُ استقبل الناس، وصلى العشاء يوم الأربعاء في منزله؛ لأنه كان متعباً، ولم يأكل شيئاً رَحِمَهُ اللهُ لعدم شهيته الأكل. وقد أخبرني الشيخ صلاح وهو أمين مكتبة الشيخ عما جرى له مع الشيخ يوم وفاته فقال: ودعني الشيخ وداعاً لم أعهده من قبل.

وقال أحمد: والعجيب أن أولاده اجتمعوا عنده بعد العشاء من ذلك اليوم بدون موعد سابق، وجلسوا معه إلى الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف. قال: ولما حضرت الساعة الواحدة والنصف، أخبرت أم أحمد -وفقها الله- أن الشيخ لم يأكل شيئاً.

قال أحمد: فدخلت عليه فحاولت أن يأكل لكنه لم يأكل شيئاً.

قال: وفي الساعة الثانية والنصف أو الثالثة ذهب إلى دورة المياه بنفسه رَحِمَهُ اللهُ دون مساعدة وتوضاً كعادته، ثم صلى واضطجع.

قالت أم أحمد: ثم جلس وتلفت يميناً وشمالاً ثم تبسّم، وسألته أم أحمد - وفقها الله -: هل تريد شيئاً؟ كأنها استغربت من الشيخ، فلم يرد عليها وإنما سألته؛ لأنها لاحظت أن قيامه وتبسمه لحاجة.

قالت: فاضطجع مرة أخرى بعد أن توضأ وتبسم وصلّى، وله نفس متزايد بصوت مسموع.

قال أحمد: دخلت عليه وناديت به بعد أن أخذت بيده وهو مضطجع فلم يرد عليّ شيئاً على غير عادته، فاتصلنا بالمستشفى وكان معهم في المنزل خال لأحمد طبيب.

قال أحمد: فجاء الخال الساعة الرابعة، ثم جاءت سيارة الإسعاف، فنقل إليها، فذهبوا به إلى المستشفى فعملوا له تنفساً صناعياً، وحاولوا لكن الأطباء أخبروا أنه قد قضى نحبه - رحمه الله تعالى -.

وما كان قيسٌ موته موتٌ واحدٍ ولكنّه بنيانٌ قومٌ تهدّما

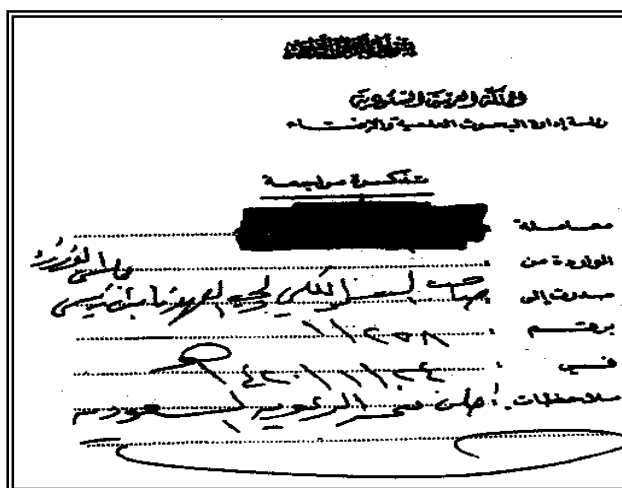


ضرب الشيخ -رحمه الله تعالى- مثلاً عظيماً في الجَلَد والصبر واستمرار
العطاء الخيري إلى آخر أيامه بل آخر يوم من عمره.
يؤكد ذلك ثلاثة أمثلة فيما وقفت عليه:
الأول: مجلسه الأخير يوم الأربعاء كان فيه جمعٌ من الناس كعاداته في
محالسه.

الثاني: شفاعته -رحمه الله تعالى- عند ولاية الأمور لبعض المستحقين للشفاعة.

وذلك بتاريخ ٢٤ / ١ / ١٤٢٠ هـ.

وإليك صورة الشفاعة:



الثالث: صدور بيان اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسته في شأن الرد على دعاة الاختلاط والتبرج وكان تاريخ البيان ٢٥ / ١ / ١٤٢٠ هـ، وهذا نصه:

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول ما نشر في الصحف عن المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد:

فمما لا يخفى على كل مسلم بصير بدينه ما تعيشه المرأة المسلمة تحت ظلال الإسلام - وفي هذه البلد خصوصاً - من كرامة وحشمة وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لأداب الإسلام من تسبب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أن هناك فئات من الناس ممن تلوّث ثقافتهم بأفكار الغرب لا يرضيهم هذا الوضع المشرف الذي تعيشه المرأة في بلادنا من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويطالبون باسم المرأة بأشياء تتلخص في:

١ - هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وبقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. الآية.

وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلفها عن الركب ومرور صفوان بن المعطل رضي الله عنه عليها وتخميمها لوجهها لما أحست به قالت: وكان قد رأياني قبل الحجاب، وقولها: «كنا مع النبي ﷺ ونحن محرمات فإذا مر بنا الرجال سدلت إحدانا خمارها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه» إلى غير ذلك مما يدل على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من الكتاب والسنة.

ويريد هؤلاء منها أن تخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتمتع بالنظر إليها كل طامع وكل من في قلبه مرض.

٢- ويطالبون بأن تمكن المرأة من قيادة السيارة رغم ما يترتب على ذلك من مفساد وما يعرضها له من مخاطر لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويطالبون بتصوير وجه المرأة ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كل من في قلبه مرض، ولا شك أن ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- ويطالبون باختلاط المرأة والرجال، وأن تتولى الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أن في اقتصارها على العمل اللائق بها تعطيلاً لها.

ولا شك أن ذلك خلاف الواقع، فإن توليتها عملاً لا يليق بها هو تعطيّلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة من منع الاختلاط بين الرجال والنساء، ومنع خلو المرأة بالرجل الذي لا تحل له، ومنع سفر المرأة بدون

محرم، لما يترتب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تحمد عقباها. ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إمام الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن» كل ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة وإبعادها عن أسباب الفتنة. فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نساءهم وألا يلتفتوا إلى تلك الدعايات المضللة وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات، وانخدعت بها، من عواقب وخيمة، فالسعيد من وعظ بغيره. كما يجب على ولاة الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السفهاء ويمنعوا من نشر أفكارهم السيئة؛ حماية للمجتمع من آثارها السيئة وعواقبها الوخيمة.

فقد قال النبي ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء». وقال -عليه الصلاة والسلام-: «واستوصوا بالنساء خيراً» ومن أسباب الخير لهن المحافظة على كرامتهن وعفتهن وإبعادهن عن أسباب الفتنة. وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

[الرابع: فتوى في الطلاق أصدرها قبيل موته ذكر لي ذلك عن فضيلة الشيخ عبد المحسن البنيان مدير مركز الدعوة والإرشاد في الدمام سابقاً، وقد أرسلت إلى فضيلته طالباً منه أن يتكرم مشكوراً بكتابة القضية، فكتب إليّ كتاباً بتاريخ ١٢/٢/١٤٢٣هـ، جاء فيه: ... أنه ألقى محاضرة عن حياة سماحته في ١٧/١/١٤٢٣هـ

إلى أن قال: «... وذكرت صبره وجلده رَحِمَهُ اللهُ حتى آخر سويعاته في قضاء حوائج المسلمين والنظر في مسائلهم وإصدار الفتاوى اللازمة، وذكرت آخر فتوى وردتني من سماحته قد صدرت منه قبل صعود روحه الطاهرة إلى بارئها بأربع ساعات فقط، حيث كنتُ أعمل حينذاك مديرًا لمركز الدعوة والإرشاد في الدمام قبيل تقاعدي، ذلك أنه في يوم الثلاثاء ٢٤ / ١ / ١٤٢٠ هـ حضر لدي شاب قد طلق زوجته بالثلاث، وهو من أهل الأحساء ولكنه يقيم في الدمام لأنه يعمل في شركة «آرامكو السعودية».

وطلب رفع قضيته لسماحة المفتي، وبعد ضبط إفادته وإفادة زوجته وبحضور والدها وعمها سألتُ الزوج إن كان يريد استلام الأوراق لتسليمها شخصيًا لمكتب سماحة المفتي بالطائف كما يفعل كثير من المستفتين الذي يريدون الحصول على الفتوى بوجه السرعة، فاعتذر بحجة ارتباطه بعمله في «آرامكو» ومناوبته المتنقلة بين الليل والنهار.

وحيث إن والد الزوجة مسن ويصعب عليه الشخوص بالأوراق إلى الطائف، فقد تبرع عم الزوجة فأخذ الأوراق وسافر بها يوم الأربعاء صباحًا فوصل الطائف في الساعة الحادية عشر صباحًا.

ولما راجع مكتب سماحة المفتي وعلم المسئول هناك أن المذكور يحمل طلب فتوى في طلاق وجهه لمراجعة بيت سماحة المفتي؛ لأنه لم يحضر ذلك اليوم بسبب توعك صحته، فذهب إلى البيت وسلم الأوراق لفضيلة الشيخ محمد موسى - حفظه الله -، فقال له بأن سماحة الشيخ لم يجلس ذلك الصباح وربما يستطيع الجلوس في المساء.

وقال له: أعطني رقم هاتفك الجوال فإذا جلس الشيخ اتصلت بك؛ فإن كنت

قريباً لم تغادر الحجاز أمكنك الرجوع لأخذ الفتوى، فأعطاه رقم جواله ثم عزم على تأدية مناسك العمرة فنزل إلى مكة.

يقول عم الزوجة: فبينما أنا أسعى بين الصفا والمروة بعد صلاة المغرب وإذا بالشيخ محمد موسى - جزاه الله خيراً ووفقه - يتصل بي ويخبرني أن الشيخ جلس وأن أوراقي ستعرض على سماحته وطلب مني أن أعود لاستلام الفتوى. فعاد فوجد أن الإجابة قد حرّرت.

يقول: فسلمت على سماحة الشيخ وقبّلت رأسه وعرفّته بنفسي، فعرض عليّ العشاء وألزم عليّ كعادة سماحته رَحِمَهُ اللهُ، فاعتذرت حيث إن موعد إقلاع الطائرة قريب، وكان رَحِمَهُ اللهُ يتمتع برباطة الجأش وقوة الشخصية رغم ظهور آثار المرض عليه.

وكان ذهنه يتقد حدة وذكاء والكتاب يعرضون عليه الأوراق والمعاملات ويملي عليهم وهم يكتبون ديناً ويناولهم الختم فيختمون، فغادرت منزله وأنا أدعو الله من خالص قلبي وعُدت إلى المنطقة الشرقية، وفي الصباح ذهلت وأنا أستمع إلى نعيه وخبر وفاته من وسائل الإعلام.

أوراق هذه الفتوى موجودة في ملف فتاوى الطلاق في مركز الدعوة والإرشاد في الدمام لمن أراد الرجوع إليها].



جنازة الشيخ

قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنان يشدّ بعضه بعضاً» أخرجه الشيخان^(١) عن أبي موسى - رضي الله تعالى عنه -.

وقال ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» أخرجه مسلم^(٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

لقد ضرب لنا مجتمع الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة في توحد شعورهم ألماً وأملًا.

فكان غائبهم يشارك حاضريهم في شعورهم، يُصدق ذلك قول النبي ﷺ لما رجع من غزوة تبوك: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر» أخرجه البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه -.

وسار على هذا المنوال أصحاب القرون المفضلة، فكانوا خير أتباع لخير أصحاب.

وهكذا فإن مرض المسلم مرض للجميع، وفقره فقر للجميع، وموته موت للجميع، كالجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

(١) «صحيح البخاري» (فتح ١٠ / ٤٦٤)، و«صحيح مسلم» (١٩٩٩ / ٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٠٠٠ / ٤).

أخرج الإمام اللالكائي عن أيوب السخّتياني -رحمه الله تعالى- أنه قال: «إني أخبرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأنني أفقدُ بعض أعضائي». وأخرج عن حماد بن زيد -رحمه الله تعالى- أنه قال: «كان أيوب يبلغه موتُ الفتى من أصحاب الحديث فيرى ذلك فيه».

فإذا كان هذا شعورهم عند موت الفتى والرجل العادي من أهل السنة فكيف تكون حالهم عند موت أحد علماء السنة؟ وقد ضمت دواوين التاريخ، وكتب التراجم بين دفاتها أروع الأمثلة في تصوير التكاتف لأهل الإسلام أجمع، وكيف كان المجتمع المسلم بجميع طبقاته يتأثر عند موت أحد علماء السنة.

إن موت العالم يقض المضاجع، ويهيل المدامع، وكيف لا يكون الأمر كذلك؟ وموت العالم موت لخير كثير، فحياة العالم غنيمة، وموته مصيبة. ومن الشواهد على مصيبة المجتمع في موت العالم: ما رواه النقلة في وصف جنازة الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، فقد تأثر الناس عند مرضه، وزاد تأثرهم عند خبر موته -رحمه الله تعالى-، فقد جاء في ترجمته:

أنه لما تسامع الناس بمرضه، دخلوا عليه أفواجا يسلمون عليه، فكثر الجمع، ثم أغلق بابُ الدرب إلى بيته، فكان الناس في الشوارع والمساجد، حتى تعطل الباعة، فلما ترامت الأنباء بموته، أجهشت الأصوات بالبكاء.

قال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-: «فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وامتألت السكك والشوارع»^(١).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٧).

وقد ورد في الأخبار: أن تلك الجنازة كانت من أعظم جناز الإسلام، في كثرة من حضرها وشيعها فقد تراحمت الجموع الغفيرة، وقُدِّرت الأعداد بمئات الآلاف من المسلمين، وحزن الجميع عليه، حتى قال علي بن حريث: «ما من أهل بيت لم يدخل عليهم الحزن يومَ موتِ أحمد بن حنبل إلا بيت سوء»^(١).

كانت تلك المصيبة شديدة الوقع على المجتمع المسلم؛ وذلك لأن ذهاب العالم خسارة على الجميع، ونقص واضح في شأن البلد وأهله، إذ إن العالم نور يستضاء بعلمه، وقبض العلماء نذير شر؛ فقبضهم يقل العلم، ويظهر الجهل، وذلك من المصائب العظيم الذي يزيد ضرره بقدر استشرائه في المجتمع.

إن موت سماحة الشيخ عبد العزيز خسارة كبيرة ومصيبة عظيمة، كيف لا وقد وضعت الأمة يدها على قلبها، عندما ترامت الأنباء بمرض شيخها وإمامها، ثم انفرجت أساريرها بتواتر الأنباء بخروجه من عارضه الذي ألمَّ به، وكان مرضه حديث الناس، فلما تباشروا بشفائه، قرَّت أعينهم، وزال قلقهم.

ولكن لما كانت سنة الله نافذة، وأمره واقعاً، قضى الله أمراً كان مفعولاً، ثم كانت الفاجعة، فودَّعت البلاد، بل ودعت أمة الإسلام قاطبة، شيخ الإسلام في زمانه، وإمام السنة في أتباعه وسمته ووقاره، أجمعت الأمة على محبته وقبوله، وتمكَّن حُبُّه في قلوب الصغار والكبار، والعامة والمتعلمين.

قال النبي ﷺ: «أنتم شهداء الله في أرضه»^(٢).

وقد سار الناس في موكب عظيم في جنازة الشيخ -رحمه الله تعالى-، ولو قيل: إنه لم تمر جنازة في هذا العصر بهذا الجمع الكبير مثل جنازة سماحة الشيخ رحمه الله،

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٤٢٠).

(٢) أخرجه الشيخان.

لما كان بعيداً وهنا يظهر مصداق قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز»^(١).

وفي سجلات التاريخ نقرأ أخباراً نكاد نقول: هذه مُبالغ فيها، ولكن لما رأينا جنازة الشيخ، وتلك الأعداد الهائلة رأينا أن التاريخ قد صدق في وصفه لمثل تلك الحالات^(٢).

وأخيراً: إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنا على فراق شيخنا لمحزونون.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٣٤٠).

(٢) مقتبس من مقال: «حتى لا يكذب التاريخ».

الرؤى المنامية والمبشرات

قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة» أخرجه البخاري.

وأخرجه مسلم بلفظ: «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو تُرى له».

والرؤى في سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- كثيرة سواء في حياته أو بعد مماته، ومن عجيب أمر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وسمو أخلاقه وتواضعه أنه كان حذرًا من مداخل الشيطان وبخاصة إذا كان المقام مقام مدح وثناء^(١).

ومن الرؤى في الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في حياته ما يلي:

١ - حدثني الشيخ عبد الرحمن بن جلال -أثابه الله تعالى خيرًا- أن رجلاً - وذكر الشيخ ابن جلال اسمه كاملاً- كان يأتي مع الناس للصلاة مع سماحته لما كان قاضيًا في بلدة الدلم قال الرجل: بينما أنا ذات ليلة نائم أتاني آتيان فأيقظاني من النوم^(٢)، وسألاني ما الذي أتى بك إلى هنا؟

(١) انظر: ما تقدم في قصته مع قصيدة الهلالي (ص ٩٢).

(٢) وسألت الشيخ عبد الرحمن بن جلال -أثابه الله تعالى- للتثبت: هل أيقظاه أو كان ذلك في النوم؟ فغلب الشيخ جانب اليقظة.

قلت: وإنما ذكرته هنا لأنه داخل تحت عموم المبشرات.

فقلت: للصلاة مع الشيخ، فقالا لي: كيف كانت قراءته؟ فقلت: كان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة طلب من الله، وإذا مر بآية فيها ذكر النار استعاذ بالله من النار، فقال أحدهما: هو ممن يتلو كتاب الله حق تلاوته.

٢- ما رأيته بنفسه وذلك أنني رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً جاءني وقال لي: النبي ﷺ موجود في مسجد معين في الرياض فذهبت إليه في المسجد، ورأيت ثمانية رجال من الخلف كلهم في الروضة (مقدمة المسجد) فرأيت عليهم العمامات تعلوهم الهيبة والوقار، فقلت لصاحبي: أين النبي ﷺ منهم؟ فقال: أحد هؤلاء الثمانية.

فأتيت من طرف الصف الشمالي، فرأيت على صفحات وجوههم اللحي والهيبة والوقار، فكنت متحفظاً أن أراه وأنا أدقق النظر فيهم أيهم. فأقيمت الصلاة، فقلت الآن سيتقدم هو ﷺ، سبحان الله! وكأن الأرض انشقت عن سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز لا أدري كيف جاء، فتقدم بين الصفوف وتقدم بين هؤلاء، ثم قال: استووا، ثم كبر للصلاة، وكبر من خلفه معه.

فسألت أحد المعبرين عنها، فقال: هذه لا تحتاج إلى تعبير، تعبر نفسها بنفسها، الرسول ﷺ هو السنة والشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ إمام السنة في وقته.

٣- أن أحد أقاربي رأى في الشيخ رؤيا خير قبل موته وقصّها عليّ حيث رأى فيها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ على منظر بهي يُغبط فيه، فكتب إلى الشيخ يخبره بتلك الرؤيا فردّ عليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن سدحان زاده الله من العلم والإيمان وجعله مباركاً أينما كان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

يا محب وصلني كتابكم الكريم المؤرخ في ٧ / ٦ / ١٤٠٥ هـ وصلكم الله برضاه، وسرني حرصكم على تتبع ما يذاع وينشر من الأحاديث المفيدة، زادك الله من العلم النافع والرغبة في الخير وأشرك على شعورك نحوي ودعائك لي - جزاك الله عن ذلك أفضل الجزاء-، ولا شك يا أخي أن الواجب علينا وعلى إخواننا طلبة العلم أكثر من هذا، ونسأل الله أن يعين الجميع على أداء الواجب. أما الرؤيا التي أشرت إليها، فهي رؤيا صالحة، وتبشر بالخير لنا ولكم، ولكن يا محب الرؤيا الحسنة تسر الإنسان ولا تغره؛ بل يزداد اجتهاداً في الخير، ونسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه إنه جواد كريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وقد قال الإمام أحمد رحمته الله: «الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره»^(٢). وكان سفيان الثوري إذا قيل له: إنه رؤي في المنام يقول: «أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات»^(٣).

٤ - حدثني أحد الإخوة^(٤) الذين تربطني بهم علاقة وثيقة عن رؤيا نقلتها له امرأته فذكرت^(٥) أن امرأة رأت ليلة وفاة الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - مجموعتين من الناس إحداهما تبكي وكأنها تودع والأخرى مبتهجة وفرحة

(١) كُتبت بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٤٠٥ هـ.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٢٢٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٢٥٢).

(٤) وهو الأخ إبراهيم المجلي - حفظه الله تعالى -.

(٥) ثم طلبت من الأخ إبراهيم توثيق الرؤيا، فكتب أهله الرؤيا خطياً، وهذا مفادها.

وكانها تستقبل.

قالت الرائية: ورأيت جدي وقد مات قبل الرؤيا وهو ينادي المجموعة الأولى قائلاً أسرعوا وعجلوا وأحضروا لنا هذا الأعمى الذي عندكم، وهم - المجموعة الثانية - مستبشرون بقدومه والفرحة تعلو مُحياهم، وكان هذا المنادي أطول المجموعة وأحسنهم.

٥ - ذكرت هذه المرأة أيضاً أن امرأة رأت فيما يراه النائم قبل اثنتي عشرة سنة في رمضان أنها دخلت الجنة من باب كبير فرأت قصرين من زجاج يرى من خارجهما من بداخلهما، والقصران لم يكتمل بناؤهما بعد، وفي داخل القصرين فرش وبسط لم تفرش بعد بل هي مركونة في جانب القصر.

ف قيل للمرأة: القصر الأول للشيخ ابن باز والقصر الآخر للشيخ ابن عثيمين...

٦ - حدثني أحد طلبة الشيخ ناصر الألباني - رحمه الله تعالى - قال: رأى أحد الصالحين عندنا في الشام رؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة رأى كوكبين في السماء وقد اتجها بقوة نحو الأرض، أما أحدهما فوصل إلى الأرض وبقي الآخر قريباً من الأرض.

فأما الذي وصل إلى الأرض فأحدث دويًا هائلاً جعل الناس يفزعون ويتساءلون ما الخبر؟

ثم استيقظ، فسأل أحد المعبرين عن تلك الرؤيا، فقال المعبر: هذا أمر يحدث يهتز له المجتمع ويكون لذلك أثر بليغ، ثم يعقبه مثله وهو الكوكب الثاني.

قال محدثي: فلم يمض أيام حتى جاء الخبر بموت الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، ثم مات الشيخ الألباني بعده بفترة يسيرة، وهو تأويل الكوكب الثاني الذي تأخر عن اللحوق بالكوكب الأول.

رحم الله الشيخين وجعل الفردوس الأعلى مستقرهما ومثواهما.

٧- وحدثني الشيخ عبد الرحمن الجلال -أثابه الله تعالى- في منزله بمدينة الدلم فذكر لي:

أنه لما كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- قاضياً في الدلم رأى رجلً فيما يرى النائم أن خصمين كانا يختصمان عند الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-، فلما تكلم الشيخ للفصل بينهما كان هناك رجل بجانب الشيخ تقرر في نفسي أنه عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- فكلما تكلم الشيخ أوماً عمر بن الخطاب رضي الله عنه برأسه موافقاً لما يقول الشيخ -رحمه الله تعالى-.

٨- [وحدثني الأخ فؤاد بن محمد بن عبد الوهاب الشامي قال: كنت في شهر محرم عام ١٤٢٠ هـ في دولة إندونيسيا لأعمال تجارية، وفي فجر يوم وفاة الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- رأيت فيما يرى النائم قرص الشمس مضيئاً ينزل من السماء ثم دخل في حفرة في جوف الأرض، فقمْتُ واتَّصلْتُ بأهلي في السعودية وكان الوقت عندهم قرابة الساعة الثانية عشر ليلاً، فسألْتهم هل حصل عندهم شيء؟ فقالوا: لا، وبعد يومين أخبرني أهلي أنه بعد فجر ذلك اليوم -بعد اتِّصالي عليهم- جاء خبر موت الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-].

ومن الرؤى بعد وفاته رحمته الله:

١- أن أحدهم قال: اتصل عليَّ أحد الإخوة الثقات الصالحين من إخواننا الشناقطة ممن أعرفهم بالصدق في الحديث وحسن الدين، فقال لي: رأيت فيما يرى النائم قصرًا أبيضًا واسعًا كبيرًا فدخلته فإذا هو واسع جدًا، وكلما دخلت فيه ازداد اتساعًا وكبرًا وكلما دخلت اتسع أكثر وأكثر، وهكذا دواليك.

فلما جئت لوسطه جلست في وسط القصر على دكة في رحبته الواسعة،

وسألت لمن هذا القصر الأبيض الجميل الواسع؟

فقال هاتف أسمعته ولا أراه: «إنه للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز» ثم بينما نحن نتجول في القصر، فإذا قارئ يقرأ بأجمل صوت وأفضل قراءة سمعتها أذني مطلقاً ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] ^(١).

٢- أن أحدهم قال: رأيت فيما يرى النائم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز - رحمه الله تعالى - وهو على النعش مكفناً بكفن أبيض، وأنا أبكي عليه حزناً على وفاته. فبينما أنا أبكي إذ جاءني رجل حسن الهيئة أبيض اللون جميل المنظر، فقال لي: أتعلم على من تبكي؟ فقلت: نعم، فأشار إلى الشيخ وقال: «هذا لو أقسم على الله لأبره» ^(٢).



(١) «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ٥٢٢).

(٢) «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ٥٢٣).

أسباب قبول الشيخ

أحسب أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لَهُ نصيب من قول النبي ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نادى جبريل فقال: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١).

وفي حديث آخر عند البزار وغيره: «إِنْ لِكُلِّ عَبْدٍ صِيَّتَيْنِ؛ صِيَّتٌ فِي السَّمَاءِ، وَصِيَّتٌ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا حَسَنَ صِيَّتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنَ صِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا سَاءَ صِيَّتُهُ فِي السَّمَاءِ سَاءَ صِيَّتُهُ فِي الْأَرْضِ».

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ لَهُ قبول عند جميع طبقات الناس من حكام ومحكومين وتجار وفقراء وعلماء ومتعلمين وعامة.

بل تعدى الأمر مجتمعنا وأصبح قبول الشيخ في غالب العالم الإسلامي، وهذه منقبة فريدة يكاد سماحة الشيخ يتفرد بها عن جميع علماء العصر.

فلا أعرف حسب علمي وسؤالي أن إماماً وضع له القبول كما وضع لسماحة شيخنا ابن باز فُسِّمَعَتْهُ ومحَبَّتُهُ لا يشق لها غبار، وهذا يندر أن يجتمع لأحد، وهذا راجع إلى التوفيق الإلهي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة.

ومن أسباب قبول الشيخ:

- تعظيم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ للنص الشرعي وقد سبق ذلك.
- التقوى والورع في جميع شئون الشيخ.
- قال زيد بن أسلم: «كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا»^(١).
- وقال الثوري لابن أبي ذئب: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً»^(٢).
- قول الحق.
- التواضع الجم.
- النصح والخوف على المسلمين.
- نشر الخير في كل مكان.
- الزهد في متاع الدنيا.
- سلامة قلبه من الغل والحسد.
- نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.
- والشيخ رَحِمَهُ اللهُ له قبول حتى عند الكفار، فقد ذكر بعضهم أن رجلاً نصرانياً كتب للشيخ شيكاً بمبلغ مليون ومائتين وخمسين ألف ريال، فأحضر أحد المسلمين هذا الشيك بعد أن أخذه من النصراني، وسأله أتعرف الشيخ ابن باز؟ فقال: نعم أعرفه وهو لا يعرفني، ولم ألتق به ولكنني عرفته وأحببته مما يكتب ومن كلام الناس عنه^(٣).

(١) انظر: «الفوائد» لابن القيم (ص ٥٣).

(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيم (ص ٥٣).

(٣) «مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز» إعداد: حمود المطر (ص ١٨٥).

شذرات

[١- ذكر لي الشيخ محمد بن إبراهيم الحمودي قصة عن والدته سماعة الشيخ عبد العزيز بن باز، فطلبت منه كتابتها ففعل مشكوراً بتاريخ ١١ / ١٠ / ١٤٢١ هـ.

وهذا نص خطابه لي:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم بناءً على طلب أخي عبد العزيز بن محمد السدحان أن أكتب له القصة التي حصلت لوالدنا سماعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمة الله عليه، ووالدنا والمسلمين أجمعين-:

حدثني عبد الرحمن بن ناصر بن جابر من أهالي الرياض بأن الشيخ رحمه الله فقد بصره في مقتبل عمره، وكان مسكن والدته -وهي من آل حزيم- في حي دخنة شرق قصر الحكم، وكان لها جارة هي زوجة الأمير عبد العزيز بن تركي آل سعود، ودخلت عليها وكان الشيخ عبد العزيز جالساً بجوار والدته وهي تبكي على ابنها.

فسألتها: لماذا تبكين يا أمّ عبد العزيز؟! فردّت عليها أن عبد العزيز فقد بصره ومن يقوم بشئونه؟ فقالت لها: البكاء ما يرد شيئاً، ولكن استعيني بالله وتوضئي وصلي لله ركعتين أسأليه كما أخذ بصره أن يعطيه علماً ينفعه وينفع المسلمين.

وقد استجاب الله دعاء والدته^(١)، والله الموفق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك/ محمد بن إبراهيم الحمدودي .. انتهى.

ثم علمت أن راوي القصة عبد الرحمن بن ناصر بن جابر هو جد أولاد فضيلة الشيخ القاضي عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، وقد أخبرني بذلك فضيلته ثم أكد لي صحة القصة وأنه سمع ذلك مراراً من عبد الرحمن بن ناصر بن جابر -رحمه الله تعالى-.

قلت: فجزئ الله تعالى تلك المرأتين الصالحتين خيرًا؛ من أشارت ونصحت^(٢) ومن استجابت ودعت، والله تعالى أسأل أن يُجري على تلك

(١) لطيفة: في أثر دعاء الأم لولدها بتحصيل العلم ذكر الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة سليم بن أيوب ما نصّه: «قال سهل بن بشر: حدثنا سليم أنه كان في صغره بالرّي وله نحو من عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ وهو يُلقّن، قال: فقال لي: تقدم فاقراً، فجهدتُ أن أقرأ الفاتحة فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني. فقال: لك والدّة؟ قلت: نعم. قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم. قلت: نعم.

فرجعت فسألته الدعاء، فدعت لي، ثم إنني كبرت ودخلت بغداد، قرأتُ بها العربية والفقه، ثم عدت إلى الرّي، فبينما أنا في الجامع أقابل «مختصر المزني» وإذا الشيخ قد حضر وسلم علينا وهو لا يعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول، ثم قال: متى يتعلم مثل هذا؟ فأردت أن أقول: إن كانت لك والدّة فقل لها تدعو لك، فاستحييت». «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦٤٥-٦٤٦).

(٢) وقد سألت الأمير سلمان بن عبد العزيز عن امرأة الأمير عبد العزيز بن تركي فأفادني بأنها من أسرة آل مدبل، وقد سألتُ بعض الأكارم من أسرة آل مدبل عن تلك المرأة الصالحة فأخبروني بأنها: نورة بنت عبد العزيز آل مدبل -رحمها الله تعالى، وبارك في ذريتها-.

المرأتين الصّالحتين مثل أجر سماحته -رحمه الله تعالى- فيما أجره الله تعالى على يديه من الخير العظيم، فإن من دل على خير كان له مثل أجر فاعله كما صح عنه عليه السلام].

٢- أنعم الله على سماحة الشيخ بخصال كثيرة قلما تجتمع في أحد. وكنت في أثناء القراءة في كتب التراجم أرى تلك الصفات متفرقة بين كثير من المترجمين. واستوقفتني ترجمة لأحد الأئمة أحسب أن الشيخ مشترك مع ذلك الإمام في تلك الصفات.

والترجمة المعنية في كتاب تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر رحمهما الله والمترجم له هو الإمام عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى-. قال الحافظ في ترجمته: «عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة: ثقة، ثبت، فقيه، عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير»^(١). وقال عنه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «إمام الدنيا في وقته عبد الله بن المبارك رحمهما الله»^(٢).

[ويقرب منه ما ذكره السمعاني في ترجمة الحسين بن أحمد بن علي البيهقي، فقد قال عنه: «كان شيخاً فاضلاً مسناً كبيراً، جليل القدر، حسن السيرة، مليح الأخلاق، كثير المحفوظ، ويكرم الغرباء الواردين عليه ويبرهم ويحسن إليهم، وكان الناس ينتابونه من كل قطر، وداره كانت مجمع الفضلاء والعلماء»^(٣)].

(١) «تقريب التهذيب» (ص ٣٢٠).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٨٤).

(٣) «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (٢/ ٦٨٨) باختصار يسير.

- ٣- الشيخ ليس مدرسة فحسب بل جامعة.
- ٤- من الطرائف واللطائف أن الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- ترجم في السير لإمام يشاركه الشيخ في الكنية واللقب. فقال: ابن باز الحافظ الإمام أبو عبد الله ثم قال: محدث متقن مفيد، ولد سنة ٥٥٢ هـ ومات ٦٢٢ هـ^(١).
- ٥- سألت الشيخ -رحمه الله تعالى-: هل سافرت إلى خارج المملكة؟ فقال متبسماً: أنا كالإمام مالك لم أتعدَّ الحجاز.
- ٦- تناولت طعام العشاء مع سماحته وعند غسله ليديه بعد الفراغ من الطعام قام بخلع تركيبة الأسنان لتنظيفها، فقلت له: سماحة الشيخ، هل يدخل التدليس في الأسنان؟ فتبسّم ضاحكاً.
- ٧- وافق الخبرُ الخبر: من المصادفات أن آخر حديث قرأته على سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- من صحيح البخاري في درس المغرب المقام في مسجد الأميرة سارة بالرياض كان عن وفاة الرسول ﷺ ونصه:
- قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: باب من تسوّك بسواك غيره، حدثنا إسماعيل قال: حدثني سليمان بن بلال قال: قال هشام بن عروة أخبرني أبي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقصمته^(٢). ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به وهو مستند إلى صدري^(٣).
- ٨- ولا أعلم أن أحداً رُئي بعد الرسول ﷺ أكثر من سماحة الشيخ -رحمه

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/٢٥٨).

(٢) قال ابن حجر في «الفتح» (٣٧٧/٢): «فقصمته: بقاف وصاد مهملة للأكثر، أي: كسرتة، وفي رواية كريمة وابن السكن بضاد معجمة، والقضم -بالمعجمة-: الأكل بأطراف الأسنان».

(٣) «فتح الباري» (٣٧٧/٢) حديث رقم (٨٩٠).

الله تعالى - (١).

[وقد نُشِرَ عدد كثير من القصائد وكثير لم ينشر كما صرّحت بذلك بعض الصحف في اعتذار لها من أصحاب القصائد، وقد اخترت قصيدة لم تُنشر من قبل الأخ الكريم الشيخ الأديب أبي معاذ محمد بن إبراهيم الزاحم، وقد عنون لقصيدته ب: «أفول نجم باز الجزيرة»، ونص قصيدته:

أبدأ بحمد الله إيماناً به

ثم الصلاة على النبي أرجعُ

أنظم قوافي في رثاء فقيدنا

باز تغيبُ نجومه وتودّعُ

الله يُكتب ما يشاء ويحكم

والله يمنح من يشاء ويمنعُ

والله يقسم رزقه متفضلاً

والكلُّ يمتح (٢) من حباه ويجمعُ

حلقات درس الشيخ عامرة بما

يُروي غليل (٣) فؤاد من يتضلع (٤)

(١) انظر مثلاً: «عيون المراثي البازية» جمع وترتيب: سليمان بن محمد العثيم وفهد بن عبد العزيز الجوعى.

(٢) يمتح: امتح: استقاء الماء، مصدر متحت الدلو إذا استخرجتها، والفاعل مائح ومتوح.

(٣) غليل: ك: «أمير»، العطش أو شدته أو حرارة الجوف.

(٤) يتضلع: تضلع: امتلاً شبعاً أو رياً حتى بلغ الماء أضلاعه.

أُذُنٌ مُشْنَفَةٌ^(١) وَطَرْفٌ^(٢) حَائِرٌ

عند استماع حديثه تتمتع

فالدرس منتجع^(٣) يطيب لسامع

يحوي فنون علومنا يتنوع

أوقاته معمورة بدروسه

والعلم يبذله ولا يترفع

ينفي الضعيف من الحديث بداهة

علامة ومحدث متواضع

يصغي لسائله ويسمع قوله

فوراً يجيب مسائلاً تتابع

لا يشتكي أبداً لطول مقامه

يفتي يحدث مسنداً يتبرع

مسك تضيوع^(٤) من سناء^(٥) حديثه

والزعران بمسكه يتشعشع^(٦)

(١) مشنفة: جعل في أعلى الأذن قرط، وهو كناية عن الغاية في الاستماع.

(٢) الطَّرْف: العين.

(٣) المنتجع: المنزل في طلب الكلاء.

(٤) تضيوع: انتشرت رائحته، ومنه: ضاع المسك: تحرك فانتشرت رائحته.

(٥) سناء: السَّناء: ضوء البرق.

(٦) يتشعشع: يمتزج، ومنه: شَعَشَعَ الشراب: مزجه وخلط بعضه ببعض.

بازيُّنا متقنٌ نصِّ لشوارد^(١)

يقفُو^(٢) أوأبدها^(٣) فلا تتمنعُ

حَبر^(٤) يحرر قوله ببراعة

يصرع بثاقب فهمه ويُجدعُ^(٥)

الشيخ رأس دعائنا وشيوخنا

لا ينثنى أبداً ولا يتزعزعُ

يحمل هموم عوالم متفكراً

يرجو هدايتها بحق يصدعُ

يرفع أكف ضراعة متبتلاً

يلهج بدعوة ربه يتضرع

سبحان من جعل القلوب مُحبة

ترجو مودته ولا تتصنع

يجثو على ركبٍ مريدٍ علومه

يبسط رداء حياائه يتطلعُ

(١) شوارد: جمع شاردة، وهي ما نفر من الدواب وغيرها.

(٢) يقفو: يتبع.

(٣) الأوبد: الوحوش.

(٤) الحبر - بفتح الحاء وكسر ها - العالم أو الصالح.

(٥) يجدع: الجذع: قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة.

باز تَأَلَّقَ نَجْمُهُ فَلَسَّاهُ

يَفْلِقُ كَوَافِرَ^(١) لَفْظُهَا وَيَضَعُ^(٢)

باز وبيزار^(٣) يَدْرُبُ بَارَهُ

يُنْشِبُ مَخَالِبَ فَفْهَهُ وَيَمْرَعُ

آسٍ^(٤) نِطَاسِيٍّ^(٥) يَعَالِجُ أَبْكَمَّا

فَاللَّفْظُ مُعْتَرَفٌ يَبُوحُ وَيَلْمَعُ

آخِيَّةٌ^(٦) لَشِيُوخَنَا وَمَثْقَفٌ^(٧)

يَبْرِي^(٨) عَقُولَهُمْ وَلَا يَتَذَرَعُ^(٩)

رَبِّي تَلَامِذَةً فَخَرَّجَ أَبْحُرًا

مَلَأَى وَعَبَقُ^(١٠) عَبِيرَهُمْ^(١١) يَتَضَوُّعُ

(١) كوافر: كفر الشيء: ستره، والكوافر: جمع كافور، وهو الطَّلَع، يغلق في حينه ووقته.

(٢) يُضَعُّ: يضعه الكلام وأبضعه: بيَّنه له، والبَضْع: القطع.

(٣) البيزار: هو حامل البازي أحد جوارح الطير المعروفة.

(٤) الآسي: الطبيب.

(٥) النطاسي: العالم - بكسر النون وفتحها -.

(٦) آخِيَّة - بتشديد الياء وتخفيفها -: عُوْدٌ في حائط أو في جبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشدُّ فيها الدابة.

(٧) مَثْقَفٌ: الثَّقَاف: ما تسوى به الرماح، والمَثْقَفُ: من يصنع ذلك.

(٨) يبري: برئ السهم يبريه: نحته.

(٩) يتذرع: التذرع: كثرة الكلام والإفراط فيه، وتذرع بذريعة: توسَّل بوسيلة.

(١٠) عَبَقَ: عَبَقَ به الطبيب: لزمه به.

(١١) العبير: الزعفران أو أخلاط من الطبيب.

انظِّم عقود لآلى وزبَرَجِدِ

من لفظه فلسانه متترع^(١)

فالشيخ قد بلغ الإمامة في فنو

ن عدة فجليسه يتنجع^(٢)

لم يفتأ الضرغام^(٣) طول حياته

ينشر عقيدة سنة ويرقع

نحوي^(٤) صرفي ومُعْجَمُ ألسن

جُعْفي^(٥) مزي^(٦) كذلك أصمع^(٧)

لم يتخذ أبداً سلالاً يتغني

رفعاً لدنياه فذلك أروع

فالشيخ قد كثر الرماد^(٨) ببابه

للناد^(٩) منزله قريب يُشرع

(١) متترع: التَّرْع - محرّكة - : الامتلاء، وحوضُ ترعٍ: ممتلئ.

(٢) يتنجع: ينتقل من مكان إلى مكان لطلب الكلاء.

(٣) الضرغام: من أسماء الأسد.

(٤) نحوي، صرفي، معجم ألسن؛ أي: ماهر في علم النحو والصرف واللغة.

(٥) جُعْفي: أي محدث، تشبيهاً بالإمام البخاري - رحمه الله تعالى -.

(٦) مزي: ماهر في معرفة علوم الحديث ورجاله وعلمه، ك: جمال الدين المزي - رحمه الله تعالى -.

(٧) أصمع: مشبه بالأصمعي عبد الملك بن قُريب، العالم اللغوي الأديب.

(٨) كثر الرماد ببابه: كناية عن اتّصافه بالكرم.

(٩) للناد منزله قريب: أي منزله قريب واضح يسهُل الوصول إليه.

طود^(١) تشامخ عزةً وكرامة
 مَنْ ذا يدوم فلا يموت ويصرعُ؟
 فجرَ الخميس نُعي^(٢) لنا وفاته
 هُلك^(٣) لراحلة تُغذُّ وتُوضع^(٤)
 كلُّ تردد في ثبوت وفاته
 حتى تواترت المصادر تقعر
 حتى الدموعُ تحجرت في مؤقها^(٥)
 والنفس ضاقت والصدور تقَعَقع^(٦)
 والنفس راضية بحكم إلها
 يُحيي ويقبض والقلوب توجَّعُ
 الشيخ جامعة يهذب أنفسا
 علمٌ وزهد بالتقوى يتدرَّعُ
 أجزل ثواب فقيدنا ولعلَّه
 يسكن جنانك خالداً يتمتعُ

(١) طود: جبل.

(٢) نُعي: نُقل إلينا خبر وفاته.

(٣) هُلك: أي هلاك.

(٤) تُغذُّ وتُوضع: من الإغذاذ والإيضاع في السير: وهو الإسراع.

(٥) مؤقها: المؤق: طرف العين مما يلي الأنف، أو مجرى الدمع من العين أو مقدمها أو مؤخرها.

(٦) تقَعَقع: تضطرب وتتحرك.

أختمُ رثائي بالصلاة مُسَلِّمًا

دومًا على رُسل تحج وتركع

وأما المقالات الصحفية فلعلها تفوق القصائد عددًا، وانظر مثلاً كتاب: «ابن باز بين القرطاس والقلم»، وهو جمع للمقالات في الدوريات السعودية ما بين ٢٧ محرّم - ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ، فكيف يقال فيما كتب بعد هذا التاريخ؟ دع عنك ما لم يُنشر، وناهيك عن الدوريات الخليجية خصوصًا والعربية والإسلامية عمومًا.

ومن المقالات التي لم تُنشر هذا المقال الذي أسوقه هنا بنصّه، وهو من إنشاء الشيخ ناصر بن محمد بن طالب القاضي بالمحكمة العامة في عرعر، وعنوانه: «لقد ذقنا اليتم بفقدك يا سماحة الشيخ».

«بسم الله الرحمن الرحيم...

عندما صحوت على الدنيا قبل عقدين من الزمان كانت عبارة (سماحة الشيخ، سماحة الوالد) تطرق مسمعي كلما مرّت قضية دينية أو فتوى شرعية. وحدثني والدي أنه ومنذ أن عقل الحياة وأدرك الأمور قبل نصف قرن من الزمان واسم (سماحة الشيخ) يمرّ بمسمعه كما يمر النسيم رقيقًا رخياً فتلتقطه الأذان ويبتهج لذكره الوجدان.

وحدثني والدي عن والده (جدي) أنه ومنذ أن كان في ميعة الصبا وبواكير الشباب وقبل ما يزيد على ستة عقود ونصف كانت سيرة الشيخ عبد العزيز تطوي الوهاد وتتجاوز البلاد، وتسير بها الركبان لتحفر لها مكانًا في سمع الزمان، تتضوع بها الأرجاء وتتعطر منها الأنحاء، كما يفوح بشذاه الزهر أو كما يبوح الفل بأريجيه مع هدأة السحر.

إيه يا سماحة الشيخ! ما عسى شابٌ مثلي أن يكتب عن إمام مثلكم، كانت إمامته على سوقها قائمة، ومكانته في النفوس راسخة قبل أن يولد هو أو يطل على

الحياة والده، وقبل أن يبلغ جده مبلغ الشباب.

سماحة الشيخ، كانت عادتُك في أسفارك ورحلاتك ألا تشد الرّحل إلا يوم خميس اقتداءً بسنة نبينا محمد ﷺ، فهل كانت مصادفة أن تكون رحلتك الأبدية وسفرك الأخروي يوم خميس أيضًا.

إذ مع شروق شمس هذا اليوم يوم الخميس ٢٧/١/١٤٢٠ هـ غربت شمس في الحجاز طالما كانت تشع علمًا وعملاً وجلالةً وورعًا ودعوةً وتعليمًا وأمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر ونصرةً للحق ودفعًا للباطل واهتمامًا بالمسلمين وشؤونهم في كافة أنحاء الأرض، فغاب مع غيابها علمٌ وافرٌ وبحرٌ زاخرٌ، وطُويت مع أفولها صفحة من صفحات التاريخ المجيد؛ تاريخ أمة في رجل وبقية من سلف صالح كريم تجاوز نفعه نفسه إلى بيته، ثم امتد إلى حيه، فتعدى حيه إلى بلده.

ثم انطلق حتى أتى على كامل أرض دولته، ثم لما يزل نفعه يطوي الأرض حتى وصل أنحاء المعمورة وأرجاء الدنيا. وإنني أرجو من الله أن يمتد أثره وعلمه عصورًا، ويبقى نفعه في الناس دهورًا، وما ذلك على الله بعزيز.

أليس هو بقية سلف صالح للصحابة الكرام والأئمة الأعلام؟ كالفقهاء السبعة، وابن شهاب الزهري، وعبد الله بن المبارك، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومسلم، والبخاري، وابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن إبراهيم.

أيها القراء المكلومون والإخوة المصابون...

لستُ في مقام من يسرّد للشيخ سيرة أو يُجلي للناس مسيرة أو يؤرخ لبعض

محطات حياته، فأنتى لمثلي أن يُلمَّ بطرف من سيرة إمام لو توازع سيرته جماعة من الناس وتمثلوها في واقعهم وشئون حياتهم لكان كل واحد منهم علمًا يُشدُّ له الرِّحل وتُضرب لأجله أكباد الإبل ويتبوأ مكانًا مرموقًا في صفحات التاريخ ودواوين السير.

فلله دُرُك سماحة الشيخ... والله دُرُ أمة أنجبت أمثالك وما عقلت بعد...

سماحة الوالد... إن من يريد أن يُلمَّ بطرف من سيرتك ويبين للناس شيئًا من طريقته لا بد أن يتوغل في الماضي البعيد ويمضي في مسار الزمن الغابر، وأن يخرق حُجُب الليالي والأيام، ويتجاوز رُكام العقود والأعوام حتى يصل إلى نحو عام ١٣٤٥ هـ وفي مدينة الرياض، والتي لم تكن سوى حي دخنة وبعض الأحياء بجوارها، ثم يرقب خروج ذلك الفتى اليافع من داره تلك الدار التي كانت خالية من أمتعة الدنيا وحاجيات الحياة.

لم يكن فيها إلا اليُتم مرخٍ سُدُوله والفقر ضاربًا ذِيُوله... دار فيها القليل من المتاع والكثير من القناعة والعفاف، دار فيها الفاقة لكن معها نفس تَوَاقَة، وفيها اليُتم لكن عانقه الشغف بالعلم، فإذا ما بزغ الفجر وبدأت تباشير الصباح الأولى فسيفرج ذلكم الباب عن صبي لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره، صبي يافع لم تُعرف له صبوة ولم يكن للشيطان منه حظ، ستره ممسكًا بكتباه متجهًا إلى مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم شيخه الأول الذي تلقى علي يديه أبجديات العلوم وقواعده وبدايات الفهم ومعاقده.

كان هذا قبل أن يستأثر الله ببصره ليعوضه بصيرة ثابتة يغبطه عليها المبصرون، ثم لم يزل هذا الشاب يرد هذا الورد -أعني: العلم الشرعي- عللاً بعد نهل حتى إذا بلغت سنة السابعة والعشرين إذا هو قاض مؤتمن على أعراض

الناس ودمائهم وأموالهم.

«وبعد سبع سنوات من قيام المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ نشر قاضي الدلم الشاب عبد العزيز بن باز أول مؤلفاته وعقد أول حلقاته، من هذه النقطة التقى التاريخان تاريخ الدولة السعودية وتاريخ الإمام ابن باز، وتواصلتا حتى هذه اللحظة»^(١).

ولا أنسى -وإن نسيت كثيرًا- كلمات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- أثناء ترؤسه جلسة من جلسات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية حيث كان خادم الحرمين رئيسها والشيخ عبد العزيز بن باز نائبه عليها.

إذ قال: «لقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز لوالدي، ثم لأخي سعود، ثم لأخي فيصل، ثم لأخي خالد، ثم نصح لي، وأسأل الله أن يمدد في عمره حتى ينصح لمن بعدي».

لله درك خادم الحرمين الشريفين من ملك يعرف للعلماء قدرهم وللناصحين مكانتهم.

سماحة الشيخ... غاب جسدك وبقي أثرك، فقدنا شخصك وعزاؤنا في بقاء علمك...

ناصر بن محمد بن طالب

القاضي بالمحكمة العامة في عرعر

(١) من مقال لجاسر الجاسر، مجلة المجلة عدد ٨٦، ٢٥ / ٢ / ١٤١٦هـ.

ومن أحسن ما يختم به هذا الكتاب: وصية^(١) كتبها الشيخ عبد العزيز إلى طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وقد صدرت من سماحته لما كان نائباً لرئيس الجامعة بالمدينة النبوية حيث قال رَحِمَهُ اللهُ:

«الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فالذي أوصي به أبنائي طلاب الجامعة الإسلامية هو تقوى الله ﷻ في جميع الأحوال والحرص على طلب العلم والعناية بالمقررات الدراسية والمذاكرة فيما بينهم فيما قد يخفى من مسائلها والإصغاء للمدرسين، والسؤال عن كل ما يُشكل في الدرس بالأسلوب الحسن.

ومن أهم أسباب التحصيل: إصلاح النية، وحفظ الوقت، والعمل بما علم، وقد جاء في بعض الآثار: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم» وشاهد هذا في كتاب الله سبحانه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

ومن أهم الأسباب أيضاً: الاستقامة على تقوى الله، والحذر من المعاصي، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والمخرج من الجهل من أهم المخرج المطلوبة، كما أن العلم من أفضل الرزق الذي ينتج عن التقوى، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. الآية.

(١) ناسب ذكر هذه الوصية لأن هذا الكتاب كان أصله محاضرة أُلقيت في الجامعة الإسلامية بتاريخ ١٤٢١/١/٧ هـ.

وأحسن ما قيل في تفسير الفرقان: إنه ما يحصل للعبد من نور العلم الذي يفرق به بين الحق والباطل.

أما أثر المعاصي في الحرمان من العلم النافع، فمعلوم بالنص والواقع كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ولا ريب أن حرمان العلم النافع من أعظم المصائب. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه». ولما جلس الشافعي بين يدي مالك -رحمة الله عليهما-، قال مالك للشافعي: «إني أرى الله قد ألقى عليك من نوره، فلا تطفئه بالمعاصي» أو كما قال رَحِمَهُ اللهُ. وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي^(١)
وأسأل الله أن يمنحكم التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح وأن ينفع بكم عباده، إنه خير مسئول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٢).
هذه الوصية وإن كانت لطلاب الجامعة الإسلامية فهي موجهة إلى كل طالب علم؛ ليقرن العلم بالعمل، ويؤدي زكاة علمه الذي آتاه الله بدعوة الناس إلى الخير والهدى مع الصبر على ما يحصل له من الأذى في سبيل ذلك.

(١) ذكر بعض أهل العلم أن هذين البيتين ليسا من قول الشافعي، واحتج بأن الشافعي ليس من تلاميذ وكيع، والصحيح أنه من تلاميذه، ففي كتاب «الأم» (٢/ ٧١، ٨٣) في باب الصدقات الثاني قال الشافعي: أخبرنا وكيع، كما أفاده بعض أهل العلم.
(٢) صدرت هذه الوصية من مكتب سماحته رَحِمَهُ اللهُ في ١٨ / ١٠ / ١٣٨٨ هـ.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول:

اللهم اغفر لشيخنا وإمامنا، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين.
اللهم افسح له في قبره، ونور له فيه، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها.

ونسأل الله أن يتغمد شيخنا وإمامنا في فردوسه الأعلى، وأن يجمعنا وإياه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

كما نسأله أن يوفق علماء المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يحفظ علماء السنة في كل مكان، ويرفع رأيتهم، ويكبت شائتهم وحاسدهم.
وصلّى الله وسلم وبارك على رسول الله.



المراجع

- ١- الآداب الشرعية، لابن مفلح.
- ٢- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم.
- ٣- أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ.
- ٤- أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني.
- ٥- الاعتصام، للشاطبي.
- ٦- إمام العصر، للدكتور ناصر الزهراني.
- ٧- الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، لعبد الرحمن الرحمة.
- ٨- تاريخ إربل، لابن المستوفي.
- ٩- التاريخ الكبير، للبخاري.
- ١٠- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة الكنايني.
- ١١- الترغيب والترهيب، للمنذري.
- ١٢- تعجيل المنفعة، لابن حجر.
- ١٣- تفسير ابن كثير.
- ١٤- تقريب التهذيب، لابن حجر.
- ١٥- تهذيب التهذيب، لابن حجر.
- ١٦- توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، لابن حجر.

- ١٧ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي.
- ١٨ - حجة الوداع، لابن حزم.
- ١٩ - الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب.
- ٢٠ - الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي.
- ٢١ - الرسالة، للشافعي.
- ٢٢ - الزهد، لو كيع بن الجراح.
- ٢٣ - السلسلة الصحيحة، للألباني.
- ٢٤ - سنن ابن ماجه.
- ٢٥ - سنن أبي داود.
- ٢٦ - سنن الترمذي.
- ٢٧ - سنن الدارمي.
- ٢٨ - السنن الكبرى، للبيهقي.
- ٢٩ - السنة، للبرهاري.
- ٣٠ - سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- ٣١ - الشمائل، للترمذي.
- ٣٢ - صحيح ابن حبان.
- ٣٣ - صحيح البخاري.
- ٣٤ - صحيح مسلم.
- ٣٥ - عنوان الدراية، للغبريني.
- ٣٦ - عيون المراثي البازية.
- ٣٧ - الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي.

- ٣٨- الفتاوى السعدية.
- ٣٩- فتح الباري، لابن حجر.
- ٤٠- الفوائد لابن القيم.
- ٤١- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، د. الطيار، أحمد الباز.
- ٤٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، د. محمد الشويعر.
- ٤٣- المحلى، لابن حزم.
- ٤٤- المستدرک، للحاكم.
- ٤٥- مسند الإمام أحمد.
- ٤٦- معجم الأدباء، لياقوت الحموي.
- ٤٧- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- ٤٨- المعجم الكبير، للطبراني.
- ٤٩- المعجم الوسيط.
- ٥٠- المقاصد الحسنة، للسخاوي.
- ٥١- مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي.
- ٥٢- مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز، لعمود المطر.
- ٥٣- المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية، للبيجوري.
- ٥٤- النفع الشدي، لابن سيد الناس.
- ٥٥- الوابل الصيب، لابن القيم.
- ٥٦- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- * وممن نقلت عنه مشافهة:
- ١- محمد بن عبد الله بن باز (شقيق الشيخ الأكبر).

- ٢- أحمد بن عبد العزيز بن باز (ابن الشيخ).
- ٣- الشيخ عبد الرحمن الجلال.
- ٤- سعد الداود.
- ٥- صلاح عثمان.
- ٦- الشيخ عبد المحسن العباد.
- ٧- الشيخ عمر الأشقر.
- ٨- الشيخ خالد المذكور.
- ٩- الشيخ حسن عشيش.
- ١٠- أحمد بن محمد بن سنان.
- ١١- الشيخ عبد الرحمن بن محمد السدحان.
- ١٢- إبراهيم المجلي.
- ١٣- سليمان الهديب.



الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ
دُرُوسٌ وَمَوَاقِفُ وَعِبَرٌ

**تقديم فضيلة الشيخ
عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل العقيل**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه.
أما بعد:

فإن من حفظ الله لدينه أن قيض لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويحفظ لها آثار رسولها ﷺ، ويرفع راية السنة المحمدية، ولهذا فقد اختار الله لذلك من كل خلف عدوله، ينصرون السنة ويُجَدِّدون للناس أمر دينهم، فكان من أعيان أولئك الأفاضل: إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم. وقد كانت خدمة الحديث معروفة لدى علماء الهند في العصور القريبة، وارتحل إليهم مشايخنا لتلقيه عنهم، مثل: شيخنا علي أبو وادي، وشيخنا الشيخ عبد الله القرعاوي وغيرهما، وكذا أشياخ مشايخنا، مثل: الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهما، فسافروا للهند وأخذوا علم الحديث عن علماء أجلاء، مثل: شيخ مشايخنا الشيخ المحدث الشهير نذير حسين، وتلاميذه: شمس الحق العظيم آبادي، وعبد الرحمن المباركفوري، وأحمد الله الدهلوي، وغيرهم.

وأخيرًا: جاء سماحة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني فخدم السنة، وحقق علوم الحديث رواية ودراية، واعتمد الناس على أقواله في نسبة الحديث وتصحيحه وتضعيفه، وغير ذلك، وبذلك أصبح الإمام الألباني محدث العصر بلا منازع، فإننا لا نعلم أحدًا أفاد في الحديث من بعد أصحاب الحافظ ابن حجر إلى وقتنا الحاضر مثله، فقد ألف المؤلفات العظيمة النافعة، وعلى رأسها «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة»، ومختصري الصحيحين، و«إرواء الغليل»، وهذا الأخير خدم كتب الحنبلة خدمة عظيمة لم يسبق إليها.

ومن حسنات هذا الإمام: أنه أحيا في الأمة الاهتمام بتمحيص الحديث الصحيح من الضعيف، سواء في كتب الحديث والفقه وغيرهما، كما أشاع مبدأ التقيد بالسنة والحذر من البدعة، ونصرة العمل بالدليل، أشاع هذه الأمور في طبقات تجاوزت العلماء وطلبة العلم إلى عموم المثقفين ومحبي السنة.

ولما كان سماحته بهذه المنزلة؛ كان من حقه على طلبته ومحبيه أن يبرّوه ويبرزوا مناقبه وأخباره، ويحتسبوا في ذلك خدمة للسنة المطهرة ورجالها، وقد كثرت - بحمد الله - الكتابات المنوّهة بفضله.

وممن اهتم بذلك فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان -وفقه الله-؛ فقد قام بإعداد ترجمة ضافية للشيخ الألباني في مجلد كبير، أجاد فيها وأفاد، واستوعب أبرز ما كُتب عنه وزاد عليه، حتى أصبح كتابه جامعًا وشاملاً لمن أراد معرفة أخبار هذا العالم الجليل.

وقد أهداني نسخة منه، واطّلت على عدة مواضع منها، ووجدته قد استوعب في هذه السيرة الجميلة مواقف الإمام الألباني، وما جرى له في أول حياته وأوسطها وآخرها، منذ كان يصلح الساعات في أول عمره، ثم صبره على طلب العلم ورحلاته فيه، وصور مما ابتلي به أيام سجنه، ثم ذكر ما فتح الله عليه

من التبحر في علوم الحديث الشريف وغيرها، ثم ذكر مؤلفاته النافعة، وذكر أنها بلغت ٢١٨ مؤلفاً ما بين تأليف وتخريج، وسرد أسماءها تباعاً ما بين كبير ومتوسط وصغير مما تداوله الناس وانتفعوا به في أيام حياته وبعد وفاته، وأخيراً وصيته المتضمنة العديد من الفوائد والاعتبار، ثم مرضه الأخير ووفاته رَحِمَهُ اللهُ.

وإني أهني سماحة المترجم له بما فتح الله عليه من هذه العلوم النافعة، وأهني فضيلة المترجم بما يسّر الله له من جمع هذه الترجمة الحافلة، وأوصيه بطبعها ونشرها، لعل الله أن ينفع بها المؤلف والكاتب والقارئ والمستمع، وما ذلك على الله بعزيز، وإن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة، والله واسع عليم.

وكتبه الفقير إلى الله

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيّل العقيّل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

حامداً ومصلياً ومسلماً على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عقیل العقیل

التاريخ ١٤ / ٣ / ١٤٢٩ هـ

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه،
أما بعد : فإن من حفظ الله لدينه أن قويض لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويحفظ
لها آثار رسولها صلى الله عليه وسلم، ويرفع راية السنة المحمدية ولهذا فقد اختار الله
لذلك من كل خلف، عدوله ينصرون السنة ويجددون للناس أمر دينهم، فكان من أعيان
أولئك الأفاضل: إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وشيخ الإسلام
تقي الدين بن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم .

وقد كانت خدمة الحديث معروفة لدى علماء الهند في العصور القريبة، وارتحل إليهم
مشايخنا لتلقيه عنهم مثل شيخنا الشيخ علي أبو وادي، وشيخنا الشيخ عبد الله
القرعاري وغيرهما، وكذا أشياخ مشايخنا مثل الشيخ اسحق بن عبد الرحمن آل
الشيخ والشيخ سعد بن عتيق وغيرهما فسافروا للهند وأخذوا علم الحديث عن علماء
أجلاء مثل شيخ مشايخنا الشيخ المحدث الشهير نذير حسين، وتلاميذه : شمس الحق
العظيم آبادي، وعبد الرحمن المباركفوري، وأحمد الله الدهلوي وغيرهم،

وأخيراً جاء سماحة الشيخ العلامة محمد ناصر الألباني فخدم السنة وحقق علوم
الحديث رواية ودراسة واعتمد الناس على أقواله في نسبة الحديث وتصحيحه وتضعيفه
وغير ذلك، وبذلك أصبح الإمام الألباني محدث العصر بلا منازع، فإننا لا نعلم أحداً أفاد
في الحديث من بعد أصحاب الحافظ ابن حجر إلى وقتنا الحاضر مثله، فقد ألف
المؤلفات العظيمة النافعة، وعلى رأسها سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث
الضعيفة، ومختصر الصحيحين وإرواء الغليل، وهذا الأخير خدم كتب الحنابلة خدمة
عظيمة لم يسبق إليها،

ومن حسنات هذا الإمام أنه أحيا في الأمة الاهتمام بتمحيص الحديث الصحيح من
الضعيف، سواء في كتب الحديث والفقه وغيرهما، كما أشاع مبدأ التقيد بالسنة
والحذر من البدعة، ونصرة العمل بالدليل، أشاع هذه الأمور في طبقات تجاوزت العلماء
وطلبة العلم إلى عموم المثقفين ومحبي السنة، ولما كان سماحته بهذه المترلة، كان من
حقه على طلبته ومحبيه أن يبروه ويبرزوا مناقبه وأخباره، ويحتسبوا في ذلك خدمة للسنة
المطهرة ورجالها وقد كثرت بحمد الله الكتابات المنوّهة بفضله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَقِيلٍ الْعَقِيلُ

التاريخ

و ممن اهتم بذلك فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان وفقه الله فقد قام بإعداد ترجمة ضافية للشيخ الألباني، في مجلد كبير، أجاد فيها وأفاد، واستوعب أبرز ما كتب عنه وزاد عليه حتى أصبح كتابه جامعا وشاملا لمن أرد معرفة أخبار هذا العلم الجليل، وقد أهداني نسخة منه واطلعت على عدة مواضع منها ووجدته قد استوعب في هذه السيرة الجميلة مواقف الإمام الألباني، وما جرى له في أول حياته، و أوسطها وآخرها، منذ كان يصلح الساعات في أول عمره، ثم صبره على طلب العلم ورحلاته فيه، وصور مما ابتلي به أيام سجنه، ثم ذكر ما فتح الله عليه من التبحر في علوم الحديث الشريف وغيرها ثم ذكر مؤلفاته النافعة و ذكر أنها بلغت 218 مؤلفا ما بين تأليف وتخريج وسرد أسماءها تباعا ما بين كبير ومتوسط وصغير مما تداوله الناس وانتفعوا به في أيام حياته وبعد وفاته وأخيرا وصيته المتضمنة العديد من الفوائد والاعتبار ثم مرضه الأخير ووفاته رحمه الله واني أهني سماحة المترجم له بما فتح الله عليه من هذا العلوم النافعة وأهني فضيلة المترجم بما يسر الله له من جمع هذه الترجمة الحافلة وأوصيه بطبعها ونشرها لعل الله أن ينفع بها المؤلف والكاتب والقاري والمستمع وما ذلك على الله بعزيز، وأن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة والله واسع عليم، وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقا حامد الله مصليا مسلما على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

كتب التراجم

كلام أهل العلم في العناية بمقام التراجم للأئمة الأعلام واضح وجلي، وذلك لمنزلة أولئك الأعلام؛ لعظيم أثرهم ونفعهم لمجتمعاتهم خصوصاً وللناس عموماً؛ لهذا وغيره كثرت كتب التراجم وتنوعت أساليب التصنيف فيها -كما سيأتي-.

شاهد المقال: أن تراجم العلماء تبرز الغائب في مقام الشاهد، فيحظى القارئ لتراجمهم بمعايشتهم من خلال معرفته بأحوال أولئك؛ ومن شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر:

قول ابن خَلَّكان في «وفيات الأعيان»: «لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم؛ ليطلع على حالهم من يأتي بعدي»^(١).

وهذا ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ «معجم الأدباء» يقول: «فهذه أخبار قوم عنهم أخذ علم القرآن المجيد؛ والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتم الإسلام، وباستنباطهم يُعرف الحلال من الحرام»^(٢).

وهذا الغبريني (المتوفى عام ٧١٤هـ) يقول في مقدمة كتابه «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»: «وذلك بحيث يعلم طالب

(١) «وفيات الأعيان» المقدمة (١/ ٢٠).

(٢) «معجم الأدباء» (١/ ٣٢).

العلم الأئمة الذين بهم يُقتدى، وبسلوك سننهم السوي يُهتدى»^(١).

ما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في كتابه «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» يعني: الشافعي - رحمه الله تعالى -، حيث قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله الذي جعل نجوم السماء هداية للحيارى في البر والبحر من الظلماء، وجعل نجوم الأرض وهم العلماء هداية من ظلمات الجهل، وفضل بعضهم على بعض في الفهم والذكاء، كما فضل بعض النجوم على بعض في الزينة والضياء»^(٢).

إذا عُلِمَ هذا فيقال:

إن معرفة أخلاق العلماء ومعرفة سيرهم مكسب كبير، وتجارة رابحة لطالب العلم، فإذا قرأ طالب العلم تراجم أولئك الأئمة الأعلام ازداد بصيرة وتنوراً في سلوك طريقه، وفي المقابل يعلم مكان النقص والخلل في ذاته وسيرته.

إن معرفة سير العلماء والحرص على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجهودهم سنة ماضية عند أهل العلم المتقدمين والمتأخرين، يشهد لهذا ويؤكد عشرات - بل مئات - الكتب المتضمنة في مجموعها لآلاف التراجم.

وقد تفنن أهل العلم - رحمهم الله - في تصنيفهم لكتب التراجم، فمنهم من أفرد ترجمة مستقلة عن إمام معين، مثل: الإمام الموفق بن أحمد المكي حينما أفرد ترجمة مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة^(٣) - رحمه الله تعالى -، وفعل مثله الكردي^(٤)، فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة، والصيمري له كتاب «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

(١) «عنوان الدراية» (ص ١٩ - ٢٠).

(٢) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» (ص ٢٥).

(٣) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».

(٤) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».

وهذا الإمام القاضي عيسى الزواوي أفرد مصنفًا مستقلًا في ترجمة الإمام مالك - رحمه الله تعالى -.

وأفرد الأئمة: ابن أبي حاتم الرازي^(١)، والبيهقي^(٢)، وابن كثير^(٣)، وابن حجر^(٤)، مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي رحمَهُمُ اللهُ.

وهذا الإمام ابن الجوزي أفرد مصنفًا مستقلًا في مناقب الإمام أحمد رحمَهُمُ اللهُ. ونحا بعض أهل العلم منحى آخر، فأفردوا كتبًا مستقلة في ترجمة طبقة معينة يشتركون في عصر أو قطر أو علم أو مذهب، فهناك من أفرد بعض أتباع المذاهب بمصنف مستقل، مثل:

«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات اللكنوي.
و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين عبد القادر الدارمي.
و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي.
و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.

و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي.
و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني.
و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى.
و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب.
و«ذيل» ابن عبد الهادي على «طبقات» ابن رجب.

(١) واسم كتابه «آداب الشافعي ومناقبه».

(٢) واسم كتابه «مناقب الشافعي».

(٣) واسم كتابه «مناقب الإمام الشافعي»، قال الحافظ ابن كثير: «أفردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا «طبقات الشافعية»». انظر: مقدمة المحقق (ص ١٨).

(٤) واسم كتابه «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس».

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفن والتخصص: طبقات المفسرين، وقد صنف فيها الداودي والسيوطي.
وطبقات المحدثين، مثل: «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأصبهاني.
وطبقات الحفاظ، وقد صنف فيها الإمام الذهبي كتاباً سماه: «تذكرة الحفاظ».
وطبقات القُرَّاء، وقد صنف فيها الإمام الذهبي أيضاً كتاباً سماه: «معرفة القراء الكبار».

وطبقات النحاة، وقد صنف فيها السيوطي كتاب «بغية الوعاة».
وطبقات الأطباء، وصنف فيها ابن أبي أُصيبعة... وهلم جرّاً.
وكما سلف آنفاً، فمنهم من أفرد علماء قطر معين، ك:
«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر.
و«تاريخ -أو: أخبار- أصفهان» للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني.
و«تاريخ حلب» لابن العديم، واسمه «بغية الطلب في تاريخ حلب».
و«تاريخ إربل»^(١) لابن المستوفي.
ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر:
«تاريخ الإسلام» للذهبي.
و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر.
و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني.
إلى غير ذلك من أنواع التراجم.

(١) إربل: بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة ولام، بوزن «إثمد»، انظر: «معجم البلدان» (١/ ١٣٧).

وأخيرًا:

فهذا كتاب يجمع أخبارًا موجزة عن محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-، وهذا من باب البرّ به، ورد شيء من الجميل تجاه ما قدّمه للإسلام والمسلمين.

ومما يحسن ذكره في هذه المقام: قول سماحة الشيخ ابن باز في جوابه للشيخ محمد الشيباني عندما عزم الشيباني على كتابة ترجمة موسعة للإمام الألباني، فقد جاء في خطاب سماحته ما نصه:

«...وقد أحسنتم فيما عزمتم عليه من كتابة ترجمة له توضحون فيها جهوده وأعماله الجليلة، فجزاكم الله خيرًا وسدد خطاكم، ومنحكم التوفيق فيما عزمتم عليه، وبارك في جهود أئمتنا وصاحبنا العلامة الشيخ محمد ناصر الدين وزاده من العلم والهدى ونصر به الحق، وجعلنا وإياكم وإياه من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم»^(١).

وعودًا على بدء أقول:

في هذا الكتاب سأذكر أخبارًا ووقائع في حياة محدث العصر الألباني -رحمه الله تعالى- وبعض ما قيل عنه، وسأجعلها مصنفة تحت عناوات؛ ليكون الحديث أكثر وضوحًا، وأكثر استجماعًا للفائدة، وأما حياة الشيخ وترجمته الزمنية التفصيلية فحرصت على أن تكون مما قاله هو بنفسه؛ لأن ذلك من السند العالي، وقد أزيد على ذلك، مع العلم أنه قد كُتب عن هذا الإمام كثير في حياته وبعد مماته، ولكن كما سبق أنفاً كتبت هذا من باب رد الجميل لهذا الإمام لما استفدت من كتبه.

(١) انظر: صورة الأصل في كتاب «الألباني حياته وآثاره» (٢/ ٩٢٥) للشيباني.

والقصد من ذكر هذه المواقف والأخبار أن يأخذ الإنسان الدروس والعبر، وأن يتبصّر فيها، وبخاصة طالب العلم المحب لهذا الإمام وإخوانه العلماء من أهل السنة، فعندما يعرف تلك المواقف يدرك كيف تمثل الشيخ السنة فيها، وكيف أقام الشيخ سيرته ونهجه على العلم الشرعي المؤصّل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح -عليهم رحمة الله تعالى-.

ومن باب قول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فإنني أشكر الله تعالى أولاً، ثم أشكر كل من قدم إليّ معلومة سواء كانت مسموعة أو مقروءة، شكر الله للجميع، وأجرى علينا أجر من قرأ وسمع واستفاد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد تكرم شيخني العلامة الفقيه عبد الله بن عبد العزيز العقيل فسمع كثيراً من الكتاب بقراءة تلميذه البار محمد زياد التكلة، فشكر الله تعالى للشيخ عبد الله قراءته وتقديمه وتلميذه البار قراءته على الشيخ برحابة صدر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

١٤٢٨/١١/١ هـ

نبذة من سيرته منتقاة مما قاله وكتبه

وُلد ناصر الدين في مدينة «أشقودرة» عاصمة ألبانيا عام ١٩١٤، احتضار أوائل القرن التاسع عشر، في أسرة فقيرة بعيدة عن الغنى، متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فقد تخرج والده الحاج نوح نجاتي الألباني في المعاهد الشرعية في العاصمة العثمانية الأستانة قديماً، والتي تعرف اليوم بإستانبول، ورجع إلى بلاده لخدمة الدين، وتعليم الناس ما درسه وتلقاه، حتى أصبح مرجعاً تتوافد عليه الناس للأخذ منه.

وبعد أن تولى حكم ألبانيا الملك «أحمد زوغو» سار بالبلاد في طريق تحويلها إلى بلاد علمانية، تقلد الغرب في جميع أنماط حياته، فطلع عليها بتغيرات اجتماعية كانت صدمة هزت أركان تلك البيئة المحافظة المطبوعة بالطابع الإسلامي، فأخذ يسير وفق خطوات أتاتورك أحد معاول هدم الخلافة الإسلامية.

فألزم المرأة الألبانية المسلمة بنزع الحجاب قسراً، وألزم الرجال بلبس اللباس الأوربي - كالبنطلون والقبعة - كالحال في تركيا من سقوط الخلافة سنة ١٩٢٢ إلى يومنا هذا.

ومنذ ذلك اليوم بدأت هجرة الذين يريدون دينهم ويخافون سوء العاقبة، فتوجس والد^(١) الشيخ خيفة وتوقع أن يسوء الحال أكثر من ذلك، فقرر الهجرة

(١) توفي - رحمه الله تعالى - نحو سنة ١٣٧٢ هـ، ودُفن في مقبرة الدحداح. «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩) حاشية (٢).

إلى بلاد الشام فراراً بدينه وخوفاً على أولاده من الفتن، ووقع اختياره على مدينة دمشق التي كان تعرف عليها من قبل في طريق ذهابه وإيابه من الحج، ودفعه إلى ذلك ما ورد في فضل هذه البلاد من الأحاديث ودعاء الرسول ﷺ.

بداية تلقيه للعلم:

بدأ الغلام المهاجر من ألبانيا دراسته في الشام، وأول ما بدأ بدخول مدرسة الإسعاف الخيرية الابتدائية بدمشق، وكان مقرها بجوار البناء الأثري المشهور بقصر العظم في حي البزورية، واستمر على ذلك حتى أشرف على نهاية المرحلة الابتدائية، وفي هذه الأثناء هبت أعاصير الثورة السورية بالفرنسيين الغزاة، وأصاب المدرسة حريق أتى عليها، فانتقلوا عنها إلى مدرسة أخرى بسوق «ساروجه» وهناك أنهى الشيخ دراسته الأولى.

ونظراً لسوء رأي والده في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة، ووضع له برنامجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد والصرف وفقه مذهب الحنفي، وقد ختم على والده القرآن بالتجويد. كما أنه تلقى بعض العلوم الدينية والعربية على بعض الشيوخ من أصدقاء والده، مثل: الشيخ سعيد البرهاني، إذ قرأ عليه كتاب «مراقي الفلاح» وبعض الكتب الحديثة في علوم البلاغة.

أخذ الشيخ إجازة في الحديث من الشيخ راغب الطباخ علامة حلب في زمانه، وذلك إثر مقابلة له بوساطة الأستاذ محمد المبارك الذي ذكر للشيخ الطباخ ما يعرفه من إقبال الفتى على علوم الحديث وتفوقه فيها، فلما استوثق من ذلك خصه بإجازته تقديرًا واعترافاً^(١).

(١) قلت: ومن مشايخ الإمام الألباني أيضاً الشيخ بدر الدين الحسني، فقد حضر له الشيخ بعض الدروس في شبابه.

قال -رحمه الله تعالى- عندما سئل: هل كان يحسن اللغة العربية عندما هاجر إلى دمشق مع والده وأهله؟: «لا أعرف من اللغة العربية شيئاً، بل كنت لا أعرف من الأحرف العربية شيئاً، من أجل أنه لم يكن هناك عناية من الوالد رَحِمَهُ اللهُ في تعليمنا، مع أنه كان إمام مسجد، وربما كان شيخ كُتَّاب، فلما جئنا إلى دمشق ما كنا نعرف شيئاً من القراءة والكتابة، كما يقولون عندنا في سورية: ما نعرف الخمسة من الطمسة، ولا الألف من النفطية، النفطية: هي العصا التي يستعملها شيخ الكُتَّاب حينما يريد أن يصطاد آخر ولد يعبث هناك يطوله بها، وكانت المدرسة هناك مدرسة أهلية لجمعية خيرية اسمها: جمعية الإسعاف الخيري، فهناك بدأت تعليمي، وبطبيعة الحال بسبب مخالطة الطلاب كان تعليمي للغة العربية -أو بالأحرى اللغة الشامية- أقوى من الذين لم يكونوا منتمين إلى المدرسة، وأذكر جيداً يبدو لتقدمي في السن بالنسبة للطلاب الابتدائيين، فقد تجاوزت السنة الأولى والثانية في سنة واحدة، ولذلك حصلت على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات، ويبدو أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد فطرني على حب اللغة العربية، وهذا الحب هو الذي كان سبباً كسبب مادي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميزاً متفوقاً على زملائي من السوريين في علم اللغة العربية ونحوها.

وأذكر جيداً أن أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملة أو بيت شعر على اللوح ويسأل الطلاب عن إعراب تلك الجملة أو ذلك البيت يكون آخر من يطلب منه هو الألباني، وكنت يومئذٍ أعرف بـ «الأرناؤوط»، أما كلمة «الألباني» فحينما خرجت من المدرسة وبدأت أكتب؛ لأن كلمة «الأرناؤوط» تشبه أو تقابل كلمة «العرب»، وكما أن العرب ينقسمون إلى شعوب ففيهم: المصري، والشامي، والحجازي، إلى آخره، كذلك الأرناؤوط ينقسمون إلى: ألبان، وإلى الصرب من يوغسلافيا، وإلى بوشناق، فإذن بين كلمة «الألبان»، وكلمة «الأرناؤوط» عموم

وخصوص، فالألبان أخص من الأرناؤوط.

فكان أستاذ النحو يخرجني آخر واحد إذا عجز الطلاب عن الإعراب وينادي بي: أيه يا أرناؤوط إيش تقول؟ فأصيب الهدف في كلمة واحدة، فيبدأ يعير السوريين بي ويقول: مش عيب عليكم؟ هذا أرناؤوطي؟ وهذا من فضل الله عليّ»^(١).

ومع دراسة الشيخ فقد كان يتكسب، فقد قال: «...وفي الوقت نفسه كنت أتعاطى مهنة النجارة، والتي تسمى اليوم بالنجارة العربية، وتخرجت من معلمين اثنين في النجارة أحدهما خالي اسمه إسماعيل رَحِمَهُ اللهُ عملت معه سنتين، والآخر سوري يعرف بأبي محمد أيضاً عملت معه سنتين.

وكان عملي معهما في الغالب في تصليح وترميم البيوت القديمة؛ لأن البيوت القديمة في الشام كانت من الخشب واللبن، فكانت مع مضي الزمن والأمطار والثلوج ونحو ذلك تنهار بعض الجوانب من تلك الدور وتحتاج إلى نجار عربي يصلحها؛ فكنت أخرج معه، ففي أيام الشتاء في الغالب كنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً، فأمر على والدي وكان يتعاطى هو مهنة تصلح الساعات من بلده. ذات يوم قال لي وقد رجعت من معلمي، وقد شعر بأنه لا يوجد عمل في ذلك اليوم؛ لأن اليوم كان غائماً: الظاهر ما في شغل اليوم؟ قلت: نعم ما في شغل.

قال: شو رأيك أنا شايف أن هذه الشغلة ما هي سهلة ولا هي مهنة؟ شو رأيك تشتغل عندي؟ قلت له: كما تريد.

(١) من تسجيل «ترجمة الألباني» لأبي إسحاق الحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٨-٩).

قال لي: يالا اصعد، وكانت دكانته مرتفعة عن الأرض كان يخشى من الرطوبة.

ومن يومها لزمته حتى تخرجت في المهنة من عنده، وفتحت دكاناً خاصاً بي...»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «...في العهد العثماني كان يصلي الإمام الحنفي قبل الإمام الشافعي، سواء في المسجد الكبير -المسجد الأموي- أو في غيره من المساجد، كمسجد التوبة هذا.

ثم لما تولّى رئاسة الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الذي هو ابن الشيخ بدر الدين الحسيني المعروف بأنه كان محدثاً في عصره، فهو بالنظر إلى أنه كان شافعي المذهب فأصدر أمره السامي بأن يصلي الإمام الشافعي قبل الإمام الحنفي، وهكذا نفذ كما هو طبيعة الأمر هذا الصادر من ولي الأمر كما يقولون، نفذ هذا الأمر في كل المساجد، ومنها مسجد التوبة؛ فكان الإمام الشافعي يصلي قبل البرهاني الحنفي.

فلما تفقّهت أنا وعرفت أن الجماعة الثانية لا أصل لها في السنة...صرت أصلي وراء الإمام الشافعي -الإمام الأول- وإذا بها تقوم قيامة والذي بسبب هذه المخالفة، أولاً لمذهبه، وثانياً لفعله؛ فإنه يتأخر ليصلي مع الإمام الحنفي البرهاني، لكن هو ماضٍ في سبيله وأنا ماضٍ في سبيلي.

ثم سافر الشيخ البرهاني في حج أو عمرة -ما أذكر- فأنا وبوالدي بأن يصلي مكانه، فكنيت لا أصلي خلفه؛ لأنه لا فرق عندي بين البرهاني وبين والدي؛ لأن

(١) من تسجيل «ترجمة الألباني» لأبي إسحاق الحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٩-١٠).

كلاهما يتأخر عن الجماعة الأولى، فكنت أدع والدي يصلي الجماعة الثانية وأصلي أنا مع الإمام الأول.

ثم جاءت فيما بعد كما يقال: ضغثاً على إِبَّالة، وقضي لوالدي أن يغيب عن البلد يوماً أو يومين، فطلب مني أن أصلي بديله -يعني: الجماعة الثانية- فأبيت عليه وقلت له: أنت تعرف رأيي في الموضوع، وصعب جداً أن أخالف رأيي. توفرت عدة قضايا، مما أثار حفيظة والدي عليّ.

ف ذات يوم ونحن على طعام العشاء قال لي بلسان عربي مبين -بعد بيان منه عن الوضع الذي أعيشه أنا معه من حيث مخالفتي إياه- قال: إما الموافقة وإما المفارقة. فقلت له: أمهلني ثلاثة أيام حتى أفكر في الأمر. قال: لك ذلك.

فجئت بالجواب: ما دام أنك خيرتني فأنا أختار أن أعيش بعيداً عنك حتى لا أزعجك بمخالفتي لمذهبك، وكان كذلك؛ فخرجت من عنده ولا أملك درهماً ولا ديناراً، وأذكر جيداً أنه قدم إليّ خمساً وعشرين ليرة سورية فقط لما خرجتُ من البيت، لكن أنا في هذه المدة كلها كنت أسست نواة من الإخوان السلفيين، وكان أحدهم له حانوت يبيع فيه حبوب القمح والشعير والفول ونحو ذلك، وكان في نفس المكان الذي أنا استأجرت فيه دكاناً لي، فأقرضني مائتي ليرة سورية حتى استطعت أن أستأجر المحل، وكان عند والدي بعض الآلات القديمة التي لا يستعملها وليس بحاجة إليها فأعطاني إياها، فاستقلت في العمل.

ومن فضل الله عليّ أنني كنت دقيقاً في مهنتي وناصباً فيها، فكثرت الزبائن، ويقولوا عندنا بالشام: وقال الكريم خذ رب العالمين.

وكنت قد جاوزت العشرين من عمري؛ لأن كتابي الذي أعزو إليه أحياناً باسم «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» لما أنهيته كان

عمري إحدى وعشرين سنة أو اثنتين وعشرين.

والمقصود: هناك استقلت في عملي وفي فكري، وكنا نقيم دروسًا في الليل عند بعض الإخوان، وفيما بعد لما اتسعت دائرة الدعوة استأجرنا مقرًا فكنا نلقي فيه دروسًا في الحديث، وفقه الحديث، ومصطلح الحديث... وهكذا^(١).

- وسئل عن كيفية جمعه بين المهنة وتحصيل العلم، فأجاب:

«هذا أمر - الحمد لله - من توفيقات الله وَجَّهَ».

كما قلت: حين كنت عند والدي أغتنم فرصة فراغ وعدم وجود عمل عند والدي كنت أنطلق إلى السوق وإلى ذلك المصري لأقلب ما عنده من كتب، فيما بعد أصبحت حُرًّا طليقًا لما استقلت في الدكان، ويبدو أن ربنا وَجَّهَ فطرني على القناعة، وبخاصة حينما أسست لي دكانًا وأسست لي دارًا، فتخلصت من أجرة الدار والدكان.

وقلت آنفًا: إني لما خرجت من عند والدي واستقلت بدكاني وعملي وقال الكريم خذ، يعني كثرت الزبائن، فوفرت ما استطعت به أن أشتري قطعة أرض خارج التملك تكون رخيصة... دار متواضعة، فتخلصت من أجرة السكن، ثم وفرت شيئًا، وأعانني أيضًا بعضهم قرضًا حسنًا فاشتريت قطعة أرض بقية دار كان مر عليها الطريق فبقي مكان منها لدكان، وسكنت فيها واستغنيت، فما بقي عليّ إلا مقدار ما أعول به نفسي وزوجتي ثم أولادي.

لهذا؛ بعد أن استقلت هذا الاستقلال كنت أعمل في دكاني ساعة أو ساعتين من الزمن إلى الساعة الثامنة أو التاسعة حينما تفتتح المكتبة الظاهرية أبوابها، فأغلق الباب وأنطلق إلى المكتبة الظاهرية ثلاث ساعات على الأقل قبل الظهر،

(١) من التسجيل السابق، انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٨-١٩).

ثم أصلي الظهر هناك جماعة مع بعض المترددين على المكتبة، فإذا أغلقت أبوابها ذهبت إلى دكاني، عملت فيه نصف الساعة إلى أن يحضر وقت الغداء فأذهب إلى الدار.

وكنت اشتريت دراجة عادية فأركبها، وللتاريخ أقول: لأول مرة رأى الدمشقيون شيخاً بعمامة بيضاء مكورة يركب دراجة عادية، وكنت يومئذ متعمماً بناء على الأفكار المذهبية السابقة وبعض الأحاديث الضعيفة، بل الموضوعية: «صلاة بعمامة تفضل سبعين صلاة بغير عمامة».

وكنت ألبس أيضاً جُبَّة، لكن مع الزمن عرفت أن هذه التقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، فطاحت الجبة وطاحت العمامة، وأخذت ألبس ما يلبس الناس. المقصود: كنت أقنع من العمل بالشيء القليل، وأوفر سائر وقتي للمكتبة الظاهرية.

ثم في فترة من فترات العمل في الدكان تعرف عليّ رجل فلسطيني من المهاجرين إلى دمشق، فعرض عليّ أن يضع ابناً له ليتعلم المهنة، فهذا كان أيضاً يُعِينني، فتوفر أيضاً بواسطته شيء من الوقت، فبهذه الصورة كنت وفرت وقتاً طويلاً لدراسة العلم ودراسة المكتبة الظاهرية.

وكذلك كان مما يسر الله لي بعض المكتبات الخاصة التي تباع الكتب للناس، فكانت تعيرني ما ليس عندي، فكنت آخذ الكتاب والكتابين وأكثر من ذلك من المكتبات الخاصة وأدعها عندي في الدكان، حتى إذا لم يبق عند المعير نسخة أخرى وجاء شخص يريد أن يشتري التي عندي يرسل لي خبراً فأرسل إليه النسخة، وقد تبقى النسخة عندي سنين لا أحد يطلبها، خاصة علم الحديث كما تعلم كان أمراً مهجوراً.

فمكتبة الظاهرية، ومكتبة القصبياتي، والمكتبة العربية الهاشمية كانت أيضاً

من الأسباب التي سخرها الله لي حتى انتفعت بكتب أصحابها كما لو كانت من ممتلكاتي»^(١).

- وسئل رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَجَرَةٌ مَخْصُصَةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَكَيْفَ تَوْصِلُ إِلَى الْحَصُولِ عَلَيْهَا؟ فَأَجَابَ:

«لَا أَذْكَرُ الْآنَ جَيِّدًا، إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِسَبَبِ شُعُورِ الْمَسْئُولِينَ فِي الْمَكْتَبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ أَنِّي رَجُلٌ هَآؤِ لِلْعِلْمِ، فَكُنْتُ أَجْلِسُ فِي الْقَاعَةِ الْعَامَةِ فَأَقُولُ: يَا أَبَا مَهْدِي أَعْطِنِي - طَبْعًا بَوْصَل - الْكِتَابَ الْفُلَانِي الْمَخْطُوطَ يَعْنِي، فَلَا أَكَادُ أَنْتَهِيَ مِنْهُ إِلَّا أَطْلُبُ كِتَابًا ثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا... فَأَحْيَانًا كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدِي كَوْمٌ مِنَ الْمَخْطُوطَاتِ عَلَى الطَّائِلَةِ، وَالطَّائِلَةُ وَضَعَتْ لِأَرْبَعَةِ أَشْخَاصٍ: اثْنَانِ فِي جِهَةٍ وَاثْنَانِ فِي الْجِهَةِ الْآخَرَى.

فَبِحَكْمِ هَذَا الْوَاقِعِ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الطَّلَابِ أَنْ يَأْتِيَ لِيُشَارِكَنِي فِي الْجُلُوسِ عَلَى هَذِهِ الطَّائِلَةِ، بَلَا شَكٍّ هَذَا يُوجِدُ شَيْئًا مِنَ الْإِعْتِرَاضِ مِنَ الطَّلِبَةِ، خَاصَّةً فِي أَوْقَاتِ الْإِمْتِحَانِ.

فَكَانَ الْمَسْئُولِينَ هُنَاكَ وَجَدُوا حَلًّا لِلْمَشْكِلَةِ، عِنْدَهُمْ غُرْفَةٌ مَظْلَمَةٌ لَا تَصْلُحُ لِتَكْدِيسِ الْحَطَبِ فِيهَا، فَعَرَضُوا عَلَيَّ ذَلِكَ وَجَعَلُونِي فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ، وَوَضَعُوا لِي مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ كَمَرَاجِعٍ حَتَّى مَا أُتْعِبَ الْمَوْظُفِينَ هُنَاكَ: هَاتِ الْكِتَابَ الْفُلَانِي... وَخُذِ الْكِتَابَ الْفُلَانِي، حَتَّى بَعْضُ الْمَخْطُوطَاتِ تَرْكُوهَا عِنْدِي.

هَذَا هُوَ الْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الْأَغْلَبُ عَلَيَّ ظَنِّي؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ بَعْدَ عَنِّي. الْإِحْتِمَالُ الثَّانِي: أَنَّ كَلِيَّةَ الشَّرِيعَةِ فِي الْجَامِعَةِ السُّورِيَّةِ عَقَدُوا عِدَّةَ اجْتِمَاعَاتٍ وَقَرَرُوا أَنْ يَضَعُوا نَوَافِدَ لِمَوْسُوعَةِ الْحَدِيثِ، وَمَعَ الْأَسْفَافِ أَقُولُ: لَا يَجِدُونَ مِنْ

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٠-٢٢).

دكاترتهم من يقوم بهذا الأمر، فأرسلوا لي للتداول في الموضوع، فالتقيت معهم في الجامعة وعرضوا عليّ الفكرة وطلبوا مني أن أعمل في منهج وضعوه هم، وبعد المداولة في الموضوع اتفقت معهم على أن أعمل لهم في كل يوم أربع ساعات، وبقية الساعات لعملي الخاص، وبشرط أن يسمح لي في المكتبة الظاهرية بالدخول في أي وقت إن شئت من ليل أو نهار.

فقلت لهم: إذا كان المسئولون عن المكتبة يسمحون بذلك فأنا أعطيكهم كل يوم أربع ساعات: قالوا: نحن نكلم المدير المسئول هناك.

جاء أظن يومئذٍ - لا أذكر - مصطفى السباعي أو محمد المبارك وصعد إلي المدير المسئول وتحدثوا في الموضوع ثم أرسلوا لي وقالوا: نحن اتفقنا مع المدير على أن يأمر الحارس أنه كلما أتيت أنت يفتح لك الباب. وهكذا وفرت أربع ساعات لهم؛ فكنت أعمل في مشروع «موسوعة أحاديث البيوع».

الشاهد الآن: أن الحقيقة لا أستطيع أن أقطع هل بهذه المناسبة فرغوا لي هذه الغرفة أم من قبل ذلك، وهذا الذي يترجح عندي: إنما أعطوني هذا الإذن الخاص في الدخول متى شئت من ليل أو نهار.

فهذه قصة الغرفة التي تفردت بها دون جميع المطالعين هناك^(١).

- «كنت أستاذ مادة الحديث في الجامعة الإسلامية ما بين سنة ١٣٨١ هـ إلى نهاية سنة ١٣٨٣ هـ»^(٢).

- وسئل: كيف تم اختياركم للتدريس في الجامعة الإسلامية؟ لأن المعهود أن الدراسة الأكاديمية تحتاج إلى دكتوراه ونحو ذلك، فأجاب رَحِمَهُ اللهُ:

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٧-٢٨).

(٢) «صحيح الترغيب» (١/ ٦٠) نقلاً عن «حياة العلامة» (ص ١٥).

«هذه أول مرة أُسأل هذا السؤال، والذي يحضرني الآن للجواب أمران اثنان: الأمر الأول: أن الجامعة الإسلامية كانت حديثة عهد بالتدريس الجامعي، وخاصة في بلاد السعودية... هذا السبب الأول.

السبب الثاني: هو شهرة بعض المؤلفات ورضاء الجماعة هناك عنها، وفيما يبدو تقديرهم لها حق قدرها هو الذي دفعهم إلى أن يرسلوا إليّ وأنا ما طلبت ولم أطلب وعشت هكذا، والحمد لله، لا أطلب مهنة ما، فأنا منذ نعومة أظفاري كنت أكسب قوت يومي من كد يميني وعرق جبينني، وأنا في هذا الوقت جاءني طلب من الشيخ محمد بن إبراهيم حيث كان هو مفتي المملكة، وكان رئيس الجامعة يطلب مني الموافقة على تدريس مادة الحديث في الجامعة الإسلامية التي ستفتح أبوابها.

فتشاورت أنا مع إخواننا هناك الذين أثق في فهمهم وعلمهم، فقال لي أحدهم: جرب سنة فإن أنست من تدريسك خيرًا ظللت على الدراسة معهم ما كُتب لك.

والحقيقة أنني عندما ذهبت إلى هناك وجدت مناخًا رائعًا جدًا، لديهم استعداد لتقبل الدعوة أولاً، والمنهج العلمي الذي أنا فطرت عليه وظللت عليه ثانيًا^(١).

- قال - رحمه الله تعالى -: «... إن من توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ إياي أن ألهمني أن أعبد له أولادي كلهم، وهم: عبد الرحمن، وعبد اللطيف، وعبد الرزاق من زوجتي الأولى - رحمه الله تعالى -، وعبد المصور، وعبد المهيمن، وعبد الأعلى من زوجتي الأخرى، والاسم الرابع ما أظن أن أحدًا سبقني إليه على كثرة ما وقفت

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٣٠-٣١).

عليه من الأسماء في كتب الرجال والرواة، أسأل الله تعالى أن يزيدني توفيقاً، وأن يبارك في آلي: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِيَةٍ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. ثم رزقت سنة ١٣٨٣ هـ وأنا في المدينة المنورة غلاماً، فسميته «محمداً». ذكرى مدينته ﷺ عملاً بقوله: «تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي». متفق عليه^(١).

«وأولاد الشيخ بالترتيب يكونون كالتالي:

من زوجته الأولى:

١- عبد الرحمن. ٢- عبد اللطيف.

٣- عبد الرزاق.

ومن زوجته الثانية:

٤- عبد المصور. ٥- عبد الأعلى.

٦- محمد. ٧- عبد المهيم.

٨- أنيسة. ٩- آسية.

١٠- سلامة. ١١- حسانة.

١٢- سكيئة.

ومن زوجته الثالثة:

١٣- هبة الله.

وأما زوجته الرابعة فلم ينجب منها^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى-: «وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بياناً للتاريخ،

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٢٣) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص ٩-١٠).

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٨١).

وشكرًا لوالدي - رحمه الله تعالى - : وكذلك في الحديث^(١) بشرى لنا آل الوالد الذي هاجر بأهله من بلده «أشقودرة» عاصمة «ألبانيا» يومئذ فرارًا بالدين من ثورة «أحمد زوغو» الذي أزاغ الله قلبه، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه «أتاتورك» في الأتراك، فنجيت - بفضل الله ورحمته - بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره ولو عشت عمر نوح - عليه الصلاة والسلام -؛ فقد تعلمت فيها اللغة العربية السورية أولاً، ثم اللغة العربية الفصحى ثانياً، الأمر الذي مكّني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجهله أكثر العرب الذين كانوا من حولي، فضلاً عن أهلي وقومي إلا قليلاً منهم، ثم وفقني الله - بفضلته وكرمه دون توجيه من أحد منهم - إلى دراسة الحديث والسنة أصولاً وفقهاً...»^(٢).



(١) وهو حديث: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم». رواه أبو داود (٢٤٨٢).

(٢) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (٣٢٠٣) (٧/ ٦١٥-٦١٦).

الألباني الساعات

مهنة إصلاح الساعات أحسب أنها داخلة تحت قول النبي ﷺ: «أطيب كسب الرجل من عمل يده»، والإمام الألباني امتهن هذا الأمر طلباً للتكسب؛ فكانت تلك المهنة باب خير عظيم له.

يقول الإمام الألباني عن هذا الأمر مجيباً لمن سألته عن كيفية التوفيق بين تفرغه للعلم واشتغاله بتصليح الساعات ويبيعها - قال ما نصه -: «إن ذلك صحيح، ومن توفيق الله تعالى وفضله عليّ أن وجّهني منذ أول شبابي إلى تعلم هذه المهنة، ذلك لأنها حُرّة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم - ما عدا الثلاثاء والجمعة - ثلاث ساعات زمنية فقط، وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعالي وأطفالي على طريقة الكفاف طبعاً، فإن من دعائه - عليه الصلاة والسلام - «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً». رواه الشيخان، وسائر الوقت أصرفه طلب العلم والتأليف ودراسة كتب الحديث، وبخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإنني أأزّم هذه المكتبة ملازمة موظفيها، ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات إلى ثماني ساعات يومياً على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها»^(١).

ومن ضعف نظر بعضهم بل من جهالته أو حقه - عياداً بالله - تنقص الإمام

(١) «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (ص ٤٨-٤٩).

بهذه المهنة، ولو أن هذا قلب بعض كتب التراجم لرأى أن كثيرًا من العلماء كانت لهم حرف يتكسبون بها، ألم يقرأ: الزيات، الدهان، الخياط، بل قبل ذلك كله أنبياء الله ﷺ؛ فقد كان داود عليه السلام حدادًا، وكان زكريا عليه السلام نجارًا، وللعلم كانت النجارة هي المهنة الأولى للشيخ الألباني.

قال الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله تعالى -: «إن الشيخ الألباني درس العلم دراسة وافية، واتخذ إصلاح الساعات معيشة له كما يفعل الأئمة الأوائل، فإن كل واحد منهم له صنعة لمعيشته، فمثلاً أبو حنيفة كان قماشاً»^(١).

قلت: وللفادة ينظر في هذا الموضوع كتاب «الطرفة فيمن نسب من العلماء إلى مهنة أو حرفة». إعداد: عبد الباسط بن يوسف الغريب.

لطيفة: قال الإمام الألباني - رحمه الله تعالى -: «دقتي هذه استفدتها من مهنة الساعات»^(٢).



(١) كتاب «المجموع» (٢/ ٦٢٣).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٧).

الحادثة التي غيرت مجرى تاريخ حياة الألباني

قبل ذكر تلك الحادثة أصدر هذا المبحث بمقدمة ونتيجة ومثالين:

فأما المقدمة: فإن من المعلوم أن للخير -ولو كان يسيراً- ثماراً حميدة فإن كان الخير قاصراً على فرد واحد في ذلك خير له، وإن كان الخير متعدد إلى أفراد كان الخير مشاعاً بينهم، وقد يفضل بعضهم على بعض ولا ينقص من أجور المفضل شيئاً، وقواعد هذا مقررّة في نصوص الشريعة.

وأما النتيجة: فعلى المسلم ألا يزهد في خير يعمل به مهما كان يسيراً ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وكما قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً».

فرب كلمة خير مسموعة من فيك أو مقرأوة من قلمك تنفع فرداً أو قومًا في حياتك أو بعد مماتك، فيجري عليك من الأجور بسبب تلك الكلمة ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ويبقى باب الأجر لك مفتوحاً ما دام النفع مستمرًا؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

بعد هذا أسوق لك مثالين هما بمثابة مفتاحين صغيرين لبابين كبيرين من أبواب الخير.

أما المفتاح الأول: فكلمة ألقاها شيخ على تلاميذ له فجعل الله تعالى من تلك الكلمة شجرة طيبة تنفياً ظلالها ونعم بثمراتها كما نعم بها من قبلنا وسينعم بها من بعدنا، وإليك الخبر:

مر إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ عَلَى ثَلَاثَةِ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فَقَالَ لَهُمْ: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ كِتَابًا فِيمَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الطَّلَبَةِ وَكَانَ حَدِيثُ السَّنَنِ: فَوْقَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي، فَشَرَعَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي تَصْنِيفِ مَا أَشَارَ بِهِ إِسْحَاقُ، فَكَانَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ كِتَابُ «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ». وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ شَهْرَةَ الشَّمْسِ فِي النَّهَارِ بِـ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ».

وَأَمَّا الْمِفْتَاحُ الثَّانِي: وَهُوَ دُونَ الْأَوَّلِ: فَيَتَعَلَّقُ بِطَالِبِ عِلْمٍ صَغِيرٍ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يُعْنَى بِالتَّارِيخِ، فَكَتَبَ مَرَّةً وَرَقَةً وَنَاقَلَهَا شَيْخَهُ وَكَانَ بِجَانِبِ شَيْخِهِ شَيْخٌ آخَرٌ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الشَّيْخُ خَطَّ ذَلِكَ الْفَتَى قَالَ لَهُ: «خَطُّكَ هَذَا يُشَبِّهُ خَطَّ الْمُحَدِّثِينَ» قَالَ ذَلِكَ الْفَتَى: فَحَبَّبَ اللهُ إِلَيَّ عِلْمَ الْحَدِيثِ^(١).

فَأَصْبَحَ ذَلِكَ الْفَتَى مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ، حَتَّى قَالَ عَنْهُ تَلْمِيزُهُ السَّبْكِيُّ: «أَمَّا أَسْتَاذُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ فَبَصَرٌ لَا نَظِيرَ لَهُ، وَكَتَرٌ هُوَ الْمَلْجَأُ إِذَا نَزَلَتِ الْمَعْضَلَةُ، إِمَامُ الْوُجُودِ حَفْظًا، وَذَهَبُ الْعَصْرِ مَعْنَى وَلَفْظًا، وَشَيْخُ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَرَجُلُ الرِّجَالِ فِي كُلِّ سَبِيلٍ، كَأَنَّمَا جَمَعَتِ الْأُمَّةُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَنَظَرُهَا، ثُمَّ أَخَذَ يَخْبِرُ عَنْهَا إِخْبَارَ مَنْ حَضَرَهَا»^(٢).

ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي بَلَغَ تِلْكَ الرِّتَبَةَ هُوَ: الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ.

عُودًا عَلَى بَدْءِ: أَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ الَّتِي غَيَّرَتْ مَجْرَى تَارِيخِ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَلَنَتْرِكَ الْإِمَامَ نَفْسَهُ يَرُوي ذَلِكَ، فَذَلِكَ أَوْثَقُ فِي النُّقْلِ وَأَبْلَغُ فِي السَّمْعِ.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٦).

(٢) «السير» (١/ ١٦٩) مقدمة.

قال - رحمه الله تعالى - فيما حدث به عنه الشيخ محمد المجذوب: «أول ما أولعت بمطالعتة من الكتب القصص العربية؛ كالظاهر، وعنترة، والملك سيف.. وما إليها، ثم القصص البوليسية المترجمة كأرسين لوبين وغيرها، ثم وجدت نزوعاً إلى القراءات التاريخية.

و ذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدى أحد الباعة جزءاً من «مجلة المنار» فاطلعت عليه، ووقعت فيه على بحث بقلم السيد رشيد رضا يصف فيه كتاب «الإحياء» للغزالي ويشير إلى محاسنه ومآخذة...»^(١)، «...كصوفياته مثلاً، وكأحاديثه الضعيفة والواهية، وبهذه المناسبة ذكر أن لأبي الفضل زين الدين العراقي كتاباً وضعه على الإحياء خرج فيه أحاديثه وميز صحيحها من ضعيفها...»^(٢).

«...ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كله، ثم أمضي لأتابع موضوع تخريج الحافظ العراقي على الإحياء، ورأيتني أسعى لاستتجاره، لأنني لا أملك ثمنه، من ثم أقبلت على قراءة الكتاب، فاستهواني ذلك التخريج الدقيق، حتى صممت على نسخه...»^(٣).
«أو تلخيصه بعدما خططت في ذهني صوراً لنسخ التخريج الذي هو مطبوع على هامش «الإحياء».

بدأت أنسخ الأحاديث، ووضعت خطة هذه منها قائلاً: «إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة، هكذا في الإحياء، يقول الحافظ العراقي: وقد نقلته منه ولكني لم أجده هكذا، وفي الصحيحين من

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/٤٦).

(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٢).

(٣) «حياة الألباني» للشيباني (١/٤٦-٤٧).

حديث أبي هريرة: إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. انتهى كلام العراقي.

ولكن أنا ماذا فعلت؟ وضعت شرطة وأتممت الحديث من الصحيحين، واصطلحت على هذا حتى ما أنسب إلى الحافظ العراقي شيئاً ليس له، اصطلحت الزيادة التي أنقلها من الأصل الذي عزا الحديث إليه أضعه بين الشرطتين، ويومئذ كنت حديث عهد بالمطالعة، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لوضعت الأقواس التي جريت عليها في كتبي فيما بعد [بدل الشرطتين «--»].

الشاهد: بدأت بالنسخ، ثم وصلت إلى نصف المجلد الأول، ثم خطر في بالي خاطرة وذلك أثناء عملي بالأحاديث تمر بي بعض منها لا أفقه ألفاظها؟ وبالتالي لا أتبين المعنى المراد من الحديث كله، فقلت: لماذا لا أشرح كل هذه الألفاظ في الهامش، وتكون مذكرة لي ومساعدة على فهم الحديث؟

وبعد أن وصلت إلى نصف المجلد الأول ألقيته، ورجعت أنسخه من جديد على الخاطرة الجديدة، وكلما مررت بحديث فيه كلمة مغلقة عليّ أستعين بـ «غريب الحديث» لابن الأثير، وبـ «القاموس»، وأكتب المعنى في الهامش، حتى توسع الأمر وصار التعليق أكثر من المتن، وهكذا حتى انتهى الكتاب.

وهكذا جهدت حتى استقامت لي طريقة صالحة تساعد على تثبيت تلك المعلومات، وأحسب أن هذا المجهود الذي بذلته في دراستي تلك هو الذي شجعني وحبب إليّ المضي في ذلك الطريق، إذ وجدتهني أستعين بشتى المؤلفات اللغوية والبلاغية وغريب الحديث لفهم النص إلى جانب تخريجه، وهذا ما نفعتني كثيراً جداً.

والحقيقة كدت أقول: أنا أعجب من لطف الله بعباده، ولكن أشعر بأن الله كان ينقلني من خطوة إلى أخرى، الآن أقتطف ثمار ما كنت أولف وأخطط، وأنا لا أدري ما

وراء هذا التأليف وما وراء هذا التخطيط، والآن أقطف ثمار بعض التأليف، فأجد مادة غزيرة في مشاريعي العلمية الأولى، وذلك لوفرة النشاط والرغبة الملحة في متابعة البحث واستجمال روايات الحديث، وإن كنت -والحمد لله- لا زلت على النشاط والبحث، ولكن للشيخوخة حقها^(١).

ولقد سئل الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- عن عمره عند تلك الحادثة فذكر أنه دون العشرين، إما سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة^(٢).

ولم ينسَ الشيخ -رحمه الله تعالى- ذكر تلك الحادثة، بل كان يذكرها من باب رد الجميل إلى أهله.

بل اسمع إلى أبلغ من ذلك عندما قال: «... فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة ليطلع عليها من بلغته؛ فإنني بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رَحِمَهُ اللهُ عن طريق أعداد مجلته «المنار» التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم»^(٣).

وقال في موضع آخر: «والشاهد أن «مجلة المنار» هي التي فتحت لي الطريق للاشتغال بعلم الحديث»^(٤).

وفي خاتمة هذا المبحث أقول:

رحم الله الإمام الألباني فقد كان يشكر الناس -بعد شكر الله تعالى- فضلهم

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص ٢٨١-٢٨٢).

(٢) من تسجيل «ترجمة الألباني» للحويني، انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٢).

(٣) «حياة الألباني» (١/ ٤٠١).

(٤) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٠).

عليه، ويعزرو الفضل إلى أهله، وهذا المنهج - وهو «عزو الفوائد إلى أهلها» - كثرت فيه النقول عن الأئمة السابقين، فمن ذلك:

أخرج الحافظ ابن الجوزي عن عبد الغني بن سعيد المصري الحافظ قال: «لما وصل كتابي الذي عملته في أغلاط أبي عبد الله الحاكم أجنبي بالشكر عليه، وذكر أنه أملاه على الناس وضمن كتابه إلي الاعتراف بالفائدة، وبأنه لا يذكرها إلا عني، وأن أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثهم، قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد يقول: من شكر العلم أن تستفيد الشيء فإذا ذكر لك قلت: حقي على كذا وكذا، ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان كذا وكذا، فهذا شكر العلم»^(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير ألا ينتفع بعلمه ولا يبارك له في حال، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها، نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً»^(٢).

ومن باب إتمام الفائدة في هذا المبحث فقد تصفحت كثيراً من مجلدات «مجلة المنار» لإتحاف القارئ بذلك المقال الذي كان وقوف الشيخ عليه وقراءته له نقطة تحول في حياته، فوجدته في المجلد الثاني عشر، في الجزء الثاني عشر، الصادر في يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ، الموافق ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥ هـ - ١٩١٠ م.

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (٧/ ٢٩١)، وانظر: «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٧٨)، و«الإلماع» للقاضي عياض (ص ٢٢٩).

(٢) «بستان العارفين» (ص ١٢).

والمقال في (ص ٩١٢) بعنوان: «الأحاديث الموضوعة في كتاب الإحياء وروايتها».

وانظر ذلك أيضًا في «فتاوى محمد رشيد» (ص ٨٤٩-٨٥٠) فتوى رقم (٣٠٧).
وإليك صورة الصفحة الأولى من العدد المشار إليه، ثم صورة المقال:

{ الجزء الثاني عشر } ٨٨١ { المجلد الثاني عشر }

في حكمه يشاؤم ويؤتمن على كل صواب
بكره وبليد سكر لا أول إلا لب

المصاحف

١٣١٥

قد جادى القى يشون القول بغير راحة
أولئك الذين صاهم الله وأولئك هم أول الألب

قال عليه الصلاة والسلام : ان لا سلام سوى و « متار » كثار الطريق

{ مصر الثلاثا - سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٠م } (١٩١٠م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مكتسب في الدروس التي كان يلقاها في الاذهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبد رضى الله عنه

(١٩ : ١٤) وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ النُّفُوسَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشِيرُوا
عَلَيْنَ أَرْسَلْنَا مِنْكُمْ ، فَازْشَهِدُوا فَاْمَنِيكُمْ فِي الْيَوْمِ حَتَّى
يَتَوَقَّعَ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ سَبِيلًا (٢٠ : ١٥) وَاللَّذِ
يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَادْرُسْهُمَا ، فَانْكِحُوا بِمَا رَزَقْتُمَا ، إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا

قال البقاعي في تفسيره (نظم الدرر ، في تناسب الآيات والسود) بعد تفسير
الآيات السابقة ميتا وجه الاتصال بينها وبين هذه الآيات ما صرح به ولا قدم
(المارج ١٢) (١١١) (المجلد الثاني عشر)

(المنارج ١٢م ١٢) الأحاديث الموضوعة في كتاب الإحياء ٩١١

قال انها في حكم السندات والسفانج راعى الصورة ايضا من جهة والمعنى من أخرى ووجه قوله انها اوراق تؤخذ في مقابلة نقد ويسترجع مثل ذلك النقد باعادتها ، وغفل عن الفرق الكبير بينها وبين السندات بالمعنى الفقهي وهو ان السند يكون بدين على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الاسواق المالية فيشتري بها من كل احد كالقدين بلا فرق . . .

هذان القولان يتفقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلا عند من يقول ان الدين لازكاة فيه قبل قبضه و يترتب على الخلاف من المسائل المهمة ان جعل القراطيس المالية كالقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما يحزم به ومن قال إنها عروض تجارة منع الربا فيها وحينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضاعا مضاعفة بهذه الاوراق التي لا فرق بينها وبين الذهب عند أحد من المالين ، وكذلك القول بانها في حكم السندات قد يكون موصلا لا كل الربا ولتبع الزكاة ولا حاجة الى تفصيل فن نظر الى حقيقة المسألة في الواقع واحتاط لدينه اخذ بما قلناه والسلام

﴿ الاحاديث الموضوعة في كتاب الاحياء وروايتها ﴾

(ص ٤١) ومنه أيضا

حضرة العلامة المفضل سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء متعني الله بعزيز وجوده آمين

بعد اهداء أزكى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الافاضل مما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم ان كتاب الاحياء لسيدنا القرظالي مع جلالة قدره وعلو مرتبته ورسوخ قدمه في العلم لا يعتمد عليه في الحديث لذكره في كتابه المذكور جملة من الاحاديث الموضوعة » اه (ص ٢٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شحن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصا وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلم : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

٩١٢ الأحاديث الموضوعة في كتاب الإحياء (المناج ١٢م ١٢)

المنار - الى قولكم - ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والأزهريين) الى مطالعة الأحياء وغيره من كتبه (٨٥١ - ١٠ ص ٥٩٥)

وعليه فهل يجوز لمن لا يتميز له الصحيح من الضعيف أو نحوه رواية أو قراءة ما فيه من الأحاديث احتياطاً أم لا؟ تفضلوا سيدي ببيان الحق لئلا نكون في ريب مما أتى به حجة الاسلام من أحاديث سيد الانام لا زلتم في الجلال والكرام (ج) ان مقاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسند كذا في ترجمته التي نشرها في المنار فان لها قيمة صالحة، وان أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم ين في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمتكلمين والصوفية ولا سباً في عصره وبعده عصره، وانما عني بالحديث في آخر عمره . وقد جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الأحاديث المطعون في روايتها في عدة صحائف من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتاباً خاصاً في تخرج أحاديث الأحياء وهو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للأحياء وزاد عليه مباحث وفوائد واذا كان الامر كذلك فلا يجوز لغير العارف بالحديث المطلع على تخرج تلك الأحاديث ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يجوز برفضها الى النبي صلى الله عليه وسلم الاما اسنده الغزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المتبعة وهو فضل ذلك كثيراً في مقام الاحتجاج والاستدلال بمزو الحديث الى الصحيحين . أو كتب السنن، وأكثر ما فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الرغبة في العبادات والفضائل (كصلاة الرغائب في وجب وصلاة شعبان) أو الترهيب والتنفير عن المعاصي والردائل ، وهم يقساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازه . وحاش للغزالي من تصد ايراد الموضوعات وانما قل ما قل منها من الكتب التي أحسن الظن بموثوقيتها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فعظم الاخبار والأكثر الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الأحياء منقولة من ذلك الكتاب

(الجزء الحادي عشر) ٨٠١ (المجلد السابع عشر)
 في عادي الذين يستولون القوت فيلبول آمن
 أولئك الذين صدام القوا أولئك هم أولو الألب
 أولئك من اسك من يتاه ومن يون الملكة لاد
 أولئك من كنيما وما يذكر إلا أولو الألب
 ١٣١٥
 قال عليه الصلاة والسلام : ازلا لاج صوى وه منار ، كثار الطريق
 مصر سلخ ذي القعدة ١٣٣٢ هـ ق ٣٠ نظريف الثاني ١٢٩٣ هـ ش ١٩ أكتوبر ١٩١٤
 تفسير القرآن الحكيم
 (على الطريقة التي كان يتقيا في الأزهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)
 (٨٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
 بعد أن بين الله تعالى في آخر الآية السابقة ان ما أثاب به أولئك النصارى
 الذين آمنوا بالرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، هو جزاء جميع المحسنين عنده ،
 الذين آمنوا بما جاءهم وخشعوا للحق كخشوعهم ، عقب عليه بجزاء المسيئين الى انفسهم
 بالكفر والتكذيب ، على سنة القرآن في الجمع بين الوعد والوعيد ، قال :
 (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا ، وصدق رسولنا فيما
 يلقيه عنا ، (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) أي أولئك دون غيرهم هم اصحاب تلك
 النار العظيمة الملازمون لها ، الذين ليس لهم شئ سواها ، أعادنا الله منها
 (النار — ج ١١) - (١٠١) - (المجلد السابع عشر)

(المنار - ج ١١ م ١٧) استدلال الغزالي بالموضوعات على فضيلة الجوع ٨١٥

حد ما أباحه الله له . وإذا قصد المعتدل اتباع الشرع بأقامة سنة الفطرة وإعطاء كل ذي حق حقه من جسده ونفسه وأهله ، وشكر الله على نعمه باستعمالها كما ينبغي ، قلما يظن الناس لذلك منه ، ولا يكاد أحد يمد به كامل الدين معتصما بالفضيلة ، فهي فضيلة لا رياء فيها ولا سمعة ، وإنما المفرطون بتعمد التقشف هم الذين كثيرا ما يفترون بأنفسهم ويفترون الناس بهم ، فهم على انحرافهم عن صراط الدين ، يدعون أو يدعى فيهم أنهم أكل الناس في اتباع الدين .

أعوز هؤلاء النص على دعوى كون الغلو في التقشف من الدين ، فقلعوا يعض وقائع الاحوال من سيرة فقراء السلف الصالح على تصريحهم بأن وقائع الاحوال في السنة لا يستدل بها لإجمالها وتطرق الاحتمال اليها ، فكيف اذا كانت وقائع من لا يحتاج بقول أحد منهم ولا بفعله ؟

عقد أبو حامد الغزالي في احيائه كتابا سماه (كتاب كسر الشهوتين) — شهوة البطن وشهوة الفرج — وطريقته أن يبدأ في كل موضوع بما ورد فيه من الآيات فالأخبار النبوية فالآثار السلفية ، ونراه لم يجد آية يبدأ بها موضوع (بيان فضيلة الجوع وذم الشبع) فبدأه بأحاديث أكثرها لا يعرف المحدثون له أصلا قط ، وبعضها ضعيف أو موضوع . فمن هذه الأحاديث ما نذكره غير مستند إلى النبي (ص) وهي :
(١) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش (٢) لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه (٣) قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته (٤) سيد الاعمال الجوع ، وذلل النفس لبس الصوف (٥) البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة (٦) الفكر نصف العبادة ، وقلة الطعام هي العبادة (٧) أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا . وأبفضكم عند الله كل نويم وشروب (٨) لا تميئوا القلب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء .

قال الحافظ العراقي في تحريج أحاديث الإحياء عند كل حديث من هذه الأحاديث انه لم يجد له أصلا . وأقره المرتضى الزبيدي شارح الإحياء على ذلك

٨١٦ سنة النبي في الطعام والشراب (التار - ج ١١ م ١٧)

ومما أورده من الرويات في كتب المحدثين حديث أسامة بن زيد الطويل في وصف الزهاد الذي أوله عنده « إن أقرب الناس من الله عز وجل من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ، الأحنيا ، الاتقيا . (ومنه) أكلوا الملق ، والبسوا الخرق ، شعثا غبرا ، يراهم الناس فيظنون ان بهم داء ، وما بهم داء ، ويقال انهم قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم (وفي آخره) وان استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظآن فإني فإني بذلك تدرك شرف المنازل وتحمل مع النبيين » الخ فهذا رواه احمد في الزهد وابن الجوزي في الموضوعات وفي اسناده حبان بن عبد الله ابن جبلة أحد الكذابين وهو منقطع وأكثرت رجاله مجهولون ، وأسلوبه بعيد من أسلوب الرسول (ص) وهو في الكتب أطول منه في الاحياء ، وفي الاوصاف تقديم وتأخير

وجملة القول انه لم يورد في جملة تلك الاحاديث كلها من الصحاح الا حديث « المؤمن يأكل في مئة واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » هو في البخاري بلفظ « يأكل المسلم في مئة واحد والكافر في سبعة أمعاء » وفي مسلم والترمذي والنسائي بلفظ « المؤمن يشرب في مئة واحد » الخ وله قصة حملت الطحاوي وابن عبد البر على القول بأنه خاص بكافر واحد لا عام . وانبرهما فيه بضعة أقوال منها انه مثل للبالغة في م الكافر بالتمتع . وحديث عائشة « ما شبع رسول الله (ص) ثلاثة أيام تباعا من خبز المنطة حتى تفرق الدنيا » وهو في الصحيحين

أما المعروف من سيرة الرسول (ص) فهو انه كان يأكل ما وجد ، فتارة يأكل أطيب الطعام كالحوم الانعام والطيور والدجاج . وتارة يأكل أخشنه كخبز الشعير والملح أو الزيت أو الخل ، وتارة يجوع وتارة يشبع ليكون قدوة للمعسر والموسر . ولكنه ما كان يهتم أمر الطعام . وإنما كان يفتي بأمر الشراب . ففي حديث عائشة في السائل للترمذي « كان أحب الشراب الى رسول الله (ص) الخلو البارد » وفي سنن أبي داود انه كان يستمدب له الماء من بيوت السقيا (بضم السين عین) أو قرية بينها وبين المدينة يومان) قال العلماء يدخل في ذلك الماء انقراح والماء المحلى بالعسل أو قيع التمر والزبيب ونحو ذلك . والتفصيل في كتب السنة

صور من ابتلائه - رحمه الله تعالى -

الابتلاء سنة ماضية في رسل الله تعالى وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام -، وهم أشد الناس بلاء، وهم أعلم الناس بالله وأتقى الناس لله. قال ﷺ: «أشد الناس ابتلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»، والذي يلي الأنبياء ﷺ في شدة البلاء هم أتباعهم، وبخاصة العلماء منهم، وهكذا استمر البلاء على أتباعهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وكان ممن ناله البلاء الإمام الألباني كما نال كثيرًا من أئمة الإسلام قبله، ولقد كان ابتلاء الإمام الألباني متنوعًا، تارة بالسجن، وتارة بإخراجه من البلاد، وتارة بالتهديد، وتارة بتشويه السمعة، وتارة بالكذب عليه... إلى غير ذلك.

ومن عجيب توفيق الله تعالى له أن ذلك البلاء المتنوع زاده ثباتًا ولمعانًا وقوة في الحق مشافهة ومكاتبه، وهذا كما سلف من توفيق الله تعالى أولاً، -ثم لصدق الشيخ رحمه الله تعالى-، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدًا.

ومن المعلوم أن ثبات العبد على الصدق في مواطن البلاء من أعظم نعم الله تعالى، قال أبو زرعة: قلت لأحمد بن حنبل: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال: لو وضع الصدق على جرح لبرأ^(١).

وعودًا على بدء أقول: ما أجمل وأدق جواب الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٣٥٠).

عندما سئل: أيهما أفضل للرجل أن يُمكنَّ أو يبتلى؟ فأجاب -رحمه الله تعالى- بقوله: لا يُمكنَّ حتى يبتلى.

ولعل للإمام الألباني -رحمه الله تعالى- نصيبًا من مقولة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ؛ فقد ابتلي -رحمه الله تعالى- كثيرًا، ولست بصدد تتبع مسيرة حياته -رحمه الله تعالى- واستقراء مواطن البلاء التي حَلَّتْ بساحته، وإنما بنفسه فيما حكاه ونقله عنه الأستاذ محمد المجذوب -رحمه الله تعالى-، بالإضافة إلى بعض ما جاء في كتاب «حياة العلامة الألباني بقلمه» فإن جامعته عصام موسى هادي قد أجاد في التقاط كلام الشيخ عن حياته من مؤلفاته.

وقبل ذلك أذكر كلامًا للإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى- له علاقة وثيقة بهذا المبحث، فقد قال الشوكاني في أثناء دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «وهذه قاعدة مطردة في كل عالم متبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة؛ فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ويقع لهم معه محنة بعد محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولي، ويكون له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره»^(١).

وأحسب أن الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- ممن لهم لسان صدق في الآخرين، ومما لا شك فيه ولا ريب أن لكتبه حظًا كبيرًا يفوق كتب غيره لا مرة بل مرات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولعل ذلك بعد توفيق الله من أسباب تلك الفتن والبلاء الذي تعرض له.

وإليك صورًا من إبتلائه -رحمه الله تعالى-:

(١) «البدر الطالع» (١/ ٦٥).

- يقول الشيخ ما نصه^(١): «كانت أولى هذه المشاكسات أن جماعة من المشايخ وبينهم من كان يتوقع منهم نصره السلفية، قد نظموا عريضة يزعمون فيها أنني أقوم بدعوة وهابية تشوش على المسلمين، وجعلوا يجمعون لها توقيعات الناس، ثم رفعوها إلى مفتي الشام، فأحالها بدوره إلى مدير الشرطة الذي استدعاني وناقشني في الأمر، ثم انتهى الموضوع إلى غير شيء، وذات يوم سألني صديق من زملاء الدراسة عن حديث يتعلق بثواب الصيام فأوضحت له ضعفه، وكان هذا قد سمعه من خطيب الجمعة يستشهد به على المنبر، فلم يتمالك أن عاد إلى هذا الشيخ الخطيب ليذكر له ما عرفه من ضعف الحديث والمرجع المثبت لذلك، فما كان من هذا إلا أن وقف خطبته التالية على الهجوم على طريقة السلف، وراح يتهم أصحابها بالوهابية ويصفها بالضلال، ومضى يحذر الناس من مقاربتهم، ويدعوهم للحفاظ على أبنائهم من دعائهم...

ولم يكن مجموع المستمعين إلى تلك الخطبة على سواء في قبولها أو ردها، فحدث بعض الهرج والمرج، والشيخ ناصر بينهم يسمع ويرى، ولا يجد مجالاً للكلام، وهكذا واصل الشيخ الخطيب هجومه على الدعوة وأهلها في خطب متتالية، حتى خيفت الفتنة، وتدخل رجال الخفية في الأمر، وأقبل أحدهم على الشيخ ناصر يحاول منعه من الصلاة في ذلك المسجد بأسلوب ظاهره النصيحة وباطنه الوعيد والتهديد، وكان محالاً أن يقف الخلاف عند هذا الحد بعد بروزه في العرائض وعلى المنابر، إذ راح الخصوم يمارسون كل الذرائع التي يخيل إليهم أنها موهنة من عزم الشيخ، وأقل ذلك دعوة طلبة العلم إلى مقاطعته والحذر من مجالسته».

(١) وسيرى القارئ الكريم في أثناء الكلام كلاماً للشيخ المجذوب لربط وتناسق الكلام، والكلام المذكور منقول من كلام الشيخ محمد المجذوب - رحمه الله تعالى - فيما نقله عن الإمام الألباني، وللشيخ كلام في ثنايا ذلك يلحظه القارئ من أول وهلة.

ويعقب الشيخ على هذه الأحداث بقوله: «لقد كان لهذا كله آثار عكسية لما أرادوه، إذ ضَاعَفْتُ من تصميمي على العمل في خدمة الدعوة حتى يقضي الله بأمره».

- في سبيل الدعوة: ومن هذا المنطلق تبدأ مرحلة النشاط الدءوب في عمل الشيخ، وهأنذا ألخص ما أملتته عن ذلك فيما يلي:

يقول الشيخ: «لقد بدأت الاتصال بالمعارف والأصدقاء وأصدقائهم، وجعلت من الحانوت ندوة نجتمع بها، ثم رأينا الانتقال إلى دار أحد الأنصار، ثم إلى واحدة أخرى أكبر، ومن ثم استأجرنا إحدى الدور لهذه الغاية، وجعل الحضور يتكاثرون، حتى ليضيق المكان بهم، وبلغ النشاط مستوى عاليًا في قراءة الحديث وشروحه وأسانيده، واستمر هذا دأبنا حتى أثمرت مساعي المعارضين لهذا الاتجاه فضُيق علينا، ثم ألغيت الاجتماعات، وانفض السامر، وهانحن أولاء حتى لم نخلص من هذه المضايقات، نجتمع حين يكون ذلك ممكنًا، وإذا حيل بيننا انقطعنا إلى التأليف والتحقيق اللذين لا نستطيع الانقطاع عنهما».

ويحدثنا الشيخ عن أهم ما واجهه من هذه المضايقات فيقول: «كان من آثار هذا الإقبال الطيب الذي لقيته الدعوة أن رتبنا برنامجنا لزيارة بعض مناطق البلاد ما بين حلب واللاذقية إلى دمشق، وعلى قصر الأوقات التي خصصت لكل من المدن فقد صادفت هذه الرحلات نجاحًا ملموسًا، إذ جمعت العديد من الراغبين في علوم الحديث على ندوات شبه دورية، يقرأ فيها من كتب السنة، وتتوارد الأسئلة، ويثور النقاش المفيد، إلا أن هذا التجوال قد ضاعف من نقمة الآخرين، فضاعفوا من سعاياهم لدى المسؤولين، فإذا نحن تلقاء مشكلات يتصل بعضها برقاب بعض».

- ويذكر فضيلته بعض الأمثلة من هذه المشكلات، فمرة يدعوه وكيل وزارة

الداخلية لشتون الأمن ليبلغه طلب مفتي إدلب منع الشيخ من دخول ذلك البلد، وإبعاده إلى منطقة الحسكة، ومرة أخرى يتلقى دعوة من الشرطة بوجوب مواجهة سماحة مفتي دمشق، فلم يسعه سوى التوجه إليه، وإذا مكتب سماحته حافل بالمشايخ الذين حُشدوا لهذه الغاية، وأثير بعض النقاش، إلا أنه لم يستمر طويلاً إذ لم يكن من خطة القوم استمراره، واكتفى سماحته بأن وجه للشيخ تهمة إثارة الفتنة، مستدلاً على ذلك بحادثة قريبة خلاصتها أن فتى قد دخل أحد المساجد للصلاة فلاحظ أن عدداً من رواد المسجد لم يلتحقوا بالجماعة، بل ظلوا منتظرين حتى جاءهم إمام من مذهبهم فانتظموا خلفه في جماعة ثانية، فلم يتمالك الفتى أن أعرب عن استغرابه لهذه الظاهرة، وذكر أهلها مخالفتهم للهدي النبوي في هذه التفرقة، فما كان منهم إلا أن أهوا عليه بالضرب والركل داخل المسجد، ومع أن الشيخ لم يكن قد سبق له معرفة بذلك الفتى فقد أبى المشايخ إلا أن يحملوه تبعة عمله؛ لأنه بنظرهم هو المسبب لكل نشاط فقهي جديد في هذه البلد، ولا بد أنهم يعلمون أنه لا يقر تعدد الجماعات بسبب منافاة هذا التعدد لصريح السنة وتطبيقات السلف.

وتحت التهديد اضطر الشيخ إلى توقيع تعهد بآلا يقدم على الخطابة في الناس... وكان ذلك تعهداً غير ذي موضوع بالنسبة إلى الشيخ؛ لأنه غير ذي صلة بالخطابة أصلاً.

ويختم المترجم عرضه بهذا الخبر الغريب، وهو: أن نقمة الخصوم قد تجاوزت حدود المضايقات إلى إباحة الدم، وذلك بما أذيع عن فضيلة رئيس رابطة العلماء من أنه أفتى بقتله، وما أدري لماذا أغفل الشيخ خبر اعتقاله في القلعة التي سبقه إليها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فلعله نسيه أو ضيّع ذكره خلال الأحداث الكثيرة التي لا يزال يواجهها في سبيل الدعوة، أو لعله أغضى عن ذكرها؛ لأنه يعدها من التوفيقات الربانية، إذ أتاحت له الاتصال

بمن لولا ضرورات السجن لما فكروا يوماً بلقائه فضلاً عن الدخول معهم في حوار عدل الكثير من أفكارهم عن الشيخ وعن السلفية.

وقال أيضاً: «كما يسر الله تعالى لي التفرغ لعدد كبير من الأعمال العلمية ما كان متاح لي أن أعطيها الوقت اللازم لو بقيت حياتي تسير على النهج المعتاد، فقد قامت بعض الحكومات المتعاقبة بمنعي من الخروج إلى المدن السورية في الزيارات الشهرية التي كانت أقوم بها في الدعوة إلى الكتاب والسنة، وهو نوع مما يسمى في العرف الشائع بـ: «الإقامة الجبرية»، كما أنني قد مُنعت خلال فترات متلاحقة من إلقاء دروسي العلمية الكثيرة التي كان التحضير لها يأخذ جزءاً كبيراً من وقتي، وهذا كله قد صرف عني الكثير من الأعمال وحال بيني وبين لقاء عدد كبير من الناس الذين كانوا يأخذون من وقتي الشيء الكثير»^(١).

وقال أيضاً: «وبينما أنا أستعد لإلقاء الدرس الثالث، إذ بي أفاجأ بما يضطرنني اضطراراً لا خيار لي فيه مطلقاً إلى تركها ومن فيها من العيال، حيث لم يبق لي فيها سكن، مسافراً إلى مهجري الأول دمشق، وذلك أصيل نهار الأربعاء في ١٩ شوال سنة ١٤٠١ هـ، فوصلتها ليلاً، وفي حالة كئيبة جداً، وأنا أضرع إلى الله تعالى في أن يصرف عني شر القضاء وكيد الأعداء، فلبثت فيها ليلتين، وفي الثالثة سافرت بعد الاستشارة والاستخارة إلى بيروت مع كثير من الحذر والخوف؛ لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها، والوصول إلى بيروت محفوف بالخطر، ولكن الله -تبارك وتعالى- سلّم ويسّر، فوصلت بيروت في الثلث الأول من الليل، قاصداً دار أخ^(٢) لي قديم وصديق وفيّ حميم، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفاً معزّزاً مكرماً جزاه الله خيراً».

(١) «مختصر صحيح البخاري» (١/د).

(٢) هو زهير الشاويش كما بينه الشيخ في «بداية السؤل».

وقال أيضًا: «فلما استقر في منزله قراري، وارتاح من وعثاء السفر بالي، كان من الطبيعي جدًا أن أهتبل فرصة هذه الغربة الطارئة فأتوجه بكليتي إلى الدراسة والمطالعة في مكتبته العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة، وفيها أكثر المصادر التي تلزمني، وكثيرًا مما ليس في مكتبتني في دمشق، فرغبت منه أن يطلعني على فهرست المخطوطات والمصورات التي في حوزته مسجلة على البطاقات، فاستجاب لذلك بكل نفس طيبة، وأريحية إسلامية منه معروفة، أحسن الله إليه وجزاه خيرًا»^(١).

وقال أيضًا: «على الرغم من أنني فوجئت في أثناء ذلك بخبر أزعجني جدًا، وهو وفاة أخي الكبير محمد ناجي أبو أحمد في موسم الحج، فقد مضيت في إتمامها -أي: رسالة «بداية السؤل» مترحمًا عليه صابرًا على مصيبتني به، فقد مات وهو خير إخوتي وأخلصهم لي، وأشدهم استجابة لدعوتي وغيره عليها، وحماسًا في الدعوة إليها، فرحمه الله رحمة واسعة، وصبرنا وسائر إخوتي وأولاده وأحفاده وأصهاره على مصابهم به، وجعلهم خير خلف لخير سلف، وحشرنا جميعًا معه تحت لواء سيد ولد آدم محمد ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٨٨-٨٩].

إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتني وأخلف لي خيرًا منها، اللهم اغفر لأبي محمد، وارفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»^(٢).

وقال أيضًا: «الفتنة والقتل بدون أي سبب لا يزال مستمرًا -يعني: في لبنان- حتى لقد كدت أن أكون أنا وبعض أهلي من ضحاياها برصاصات غادرة أطلقها

(١) «رفع الأستار» (ص ٦).

(٢) «بداية السؤل» (ص ٨).

علينا بعض القناصة من بعض البنايات المتهدمة في بيروت بتاريخ ٢ صفر الخير ١٣٩٩ هـ أصابت سيارتي في ثلاثة مواضع منها، كادت أن تكون قاتلة، ولكن الله سلم فلم نُصب بأذى في أبداننا مطلقاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». وقال أيضاً في تعرضه للأذى في عَمَّان: «كبت داري من المخابرات وفتشت تفتيشاً دقيقاً في سبع ساعات وأكثر، وصادروا نحو ستين خطاباً من مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، وكذلك صادروا عديداً من الأشرطة لي ولغيري من طلاب العلم بدعوى البحث عن أسلحة ومفرقات، والله المستعان»^(١).

وقال أيضاً في حديثه عن الحاسدين: «فليس لي إلا أن أستعيز من شرهم بما أمرنا ربنا في كتابه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿ [الفلق: ١-٥]. وعند الله أحتمس مصيبي في هؤلاء الظلمة البغاة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبي ونعم الوكيل»^(٢).

وكتب إليّ الشيخ محمد زياد التكلة -أثابه الله تعالى- عن الشيخ عبد الله علوش قال: «مرة جاء الشيخ ناصر ونحن معه ليصلي في أحد جوامع حي الميدات، وكان الإمام (فلان) أحد المتعصبة وسماه لنا، فلما التفت الإمام ليكبر رأى الشيخ، فقال له بصوت عالٍ أمام الناس: يالا برا برا برا».

- وكتب إليّ أيضاً: عن بعض تلاميذ الشيخ الألباني أنه ذكر له أن الشيخ ناصرًا اعتُدي عليه في دمشق بالضرب في الشارع مرة من قبل أحد السفهاء المدفوعين.

- ومن الابتلاء الذي أصاب الشيخ الألباني ما يتعلق بالسجن، فإليك الخبر

مسبوقةً بمقدمة:

(١) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث (٣٢١٤).

(٢) «آداب الزفاف في السنة المطهرة» (ص ٥٢).

الألباني في السجن

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].

ذكر الله تعالى ذلك عن عيسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام يتحدث بذلك عن نعمة الله تعالى عليه.

ومما لا شك فيه ولا ريب أن من أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يجعله مباركاً أينما كان؛ في كل مكان، وفي كل زمان، ومع أي إنسان، على أي شأن ينفع من يجالسه، ومن يماشيه، ومن يحاوره، بنصيحة أو رد مظلمة، أو دفع مفسدة، أو جلب مصلحة.

وهكذا كان أنبياء الله تعالى عليهم السلام في جميع أحوالهم، ومن ذلك من سُجن منهم كيوسف عليه السلام فقد ذكر الله خبره في القرآن وكيف أنه كان مباركاً على أهل السجن بدعوته، فقال: ﴿يَصْنِجِي السِّجْنَ ۖ أَزْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَلَدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وأولى الناس بنفع الناس بعد الأنبياء عليهم السلام هم العلماء، ومن نظر في دواوين السير والتواريخ رأى مصداق ذلك.

فقد كان أهل العلم يقدمون النفع للناس في كل مكان، ومن ذلك في السجن على من قدره الله تعالى عليه.

فالناظر في سيرة الإمام أحمد وابن تيمية مثلاً في حال سجنهما يرى أن عطاءهما ونفعهما لم ينقطع، بل كان مستمرًا.

ومن العلماء الذين تعرضوا للسجن الإمام الألباني، وكان -رحمه الله تعالى- على مسلك من قبله من العلماء في استمرار العطاء والنفع لنفسه وللمن معه.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مُرادها الأجسام

ولقد سُجن الشيخ مرتين، وإليك شيئاً من حال الشيخ الألباني فيما يتعلق بسجنه مما حكاه بنفسه:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «أخذوني في سيارة ونقلوني من مكان إلى مكان، ووضعوني في مركز شرطة على أساس ينقلوني، وما أدري إلى أين؟ مر بي أحد بني قومي الذين يسمون بـ «الأرناؤوط» فسألني عن سبب وجودي في هذا المكان، فأخبرته بالأمر، ثم ذهب الرجل وسأل عن المكان الذي سينقلوني إليه، ثم جاء وقال لي: إنهم قرروا نفيك إلى الحسكة، يعني شمال شرقي سوريا.

فطلبت منه أن يذهب إلى ابني في الدكان ويخبره أن يأتي لي بالشنطة ويضع فيها نسخة «صحيح مسلم»، وبراية وقلم رصاص ومحاية... إلخ، ويدركني هنا، وإلا فليحطني إلى منطلق السيارات إلى حلب.

وذهب الرجل إلى ابني، وسارع ابني وأتى لي بكل شيء طلبته، وأدركني في منطلق السيارات، والسيارة ترجع القهقري لتنطلق، فصعد إليّ وسلم عليّ وعانقني وودعني، وانطلقت السيارة بنا إلى حلب، ومن حلب إلى الحسكة.

الحسكة فيها سجن جديد واسع جدًا ومرتفع، فأدخلوني إلى عروش طويل جدًا وإذا فيه شباب من المسلمين من «حزب التحرير»، ورئيسهم كان يحضر دروسي في حلب، سلفي يعني، ثم انحرف مع «حزب التحرير».

قلنا: رب ضارة نافعة، وكنت ليلاً ونهاراً في نقاش مع الجماعة، ولكن أنا

جايب زادي أريد أن أشتغل، وكانت اللبة ملتصقة بالسقف، والسقف عال جداً ما أستفيد شيئاً، حكيت مع صاحبنا هذا الذي كان سلفياً، اسمه الشيخ مصطفى، وقد مضى عليه في السجن -مع الأسف- نحو ستين، وبسبب طول المكث هناك صار بينهم وبين مدير السجن صعبة، ومدير السجن الظاهر كان عنده شيء من الفطرة ولو أنه بعثي، فكان يتجاوب فعلاً مع الشيخ مصطفى ومع المسلمين أولئك ويساعدهم بقدر الإمكان، وكانوا مشتركين على الطعام... فاشتركت أنا معهم... المهم أنا أريد كهرباء... فتحدث الشيخ مصطفى مع مدير السجن وقال له: الشيخ الألباني طالب علم ويريد أن يشتغل؛ لأنه أتى معه بالكتب. فقال له مدير السجن: نأتي له بما يريد ولكن على حسابه، فقلت: هذا سهل، يأتي هو بالأغراض ونحن ندفع... فنزلت اللبة من فوق إلى فوق رأسي تماماً، فما أحسست الغربة بالسجن إطلاقاً، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: سجنني خلوة»^(١).

وحكى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قصة سجنه هذه في موضع آخر، فقال:

«قدر عليّ أن أسجن في عام ١٣٨٩ هـ الموافق لسنة ١٩٦٩ م، مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأساق إلى سجن القلعة وغيره من دمشق، ثم أفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية وأنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر، أحسبها في سبيل الله وَجَلَّ .

وقد قدر الله ألا يكون معي فيها إلا كتابي المحبب «صحيح مسلم» وقلم رصاص وممحاة، وهناك عكفت على تحقيق أمنيّتي في اختصاره وتهذيبه، وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة شهور، كنت أعمل فيه ليل نهار، ودون كلل ولا ملل، وبذلك انقلبت ما أراده أعداء الأمة انتقاماً منا إلى نعمة لنا، يتفياً ظلالها طلاب

(١) من شريط «ترجمة الألباني» للحويني، انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٣٨-٣٩).

العلم من المسلمين في كل مكان، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»^(١).
 وكان -رحمه الله تعالى- دائماً يردد مقولة يوسف عليه السلام في كتاب الله: ﴿رَبِّ
 السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]^(٢).

ومما يحسن ذكره في هذا المقام -لمناسبته هذا المبحث- ما قاله شيخ
 الإسلام في رسالة كتبها إلى أصحابه لما كان في سجن الإسكندرية، قال رحمته الله:
 «﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾»، والذي أعرف به الجماعة -أحسن الله إليهم في الدنيا
 والآخرة، وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة- فإني والله العظيم الذي لا إله إلا هو في
 نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه من أبواب فضله
 ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال، ما يصل
 الطرف إليها، يسرها الله تعالى حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضها بالذوق
 من له نصيب من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان، وما هو مطلوب الأولين
 والآخرين من العلم والإيمان.

فإن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه
 إنما هو معرفة الله سبحانه وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف
 القرآنية، كما قال بعض الشيوخ: لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة
 في هذه الحال إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس في الدنيا نعيم
 يشبه نعيم الإيمان والمعرفة.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أرحنا بها يا بلال»، ولا يقول: أرحنا منها.

(١) «مختصر صحيح البخاري» (١/ ٥).

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٢٨).

كما يقوله من تثقل عيله الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

[البقرة: ٤٥].

والخشوع والخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح.
وكان النبي ﷺ يقول: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ». ثم يقول:
«وجعلت قرعة عيني في الصلاة»^(١).

وبمناسبة سجن الشيخ الألباني فهناك وصف جميل ذكره محمد بن إبراهيم الشيباني، فقد قال ما نصه: «وقد كان من نعم الله على الشيخ ناصر أثناء سجنه أن دعا المسجونين إلى ما كان يدعو إليه خارج السجن، وهو الكتاب والسنة ونبذ الابتداع في الدين، والانقياد لقول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ، وترك التقليد... فاستجاب لدعوته خلق كثير منهم، فاستفاد من سجنه أنه ألف فيه «مختصره» على صحيح مسلم بن الحجاج - رحمه الله تعالى - وهو غير «اختصار مسلم» للمنزري الذي حقق أحاديثه الشيخ.

وحدث الناس في السجن على صلاة الجماعة، والجمعة، وهو أول مرة تقام صلاة الجمعة في القلعة من بعد سجن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

فكانت همته العالية وشغفه بالعلم لا تعرفان الحدود والقيوم...»^(٢).

ومن باب التأكيد على ما سبق تقريره في أول هذا المبحث من نفع العلماء حتى ولو كان في السجن، إليك بعض آثار شيخ الإسلام ابن تيمية على الناس الذين سُجِنَ معهم، وتأمل كيف كان حالهم قبل أن يسجن وحالهم بعدما سُجِنَ معهم:

«لما دخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمّا هم فيه، كالشطرنج، والنرد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ عليهم

(١) «رسالة من سجن الإسكندرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩-١١).

(٢) «حياة الألباني» (١/ ٢٨-٢٩).

ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير، وحضهم على ذلك؛ حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحاييس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه، حتى كان السجن يمتلئ بهم»^(١).

ومن لطيف ما قرأت في هذا الباب: ما جاء في ترجمة عراك بن مالك، قال عنه العجلي: شامي تابعي ثقة من خيار التابعين، وكان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- لا يعدل بعراك أحدًا، ولما تولى يزيد بن عبد الملك أمر بأن يذهب به إلى دهلك^(٢)، فجاء بعد صلاة العصر رجل تخطى الناس حتى دنا من عراك بن مالك فلطمه حتى وقع، وكان شيخًا كبيرًا، ثم جر برجله ثم انطلق به حتى حصل في مركب في البحر إلى دهلك، فكان أهل دهلك يقولون: جزى الله عنا يزيد خيرًا؛ أخرج إلينا رجلًا علمنا الله الخير على يديه^(٣).

أرأيت -أيها القارئ الكريم- كيف أن أهل العلم مباركين أينما كانوا؟ جعلنا الله جميعًا من المباركين أينما كانوا.



(١) «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» لابن عبد الهادي (ص ٢٦٩).

(٢) جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة: بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. «معجم البلدان» (٢/ ٤٩٢).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٢-١٧٣) بتصرف واختصار.

همة عالية وعزيمة صادقة ونية نحسبها - إن شاء الله تعالى - خالصة

من عجيب علو همته وصادق عزمته - رحمه الله تعالى - أن أول عمل قام به في مباحث العلم قد يعجز عنه بعض كبار طلبة العلم، نظرًا لما يحتاجه من جهد بدني ووقتي.

انظر الخبر في مبحث: «الحادثة التي غيرت مجرى تاريخ حياة الألباني». ومن عجيب الأخبار الدالة أيضًا على همته وعزمته: قصة الورقة الضائعة التي حكاها بنفسه، قال - رحمه الله تعالى -:

«فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصري منذ أكثر من اثني عشر عامًا، فنصحني الطبيب المختص بالراحة وترك القراءة والكتابة والعمل في مهنة تصليح الساعات مقدار ستة أشهر، فعملت بنصيحته أول الأمر، فتركت ذلك كله نحو أسبوعين، ثم أخذت نفسي تراودني وتزين لي أن أعمل شيئًا في هذه العطلة المملة، عملاً لا ينافي - بزعمي - بنصيحته، فتذكرت رسالة مخطوطة في المكتبة اسمها «ذم الملاهي» للحافظ ابن أبي الدنيا لم تطبع فيما أعلم يومئذٍ، فقلت: ما المانع من أن أكلف من ينسخها لي؟ وحتى يتم نسخها ويأتي وقت مقابلتها بالأصل يكون قد مضى زمن لا بأس به من الراحة فبإمكانني يومئذٍ مقابلتها، وهي لا تستدعي جهدًا ينافي الوضع الصحي الذي أنا فيه، ثم أحققها بعد ذلك على مهل وأخرج أحاديثها، ثم نطبعها، وكل ذلك على فترات لكيلا أشق على نفسي،

فلما وصل الناسخ إلى منتصف الرسالة أبلغني أن فيها نقصاً، فأمرته بأن يتابع نسخها حتى ينتهي منها، ثم مقابلتها معه على الأصل، فتأكدت من النص الذي أشار إليه، وأقدره بأربع صفحات في ورقة واحدة في منتصف الكراس، فأخذت أفكر فيها وكيف يمكنني العثور عليها؟ والرسالة محفوظة في مجلد من المجلدات الموضوعية في المكتبة تحت عنوان «مجاميع»، وفي كل مجلد منها على الغالب عديد من الرسائل والكتب مختلفة الخطوط والمواضيع والورق لوناً وقياساً، فقلت في نفسي: لعل الورقة الضائعة قد خاطها المجلد سهواً في مجلد آخر من هذه المجلدات، فرأيتني مندفعاً بكل رغبة ونشاط باحثاً عنها فيها على التسلسل، ونسيت أو تناسيت نفسي والوضع الصحي الذي أنا فيه، فإذا ما تذكرته لم أعدم ما أتعلم به، من مثل القول بأن هذا البحث لا ينافيه لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضمينة.

وما كدت أتجاوز بعض المجلدات حتى أخذ يسترعي انتباهي عناوين بعض الرسائل والمؤلفات لمحدثين مشهورين وحفاظ معروفين، فأقف عندها باحثاً لها، دارساً إيها، فأتمنى لو أنها تنسخ وتحقق ثم تطبع، ولكنني كنت أجدها في غالب الأحيان ناقصة الأطراف والأجزاء، فأجد الثاني دون الأول مثلاً، فلم أندفع لتسجيلها عندي، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثاً، حتى انتهت مجلدات «مجاميع» البالغ عددها (١٥٢) مجلداً، بيد أنني وجدتني في أثناء المتابعة أخذت أسجل في مسودتي عناوين بعض الكتب التي راقتني، وشجعني على ذلك أنني عثرت في أثناء البحث فيها على بعض النواقص التي كانت قبل من الصوارف عن التسجيل ولما لم أعثر على الورقة في المجلدات المذكورة قلت في نفسي: لعلها خيبت خطأ في مجلد من مجلدات كتب الحديث والمسجلة في المكتبة تحت عنوان «حديث»، فأخذت أقلبها مجلداً مجلداً، حتى انتهيت منها دون أن أقف عليها، ولكنني سجلت أيضاً عندي ما شاء الله تعالى من المؤلفات والرسائل.

وهكذا لم أزل أعلل النفس وأمنيتها بالحصول على الورقة، فأنقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من علم إلى آخر؛ حتى أتيت على جميع المخطوطات المحفوظة في المكتبة، والبالغ عددها نحو عشرة آلاف مخطوط، دون أن أحظى بها، ولكنني لم أياس بعد، فهناك ما يعرف بـ «الدست»؛ وهو عبارة عن مكدسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التي لا يعرف أصلها، فأخذت في البحث بدقة وعناية، ولكن دون جدوى.

وحينئذٍ يسست من الورقة، ولكنني نظرت فوجدت أن الله -تبارك وتعالى- قد فتح لي من ورائها باباً عظيماً من العلم، طالما كنت غافلاً عنه كغيري، وهو أن في المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل في مختلف العلوم النافعة التي خلفها لنا أجدادنا -رحمهم الله تعالى-، وفيها من نواذر المخطوطات التي قد لا توجد في غيرها من المكتبات العالمية، مما لم يطبع بعد.

فلما تبين لي ذلك واستحكم في قلبي، استأنفت دراسة مخطوطات المكتبة كلها من أولها إلى آخرها للمرة الثانية على ضوء تجربتي السابقة التي سجلت فيها ما انتقيت من الكتب، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث منها ما يفيدني في تخصصي، لا أترك شاردة ولا واردة إلا سجلتها، حتى ولو كانت ورقة واحدة من كتاب أو جزء مجهول الهوية، وكأن الله -تبارك وتعالى- كان يعدني بذلك كله للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي دراسة هذه الكتب دراسة دقيقة، واستخراج ما فيها من الحديث النبوي مع أسانيده وطرقه وغير ذلك من الفوائد.

هذا؛ وقد كان الفهرس نتيجة جهد فردي، واندفاع ذاتي من شخص غير موظف في المكتبة، ولا مكلف منها، ولذلك لم يكن ليتيسر له ما يلزمه من التسهيلات لمراجعة المخطوطات ودراستها والبحث عن المجهولات من الأجزاء فيها مثلما تيسر عادة لمن كان موظفاً في المكتبة أو مكلفاً من إدارتها، فكان من

الطبيعي أن ينالني بعض المشقة في سبيل هذه الدراسة، فقد أتى علي من أيام كنت اضطرُّ فيها إلى أن أنصبَّ السُّلَمَ فأرقى عليه ساعات في دراستها في موضعها دراسة سريعة، فإذا اخترت شيئاً منها لدراستها دراسة فحص وتدقيق طلبت من الموظف المختص أن ينزلها ويأتي بها إلى المنضدة، بعد تقديمي قائمة بأسمائها وأرقامها وتوقيعها»^(١).

ومن صادق وقوة عزيمته أيضاً قوله -رحمه الله تعالى- متحدثاً بنعمة الله عليه: «كنت جمعت منذ أكثر من عشر سنوات ألوف الأحاديث في أكثر من أربعين مجلداً معزوة إلى مصادرها الكثيرة، نقلتها بخطي من مئات المخطوطات المحفوظة في عدة مكتبات معروفة، مثل: المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب، والمكتبة المحمودية في المسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، وغيرها من المكتبات التي حوت من نفائس الكتب الحديثية، والفوائد والأجزاء والسيرة والتاريخ والتراجم، مما لم يطبع شيء منها حتى الآن...»^(٢).

قلت: ومما ينبغي أن يستحضر هنا: أن الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- كتب تلك الفهارس المتنوعة قبل انتشار أجهزة الكمبيوتر التي قربت بعيداً وجمعت متفرقاً -بفضل الله تعالى-.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أحياناً يأخذ الحديث مني ساعات، وأحياناً أياماً، بل أحياناً أمكث أسبوعاً في حديث واحد»^(٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الحسن بن ثواب فقد أضناني في البحث عنه، حتى

(١) «فهرس مخطوطات الظاهرية» (ص ٤) طبعة دمشق ١٩٧٠ م.

(٢) «ضعيف الجامع الصغير» (١/ ٨).

(٣) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٩).

وجدته؛ فسجدت لله شكرًا على توفيقه»^(١).

وقال رحمه الله: «...وقد كنت تتبعت أحاديث حرف الألف من كتابه المذكور «الكنز»، فوجدت فيه نحو مائتي حديث ضعيف أو موضوع من أصل (١٤٠٢) حديثًا، ولو أن في الوقت متسعًا لوضعت عليه كتابًا أبين فيه تلك الأحاديث وغيرها مما وقع له من الضعاف في بقية أحرف الكتاب»^(٢).

وقال رحمه الله: «...اشتكت عيني فطلب مني الطبيب أن أستريح وأن أتوقف عن الكتابة والقراءة لفترة من الوقت، فقلت حتى لا يضيع الوقت، أعطيت بعض إخواننا مخطوطة صغيرة ينسخها لي، فما أن ينتهي حتى أكون قد استرحت، وفعلاً قام الأخ بنسخها وكنت أطلع على ما ينسخ معلنًا نفسي بأن هذه لا تؤثر وليست قراءة تتعب العين، فأتيت على كلمة ما فهمتها ولم أستطع قراءتها، فرجعت إلى المخطوط وإذا بالأخ قد رسمها كما في المخطوط، وكان خطأً، فأخذت أقلب النظر فيها وأفكر لعلني أهتدي لقراءتها، فما اهتديت وشغلت فكري، فلما حل المساء ونمت استيقظت من المنام، وأنا أقول: فردًا فردًا، فردًا فردًا، فما دريت هذا المنام أيش؟ فقلت: يا ناصر، اكتب ما حدث حتى لا أنسى المنام وفي الصباح أنظر فيه، وفعلاً في الصباح أخذت أفكر ثم قلت: لعل له علاقة بالكلمة، فأحضرت المخطوطة وأخذت أنظر في الكلمة وأردد الكلمة التي قلت: حتى اهتديت إلى حل الإشكال، فكلمة المخطوطة عبارة عن كلمتين دمجها الناسخ ففصلتهما فقرأت الكلمة»^(٣).

ومن شواهد علو همته قوله: «...ذلك ما سيتبين بعد فراغي من قراءة «مسند

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧/ ١٠٠٥-١٠٠٦).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٢٣).

(٣) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٢٧-١٢٨).

أبي يعلى» كله - إن شاء الله تعالى -، ثم فرغت من قراءة «المسند» كله^(١).
-ومن شواهد علو همة الشيخ رحمه الله وعزيمته الصادقة أيضًا أنه في كتابه
«الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد» عند مبحث: هل لأبي بكر القطيعي
زيادات في «المسند» قام الشيخ بمجهود عظيم يدل على همة عالية وعزيمة
صادقة أحسبه كذلك والله حسيبه.

وإليك خلاصة ما قام به:

١- بدأ بكتاب «الفتح الرباني» للشيخ البناء، ومر على أحاديثه جزءًا جزءًا،
وهو في أربعة وعشرين مجلدًا.

٢- ثم قال بعد ذلك: «وفي سبيل التأكد مما وصلت إليه بدراستي على
الخطوة السابقة فقد رأيت أنه لا بد من أن أتبعها بخط آخرى، وهي الرجوع إلى
دراسة كتب أخرى، ولو أن ذلك يكلفني جهدًا بالغًا، ويأخذ مني وقتًا طويلاً، ولا
بأس من ذلك ما دمت أعتقد أنني أخدم سنة النبي ﷺ في الرد على من طعن في
صححة «مسند الإمام أحمد» - رحمه الله تعالى - وفي بعض رواته.

فبدأت بدراسة «المسند» نفسه وآثرت فيها الطبعة التي حققها الشيخ أحمد
شاكر - رحمه الله تعالى -^(٢).

٣- ثم قال: «...أخذت في قراءة المجلد الأول من هذه الطبعة حتى أتيت
على جميع مجلداتها، والبالغ عددها خمسة عشر...»^(٣).

٤- ثم قال بعد ذلك: «...فلما لم أجد شيئاً من زيادات القطيعي في المجلدات

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥٤٠) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني رحمه الله بقلمه» لعصام
هادي (ص ٣٠).

(٢) «الذب الأحمد» (ص ٥٨-٥٩).

(٣) (ص ٥٩).

السابقة الذكر وذلك على وجه اليقين -إن شاء الله تعالى- سرت في التحقيق على خطة الثالثة فتح لي طريقها أنني كنت قرأت فيما قرأت لهذا البحث «المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد»، للحافظ شمس الدين ابن الجزري، فرأيت يذكر فيه (ص ٢٩) أن زيادات القطيعي في مسند الأنصار -يعني: من «مسند الإمام أحمد»، ومسند الأنصار هذا يقع في المجلد الخامس من «المسند» الأم من الطبعة القديمة، من (ص ١١٣) إلى (٤٥٦) وهي آخر المجلد، فبدأت بقراءة هذه الصفحات كلها، ولكن دون جدوى^(١).

٥- ثم قال بعد ذلك: «أخذت خطة رابعة؛ وهي أنه لابد من دراسة أسانيد أحاديث بقية المجلدات الستة من «المسند» لتمام التثبت والتحقق، فبدأت بالمجلد الثالث (ص ٢-٥٠٣)، وثلاثة الأول والثاني منه (ص ٢-٤٠٠) مؤلف من مسانيد ثلاثة من الصحابة الأنصار المشهورين: الأول: مسند أنس بن مالك، والثاني: مسند أبي سعيد الخدري، والثالث: مسند جابر بن عبد الله -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- فأتيت على هذه المسانيد الثلاثة، ولكن دون جدوى، ثم تابعت دراسة بقية المجلد الثالث ولكنني لم أجد شيئاً^(٢).

٦- ثم قال بعد ذلك: «فمررت بالمجلد الرابع كله (ص ٢-٤٤٧)، ثم بما كنت لم أدرسه من أول المجلد الخامس (ص ٢-١١٣)، ثم أتبعته بدراسة المجلد السادس كله (٢-٤٦٨)، فلم أجد في كل هذه المجلدات شيئاً من زيادات القطيعي إطلاقاً^(٣).

٧- ثم قال بعد ذلك: «...فما قنعت بكل ذلك من التحقيق، بل تابعت السير

(١) «الذب الأحمد» (ص ٦٠-٦١).

(٢) (ص ٦١).

(٣) (ص ٦١).

على الطريق، فتمنيت أنه لو كان عندي في المكتبة الظاهرية نسخة مخطوطة من كتاب «زوائد المسند» للحافظ نور الدين الهيثمي لأقوم بدراستها، زيادة في التحقيق، ولما كنت على علم بعدم وجودها استعضت عنه بمراجعة كتابه الكبير «مجمع الزوائد» الذي جمع فيه زوائد عدة كتب مسندة، منها «مسند أحمد»، فمررت على جميع مجلداته العشر، فلم أعثر فيها على شيء من زيادات القطيعي، اللهم إلا حديثاً واحداً أورده في باب التوقيت في المسح على الخفين»^(١).

٨- ثم شرع -رحمه الله تعالى- في التأكد من ثبوت هذه الزيادة بالرجوع إلى نسخة أخرى من كتاب «مجمع الزوائد» فقال: «... في ظاهرة دمشق نسختان منه، ولكنهما مخرومتان، وقد رجعت إلى المجلد الأول من كل منهما برقم (٢٤٧- حديث) و(٢٥٢- حديث) فلم ترد هذه الزيادة إلا في الأولى منهما، لكنها لم تقع فيها في صلب الحديث، وإنما استدركت على الهامش بخط مغاير لخط النسخة، وبجانبها علامة التصحيح...»^(٢).

٩- ولم يكتف بهذا؛ بل أراد التأكد من أصل حديث ابن عمر فقال: «... وإني لأقطع بوجه من ألحق هذه الزيادة بهذا الحديث؛ لمخالفتها للنسخ الأخرى من مخطوطات «مجمع الزوائد»، كما عرفت، ولمناقضتها للاستقراء والتحقيق الذي سبق حول زيادات القطيعي في «المسند»، بل وأرجح عدم وروده فيه مطلقاً من رواية أحمد نفسه، أو ابنه عبد الله في «زوائده» عليه؛ للأسباب التالية:

الأول: أنني راجعت له مسند ابن عمر في «المسند» طبعة أحمد شاکر فلم أجده.

الثاني: أنني استعنت على الكشف عنه فيه بالفهارس العلمية الموضوعة

(١) «الذب الأحمد» (ص ٦١-٦٢).

(٢) (ص ٦٣).

حديثاً لتيسير الوقوف على أي حديث فيه، والكتب الستة وغيرها، مثل «مفتاح كنوز السنة»، و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»، فراجعت في الأول منها مادة الوضوء -المسح على الخفين- وفي الآخر لفظة «يوم»، وراجعت كل الصفحات التي أشاروا إليها في كل المجلدات فلم أعر عليه، ثم راجعت فهارس الأجزاء الملحقة بطبعة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ التي كان وضعها في آخر كل جزء على الكتب والأبواب فلم أره أيضاً، فعلت ذلك احتياطاً لدفع احتمال كونه قد ذكر في مسند آخر من مسانيد الصحابة غير ابن عمر، كما يقع ذلك أحياناً، يرد فيه أحياناً حديث صحابي في مسند صحابي آخر سهواً، أو لمناسبة أخرى كما هو معلوم عند الدارسين لهذا «المسند» العظيم.

الثالث: أني راجعت له أيضاً -وبصورة خاصة- باب توقيت مدة المسح من «الفتح الرباني» فلم يورده من حديث ابن عمر أصلاً.

الرابع والأخير: أن الحديث أورده الحافظ الزيلعي في «نصب الراية» (١/ ١٧٣) من رواية الطبراني في «الأوسط» وحده عن ابن عمر، وهو يتبع في ذلك الشيخ ابن دقيق العيد في «الإمام»، ثم تبعهما الحافظ ابن حجر في «الدراية» (ص ٤٠)، والحافظ السيوطي في «الجامع الكبير» (٥/ ٩٦ كنز العمال)، وفي «الزيادة على الجامع الصغير» مخطوط (رقم ٥٠٦٥) من «صحيح الجامع الصغير وزيادته»^(١).

١٠- وبعد هذا قال -وحق له أن يقول-: «وجملة القول في هذا الفصل الخامس والأخير: أنني لم أجد في «مسند الإمام أحمد» رَحِمَهُ اللهُ ولا حديثاً واحداً من زيادات القطيعي فيه، وذلك بعد البحث الطويل، والصبر المديد؛ فإن كان

(١) «الذب الأحمدي» (ص ٦٣-٦٤).

صواباً - وذلك ما أرجو - فالفضل لله وَجَلَّ، وإن كان غير ذلك فهو على كل حال دليل قاطع على كذب من قال: إن القطيعي أدخل في «المسند» أحاديث موضوعة حتى صار ضِعْفَيْهِ»^(١).

ومن شواهد همة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وقوة عزيمته أيضاً ما حكاه الشيخ باسم فيصل الجوابرة - حفظه الله تعالى - قال: «وأذكر أن الشيخ جلس ليلة ساهراً حتى أذن الفجر في المدينة، وهو في نقاش مع الشباب، وبعد أداء الصلاة في المسجد النبوي أراد الشيخ أن يسافر إلى مكة لأداء العمرة، فقلنا له: أنت لم تنم، قال: أجد بي قوة ونشاطاً، فركب السيارة وسافرنا معه إلى مكة، وعند الساعة التاسعة صباحاً تقريباً أوقف السيارة عند ظل شجرة وقال: سأنام ربع ساعة فقط، فإن لم أستيقظ فأيقظوني، فضممنا في أنفسنا ألا نوقظ الشيخ حتى يستريح، وبعد ربع ساعة من الوقت استيقظ وحده فركب السيارة وتوجهنا إلى مكة فأدينا العمرة، ثم ذهبنا إلى بيت صهره - الدكتور رضا نعلان -، فإذا طلبة العلم ينتظرون الشيخ، فجلس معهم كما هي عادة الشيخ في نقاش ومناظرة إلى ساعة متأخرة من الليل دون تعب»^(٢).

وقال الشيخ باسم أيضاً: «ومما يدل على صبره وجلده في طلب العلم: ما حدثني به الدكتور محمود الميرة - حفظه الله - بأن الشيخ ناصرًا صعد على السلم في المكتبة الظاهرية ليأخذ كتاباً مخطوطاً فتناول الكتاب وفتحه، فبقي واقفاً على السلم يقرأ في الكتاب لمدة تزيد على الست ساعات»^(٣).

(١) (ص ٦٩).

(٢) «مقالات الألباني» (ص ٢١٨).

(٣) «مقالات الألباني» (ص ٢٢٠).

ومنها ما حكاه الشيخ عصام هادي قال: «كنت آتي الشيخ عقب صلاة الفجر بخمس أو عشر دقائق فأجد شيخنا رَحِمَهُ اللهُ مستمرًا في الكتابة، فأجلس معه، ثم في الساعة السابعة صباحًا يذهب إلى الراحة لمدة ساعتين وأحيانًا يذهب الساعة الثامنة، وأحيانًا التاسعة، وأحيانًا يصلي الفجر وينام، حسب حاجته رَحِمَهُ اللهُ، المهم أنه كان فترة الصباح ينام ساعتين، ثم يستمر في العمل دون كلل أو انقطاع إلا لحاجة، وكنت أبقى أنا إلى صلاة الظهر، فسألت عن وقت الشيخ بعد فليل لي بأنه يستمر في العمل وأحيانًا ينام بعد العصر ثم يستمر في العمل إلى منتصف الليل»^(١).

- ومن ذلك ما حكاه الشيخ علي بن حسن قال: «أثناء حرب الخليج قام بعض الخطباء في بلادنا بنقل حديث طويل استخرجه من كتاب «كنز العمال» فيه ذكر بعض أخبار وأنباء نزلها ذاك الخطيب على واقع الحرب والفتنة ذاك الوقت وشغل الناس بها...

فبدأت الأسئلة عن هذا الحديث تتوارد على شيخنا من طلبة العلم يستفصلون عن هذا الحديث، ومصدره، ودرجته؟

فكان المصدر الذي عزا إليه مؤلف كتاب «كنز العمال» هو «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ وكان أكثر الكتاب يومئذٍ مخطوطًا لم يطبع منه إلا قريب عُشره.

فبدأ شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يقرأ النسخة المخطوطة من تاريخ ابن عساكر حرفيًا، صفحة صفحة، وورقة ورقة... فأتصل بالشيخ أسأله وأستفصل منه فيقول: أبحث أبحث.

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٨).

حتى دخلت عليه وبعد خمسة أيام بحث متتالية -والكتاب بين يديه- فسألته، فأجابني بنبرة المنتصر: لا نامت أعين الجاهلاء! وجدته -بتوفيق الله وحمده-. ثم بين رحمه الله أنه موقوف وليس مرفوعاً، وأنه لا يصح، وأنه مُصَحَّف مُحَرَّف^(١).

ومما يدل على عزيمة الشيخ -رحمه الله تعالى-: أنه في أول أمره كان قليل ذات اليد، ومع ذلك -وغيره من المعوقات- لم تقف همة الشيخ -رحمه الله تعالى-، بل استمر في المضي في فعل ما يعينه على طلب العلم وكتابته، وإليك هذا الخبر الذي ذكره الأستاذ محمد الشيباني.

قال -أثابه الله تعالى-: «ومن شدة العنت والفقر الذي عاشه الشيخ أنه كان لا يملك قيمة شراء ورقة يشتريها ليسودها بما منَّ الله تعالى عليه من علم فيها، فكان يطوف في الشوارع والأزقة يبحث عن الأوراق الساقطة فيها من هنا وهناك ليكتب على ظهرها، وذلك لأن وجه الورقة يكون عادة مكتوباً فيه إما دعوة لافتتاح معرض، أو حفلة زواج، أو دعاية لمصنوعة من المصنوعات، وقد أطلعني الشيخ على بعض الكتب المخطوطة التي كتبت بهذه الأوراق وأغلبها قد تقطعت أطرافها وتساقطت، وقال لي مرة: كنت أشتري الأوراق (سقط المتاع) بالوزن لرخصه»^(٢).

قال تلميذه عصام هادي: «كان شيخنا حريصاً على اقتناء الجديد من الكتب مما يتعلق بالحديث وعلومه، وكان دائم السؤال لإخواننا من طلبة العلم عن جديد المطبوعات، وكان إذا راق له كتاب من الكتب طلب شراءه ويأبى إلا أن

(١) من رسالة كتبها وأرسلها إليَّ الشيخ علي بن حسن بالفاكس.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٣) حاشية.

يدفع ثمنه قل أو كثر»^(١).

كتب إليّ تلميذه سامي خليفة - أثابه الله تعالى - بما نصه: «كانت رحلات الشيخ كثيرًا إلى الغور «الأغوار» على حدود فلسطين، وهي مناطق ريفية مليئة بالمزارع، ومنذ خروجه من بعد الفجر إلى رجوعه وقت المغرب أو العشاء والشيخ يتكلم من بداية خروجه والإخوة يسألونه في السيارة مسافة ساعتين، ثم يعقد المجلس بالمزرعة وحتى أثناء الطعام، رغم أن بعض الإخوة من الشباب يستأذنون الشيخ بالمزرعة ليناموا قليلًا بالداخل تبقى المسجلات شغالة والشيخ يتكلم، ثم في العودة كذلك الإخوة مستمرون في الأسئلة، ثم يدخل الشيخ البيت ليجيب على أسئلة الهاتف من الساعة ٩ إلى الساعة ١١».

ذكر ابنه عبد اللطيف أن والده الشيخ الألباني: «كان في النوم يقول: هاتوا كتاب «العلل»... هاتوا كتاب كذا... هاتوا كتاب كذا... هاتوا «الجرح والتعديل». ومرة قال أثناء النوم وهو يحرك كهيئة الكاتب: هاتوا «سنن أبي داود» تنحل المشكلة. قال: وقال لي مرة - أثناء النوم -: هات كتاب «الترغيب والترهيب» المجلد الأول، فأتيته، قال: افتح، فتحت. قال: عُد واحد اثنين ثلاثة أحاديث، هذه في الطول تقريبًا سواء؟ قلت له: لا. قلت: فيه واحد طويل. قال: امش - هذا في النوم يقول وهو نائم - قلت: هذا الحديث الثالث طويل. قال: من رواه؟ قلت: فلان. قال: «خلاص» أعد الكتاب، هذا في النوم»^(٢).

وقال ابنه عبد اللطيف أيضًا: «لاحظنا أثر الجلوس عليه على ظهره أثناء تغسيله»^(٣).

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٠٤).

(٢) ذكر ذلك الشيخ محمد صالح المنجد، «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٦٨).

(٣) المرجع نفسه.

وأختم بهذه الأخبار -وهي قليل من كثير- التي تؤكد ما سبق تقريره من علو همة الشيخ وقوة عزمته:

١- لما ثقل في مرضه الذي مات فيه كان يقول لأهله: احملوني إلى المكتبة، فإذا أدخلوه إليها قال: أجلسوني، قالوا: لا تستطيع فكان -رحمه الله تعالى- يضطجع ويأمر بالكتاب فيقرأ عليه.

٢- لما ضعفت يده عن الكتابة الطويلة كان يملي على بعض أبنائه وحفدته ما يخرج من أحاديث.

قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة -حفظه الله تعالى-: كان الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- لا يهدأ عن البحث، حتى إنه إذا أراد أن يكتب شيئاً قال: اكتب يا عبد اللطيف، اكتب يا عبادة، اكتب يا لؤي^(١).

٣- قال الشيخ علي حسن: «أملى الشيخ الألباني قبل وفاته بشهور قليلة ثماني عشرة صفحة في تخريج حديث ضعيف منكر حشد له بين يديه على طاولته عشرات المراجع الحديثية مخطوطة ومطبوعة.

٤- ذكر الشيخ علي حسن: أن الشيخ الألباني اتصل به قبل شهر من وفاته وسأله عن تفسير للقرآن نسي اسمه.

٥- ذكر الشيخ علي خشان أن الشيخ قبل وفاته بأيام كان إذا أفاق من مرضه قال: أعطوني الجرح الثاني، يعني: كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

٦- وذكر الشيخ علي حسن أن عبد اللطيف نجل الشيخ الألباني أخبره أن الشيخ -رحمه الله تعالى- طلب منه قبل نحو ثمان وأربعين ساعة من وفاته إحضار كتاب «صحيح سنن أبي داود» لينظر فيه شيئاً وقع في قلبه وورد على ذهنه.



(١) «صفحات بيضاء» (ص ٩٤-٩٥).

من أخلاق الألباني - رحمه الله تعالى - وكريم سجاياه

عطاؤه وبذله وإحسانه إلى الناس:

ذكر الأخ الفاضل محمد الخطيب الذي عمل في بيت الشيخ: ست سنوات ما نصه: «كم كنت أستحث الشيخ لبناء مسجد أو إعطاء فقير أو أرملة أو سائل، فكان لا يردني في ذلك، والقصص كثيرة في ذلك، منها:

جاء رجل مريض وعلاجه بإبر تكلفة الواحدة منها عشرون دينارًا، يحتاج إلى (١٥) إبره، فطلب مني الشيخ الذهاب لبيته والتأكد من صحة ما قال، فلمّا علمنا صدقه أعطاني الشيخ المال، واشترينا له الإبر.

وقصة أخرى حصلت قريبًا والشيخ في المشفى:

جاءته امرأة تشكو له وقوعها في براثن البنوك، حيث إنها وزوجها اقترضا من أحد البنوك مبلغ تسعة آلاف دينار، وتضاعف عليها المبلغ من الربا بعد وفاة زوجها، فجاءت تستنجد بالشيخ للخلاص من ذلك، فطلب مني الشيخ كالعادة التحري في ذلك، وبعد التحري والتأكد من صدق المرأة وافق الشيخ على أن يقرضها مبلغ سبعة آلاف دينار، فحضرت المرأة وحضر معها أولادها، فقال الشيخ: هذه ألف دينار هدية وهذا المبلغ المطلوب، وفرحت المرأة وفرح أولادها ودعوا للشيخ، ودعوت أنا بأن يجزي الله الشيخ خيرًا، فنظر الشيخ إلينا، وقال: يا إخوان، والله إنني أتمنى أن أصبح مليونيرًا حتى أخرج الألوفا من أمثال

هذه المرأة من قيود الربا.

أما سيارة الشيخ فكانت جمل محامل للإخوة، فكان يحمل بها الإخوة وينقلهم من مكان لآخر، ويقول لي: يا محمد، كان يقول لي والدي رَحِمَهُ اللهُ: لكل شيء زكاة وزكاة السيارة حمل الناس بها، وكان يقول: إتمام المعروف خير من البدء به، وهي حكمة تعلمناها من الشيخ وأنعم بها من حكمة، فكان يقوم على قضاء حوائج إخوانه، فيكتفي الأخ بشيء من خدمة الشيخ، فيفرح الشيخ ويصر على أن يتم له ذلك، ويبادر الأخ بقوله: إتمام المعروف خير من البدء به، فكم والله استفدنا من هذه الحكمة في معاملة إخواننا»^(١).

قال تلميذه عصام هادي: «كان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ إذا طبع كتابًا من كتبه فإن دار النشر ترسل له عددًا من النسخ، فكان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يضع هذه النسخ على رف في المكتبة ظاهر ويوزع من هذه النسخ على طلبة العلم من تلامذته ومن يعملون عنده في المكتبة، ومع ذلك فكان يبقى من الكتب، فمرة وبيننا نحن في المكتبة إذ جاء أحد المقرئين من الشيخ، وبعد جلوسه قال: يا شيخنا، لو غطيت هذه الكتب مخافة أن يخرجكم أحد في الطلب منها، فتبسم شيخنا ثم قال: يا عصام، إذا عرفت طالب علم أو أحدًا يستفيد من هذه الكتب فخذ منها وأعطه»^(٢).

وقال عصام أيضًا: «قلت لشيخنا: بعض الإخوة يود أن يطبع كتابًا من كتبك ويوزعه لوجه الله على طلبة العلم، فقال شيخنا: أي كتاب مما تعود ملكيته لي وأراد أحد أن يطبعه ويوزعه على الناس دون أن يتكسب من ورائه ما عندي مانع»^(٣).

وقال الشيخ محمد بن الأمين بو خبزة المغربي - حفظه الله تعالى -: «وكان

(١) «مجلة الأصاله» (ص ٢٣).

(٢) «محدث العصر» (ص ١٣٥).

(٣) «محدث العصر» (ص ١٠٦).

بلغني أن بعض دجاجة طنجة زار دمشق مع مريديه وفي نيته أن يرزأ الشيخ بعض ماله، فذهب إلى منزل الشيخ وأمر مريديه أن يخلعوا المسابح من أعناقهم؛ لأن الشيخ وهابي لا يقبل هذا، ففعلوا ودخلوا على الشيخ وتذاكروا وناقوه بالتقية، ثم طلب منه شيخهم الدجال القرمطي أن يسلفه نحو أربعمئة ليرة ديناً مردوداً؛ لأنهم نفدت نفقتهم، فأسلفهم الشيخ، وزار المغرب مرتين ولم يأت الدجال حتى للسلام عليه والاعتذار، بل أضرب عن الزيارة والسؤال، فلذلك سألت الشيخ بتطوان: هل زارك فلان بطنجة ورد عليك مالك الذي أسلفته؟ فأجاب بالنفي وأنه لم يسأل عنه وهو بطنجة حتى لا يخرجه، فانظر إلى أخلاق هذا الوهابي كما يلمزونه، وأخلاق هذا القطب الصوفي كما يدعي؟! ^(١).

* تواضعه:

كان -رحمه الله تعالى- على جانب كبير من التواضع، يتأثر إذا مُدح، بل يبكي كما هو مشهور عنه في غير موقف، وما زيارته لبعض طلابه في بيوتهم وتفقدته لهم كما سيأتي إلا دليلاً على تواضعه -رحمه الله تعالى-.

ولما أراد أحد تلاميذه أن يقوم بعمل ترجمة له وكرر الطلب من الشيخ رفض الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- معللاً بأن حياته ليس فيها ما يستحق ذلك.

ذكر الشيخ الحويني أنه كلما قابل الشيخ الألباني قَبَّلَ يده، فكان الشيخ ينتزعها بشدة ويأبى، فذكر الحويني أنه قرأ في بعض أبحاث الشيخ في «السلسلة الصحيحة» أن تقبيل يد العالم جائز، فقال له الشيخ: وهل رأيت بعينيك عالماً قط؟ فقال الحويني: نعم، أرى الآن، فقال الشيخ: إنما أنا طويلب علم، إنما مثلي

(١) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ» بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدم له: د. جمال عزون.

ومثلكم كقول القائل: إِنَّ الْبُغَاثَ ^(١) بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ^(٢).
ومن عظيم تواضعه قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وهأنذا بعد أن سلخت من عمري قرابة
الستين عامًا ماشيًا في ركاب هذا العلم الشريف، أعود بالنظر والتهديب والتقريب
فيه، وكأنني لا زلت على أول مدرجته» ^(٣).
- طلب منه بعض الأغنياء السكن في أحد الأحياء الراقية فأبى ورغب
السكن في حي عادي أو إلى الفقر أقرب ^(٤).
- كان يخدم أضيافه بنفسه، يصب لهم ويقطع لهم ^(٥).
- ورعه:

ذكر عنه محمد الخطيب -الذي عمل في بيت الشيخ- فقال:
«وكان ورعًا، حيث حصل أن توسط مرة لشخص تعرف عليه في إحدى
الشركات، بعد أيام طرق الرجل باب الشيخ محضرًا «تنكة» زيتون، فقال لي: هذه
هدية للشيخ، وكان الشيخ نائمًا، فلما استيقظ أخبرته، فقال: لا يحل لنا أكلها، فقد
قال رسول الله ﷺ: «من شفع شفاعة وأهدي له هدية فقبلها فقد أتى بابًا من الربا».
وأعطيناها للفقراء».

(١) البغاث -الباء مثلثة- طائر أغبر، ومعنى المثل: من جاورنا عز بنا. «القاموس المحيط».
(٢) «الإمام الألباني» (ص ١٢٠).
(٣) من ضمن كلمته التي ألقيت عنه رَحِمَهُ اللهُ بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية
للدراسات الإسلامية.

(٤) من ضمن كلام حدثني به الشيخ خالد العبد المحسن أحد فضلاء أهل الكويت.
(٥) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ». بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس
محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدم له: د. جمال
عزون.

وقال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة المغربي في «ذكرياته مع الشيخ الألباني»: «وأذكر من شواهد ورع الشيخ -الألباني- وتوقفه أنه في الزيارة الأولى لتطوان مررنا على حيّ تجاير وفيه دكان لبيع الطيوب والعطور، فوقف على بعض أنواعها التي تُقصر بالمغرب، وأعجب به وسأل عن ثمنها وخرجنا، ثم جلسنا مع بعض الإخوان في الدكان فلحقنا بعض من كان معنا -ممن حضر وقوف الشيخ على العطور- وناول الشيخ قارورة من ذلك العطر الذي أعجبه فأبى أن يأخذه، فرغب الرجل إليه أن يعده هدية فأبى»^(١).

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لا يأخذ من أحد شيئاً ناوله إياه بشماله إطلاقاً، ويقول لذلك المعطي: الله يهديك، الله يهديك... ويكرر ذلك حتى يتنبه المعطي إلى ذلك فيناوله باليمين^(٢).

وفي هذا أيضاً حسن الأسلوب في التعليم.

وفي أثناء عمله في دكانه لتصليح الساعات كان يعطي صاحب الساعة وصلاً بموعد التسليم، فلم يرض أحدهم بموعده وطلب أن يقدمه على غيره، فقال له الشيخ -رحمه الله تعالى-: «أنا مسلم»^(٣).

* عدم انتقامه لنفسه:

وشواهد ذلك كثيرة، منها:

«قال له بعض الإخوة، يا شيخنا، عندنا رجل يعاديك ويتكلم فيك فهل نهجره؟

(١) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ». بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدم له: د. جمال عزون.

(٢) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.

(٣) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.

فقال رَحِمَهُ اللهُ: هل يعادي شخص الألباني أم أنه يعادي العقيدة التي يحملها ويدعو إليها الألباني عقيدة الكتاب والسنة؟ فإذا كان يعادي عقيدة الكتاب والسنة فإنه يحاور ويصبر عليه، فإذا رأيت بعد أن من المصلحة والأمنع هجره فيهجر، وأما إذا كان يعادي شخص الألباني وهو يتفق معنا على خط الكتاب والسنة فلا»^(١).

وقال الشيخ عصام هادي: «ذهب شيخنا الألباني مرة لتصليح سيارته، وبينما هو في «الكراج» إذ تقدم منه شاب فسلم عليه، وقال: يا شيخنا، أنا طالب في المعهد الشرعي وعندنا الدكاترة يتكلمون عليك ويطعنون بك، وخصوصاً فلان وفلان، فقال الشيخ: يا أخي، كفى بالرجل كذباً أن يحدث بكل ما سمع، وإذا هبت رياحك فاغتنمها، سل عما يفيدك في دينك»^(٢).

* شكره - رحمه الله تعالى - لمن أعانه على خير:

ومن أمثلة ذلك:

شكره لوالديه على أن كانا سبباً فيما حصل له من الخير العظيم، قال - رحمه الله تعالى -: « وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بياناً للتاريخ وشكراً لوالدي » إلى أن قال: «وأن يكتب أجر ذلك لأبي وأمي»^(٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رَحِمَهُ اللهُ، عن طريق أعداد

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٤).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٢٠).

(٣) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث (٣٢٠٣).

مجلته «المنار» التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم»^(١).
 قال في مقدمة «إرواء الغليل»^(٢): «...ومع أن الفضل في تأليفه يعود إلى الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش، وكان حريصاً على نشره بين الناس».
 قال في مقدمة رسالته «خطبة الحاجة»^(٣): «...ويعود الفضل الأول بنشرها إلى الأخ الفاضل الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير «مجلة جمعية التمدن الإسلامي» بدمشق، حيث نشرت في «مجلة التمدن الإسلامي» الغراء أقدم مجلة إسلامية باقية في سورية، وكان لجهودها خلال خمس وثلاثين سنة الأثر الطيب المحمود في تعميم الثقافة الإسلامية، زادها الله توفيقاً وسؤددًا، وكتب الصحة والعافية للأخ العظمة لمتابعة جهاده وإشرافه المبارك الميمون».
 وقال في موضع آخر أيضًا: «ولابد لي أخيرًا من أن أشكر من كان سببًا لطبع هذه المقالات مرة أخرى في هذا الكتاب، وأن أشكر بصورة خاصة القائمين على «مجلة التمدن الإسلامي»، وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد مظهر العظمة، فقد كان لهم الفضل الأول في نشرها في مجلتهم، حتى عرف الناس قدرها فرغبوا في نشرها في كتاب مفرد»^(٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وختامًا أقول: لابد لي ورسول الله ﷺ يقول: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، من أن أقدم شكري البالغ للقائمين على المجمع العلمي والمكتبة على ما قدموه لي من تسهيلات في سبيل إخراج هذا الفهرس،

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٠١).

(٢) (٨/ ١).

(٣) (ص ٦).

(٤) آخر مقدمة «السلسلة الضعيفة» (٩/ ١).

فجزاهم الله خيرًا»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في مقدمته لتحقيق كتاب «الآيات البينات»: «فإني في سفرتي الأخيرة بالجامعة الإسلامية على عادتي كلما سافرت إليها لدراسة ما يتجمع فيها من نفائس المصورات عن نواذر المخطوطات الحديثية وغيرها، المحفوظة في مختلف مكاتب بلاد الدنيا، وذلك بهمة وجهود فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد نائب رئيس الجامعة الإسلامية حاليًا، ومن قبله فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام الآن لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية جزاهما الله تعالى عن العالم والإسلام خيرًا، ووفقهما وغيرهما من المسؤولين لمتابعة السير في هذا المشروع الهام العظيم»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة «السلسلة الصحيحة»^(٣): «وفي الختام لا يفوتني أن أقوم بواجب الشكر لابنتي الكبرى أم عبد الله؛ فإن لها الفضل في تيسير تصحيح تجارب هذا المجلد... وكذلك الأخ علي الحلبي فقد استفدت من ملاحظاته».

وقال رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة «السلسلة الضعيفة»^(٤): «ولهذا رأيت أولئك الفضلاء يشجعونني على الاستمرار في النشر، ولا أدل على ذلك من إقبال الكثيرين منهم ومن غيرهم من الطلاب على الاشتراك في «مجلة التمدن الإسلامي» للاطلاع على الأحاديث الضعيفة فيها وقد كتب بذلك بعضهم إلي ليكونوا على بينة من أمرها فلا يقعوا مرة أخرى في الكذب على رسول الله ﷺ، أو على الأقل في عزو ما لم يصح نسبته إليه ﷺ من الحديث».

(١) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٦٦٥).

(٢) «الآيات البينات» (ص ٥-٦).

(٣) المجلد السادس.

(٤) (١/ ٧-٨).

ولذلك فقد حثني كثير من أولئك الفضلاء على نشر تلك الأحاديث في كتاب مفرد عن المجلة ليقف عليه من لا اطلاع له على المجلة فيعم النفع بها، وليسهل الرجوع عند الحاجة إليها، ولطالما كنت عازماً على الاستجابة لرغبتهم لولا بعض الموانع، فلما زالت وتيسر لي ذلك بادرت إلى تحقيقها، شاكرًا لهم حسن ظنهم بأخيهم».

* ومن أخلاق الشيخ أيضاً:

- مداومته على الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكره، مع كثرة ما يمر ذكره بحكم غلبة الصنعة الحديثية عليه رَحِمَهُ اللهُ.
- ترسله في الكلام وحسن فصله بين الجمل مهما طال المجلس، وقد سمعت وحضرت له عدة مجالس أحدها في منزلي.
- فصاحته ومما تميز به الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-: عنايته باللغة العربية نطقاً وكتابة؛ فمع كثرة أشرطة الشيخ الصوتية ومؤلفاته الكثيرة فإنك تسمع وتقرأ عناية الشيخ -رحمه الله تعالى- باللغة العربية عناية تامة.
- حسن استماعه للمتكلم وعدم مقاطعته: رأيت هذا منه وسمعت هذا عنه.
- حرصه على رد السلام بالصيغة الكاملة.



تورع الشيخ عن القول بلا علم واعترافه بعد العلم

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. على هذا المنهج سار الفحول

من أهل السنة -عليهم رحمة الله-، ومن سلك مسلكهم.

وقد قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء^(١).

وقد نُقل في هذا الباب أخبار كثيرة عن السلف وأتباعهم في قول «لا أدري» والتوقف في الجواب، ومن ذلك:

١ - ما ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حينما عرض عليه ابن كثير أثراً عن علي رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿وَرَبِّيبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ في سورة النساء فاستشكله وتوقف فيه.

٢ - توقف الإمام الذهبي في عُمر سلمان الفارسي رضي الله عنه بعد أن رجع عن قوله الأول حيث قال: «وما أراه بلغ المائة، فمن كان عنده علم فليقدنا»^(٢).

٣ - وساق الذهبي أيضاً أثراً مشكلاً في «السير» ثم قال بعده: «ما فهمته»^(٣).

٤ - ذكر الإمام ابن حزم في مفتاح كلامه في كتابه «حجة الوداع» أن كثيراً

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٦٤-٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٦).

من الناس لما تكاثرت عليهم روايات حجة الرسول ﷺ ظنها بعضهم متعارضة، وترك بعضهم النظر فيها لما تعذر عليه التوفيق، ثم قال ما نصه:

«فلما تأملناها وتدبرناها بعون الله ﷻ وتوفيقه إيانا لا بحولنا وقوتنا رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة منسردة متصلة بينة الوجوه واضحة السبل لا إشكال في شيء منها، حاشا فصلاً واحداً لم يلح لنا فصل الحقيقة فيه أي النقلين هو منهما، فنبهنا عليه، وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة؟ فلعل غيرنا يلوح له بيان ذلك، فمن استبان له ما أشكل علينا منه يوماً ما فليضفه إلى ما جمعناه ليقنتني بذلك الأجر الجزيل من الله تعالى»^(١).

وقد سار الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ مسيرة أولئك الأئمة فتوقف فيما ليس له به علم، بل وصرح بذلك، بل وطلب الإفادة ممن يعلم كغيره من العلماء الذين سبقوه، ومن شواهد ذلك:

١- ما ذكره في «مختصر كتاب العلو» (ص ١٩٣) عندما استشكل عليه بعض رواة سند من الأسانيد، قال ما نصه: «فمن كان عنده علمٌ فليفضل به علينا نكن له من الشاكرين».

٢- وفي كتابه «تحذير الساجد» (ص ١٨١) عندما تكلم رَحِمَهُ اللهُ عن حُكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور، وهل الصلاة باطلة أو مكروهة، قال -رحمه الله تعالى-: «... وإن القول بالبطالان محتمل، فمن كان عنده علم في شيء من ذلك فليفضل ببيانه مع الدليل مشكوراً مأجوراً»^(٢).

٣- عندما تكلم على صحة قول: «إن الله تعالى على ما يشاء قدير» قال في

(١) «حجة الوداع» لابن حزم (ص ١٣، ص ٢٨).

(٢) «تحذير الساجد» (ص ١٨١).

آخر بحثه: «هذا ما عندي من علم؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني وأستغفره تعالى من كل ذنب، ومن كان عنده فضل علم فليفضل به شاكرين له»^(١).

٤ - قال تلميذه الشيخ عصام هادي: «سألته عن مسألة فقال: لا أدري وذكرني بها غداً لعل الله يفتح علينا فيها بشيء، فسألته من الغد فقال: ما فتح الله عليّ فيها بشيء»^(٢).

٥ - وعندما سئل عن بعض مسائل الصرف في الأوراق النقدية ذكر أن ذلك من المسائل المشككة، وأنه يود أن تبحث مع علماء المملكة أمثال ابن باز، وقال: ذلك مما أشكل عليّ^(٣).

٦ - كتب لي الشيخ سامي خليفة -وقد عمل في مكتبة الشيخ ست سنوات- قال: «بينما أنا أنسخ لشيخنا كتابه المتعلق بترتيب «ثقات ابن حبان» والمسمى «تيسير انتفاع الخلان» وصلت عند ترجمة «فزع شهيد القادسية» وإذا بابن حبان يقول بأنه «لا يعرفه وإنما ذكره ليعرف لا ليعتمد عليّ ما يرويه»، فاستوقفني تلك العبارة فقممت بإطلاع شيخنا عليها طالباً رأيه فيها، فقال شيخنا: ضعها لي في ملاحظة عليّ ورقة وسوف أقوم بدراستها -إن شاء الله- ثم أخبرني شيخنا أنه قد فرح بتلك الفائدة والتي تفيد بأن ليس كل من أورده ابن حبان في «ثقاته» هم ثقات عنده، وإنما يورد أناساً ليعرفوا.

زد عليّ ذلك تراجعاته -رحمه الله تعالى- عن أحاديث صحيحها ثم تبين له ضعفها أو العكس، وكل ذلك داخل في مبحث عدم القول بلا علم؛ لأن التراجع

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٣٥٣).

(٢) «محدث العصر» (ص ١٠٥).

(٣) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٣٣).

عن الخطأ رجوع إلى العلم.

وانظر مبحث «سرعة رجوعه إلى الحق» وما بعده لتزداد يقيناً في ورع هذا الإمام وحرصه على لزوم الصواب ومجانبة الخطأ متى تبين له ذلك.



رجوعه إلى الحق عندما يتبين له

وهذا من عظيم أخلاقه - رحمه الله تعالى -، وتحت هذا المبحث أمور:

منها: سرعة رجوعه إلى الحق:

الرجوع عن الخطأ - بل الاعتراف به - من علامات الديانة الصادقة، وتلك من سمات العلماء الربانيين، والإمام الألباني من أسرع الناس تراجعاً عن الخطأ، ومن أسرعهم مبادرة إلى الصواب مهما كثرت الأخطاء أو التراجعات، ومن جميل كلامه رَحِمَهُ اللهُ في هذا المقام قوله:

«فرحم الله عبداً دلني على خطي وأهدى إلي عيوبي، فإن من السهل عليّ - بإذن الله وتوفيقه - أن أراجع عن خطأ تبين لي وجهه، وكتبي التي تطبع لأول مرة وما يجدد منها أكبر شاهد على ذلك»^(١).

وعوداً على بدء أقول:

قد يقول قائل من باب القدح أو من باب الاستفهام: إن تراجعات الشيخ كثيرة، وجواب ذلك من وجهين: مجمل ومفصل:

أما المجمل: فكل بني آدم خطاء، فمنهم من يعترف ويرجع، ومنهم من يصر ويستكبر، ومبدأ الرجوع عن الخطأ إلى الصواب والاعتراف بذلك منقبة لصاحبه تذكر له فيشكر بها، وعلماء السنة - رحم الله تعالى أمواتهم وأحياءهم -

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/٦).

أسرع الناس رجوعاً إلى الحق إذا تبين؛ لأن حياتهم ودعوتهم كلها إلى الحق. وأما الوجه المفصل فيقال: إذا أخذنا بمبدأ التناسب الطردي فإن كثرة مراجعات الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - تعتبر قليلة بالنسبة إلى كثرة مؤلفاته وما أودع فيها من مسائل العلم، وبخاصة من الكلام على الأحاديث التي تجاوزت الآلاف عددًا، ناهيك عن كلامه عن الرواة وغير ذلك.

ومن المعلوم بداهة - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك - أن الإمام إذا كان كثير التصنيف فقد تكون الأخطاء عنده أكثر من غيره، ولكنها تعتبر قليلة بالنسبة لكثرة مصنفاته أو مروياته، ومن شواهد ذلك:

ما ذكره الذهبي في ترجمة يحيى بن الضريس، فقد كان من بحور العلم، وكان عنده عن حماد عشرة آلاف حديث، ثم نقل الذهبي عن وكيع أنه قال: «هو - يعني: يحيى بن الضريس - من حفاظ الناس، وقد خلط في حديثين». قال الذهبي: «لو خلط في عشرين حديثاً في سعة ما روى لما عدَّ إلا ثقة»^(١).

ومنها: ما ذكر الخطيب البغدادي أن أبا عبيد القاسم بن سلام انصرف يوماً من الصلاة ومر بدار إسحاق الموصلي، فقالوا له: يا أبا عبيد، صاحب هذه الدار يقول: إن في كتاب أبي عبيد «الغريب المصنف» ألف حرف خطأ! فقال: «كتاب فيه أكثر من مائة ألف حرف يقع فيه ألف ليس بكثير، ولعل إسحاق عنده رواية وعندنا رواية ولم يعلم فخطأنا والروايتان صواب، ولعله أخطأ في حروف وأخطأنا في حروف فيبقى الخطأ يسيراً»^(٢).

ومن لطيف القول هنا ما ذكره الشيخ عبد الله الدويش - رحمه الله تعالى -،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٠٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤١٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٠٢).

فإنه لما تكلم عن الأخطاء التي ظهرت له في بعض كلام الشيخ الألباني، قال الشيخ الدويش: «وهي تعد قطرة في بحر في مقابل خدمته للسنة ونشرها»^(١).
وبكل حال؛ فمن ذا الذي يسلم من الخطأ؟ ورحم الله الإمام الشافعي حين قال مقولته المشهورة: «لقد ألفت هذه الكتب ولم أَلُ فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه». ومع ذلك كله؛ فإن تلك الأخطاء من العلماء لا توجب الطعن فيهم ولا الحط من منزلتهم.
وما أجمل ما استفتح به الإمام أبو أحمد العسكري كتابه «تصحيفات المحدثين» عندما قال: «وبدأت بذكر جملة من أخبار المصنفين، وبعض ما وهم فيه العلماء غير قاصد للطعن على أحد منهم، ولا الوضع منه، وما يسلم أحد من زلة ولا خطأ إلا من عصم الله». بعد هذا أسوق هنا نماذج لبعض ما كان من شأن هذا الإمام - رحمه الله تعالى - فأقول:

من وجوه رجوعه عن خطئه:

وإنما قلت «وجوه رجوعه» ولم أقل «وجه رجوعه»؛ لأنني رأيت بالاستقراء والتتبع وجوهاً متنوعة تدل على ورع هذا الإمام وبالغ حرصه على طلب الحق من كل أحد، وسترئى مصداق ذلك من خلال الوجوه التي سأذكرها، وقد يفوتني بعضها، وقبل ذلك أقول:

(١) ذكر ذلك عنه عبد العزيز المشيقح في مقدمة كتاب الشيخ الدويش «تنبيه القاري» (ص أ).

إن اعتراف العالم بخطئه ورجوعه إلى الصواب من أعظم أنواع التعبد لله تعالى، ففي ذلك مصالح كثيرة؛ منها:

- مرضاة للرحمن عَزَّ وَجَلَّ.
- مسخطة للشيطان.
- إحياء سنة العلماء الربانيين.
- دليل على الورع واتباع الحق.
- تنبيه الناس إلى الصواب، وأن العلماء ليسوا معصومين خلافاً لبعض الفرق الضالة المضلة التي تزعم عصمة علمائها.
- تربية عملية لطلاب العلم على الرجوع عن الخطأ.

وعوداً على بدء يقال:

من وجوه رجوعه إلى الحق: شكره لمن نبهه على خطأ ومبادرته بالرجوع إلى الصواب:

يقول في مقدمته «شرح العقيدة الطحاوية»: «ثم تبين لي أنني وهمت في توهيم المؤلف - رحمه الله تعالى -؛ فإن اللفظ المذكور قد أخرجه الترمذي في تمام الحديث: «اتقوا الحديث...»، ورواه ابن جرير أيضاً، وقد خرجته على الصواب في تحقيق «المشكاة» رقم الحديث (٢٣٤)، والفضل في هذا الاستدراك يعود إلى أحد المصححين في المكتب الإسلامي - جزاه الله خيراً - محمد ناصر الدين الألباني»^(١).

والحديث: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، ومن قال في القرآن برأيه...».

(١) «الطحاوية» (ص ٢٩).

ويقول في مقدمة كتابه «صحيح الترغيب والترهيب»: «والحديث الأول منها يعود الفضل في تنبيهي لضغفه إلى الشيخ الفاضل بكر بن عبد الله أبو زيد...».

ومن ذلك قوله في موضع آخر: «...دلني عليه عبد الله الدويش - رحمه الله، وجزاه خيرًا-»^(١).

وقال أيضًا: «كما أفادني الدكتور محفوظ الرحمن... جزاه الله خيرًا»^(٢).

ويقول في كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ»: «وهو خطأ نبهنا عليه فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في خطاب تفضل بإرساله إليّ بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٤٠٩ جزاه الله خيرًا»^(٣).

ويقول في مقدمته لكتاب «صفة الصلاة»: «وختامًا: لا بُدَّ لي من شكر فضيلة الشيخ التويجري على اهتمامه بالكتاب وحرصه على نصح القراء والطلاب، ومحاولته الكشف عن أخطاء الكتاب حسب رأيه، وإلا فهو مخطئ في كل ذلك إلا ما سبقت الإشارة إليه من المسائل الأربع، وأرى من تمام الشكر أن أعترف بإصابته الحق فيها، أنني رجعت إلى رأيه فيها، وهي...».

ويقول في موضع آخر: «وأما قول البوصيري: «...حديث المطلب بن أبي وداعة»، فهو خطأ تقدم التنبيه عليه في كلام المعلق المذكور، وقد كنت وقعت أنا أيضًا فيه حين ألفت كتابي «أحكام الجنائز وبدعها» منذ نحو خمس وعشرين سنة، ثم نبهني عليه الدكتور الفاضل عبد العظيم جزاه الله خيرًا»^(٤).

(١) انظر: تحقيق كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (حديث رقم ٨٤٨).

(٢) انظر: تحقيق كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (حديث رقم ١٢٣٨).

(٣) (ص ١٤٩).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٧ / ١٦٤).

ومنها: رجاء القراء أن يصححوا ما يقعون عليه من الأخطاء مع إخباره بذلك إن تيسر:

يقول في مقدمته لكتاب «مختصر الشمائل المحمدية»: «هذا وقد يجد القارئ الكريم في هذا المختصر شيئاً من الخطأ أو التقصير، والسبب الأول - كما هو ظاهر - أن ذلك من طبيعة الإنسان الذي كُتب عليه ألا يكون معصوماً، زد على ذلك أنني قمت به وأنا بعيدٌ عن كتبي ومراجعي، فالمرجو ممن وقف على شيء من ذلك أن يصححه وأن يخبرنا به إن تيسر ذلك له، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

وقال في مقدمته لكتابه «الأجوبة النافعة»: «وأيضاً؛ فأنا شخصياً بحاجة إلى من ينبهني إلى ما قد يبدو مني من خطأ أو وهم، مما لا ينجو منه إنسان، فإذا نشرت آرائي تمكن أهل العلم من الاطلاع عليها، ومعرفة ما قد يكون من الوهم فيها، وبينوا ذلك كتابة أو مشافهة، فشكرت لهم غيرتهم وجزيتهم خيراً»^(١).
عند كلامه على حديث: «لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم».

قال: «رواه الدولاوي في «الكنى»، وقال الحاكم (٤/ ٤٥٥): «صحيح» ووافقه الذهبي.

ثم قال الألباني: «تنبيه: قوله: «أمه» هكذا وقع في كل المصادر التي تقدم عزو الحديث إليها: ابن نصر، الدولاوي، البزار، وهو الصواب، ووقع في «مستدرك الحاكم»: «امراته»، وهو خطأ من أحد رواته أو نساخه فاتني أن أنبه

(١) «الأجوبة النافعة عن أسئلة مسجد الجامعة» (ص ١١).

عليه في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٤٩٤٣)، فقد أورد السيوطي من رواية الحاكم فقط بلفظه، فليعلق عليه من كان عنده نسخة منه أو من «الجامع الصغير»، أو «الفتح الكبير»، مع العلم بأن الشاهد الذي سبقت الإشارة إليه من حديث ابن عمرو هو باللفظ الأول الصحيح، وهو في «صحيح الجامع» أيضًا برقم (٥٢١٩)، وقد وقع مني خطأ، وهو حذف الجملة المتعلقة بهذا اللفظ، ووضع مكانها نقط: «...» كما جريت عليه في هذا الكتاب إشارة مني إلى أن المحذوف ضعيف، وكانت زلة مني أسأل الله يغفرها لي، فإن العكس هو الصواب كما علمت، وعليه فليصحح لفظ «صحيح الجامع» بإعادة الجملة المحذوفة، والله تعالى ولي التوفيق».

ومنها: الاعتراف بالخطأ والمبادرة بالتراجع:

يقول في مقدمة «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»: «...ولما كان قد صدر من تلك الأحاديث أكثر من أربعمئة حديث، فقد رأيت أن أطبعها في أجزاء متسلسلة، يحوي كل جزء منها مائة حديث أو أكثر إن اقتضى الأمر، وكلما تم نشر مائة أخرى منها في المجلة طبعتها في جزء آخر، وجعلت كل خمسة أجزاء منها في مجلد واحد.

وكذلك أضفت إلى كلامنا على بعض الأحاديث المنشورة في المجلة حتى الآن أمورًا أخرى، مثل تعديل أسلوب الكلام عليها، وزيادة تحقيق فيها، ونحو ذلك من الفوائد، وقد أغير حكمي السابق على الحديث بحكم آخر بدا لي فيما بعد أنه أعدل وأرجح، كأن أقول: «ضعيف جدًا» بدل «ضعيف» أو العكس، و«ضعيف» بدل «موضوع». أو العكس ونحو ذلك، وهذا وإن كان نادرًا فقد رأيت أن أنبه إلى أمرين:

الأول: كي لا يظن أن ذلك التغيير خطأ مطبعي.

الثاني: أن يعلم من شاء الله أن يعلم أن العلم لا يقبل الجمود فهو في تقدم مستمر من خطأ إلى صواب، ومن صحيح إلى أصح، وهكذا، وليعلموا أننا لا نصر على الخطأ إذا تبين لنا».

وتأمل -رعاك الله- في قوله -رحمه الله تعالى-: «كي لا يظن أن ذلك التغيير خطأ مطبعي، أليس هذا من عظيم الورع والتواضع والاعتراف بالخطأ؟ وقال رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حَدِيثٍ رَقْم (٥٢١٩) من «صحيح الجامع الصغير»: «وقد وقع مني فيه خطأ، وهو حذف... وكانت زلة مني أسأل الله أن يغفرها لي... فإن العكس هو الصواب... وعليه فليصحح لفظ «صحيح الجامع» بإعادة الجملة المحذوفة، والله تعالى ولي التوفيق»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ بعد تقريره أن الإنسان كلما ازداد علماً مع الزمن كلما ازداد معرفة بجهله:

«... وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن من البدهي جداً أن تنكشف لي بعض الأوهام والأخطاء التي لا يخلو منها إنسان، وبخاصة ما كان منها متعلقاً بالحديث وطرقه التي قد لا تنكشف إلا مع الزمن، وظهور مطبوعات جديدة منه، كيف لا وقد مضى على تأليف الكتاب نحو ثلاثين عاماً، وطبع عدة طبعات دون أن يتاح لي إعادة النظر فيه إلا في هذه الطبعة المباركة -إن شاء الله تعالى-، ولذلك بادرت إلى تصحيح ما يسر الله لي منها، والتصريح بالمهم منها كما سبق، ولم يسعني كتمانها كما قد يفعل ذلك غيري من المؤلفين خشية القالة والغمز واللمز»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «... فإنني في بعض الأحيان قد يبدر مني أثناء حديثي عبارات في أشخاص، أو كلمات في أعيان أو هيئات، ما قلتها إلا غيرة على الدين

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٤٢٢) تحت حديث رقم (١٣٤٨).

(٢) تحقيق «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨) ط. دار المعارف.

وأهتماماً بأحكامه، لا تحريضاً على أحد ولا إثارة لأحقاد، وليس هذا غريباً من أمثالنا: نحن الخلف والمحاطين بظلمات من الفتن، فمثل هذه الكلمات لا يجوز أن يبنى عليها اتهام لقائلها، ولكننا قد ابتلينا في العصر الحاضر بأناس يتبعون العثرات والمتشابهات، ويعرضون عن المحكمات الواضحات المؤكدات لما قلنا، بقصد إيقاع الفتنة بين الإخوة المؤمنين، أو بينهم وبين بعض أولياء الأمور، ولذلك رأينا أن نعدل بعض الكلمات التي تبين لنا بعد دراسة محتويات كثير من الأشرطة المنسوخة، أنها من ذاك القبيل، وأن الأولى عدم النطق بها، ثم ليمت المفسدون في الأرض غيظاً...»^(١).

وبعد هذا أرشدك إلى كتابين ترى فيهما عشرات الأمثلة من تراجعات الشيخ - رحمه الله تعالى -.

الأول: «تراجع العلامة الألباني فيما نص عليه تصحيحاً أو تضعيفاً» لأبي الحسن محمد حسن الشيخ.

والثاني: «النصيحة في بيان الأحاديث التي تراجع عنها الألباني في الصحيحة».

فإن قال قائل: لماذا كثرت هذه التراجعات؟ فجوابه: أولاً: تلك منقبة لا مثلبة، وثانياً: تعتبر قليلة بل أقل من القليل في جنب آلاف الأحاديث التي اعتنى بتخريجها.

ومن شواهد رجوع الشيخ عن قوله متى ما تبين له أن الصواب في خلافه: أنه لما كتب الشيخ جميل الرحمن - رحمه الله تعالى - أحد قادة المجاهدين

(١) من مقدمة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى كِتَابِ لَهُ تَحْتَ الطَّبْعِ بِاسْمِ «مَجْمُوعِ فَتَاوِي الشَّيْخِ الألباني» نَقَلَ هَذَا الْكَلَامَ مِنْهَا الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْحَلْبِيِّ فِي كِتَابِهِ «مَسَائِلُ عِلْمِيَّةٌ فِي الدَّعْوَةِ وَالسِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ» (ص ٥٠-٥١).

الأفغان كتابًا يسأل فيه عن دخوله في مجلس شوري الأفغان... كان السؤال موجّهًا إلى المشايخ الثلاثة ابن باز والألباني وابن عثيمين، فلما عرض على الشيخين ابن باز وابن عثيمين وافقا على دخوله للمصلحة الشرعية، ولما عرض على الشيخ الألباني منع من دخوله في أول الأمر، وبعدما نقل إليه تعليل الشيخين ابن باز وابن عثيمين قال: هما أعلم وأحكم وأنا أوافقهما^(١).



(١) حدثني بذلك الشيخ خالد العبد المحسن من فضلاء أهل الكويت، وكان كثير التردد على الشيخ الألباني وله حظوة عند الشيخ، وهو الذي حمل كتاب الشيخ جميل الرحمن -رحمه الله تعالى- إلى المشايخ الثلاثة.

عبادته ورقة قلبه

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من أحرص الناس على أن تكون عبادته موافقة للسنة في صفتها، وفي عددها، وفي وقتها، حريصاً على تطبيق السنة في مأكله ومشربه وملبسه، وفي معاملاته، ويشهد بذلك من جالسه، أو زاره، أو حضر دروسه، ولقاءاته العامرة، حتى قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فالذي أعرفه من الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل أنه حريص جداً على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أم في العمل».

وكان يكثر من التنفل صلاة وصياماً.

كان سريع التأثر والبكاء ولا سيما عند سماع القرآن أو تلاوته، أو سماع الأحاديث النبوية التي فيها الوعد والوعيد، أو عند سماعه نبأ موت بعض علماء الحديث والسنة، أو عندما يذكر له رؤيا خير رُئيت له، وعند مدحه والثناء عليه.

لقد كان -رحمه الله تعالى- يحرص على صيام الإثنين والخميس صيفاً وشتاءً، إلا أن يكون مسافراً أو مريضاً.

وكان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لا يزال يصلي ركعتين ركعتين حتى يصعد الإمام المنبر.

وكان يحج ويعتمر كل عام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وربما اعتمر في السنة الواحدة مرتين، وقد حج أكثر من ثلاثين حجة.

حدث أن رجلاً عابداً مجاوراً في الحرم المدني اشتهر عنه الصلاح

والزهد وكان صاحب سنة وكثير النصح شاهد مرة أشخاصًا أكثروا الكلام في الحرم فنصحهم بأن يستغلوا أوقاتهم بالقراءة والذكر، وطاب لهم كلامه الصادق فاستمر يحدثهم فتسامع من حولهم بكلامه وحلاوته، فتكاثر الجمع وهو يتكلم بنبرة تدل -إن شاء الله تعالى- على صدق نيته، وبينما هو يتكلم سكت فجأة وأخذ ينظر إلى أحد الجالسين ويعتذر بعدم علمه بوجوده، فما كان من ذلك الجالس الذي كان متأثرًا إلا أن طلب بإلحاح أن يستمر ذلك المجاور في وعظه ونصحه لكن الواعظ جلس، ولم يكن ذلك الرجل الذي طلب من الواعظ الاستمرار إلا الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- أثناء وجوده في المدينة عندما كان مدرسًا في الجامعة الإسلامية.

وكتب إليَّ الشيخ محمد زياد التكلة -أثابه الله تعالى- قال: «سألت الشيخ محمد عيد العباسي عن عبادة الشيخ الألباني فقال: كنا نصلي التراويح مع بعض الإخوة، فيقوم الشيخ الألباني ويصلي بنا صلاة طويلة نحو ثلاث ساعات، يطبق خلالها أدق السنن، ويطيل الركوع والسجود، ويكون الركوع نحو ٨ أو ٩ دقائق، وكان إذا جلس بين كل ركعتين يستغفر ويسبح.

ومرة تقدم إليه الشيخ علي خشان وهو كذلك، وسأله عن مسألة، فقال له: الآن وقت العبادة، ووقت العلم غير هذا.

قال: وكان الشيخ من إطالته التهجد نخشى -كما في الحديث- أن يفوتنا الفلاح، وهو السحور، وكنا نحس في الصلاة خلفه بالطمأنينة والخشوع والسكينة».



عبراته تسبق عباراته

للإمام الألباني - رحمه الله تعالى - قلب رقيق تكشف رفته بوضوح بعض المواقف المؤثرة، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ سريع العبرة، غزير الدمعة، وخاصة إذا أثنى عليه أحد، أو سمع أو قرأ حديثاً فيه ترهيب أو تخويف، وكثيراً ما كانت دموعه تخالط كلماته فتقطع حرفها، ولا يكاد يبين عن كلماته إلا بعد انقطاع دموعه. ومن شواهد ذلك:

- حدثته امرأة جزائرية فذكرت أنها رأتَه يسأل عن الطريق الذي سلكه النبي ﷺ فدل عليه، فسار على خطواته لا يخطئها، فلم يحتمل كلامها وأجهش بالبكاء. - وأنشد مرة بيتاً من الشعر:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا
ثم قال - رحمه الله تعالى -: «نسأل الله أن يحشرنا معهم»، ثم فاضت عيناه بالدمع^(١).

- وقال الشيخ عصام هادي: «ولما دخل شيخنا رَحِمَهُ اللهُ المشفى وزرته، فسألته عن حاله فحمد الله، ثم قال: للآن قد عمل لي أكثر من عملية تنظير ولم يتبين سبب المرض، وهذه العمليات تؤلمني جداً، ولكنني أستعين عليها بذكر الله وتذكر ما جرى مع إخواننا في سبيل الله، فأقول: أصبنا نحن بجانب ما أصيبوا به،

(١) «صفحات مشرقة» (ص ١٤٢).

ثم بكى رَحِمَهُ اللهُ»^(١).

- ولما ذكر له الشيخ محمد إبراهيم شقرة - حفظه الله تعالى - في أثناء مرضه الذي توفي فيه أن شدة البلاء على قدر قوة إيمان الشخص وعلمه تبسم - رحمه الله تعالى - ودمعت عيناه، وقال ذلك الأثر المشهور: «اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون، واجعلني خيرًا مما يظنون، ولا تؤاخذني بما يقولون»^(٢).

(١) «محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته» لعصام موسى هادي (ص ٧٧).

(٢) بحث مع الاعتراف بالتقصير عن هذا الأثر، وتحصل لي ما يلي:

أولاً: روى هذا الأثر ابن دريد - رحمه الله تعالى - إمام اللغة والأدب في كتابه «المجتبى» (ص ٣٦) فقال: «أخبرنا محمد بن الحسن قال: أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي قال: كان أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - إذا مُدح قال: «اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون».

ومن طريق ابن دريد - رحمه الله تعالى - أخرجه ابن عساكر - رحمه الله تعالى - في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٠ / ٢٣٢)، وكذلك أيضًا رواه ابن العديم - رحمه الله تعالى - في كتابه «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٩ / ٤٠٠٥).

وأخرجه علي بن الفرّج الصقلي في «الحكايات والأخبار» (١٥١ / ب) من طريق الصولي: نا أبو العيّن: نا الأصمعي قال: «كان أبو بكر... بحروفه. وقد ذكره النووي - رحمه الله تعالى - في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢ / ١٩٠)، بلفظ مقارب جدًّا، وكذا ذكره السيوطي - رحمه الله تعالى - في «تاريخ الخلفاء» (ص ٩٧)، وعزاه إلى ابن عساكر عن الأصمعي - رحمه الله تعالى - وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال». (١٢ / ٧٦٥) للعسكري في «المواعظ».

والشاهد: أن تلك الأسانيد إلى الصديق - رضي الله تعالى عنه - كلها عن ابن دريد إلى الأصمعي - رحمه الله تعالى - والأصمعي - رحمه الله تعالى - ولد سنة بضع وعشرين ومائة كما قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - في «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ١٧٦)،

قال الشيخ سمير الزهيري -وهو من طلاب الشيخ رحمه الله تعالى-:
«اجتمعت ذات يوم في عمان ببعض طلاب العلم، وكالعادة في مثل هذه
المجالس ذكر الشيخ، وإذا بأحد الحضور يحمل على الشيخ حملة شعواء

=

أي: بعد وفاة الصديق -رضي الله تعالى عنه- بأكثر من مائة سنة.
ثانيًا: جاء هذا الأثر عن عدي بن أرطاة -رحمه الله تعالى- قال: «كان الرجل من أصحاب
النبي ﷺ إذا زُكِّي قال: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون». أخرجه
البخاري -رحمه الله تعالى- في «الأدب المفرد» باب ما يقول الرجل إذا زُكِّي، برقم
(٧٦١)، وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- وأخرجه أيضًا ابن شيبه -رحمه الله
تعالى- في «المصنف» رقم (٣٥٧٠٣) والبيهقي -رحمه الله تعالى- في «شعب
الإيمان» (٤/ برقم ٢٢٨)، وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ برقم
٤٩٣) وسكت عنه.

ثالثًا: وجدت الأثر في زيادات نعيم بن حماد -رحمه الله تعالى- على ما رواه المروزي
-رحمه الله تعالى- عن ابن المبارك -رحمه الله تعالى- في كتابه «الزهد» (ص ١٤) رقم
(٥٧) ولفظه: أخبرنا إبراهيم بن نشيط، عن ابن عمر مولى غفرة -كذا، والصواب: عمر
مولى غفرة- أنه قال: «قل إذا زُكِّيت بما ليس فيك: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا
تؤاخذني بما يقولون، فإنك تعلم ولا يعلمون».

وأخرجه جعفر الفريابي في كتاب «صفة المنافق» (ص ٧٥)، من طريق ابن المبارك
أخبرنا إبراهيم بن نشيط، سمعت عمر مولى غفرة به.

وعمر هو ابن عبد الله مولى غفرة -بضم الغين المعجمة وسكون الفاء- بنت رباح أخت
بلال بن رباح، يُكنى أبا حفص، وهو ابن خالة ربيعة بن أبي عبد الرحمن، مدني عامة
حديثه مرسل، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة.

رابعًا: وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٠) من طريق الإمام أحمد بن حنبل: ثنا أبو
المغيرة، ثنا صفوان بن عمرو قال: كان يزيد بن ميسرة فيما بلغنا يقول: «إذا زَكَكَ رجل
في وجهك فأنكر عليه واغضب ولا تقر بذلك، وقل: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون،
واغفر لي ما لا يعلمون».

لاختلاف المنهج، ولم أشعر بجدوى مناقشة الرجل لعدم إنصافه أولاً، وثانياً: لغضبه الشديد الذي أخرجه عن حد الاعتدال، فقلت له: إذا كنت ترى الشيخ بهذه الصورة وهو ليس كما ترى فلماذا لا توجه له النصيحة مباشرة فهو خير من غيبتك له ووقعتك فيه؟ فقال: الألباني لا يقبل النصيحة، فقلت: هل جربت؟ فقال: أنا لم أره قط ولكن هذا متواتر عنه، فقلت في نفسي: سبحان الله! هذا رجل تأثر كل هذا التأثير بمشايخه دون أن يبحث هو عن الحق أو أن يلتقي بالشيخ وهما في بلد واحد ومضى عليهما سنوات عدة! ثم كان أن رتبت أمسية علمية مع الشيخ في بيتي، ودعوت جموعاً من طلاب العلم، ومنهم ذلك المخالف في ذلك الوقت، ولم أعلم الشيخ بشيء من ذلك، واستأثر صاحبنا بأغلب المجلس، وناقش الشيخ وجادله وعلا صوته واحتد، حتى إنني بدا عليّ الغضب والإحراج، ولما عرف ذلك الشيخ في وجهي التفت إليّ مبتسماً، قائلاً: لا عليك، ووالله لم تفارق البسمة وجه الشيخ، وما زال يرد عليه بالحجة من الكتاب والسنة، مع طول بال وسعة صدر كعادته رَحِمَهُ اللهُ.

وفي نهاية المجلس قام الرجل وقال للشيخ: أنا أحمد الله ﷻ أنك تغيرت وأني لقيتك بعد هذا التغير! فقال الشيخ: وهل أنت التقيت معي قبل اليوم؟ فقال الرجل: لا. فأشار الشيخ إلى أحد إخوانه من الشام ممن صحبوه في الدعوة السلفية وكان ضيفاً في تلك الأيام على الشيخ في عمان وقال: أنا لم أتغير، وهذا صحبني أكثر من عشرين سنة في الدعوة، ويعرف عني هذا، وعلى كل جزاك الله خيراً، وأما أنا فأطلب منك المسامحة إن كنت أخطأت عليك في شيء، وأسأل الله ﷻ أن يغفر لي إن كنت أخطأت في حق أحد من المسلمين، ثم بكى رَحِمَهُ اللهُ، فما كان من صاحبنا إلا أن بكى هو الآخر، وأخذ يقبل يد الشيخ ورأسه، ولم أعرفه بعد ذلك إلا سلفياً متبعاً محبباً للشيخ معظماً له^(١).

(١) «محدث العصر» لسمير بن أمين الزهيري (ص ٤٢-٤٤).

- قلت: الله تعالى أسأل أن يجعل الإمام الألباني ممن قال الله فيهم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].
- حدثه بعضهم أن أحد إخوانه رأى رؤيا منامية فيها أنه رأى النبي ﷺ فسأله: إذا أشكل عليّ شيء في الحديث من أسأل؟ فقال النبي ﷺ: سل محمد ناصر الدين الألباني، قال: فما أن انتهيت من حديثي حتى بكى بكاء عظيمًا وهو يردد: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون».
- وعندما أخبره تلميذه الشيخ علي الحلبي بوفاة سماحة الشيخ ابن باز رحمته لم يتمالك نفسه بالبكاء، فدمعت عيناه دموع حارة وتكلم عنه -رحمهما الله- بكلمات بارة.
- ذكر الأخ الفاضل محمد الخطيب -الذي عمل في بيت الشيخ: ست سنوات- ما نصه: «كنت مرة أعمل للشيخ على سطح بيته وأصلح بعض الأمور، فحملت قضيبًا طويلًا أرفعه من مكان لآخر، فغلبني القضب، وأنا أعلى السطح، فكدت -لولا فضل الله- أن أهوي من أعلى السطح، فعلم الشيخ بالخبر، فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجدًا لله سجدة شكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مائة دينار أعطاني إياها».
- حدثه بعضهم أن والده يسب الرب والدين -والعياذ بالله- فبكى الشيخ لما سمع من جرأة من ينتسب إلى الدين على بعض هذه القبائح والعظائم في حق الله، وحكم على والده بأنه مرتد كافر.
- مدحه أحدهم وهو يقدم لإحدى محاضرات الشيخ قائلاً: «الشيخ العلامة»، فبكى الشيخ وقال: «لا أجد أن أقول إلا ما قاله صديق الأمة: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون» وكان دائمًا يقول: «ما أنا إلا طويلب -تصغير طالب- علم».

- وأخبره بعضهم عن مشكلة حصلت معه وأنه في ورطة، فما هو إلا أن دمعت عينا الشيخ - رحمه الله تعالى - ودعا بأن يفرّج الله كربته؛ فكان ذلك^(١).

* * *

(١) «صفحات بيضاء» (ص ٤٩-٥٠).

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

أحسب أن الإمام الألباني - رحمه الله تعالى - يصدق عليه الوصف بأنه أَمَّارٌ بالمعروف نَهَاءً عن المنكر؛ وذلك لكثرة أمره ونهيه، ومن رأى ما نثره في بعض كتبه - فضلاً عن جميعها - سيرى مصداق ذلك.

هذا بالقلم؛ وأما بالكلم فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - معروفاً بذلك المنهج، فلا يتأخر عن إنكاره لمنكر رآه ولو تهاون به الكثير.

وأسوق إليك شيئاً مما وقفت عليه في كتب بعض من ترجم له:

- قال رَحِمَهُ اللهُ عَنْ والده: «... كان يأتي للمساجد التي فيها قبور كعامة المشايخ، فأنا كنت أقول له: هذا يا والدي لا يجوز، وهذا فيه كذا.. وفيه كذا.. إلى آخره»^(١).

وقال أيضاً عن بعض شيوخه: «ولقد كنت أذهب مع بعضهم - وأنا صغير لم أتفقه السنة بعد - إلى قبر الشيخ ابن عربي لأصلي معه عنده، فلما أن علمت حرمة ذلك باحث الشيخ المشار إليه كثيراً حتى - هداه الله تعالى - وامتنع من الصلاة هناك، وكان يعترف بذلك لي، ويشكرني على أن كنت سبباً لهدايته - رحمه الله تعالى - وغفر له - والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»^(٢).

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٠).

(٢) «تحذير الساجد» (ص ١٢٩) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص

- وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لا يأخذ من أحد شيئاً ناوله إياه بشماله إطلاقاً، ويقول لذلك المعطي: الله يهديك، الله يهديك.. ويكرر ذلك حتى يتنبه المعطي إلى ذلك فيناوله باليمين^(١).

- وقديماً في أثناء عمله في دكانه لتصليح الساعات كان يعطي صاحب الساعة وصلاً بموعد التسليم، فلم يرض أحدهم بموعده وطلب أن يقدمه على غيره، فقال له الشيخ -رحمه الله تعالى-: «أنا مسلم»^(٢).

- كان إذا حجَّ أو اعتمر لا يكُف عن أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حتى وهو في طوافه، وفي سعيه^(٣).

قال الشيخ سمير الزهيري: شاهدته ذات مرة -وهو مريض- ودخل عليه أحد المعالجين -وكان حليق اللحية-، وبعد أن أعطى الدواء للشيخ وهمَّ بالانصراف قال: ادع الله لي يا شيخ، فقال رَحِمَهُ اللهُ: جَمَلَك الله بما جَمَل به الرجال.

- قال: وكنا ذات يوم في محاضرة له بأحد المنازل، وكان صاحب الدار إذا دخل أو خرج لم يُلِق السلام ظناً منه أن ذلك مما يشوش على الدرس، فأقبل عليه الشيخ وسأله: لماذا لا يُسلم إذا دخل وإذا خرج، وتحولت المحاضرة إلى أدب السلام عند الدخول وعند الخروج، وآداب الاستئذان، ونحو ذلك.

- رأى رجلاً يأكل بشماله فقال له: لا تأكل بشمالك، فإن الشيطان يأكل بالشمال. ثم سرد الأحاديث في ذلك.

- صلى ذات يوم صلاة الجمعة، فذكر الخطيب من جملة ما ذكر حديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وزاد فيه لفظ: «المرصوص» فبعد

(١) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.

(٢) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.

(٣) «محدث العصر» لسمير الزهيري (ص ٣٠-٣١).

أن انتهت الصلاة قام الشيخ وأقبل على الملاء ويُنّ عدم وجود هذا اللفظ في رواية الحديث، وحض على رواية الأحاديث كما جاءت دون زيادة.

قال الشيخ عصام هادي: «ذهب شيخنا -الألباني- مرة لتصليح سيارته، وبينما هو في «الكراج» إذ تقدم منه شاب فسلم عليه وقال: يا شيخنا، أنا طالب في المعهد الشرعي وعندنا الدكاترة يتكلمون عليك ويطعنون بك وخصوصاً فلان وفلان! فقال شيخنا: يا أخي، كفى بالرجل كذباً أن يحدث بكل ما سمع، وإذا هبّت رياحك فاغتنمها، سل عما يفيدك في دينك»^(١).

- وكان بعض الناس يبدأ سؤاله للشيخ قبل إلقاء السلام، فكان -رحمه الله تعالى- يأمره بالسلام قبل أن يسأل، وبعد أن يُجيب على سؤاله يقول: لا تنس أن تسلم عليّ^(٢).



(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٢٠).

(٢) هذا الخبر حدثني به وكتب لي الأخ سامي خليفة، وقد قمت بصياغته.

محافظته على وقته

كان ولا يزال أهل العلم -رحمهم الله تعالى- أحرص الناس على أوقاتهم؛ لعلمهم بعظيم شأن العلم وتحصيله، وأن إهمال شيء من الأوقات بلا فائدة معناه ضياع شيء من العلم وفوات شيء من الخير.

ومن تتبع أخبار سير العلماء ونظر في تراجمهم عرف مصداق ذلك، ومن هذا الباب ما ذكره ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة الإمام سليم بن أيوب الرازي رَحِمَهُ اللهُ: «أنه كان يُحاسب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي عليه بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ أو ينسخ شيئاً كثيراً».

قال ابن عساكر: «ولقد حدثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يوماً إلى داره ورجع فقال: قد قرأت جزءاً في طريقي، قال: وحدثني المؤمل بن الحسن أنه رأى سُلَيْمًا حفي عليه القلم فإلى أن قطه جعل يُحرِّك شفّتيه فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ، أو كما قال»^(١).

وقد ذكر الإمام السمعاني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» أن المحدث إذا قال: حدثنا فلان، ثم أعاد المستملي (المُبلِّغ) ما قاله المحدث بصوت عالٍ، فإن المحدث يأخذ بالتسبيح والاستغفار في أثناء رفع المستملي صوته ليكتب الطلاب كلام المحدث.

وكان الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- من أولئك العلماء الذين عُرفوا

(١) «تبين كذب المفترى» (ص ٢٦٣)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/٦٤٦).

بالمحافظة على أوقاتهم، وشواهد ذلك كثيرة في كلامه وكلام من صاحبه وتعلمذ عليه.

قال -رحمه الله تعالى- في أثناء حديثه عن مهنة تصليح الساعات: «ومن توفيق الله تعالى وفضله عليّ أن وجّهني منذ أوّل شبابي إلى تعلم هذه المهنة؛ ذلك لأنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم -ما عدا الثلاثاء والجمعة- ثلاث ساعات زمنية فقط.

وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعالي وأطفالي، على طريقة الكفاف طبعاً، فإن من دعائه -عليه الصلاة والسلام-: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» رواه الشيخان.

وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم، والتأليف، ودراسة كتب الحديث، وخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإنني ألزم هذه المكتبة ملازمة الموظفين فيها لها! ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات وثمان ساعات يومياً على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها»^(١).

- وإن كل من رآه في المكتبة آنذاك يعرف مدى اجتهاده وحرصه على الاستفادة من وقته، حتى إن الكثيرين من الناس كانوا يحملون عليه لكثرة انهماكه في المطالعة والتأليف أثناء زيارتهم له في المكتبة، وبالطبع كان للشيخ عذره لأنه لا يريد إضاعة الوقت بالترحاب والمجاملة، وكان يجيب عن بعض الأسئلة التي توجه إليه وهو ينظر في الكتاب دون أن يرفع بصره إلى محدثه بأوجز عبارة تؤدي الغرض»^(٢).

(١) «حياة العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- بقلمه»، جمع وإعداد: عصام موسى هادي (ص ٨-٩).

(٢) «ترجمة موجزة لفضيلة المحدث الشيخ أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني وأضواء على حياته». بقلم: د. عاصم عبد الله القريوتي (ص ٧).

قال أحد تلاميذه: «لم نر عالمًا قط يحرص على وقته في العلم والبحث والتأليف والمدارسة والمناقشة مثل الشيخ -يرحمه الله-، وكان كلما زرناه في بيته، أو اخرجنا معه في رحلة، أو جاء إلينا، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا... كان يبدأ أولاً بالاطمئنان عنا واحداً واحداً، ويحاطبنا، وما كانت تخلو جلساته من دعاية تدخل جواً من المرح والسرور على جلسائه، ثم بعدها يقول: ماذا عندك يا أبا أنس؟ ماذا عندك يا أبا فلان؟ فكانت مجالسه -يرحمه الله- كلها جدًّا وعلمًا ومناقشة ومدارسة، والمزاح قليل في حياته ولو كان حقًّا، والوقت نفيس في حياته»^(١).

وقال أيضًا: «ولقد رأيت أن الشيخ لا يهدر من وقته شيئًا باستثناء أوقات الراحة والحاجات التي لا بد منها، وربما طالع وكتب وألف أكثر من خمس عشرة ساعة في اليوم والليلة، وربما أكثر من ذلك، ولقد بارك الله في وقته وعُمره، فهذا إنتاجه العلمي أكبر شاهد على ذلك والله الحمد»^(٢).

«وكان -رحمه الله تعالى- يجيب عن بعض الأسئلة التي تُوجَّه إليه، وهو ينظر في الكتاب دون أن يرفع بصره إلى محدثه بأوجز عبارة تؤدي الغرض»^(٣). وكان -رحمه الله تعالى- قد جعل وقتًا لاستقبال الاتصالات الهاتفية من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة، فاتصل عليه أحدهم قبل الساعة التاسعة بدقيقة فقال له الشيخ: هذا الوقت لي، اتصل بعد دقيقة»^(٤).

و«كان يذهب إلى المكتبة الظاهرية ويبقى فيها اثنتي عشرة ساعة لا يفتر عن المطالعة والتعليق والتحقيق إلا أثناء فترات الصلاة، وكان يتناول طعامه

(١) «الإمام المجدد» (ص ٤٨).

(٢) «الإمام المجدد» (ص ٤٨).

(٣) «ترجمة موجزة» (ص ٧).

(٤) كتب إلي بذلك سامي خليفة.

البسيط في المكتبة في كثير من الأحيان، حتى إن إدارة المكتبة وافقت على تخصيص غرفة خاصة للشيخ ليقوم بأبحاثه العلمية المفيدة، ووافقت على منحه مفتاح المكتبة، فكان يدخل قبل الموظفين صباحاً في بعض السنين، وهم ينصرفون إلى بيوتهم ظهراً ثم لا يعودون، ولكن الشيخ يبقى في المكتبة ما شاء الله له البقاء، فربما يصلي العشاء ثم ينصرف^(١).

ولما اشترى قطعة أرض رخيصة الثمن - وكان ذلك على قدر طاقته - ليبنى عليها منزلاً، كانت تلك الأرض الرخيصة بعيدة عن المكتبة الظاهرية التي كان يتردد عليها، وكان المشي إلى المكتبة على قدميه سيأخذ منه وقتاً طويلاً، فضلاً عن التعب، فكر - رحمه الله تعالى - في الأمر فقال: «اشترت دراجة لأركبها، وكان - لأول مرة - الدمشقيون يرون مثل هذا المشهد: أن شيخاً معممًا يركب دراجة! فلذلك تعجبوا من ذلك المشهد، وكان هناك مجلة تسمى «المضحك المبكي» يصدرها رجل نصراني، فذكر هذا المشهد ضمن النكت الظراف، وكنت لا أبالي بهذه الأمور الصغيرة، فكل الذي يهمني هو الوقت»^(٢).

واستدعى الشيخ أحد النجارين إلى بيته وطلب منه تغيير اتجاه فتحة باب المكتبة من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى، فتجاوب النجار من جهة واستغرب من جهة أخرى، فأجاب الشيخ على تعجبه واستفساره قائلاً: إذا كان الباب يفتح على الجهة اليسرى فإن هذا يطول عليّ الطريق إلى مكتبي عدة خطوات، وأنا أنزل إلى المسجد خمس مرات في اليوم واللييلة، زيادة على خروج أو خروجين لبعض حاجات المنزل وشئوني الخاصة فكم يضيع عليّ من الوقت بالتراكم نتيجة هذه

(١) «ترجمة موجزة» (ص ٦-٧).

(٢) «صفحات بيضاء» (ص ٢٩-٣٠).

الخطوات الإضافية التي يمكن تلافيها واختصارها؟! فإذا حولت فتحة الباب إلى الجهة الأخرى استفدنا هذا الوقت المهدور على قيمته وكبر أهميته^(١).

وقال بعض تلاميذه: «قلنا لشيخنا: يا شيخنا، بعض الإخوة يشكون أنك جعلت وقتاً مخصصاً لاستقبال المكالمات، وأنت أحياناً تغلق الهاتف في وجه السائل، فقال شيخنا: أما عن الوقت فلولا ذلك ما كتبت سواداً في بياض، وأما عن إغلاق الهاتف فأنا لا أغلقه مبتدئاً وإنما أقول له: ما في مجال، فيريد الأخ أن يحاورني أو أسأله عن شيء فيجيد فأطلب منه عدم الحيدة فيأبى، فعند ذلك أغلق الهاتف أسفاً لعدم إضاعة وقتي ووقت السائلين»^(٢).

ومما كتب إليّ وحدثني به الأخ سامي خليفة قال: «وضع الشيخ كشافاً متصلاً بالكهرباء موجهاً إلى موضع يده عند الكتابة ليستعمله مباشرة حال انطفاء الكهرباء».

ومما حدثني به الشيخ خالد العبد المحسن: أنه دخل على الشيخ في مكتبته فرأى حبلًا ممدوداً وقد علق عليه مجموعات من الأوراق المخطوطة، كل مجموعة مثبتة بجانب أختها، فسأل الشيخ عن سبب ذلك فأجابه بأن ذلك يختصر عليه الوقت في الحصول على المجموعة المقصودة في أسرع وقت.

ومما كتب به إليّ الأخ سامي خليفة أيضاً قال: «كان الشيخ يطلب مني أن أناوله كتاباً فيه ترجمة معينة، فإذا أحضرت الكتاب قمت بتقليب صفحاته قبل تسليمه له حتى أعثر على مطلوبه، فعاتبني قائلاً: أنت مُعطل عن عملك، وأنا معطل عن عملي؛ لأنني أنتظرك، فأعطني الكتاب لأبحث وأذهب أنت لعملك».

(١) كتب إليّ بذلك الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد.

(٢) «محدث العصر» لعصام موسى هادي (ص ٨٨).

وقال بعض تلاميذه أيضًا: «كنت أجلس مقابل الشيخ والطاولة بيني وبينه، وكان أمامي بعض من الكتب مرتبة على الطاولة... فكان شيخنا إذا احتاج كتابًا منها يقول: ناولني الكتاب الفلاني، فأخذ الكتاب من أمامي وأعطيه إياه بالعكس، فقال لي: إذا أعطيتني إياه بالعكس أحتاج إلى أن أحول الكتاب، وهذا يأخذ جزءًا من الوقت، فلماذا لا تعطيني إياه جاهزًا للنظر فيه؟»^(١).

ولم تقف همته عند هذا فحسب، بل اسمع إلى قوله عندما تحدث عن

سجنه:

«قدر عليّ أن أسجن في عام ١٣٨٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٦٩ م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأساق إلى سجن القلعة وغيره من دمشق، ثم أفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية وأنفئ إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر، أحتسبها في سبيل الله وَجَلَّ .

وقد قدر الله ألا يكون معي فيه إلا كتابي المحبب «صحيح مسلم»، وقلم رصاص وممحاة، وهناك عكفت على تحقيق أمنيته في اختصاره وتهذيبه، وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة أشهر، كنت أعمل فيه ليل نهار، ودون كلل ولا ملل، وبذلك انقلب ما أراده أعداء الأمة انتقامًا منّا إلى نعمة لنا، يتفياً ظلالها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»^(٢).

ولما أجبر على الخروج من الأردن إلى سوريا وبعد استخارته واستشارته سافر إلى بيروت قال: «... فوصلت بيروت في الثلث الأول من الليل قاصدًا دار أخ لي قديم وصديق وفي حميم، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفًا معززًا مكرمًا جزاه الله خيرًا.

(١) «محدث العصر» (ص ١٣٣).

(٢) «حياة العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - بقلمه» (ص ١٤).

فلما استقر في منزله قراري، وارتاح من وعثاء السفر بالي، كان من الطبيعي جداً أن أهتبل فرصة هذه الغربة الطارئة فأتوجه بكليتي إلى الدراسة والمطالعة في مكتبته العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة، وفيها أكثر المصادر التي تلزمني وكثير مما ليس في مكتبي في دمشق.

فرغبت منه أن يطلعني على فهرست المخطوطات والمصورات التي في حوزته مسجلة على البطاقات، فاستجاب لذلك بكل نفس طيبة وأريحية إسلامية منه معروفة، أحسن الله إليه وجزاه خيراً^(١).

وأما قصة الورقة الضائعة وما بذله الشيخ من جهد مع أنه مأمور بالراحة لمدة ستة أشهر فأمر عجب^(٢).

ولما استعار لعدم قدرته على الثمن كتاب العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» قال -رحمه الله تعالى-: «...وأخذت الكتاب وأنا أكاد أطيّر فرحاً، وذهبت إلى الدكان فكنت أغتم فرصة غياب والذي بعد الظهر فأخلو بكتابي، وخططت خطة لنسخ «المغني» تخريج «الإحياء» فبدأت أنسخ، واشترت ورقاً واتخذت لي مسطرة، وهي عبارة عن مقوى كرتون بخطوط متوازية من الوجهين»^(٣).

وعندما كان يعمل في دكانه -إصلاح الساعات- قال -رحمه الله تعالى-: «... تعرف عليّ رجل فلسطيني من المهاجرين إلى دمشق، فعرض عليّ أن يضع ابناً له ليتعلم المهنة، فهذا كان أيضاً يعينني فتوفر أيضاً بواسطته شيء من الوقت، فبهذه الصورة كنت وفرت وقتاً طويلاً لدراسة العلم ودراسة المكتبة الظاهرية»^(٤).

(١) «حياة العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- بقلمه» (ص ١٨-١٩).

(٢) انظرها (ص ٥٤-٥٦).

(٣) «الإمام الألباني، حياته -دعوته- جهوده في خدمة السنة» (ص ١٢).

(٤) «الإمام الألباني» (ص ٢٢).

ومن عجيب حرصه على وقته في اشتداد مرضه ما قالت ابنته أم عبد الله -أثابها الله تعالى-: «ثم زاده المرض وهنًا -جعله الله طهورًا- فانقطع فترة رغم أنه ما فتى يحاول الاستفادة من أي ساحة يجد فيها بعض النشاط، حتى ولو كانت خمس دقائق، لا بل حتى لو كانت جملة أو كلمة كان قد وقف عندها، فيجلس ليتمها متحاملاً على ضعفه وأوجاعه»^(١).

ومما كتب إليّ الشيخ محمد زياد التكلة -أثابه الله تعالى- قال:

«حدثنا الشيخ محمد عيد العباسي غير مرة قال: كنا طلبنا من شيخنا درسًا، فقال لنا: ما عندي وقت مطلقًا، إلا إذا رغبتم أن تأتوا إلى الدكان وألقي عليكم وأنا أصلح الساعات، فكنا نزوره ويُلقي علينا الدرس ويجيب عن أسئلتنا وهو يقوم بعمله».



(١) مقدمة «السلسلة الضعيفة» (٣ / ٦).

الترتيب في حياة الشيخ

أحدهما في وقت قليل ينجز كثيرًا، وآخر في وقت كثير ينجز قليلاً... والسر في ذلك شيء رآه الأول فوطئه بقدميه ومر عليه، ورآه الثاني فوطئه بقدميه، ونام عليه... ذلك الشيء اسمه: الفوضوية.

وتأجيل الأعمال عن مواقيتها يولد تراكمها، وتراكمها يورث تداخلها، والتأجيل والتراكم والتداخل تحجب بركة الوقت؛ تارة حجب نقصان، وتارة حجب حرمان.

والناظر في حياة بعض الناس يرى أن الفوضوية قد ضربت أطنابها في كثير من أمورهم؛ مما أهدر عليهم كثيرًا من أوقاتها، فضلًا عن تراكم الأشغال وانشغال البال.

ولما كان أهل العلم أعلم الناس بقيمة الوقت كانوا أولى من غيرهم بالعناية بأوقاتهم وأشغالهم.

ومن خلال قراءتي وسماعي عن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ظَهَرَ لِي عُنَايَتُهُ بِالتَّرتيب في جميع أموره، وذلك بعد توفيق الله تعالى مما حفظ له كثيرًا من الأوقات التي تضيع على غيره.

والترتيب في حياة الشيخ ليس مقصورًا على أمر دون آخر، بل هو في جميع أموره كما أسلفت آنفًا.

ومما يحسن ذكره هنا قوله - رحمه الله تعالى - : «دقتي هذه استفدتها من مهنة الساعات»^(١).

وسأذكر أمثلة توضح عنايته بالترتيب:

١ - اتخذه «دواراً» أمام مكتبه يضع فيه الكتب المهمة التي يكثر تناولها، مثل: «تهذيب الكمال»، و«تهذيب التهذيب»، و«التاريخ الكبير»، و«الجرح والتعديل» وغير ذلك من كتب التراجم؛ ليسهل عليه تناول الكتب دون القيام من مجلسه، وسأله عنه تلميذه عصام هادي فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «للإنصاف هذا ليس من ابتكاري، فقد رأيته عند الشيخ أحمد شاكر، لكن بحجم أصغر، وأنا أكبره»^(٢).

٢ - سأله عصام هادي قال: «يا شيخنا، بعض الإخوة يشكون أنك جعلت وقتاً مخصصاً لاستقبال المكالمات، وأحياناً تغلق الهاتف في وجه السائل.

فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «أما عن الوقت فلو لا ذلك ما كتب سواداً في بياض، وأما عن إغلاق الهاتف فأنا لا أغلقه مبتدئاً، وإنما أقول للسائل: ما في مجال، فريد أن الأخ أن يحاورني، أو أسأله عن شيء فيحيد، فأطلب منه عدم الحيدة فيأبى، فعند ذلك أغلق الهاتف أسفاً لعدم إضاعة وقتي ووقت السائلين»^(٣).

٣ - وكان - رحمه الله تعالى - قد جعل وقتاً لاستقبال الاتصالات الهاتفية من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة، فاتصل عليه أحدهم قبل الساعة التاسعة بدقيقة فقال له الشيخ: هذا الوقت لي، اتصل بعد دقيقة^(٤).

٤ - كانت مكتبة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ غاية في الترتيب؛ فكل كتاب له رقم، والرف

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٧).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٩).

(٣) «محدث العصر» (ص ٨٨).

(٤) كتب إليّ بذلك سامي خليفة.

الذي عليه له رقم، والخزانة التي هو فيها لها رقم، وكانت جميع الكتب فيها والتي ترد إليها مفهرسة على كراس، فكان الشيخ أو أي أحد أراد كتاباً، يستدل عليه بسرعة، ومن غير إضاعة للوقت في البحث عنه، حتى المخطوطات لها أيضاً فهرس. وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يغضب إذا ما وضع أحد كتاباً في غير محله، وكان يقول للإخوة: من لم يعرف مكان الكتاب فليضعه على الطاولة^(١).

٥- عند تدريسه لبعض الكتب اتخذ لنفسه منهجاً للتدريس، فمثلاً عند تدريسه كتاب «زاد المعاد» لابن القيم كان أولاً يقرأ على الطلبة المقطع من كتاب «الزاد» ثم يعلق عليه بما عنده من علم سابق أو من تعليقات يستحضرها قبل أن يحضر للدرس، وكان درسه ما بين ثلاثة أرباع الساعة والساعة الكاملة، ثم بعد ذلك نصف ساعة للإجابة على الأسئلة^(٢).

٦- ومما كتب إليّ وحدثني به الأخ سامي خليفة قال: «وضع الشيخ كشافاً متصلاً بالكهرباء، موجهاً إلى موضع يده عند الكتابة ليستعمله مباشرة حال انطفاء الكهرباء».



(١) ذكر ذلك عصام هادي في «محدث العصر» (ص ١٣٤).

(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٨).

دعابته ومزاحه

لأهل العلم الراسخين دعابة لا تجرح هيبتهم، ومزاح لا يخدش وقارهم، وطرائف لا تدخل دائرة المحظور الشرعي، وهذا من فقههم للنصوص واقتدائهم بنبيهم ﷺ.

والإمام الألباني -رحمه الله تعالى- كان ذا دُعابة ومزاح، وما أَلطف مزاح العالم ودُعابته، وأسوق إليك خبرين أولهما هذا الخبر الطريف بين الإمامين الكبيرين الألباني وابن باز -رحمهما الله تعالى-:

- كان أحد طلبة العلم مرة راكبًا مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وكان الشيخ ناصر يسرع في قيادته للسيارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سرعة ولا تجوز، والشيخ ابن باز أخبر أن ذلك من إلقاء النفس إلى التهلكة أو كلامًا قريبًا من هذا، فضحك الشيخ الألباني وقال: هذه فتيا من لم يجرب فن القيادة، فقال الطالب: يا شيخ، سأنقل هذا الكلام إلى الشيخ عبد العزيز . فقال الشيخ الألباني: انقله، قال الطالب: فقابلت الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في مكة وأخبرته بكلامي مع الشيخ الألباني وأخبرته بكلام الشيخ لي، فضحك وقال: هذه فتوى من لم يجرب دفع الدية.

- وأذكر في حج عام ١٣٩٨ هـ أنني دخلت مع بعض الإخوة على الإمام الألباني في خيمته في منى، وناقشه أحدهم في حكم التلفاز، فكان مضمون كلام الشيخ: لو أن القائمين على التلفاز لا يُخرجون فيه إلا الجائز شرعًا فلا أرى بأسًا

بجواز إدخاله في البيوت، فقال له الذي يناقشه وهو في نوع انفعال بعدما أغلق عليه الإمام جميع الأبواب: لكن يا شيخ، التلفاز صنعة كفار، فتبسم الإمام وقال بلهجته الشامية: شو! لو صنع المسلمون تلفزيون بتشوفه؟ فسكت ذلك الرجل سكوتاً مطبقاً، ثم ضحك الشيخ وضحك الحاضرون وشكر الشيخ ذلك الرجل على حرصه.



مواقف في حياة الشيخ رحمه الله

لا تخلو حياة الإنسان من مواقف متنوعة، فيها مفارقات وموافقات تجمع بين الطرافة واللطافة والتعجب وغير ذلك، وحياة العلماء فيها كثير من هذا القبيل مما يحكونه أو يحكى لهم أو يحكى عنهم، ذلك لأن جميع طبقات الناس يقصدونهم ويتبعون أخبارهم، ومن أولئك الأئمة الإمام الألباني -رحمه الله تعالى-.

قال -رحمه الله تعالى-: «...يذكرني هذا بقصة طريفة في بعض المدارس في دمشق، فقد كان أحد الأساتذة المشهورين من النصاري يتكلم عن حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ومحاربتها للشرك والبدع والخرافات، ويظهر أنه أطرئ في ذلك، فقال بعض تلامذته: يظهر أن الأستاذ وهابي»^(١).

وقال أيضًا: «صليت مرة بالناس إمامًا في صبح الجمعة في إحدى قرى الزبداني، فقرأت بعد الفاتحة ما تيسر من أول «الكهف»؛ لأنني لا أتقن حفظ «السجدة»، فلما كبرت للركوع هوى المصلون كلهم إلى السجود، توهَّم منهم أنني كبرت لسجدة التلاوة، لكن الذين كانوا من خلفي مباشرة انتبهوا على أنني في الركوع، فنهضوا وشاركوني فيه، وأما الذين كانوا خلف المنبر لا يرونني فقد استمروا ساجدين حتى سمعوا قولي: سمع الله لمن حمده، فقطعوا الصلاة وأحدثوا ضجة، وبعد أن سلمت من صلاتي وعظتهم وذكرتهم بما يجب عليهم

(١) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (١٧).

من الخشوع في الصلاة والانتباه لما يتلى عليهم من آيات الله، وألا يذهب فكرهم فيها إلى الزرع والضرع»^(١).

وقال أيضًا: «اشترت دراجة لأركبها، وكان لأول مرة الدمشقيون يرون مثل هذا المشهد: أن شيخًا معممًا يركب دراجة، فلذلك تعجبوا من ذلك المشهد، وكان هناك مجلة تسمى «المضحك المبكي»^(٢) يصدرها رجل نصراني، فذكر هذا المشهد ضمن النكت الظراف، وكنت لا أبالي بهذه الأمور الصغيرة، فكل الذي يهمني هو الوقت»^(٣).

- كان في منزله في عمّان شجرة تين، وكان يأخذ ثمر التين منها وهو جالس في شرفة المنزل، وذلك عن طريق عصا طويلة من ابتكاره، وذلك أنه جعل العصا مقسمة متداخلة بحيث يتحكم في طولها وقصرها حسب اختياره، ووضع في نهايتها كأسًا مدببة حادة، بحيث يسقط فيها التين إذا مسه برأس تلك العصا.

- كان في منزله طيور وكان مكان الطيور يبعد عن شرفته قرابة عشرين مترًا، وقد وضع ماسورة -أنبوب نقل السوائل- طرفها عند شرفته ونهايتها في مكان الطيور، فكان يضع الحب في رأس الماسورة فينزل إلى الطيور، وإذا أكل شيئًا من الحب أو اللوز وما شاكله جعل ما بقي من فضلاته في رأس الماسورة لينزل إلى الطيور.

(١) «حياة العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - بقلمه» تأليف: عصام موسى هادي (ص ٤٥ - ٤٦).

(٢) مجلة هزلية تصدر في دمشق لصحفي اسمه حبيب كحالة، ينشر في كل عدد منها صورة تبقى تلك الصورة الأسبوع كله حديث البلد، باختصار وتصرف من «ذكريات الطنطاوي» (١/ ١٥١ - ١٥٢).

(٣) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» (ص ٣٠).

- كان مرة يقود سيارته فسقطت السيارة في مكان منخفض، فقال بعض الناس الذين شاهدوا الحادث: يا ساتر! فأجابه الشيخ من داخل السيارة: قل يا ستير^(١).

- قال ابنه: «وكان مرة يتكلم وهو نائم، فاقتربت منه لأسمع كلامه فتح عينه فجأة، وقال: تتجسس عليّ؟ وضحك»^(٢).

- وذكر الشيخ رحمه الله هذه القصة التي حصلت له قديمًا لما كان في دمشق: «منذ بعض سنين جاءني أحد الخطباء في بعض مساجد دمشق ومن الوعاظ المتجولين، فذكر لي أنه ألف كتابًا أورد فيه أحاديث انتقاها من كتب السنة، وأنه طلب من بعض الأغنياء المحسنين أن يساعده على طبع الكتاب، قال: فقال له ذلك المحسن: إذا كان الأستاذ ناصر الدين الألباني يوافق على طبعه فأنا أساعدك على ذلك، ثم طلب مني موافقتي فأبيت حتى أطلع على الكتاب، فأرسله إليّ، فلما تصفحته وجدت فيه أشياء عجيبة مستنكرة، من ذلك أنه عزا قول عيسى عليه السلام الذي رواه مالك بلاغًا إلى «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: قال عيسى...!

فلما رأيت هذا عجبت منه أشد العجب؛ لتيقني بأن مثل هذا الحديث لا أصل له في «صحيح مسلم» ولا في غيره من الكتب الستة، اللهم إلا الجملة الأولى منه فهي عند الترمذي من حديث ابن عمرو بسند ضعيف كما بينته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (٩٢٤) أو ما بعده.

(١) هذا الخبر والخبران اللذان قبله حدثني بها وكتبها لي الأخ سامي خليفة، وقد قمت بصياغتها.

(٢) المرجع السابق.

فاتصلت به هاتفياً وذكرت له رأيي في الكتاب، وما فيه من مآخذ وأخطاء، أشدّها هذا العزو، ثم قلت له: فمن أين لك هذا؟ فسكت برهة ثم قال: اصبر قليلاً حتى آتي بالكتاب، ثم هتف إليّ قائلاً -ويا لهول ما قال-: إن الإمام مالكا هو الذي عزا الحديث لمسلم في كتاب البر والصلة... إلخ فقلت: ما هذا أيها الشيخ، ألا تعلم أن بين مسلم ومالك مفاوز وأن مسلماً متأخر عن مالك؟ فإن من شيوخ مسلم الإمام أحمد، ومن شيوخ هذا الإمام الشافعي، ومن شيوخ الشافعي مالك، فكيف يعزو مالك الحديث إلى مسلم وهو قد مات قبله بسنين؟

ثم سكت متحيراً وتكلم بكلمات فهمت منها أن مالكا قال ذلك في كتابه «الموطأ» فقلت: هذا مستحيل، وسأدرس الموضوع وأبين لك الحقيقة، إن شاء الله تعالى.

فعدت إلى المكتبة الظاهرية وراجعت «الموطأ» بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، فكان ذلك هو السبب لاكتشاف تلك الخطيئة الفاحشة التي أنبتت أفحش منها، بسبب جهل الناس بالحديث وقلة عنايتهم به، حتى في المدارس الشرعية والكلية^(١).

- وفي قصة أخرى قال رَحِمَهُ اللهُ: «لقد جوعت نفسي في أواخر سنة ١٣٧٩ أربعين يوماً متتابعاً، لم أذق في أثنائها طعاماً قط، ولم يدخل جوفي إلا الماء، وذلك طلباً للشفاء من بعض الأدوية، فعوفيت من بعضها دون بعض، وكنت قبل ذلك تداويت عند بعض الأطباء نحو عشر سنوات دون فائدة ظاهرة، وقد خرجت من التجويع المذكور بفائدتين ملموستين:

(١) «نقد نصوص حديثية» (ص ٣٨) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص ٣٨-٤٠).

الأولى: استطاعة الإنسان تحمل الجوع تلك المدة الطويلة، خلافاً لظن الكثيرين من الناس.

والأخرى: أن الجوع يفيد في شفاء الأمراض الامتلائية، كما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- وقد يفيد في غيرها أيضاً كما جرب كثيرون، ولكنه لا يفيد في جميع الأمراض على اختلاف الأجسام، خلافاً لما يستفاد من كتاب «التطبيب بالصوم» لأحد الكتاب الأوربيين، وفوق كل ذي علم عليم^(١).

-وذكر الشيخ علي بن حسن هذا الموقف لما سافر مع الشيخ في آخر عمرة اعتمرها، فقال فيما كتبه إليّ:

«...وقد كنا مسافرين في سيارتين: الأولى: سيارة شيخنا وزوجته وولده،

والثانية: أنا مع بعض إخواننا.

فلما وصلنا يوم الخميس مدينة معان وهي آخر المدن الأردنية قبل وصولنا إلى الحدود السعودية من جهة «حالة عمار- تبوك»، وبعد خروجه منها بما لا يزيد عن عشرين كيلو متراً، فإذا بشيخنا -وهو سائق السيارة الأولى سيارته- يقف فجأة على يمين الشارع، فوقفنا ونزلنا مسرعين نستخبر الأمر مستغربين، فقال رَحِمَهُ اللهُ: لقد نسيت جواز سفري في عمان، وأريد أن أرجع لإحضاره.

فحاولنا معه جاهدين أن نرجع نحن أو بعضنا وأن يبقى الشيخ هو هناك حتى نرجع، فأبى إباء شديداً وأصرَّ أن يرجع هو.

وهكذا كان؛ فرجع هو إلى عمَّان لإحضار جواز سفره، وأكملنا نحن مسيرنا إلى الديار السعودية، وبتنا يوم الخميس ليلة الجمعة في أحد فنادق تبوك منتظرين وصول شيخنا ليلاً، فلم يصل.

فمننا مخمنين أنه تأخر لسبب ما، وقد يصل نصف الليل أو بعده، فتتيقن من

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤١٩).

ذلك فجرًا، ولم يكن يومئذٍ هواتف متنقلة.

ففوجئنا فجرًا أن الشيخ لم يصل، فاتصلنا بمنزله فلم يرد، وكررنا وحاولنا ولا جدوى.

فاتصلنا بجاره الوفي وصاحبنا العزيز الأخ الفاضل: أبي عبد الله عزت خضر - حفظه الله وأسرت وأولاده - ففوجئ بمجريات ما أخبرناه به، وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة، وأخبرنا أنه سيذهب إلى بيت الشيخ ليطمئن ويعلمنا الخبر. لم نصبر طويلًا... وعادونا الاتصال ببيت الشيخ؛ فإذا به رَحِمَهُ اللهُ يجاوبنا، فاستعلمنا - مستغربين - عما جرى، وقد وعدنا أمس أن يعود في اليوم نفسه، فقال: أراد الله أن يعجم^(١) عود الألباني، قد عدت فعلاً.

فزادنا تعجبًا واستغرابًا، فقال: عُدْتُ، وفي المركز الحدودي اكتشف الشرطي المسئول هناك أن جواز سفري قد انتهت مدته ولا بد من تجديده.

فاسترجعنا وحوقلنا، فقال شيخنا مهونًا علينا: وغدا السبت - بإذن الله - سأجدد جواز السفر وأجدد المسير إلى العمرة - إن شاء الله -.

فقلنا له: نتظرك في تبوك، قال: لا، بل اسبقوني أنتم إلى المدينة النبوية. ففعلنا مكرهين، وفي مساء اليوم التالي - أو الذي يليه - وصل شيخنا إلى المدينة النبوية^(٢).

(١) في «لسان العرب»: «عجم الشيء يعجمه عجمًا وعجومًا: عضه ليعلم صلابته من خوره». وفي «الصحاح»: «عجمت عوده؛ أي: بلوت أمره وخبرت حاله».

وفي خطبة للحجاج الثقفي قال: إن أمير المؤمنين نكب كنانته فعجم عيدانها عودًا فوجدني أمرها عودًا وأصلبها مكسرًا فوجهني إليكم، أي: أنه قد عضها بأضراسه ليخبر صلابتها، يعني: أنه جرب الرجال فاختراني منهم.

وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣٢٧/٢).

(٢) رسالة أرسلها إليَّ الشيخ علي بالفاكس، وقد اختصرت بعض ألفاظها.

التثبت في قبول الأخبار

قبول الأخبار على عواهنها وعدم التروي والتثبت من صحتها، ومن ثم بناء الأحكام والتصورات عليها مخالف بل مصادم لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُفْرًا فَاسْقُ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذه الآية الكريمة جامعة مانعة في بيان أصول التثبت وما يترتب من الفساد عند عدمه.

وأولى الناس بهذا المنهج طلبة العلم، ناهيك عن أئمة العلم. وإليك هذا الكلام من الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في شأن كتاب مصنف في الرد عليه، ومع ذلك لم يقطع الشيخ بحقيقة مؤلف الكتاب، بل توقف في نشر رده عليه حتى يتضح الأمر، زد على هذا اعترافه بأن صاحب الكتاب قد أصاب في بعض ما كتبه في الرد عليه.

قال -رحمه الله تعالى-: «وبهذه المناسبة أقول: لقد اطلعت منذ ثلاث سنين على الجزء الأول من كتاب بعنوان: «الألباني شذوذه وأخطاؤه» بقلم: أرشد السلفي، طبع المطبعة العلمية ماليكاؤن (ناسك) الهند، ثم على الجزء الثاني منه؛ فتصفحتهما فتبين لي أن مؤلفه من متعصبة الحنفية، وله اطلاع لا بأس به على كتب الحديث ورجاله، ولم نعرف شخصه، بل غلب على الظن أن هذا الاسم مزور ولا حقيقة له، ولذلك دارت الظنون حول بعض المشهورين بعدائهم الشديد للسنة وأهلها،

ولكن لما كان لا يجوز الحكم بالظن أمسكنا عن الجزم بهويته، ثم بدأت الأخبار تتوارد من هنا وهناك أنه هو الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي المذكور. فإذا ثبت هذا؛ فإنه يؤسفني أن يحشر نفسه في زمرة أعداء السنة في الوقت الذي يتظاهر بخدمتها وتحقيق كتبها، ولا يظهر لي شخصياً إلا كل ود واحترام حينما كنا نلتقي به في المكتب الإسلامي في بيروت، وكان يومئذ على تصحيح تجارب كتاب «مصنف عبد الرزاق».

والى أن نتيقن أنه هو؛ فإنه لا بد لي من أن أشير إلى أن الرد المذكور محشو بالبهت والافتراء عليّ، وبالجهل بعلم الحديث، ومصطلحه، والطعن في أهله، كالإمام أحمد وابن تيمية وغيرهما، مع التعصب الشديد للمذهب الحنفي. وهذا بالطبع لا يعني أنه لم يصب في شيء مطلقاً مما انتقدني فيه، فما منا من أحد إلا ردٌّ وردَّ عليه إلا النبي ﷺ، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ. ولديّ الآن مسودة الرد على الجزأين المذكورين، فإذا انكشف الغطاء وتيقنا أنهما للشيخ الأعظمي استخرنا الله في تبيينهما، عسى الله أن ييسر لنا نشرهما»^(١).

ومما قد يدخل في هذا المبحث: أنه لما ذكر كتاب «منهاج الصالحين» لعز الدين بليق، قال -رحمه الله تعالى- ما نصه:

«... فقد درست كتابه دراسة دقيقة لمناسبة عرضت، وتتبع أحاديثه حديثاً حديثاً، فها لني كثرة ما فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حتى جاوز مجموعها الأربعمائة حديث...»^(٢).

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١٠ / القسم الثاني / ٧٧١-٧٧٢).

(٢) من مقدمة «السلسلة الصحيحة» (٤ / و).

وقال بعض تلاميذه: «...وبينما كان شيخنا يقرأ الكتاب أتى عليّ ردّ لي عليّ إسماعيل الأنصاري والسقاف، حيث نقل السقاف عن إسماعيل الأنصاري توهيم شيخنا في عزوه لحديث، فرددتُ عليهما مبيّناً صواب شيخنا وخطأهما، فقال لي شيخنا: هل وقفت عليّ كلام الأنصاري من كتابه؟ فقلت: لا؛ لأنني بحثت عن الكتاب ولم أجده واكتفيت بنقل السقاف، فقال شيخنا: لا يصلح هذا؛ إما أن تقف عليّ كلام الأنصاري بنفسك وتتأكد من كلامه، وإما أن تحذف ذكر الأنصاري وتقتصر في ردّك عليّ السقاف»^(١).

ومن لطيف التوثق في الخبر قوله -الألباني رحمه الله تعالى- في كتاب «صحيح أبي داود» (الأم):

«ولما منّ الله تعالى عليّ في العام الماضي (١٣٦٨) بالحج إلى المسجد الحرام، ثمّ بزيارة مسجد نبيه -عليه الصلاة والسلام- ذهبت يوم الأربعاء ٢٥ محرم ١٣٦٩ إلى بئر بضاعة للاطلاع، فوجدته لا يزال في البستان شمال المسجد النبوي، وقد وضع عليه مضخة آلية لغزارة الماء فيه، فإن ارتفاعه إلى سطح الماء يبلغ نحو (١٣) ذراعاً، ومن سطحه إلى فوهته نحو (١٧) ذراعاً، وقد تمكنا من معرفة ذلك، بواسطة حبل جاء به إلينا القيمّ عليّ البستان، فربطنا بطرفه حجراً ثم أدليناه حتى القعر؛ فكانت النتيجة ما ذكر. وأما قطر فوهته فستة أذرع كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، فالظاهر أن الماء زاد كثيراً عليّ ما كان عليه في عهده، والله أعلم»^(٢).



(١) «محدث العصر» عصام هادي (ص ٢٠).

(٢) «محدث العصر» عصام هادي (ص ٨٩).

فراسته

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي دُكَّانِهِ -دُكَّانُ تَصْلِيحِ السَّاعَاتِ- وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْإِخْوَةِ مِمَّنْ هُمْ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالسُّلَفِيَّةِ، فَدَخَلَ أَسْتَاذُ صَدِيقٍ لِلشَّيْخِ يَعْمَلُ مَدْرِّسًا فِي بَعْضِ قَرْيِ حَمَصٍ وَمَعَهُ بَدْوِي، فَقَالَ الْأَسْتَاذُ: يَا شَيْخُ، هَذَا مِنْ قَرِيَّتِنَا وَمَعَهُ سَاعَةٌ يَرِيدُ أَنْ يَصْلَحَهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَلَمَّا أَخَذَتِ السَّاعَةُ، وَنَظَرْتُ فِيهَا وَإِذَا بِهَا سَاعَةٌ ثَمِينَةٌ، فَقُلْتُ لِلْبَدْوِيِّ: لَعَلَّكَ اشْتَرَيْتَهَا مِنْ حَمَصٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: حَسَنًا، سَوْفَ أَصْلَحَهَا.

ثُمَّ دَخَلَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا فَقَالَ: يَا شَيْخُ، أَشْكَلُ عَلَيَّ عَوْدَ الضَّمِيرِ عَلَيَّ مِنْ فِي آيَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ عَلَيَّ الْفُورُ: لَعَلَّهُ أَشْكَلُ عَلَيْكَ: ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]. فَقَالَ: نَعَمْ، فَأُجِبْتُ الْأَخَ...

ثُمَّ التَفَتُّ إِلَى جَلِيسِي -وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْعَجَبُ- فَقُلْتُ لَهُ: أَمَّا الْأَوَّلُ فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الْأَسْتَاذَ يُدْرِّسُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ حَمَصٍ، وَلَمَّا قَالَ بَأَنَّ الْبَدْوِيَّ مِنْ قَرْيَتِهِ وَالسَّاعَةُ ثَمِينَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبَاعَ فِي الْقَرْيِ بَلْ فِي الْمَدَنِ، وَأَقْرَبُ مَدِينَةٍ عَلَيْهِ هِيَ حَمَصٌ؛ لِذَا قُلْتُ لَهُ: لَعَلَّكَ اشْتَرَيْتَهَا مِنْ حَمَصٍ.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ طَالِبُ عِلْمٍ وَقَوِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يُشْكَلُ عَلَيْهِ أَيُّ آيَةٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ فِيهَا عَلَيَّ «مِنْ»؛ لِذَا قُلْتُ لَهُ: لَعَلَّهُ أَشْكَلُ عَلَيْكَ الْآيَةُ الْفُلَانِيَّةُ^(١).

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٢٩).

«ما يتنبأ به الإنسان بفراسته وملاحظته الدقيقة التي لا يتنبه لها غيره، وقد وقع لي شخصياً من هذا النوع حوادث كثيرة لولا أنني كنت أبادر إلى الكشف عن أسبابها الطبيعية لظنها الناس كشفاً صوفياً، فمن ذلك: أنني كنت يوماً في حلقة الدرس أنتظر أن يكتمل الجمع، إذ قلت لمن عن يميني -وهو حي يرزق-: بعد قليل يدخل فلان -لشاب سميته- فلم يمض سوى لحظات حتى دخل!

فنظر إليّ جليسي دهشاً كأنه يقول: أكشف؟ فقلت: لا بل هي الفراسة، ثم شرحت له سرّ المسألة، وذلك أن الشاب المشار إليه أعرف أن له دراجة عادية يأتي عليها إلى الدرس، وأعرف أيضاً أن الراكب لها إذا أراد النزول عنها أوقف تحريك رجله إذا اقترب من المكان الذي يريد النزول عنده، وأنه عند ذاك يسمع منها صوت بعض مسنناتها، وكانت دراجة الشاب من النوع المعروف بـ «السباقية»، والصوت الذي يُسمع منها عند النزول أنعم من الأخريات، وكان هو الوحيد الذي يركبها من بين الذين يحضرون الدرس عادة، فلما أراد النزول وأوقف رجله طرق سمعي ذلك الصوت فعرفت أنه هو، وأخبرت جليسي به، فكان كذلك»^(١).



(١) «التنكيل» (٢٣٩/١) حاشية.

إنزال الناس منازلهم

ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»^(١).

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -: «مبحث في تعظيم من كان رأساً في طائفته وكبيراً عند أهل نحلته» ثم ساق الحديث السابق، وساق بإسناده قوله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

وذكر أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس»^(٢).

وفي إنزال الناس منازلهم اعتراف بفضلهم، وإظهار لمنزلتهم، وكسب لقلوبهم واختصار لجهود كثيرة، وقبل هذا كله اقتداء بهدي النبي ﷺ، فقد كان ﷺ ينزل الناس منازلهم، وهذا من السياسة الشرعية التي تعود على الداعي والمدعو بالمصلحة.

(١) ذكره مسلم في مقدمة «صحيحه» بلا إسناد تعليقاً (١/١٦)، وأخرجه بلفظ: «أنزلوا...»

أبو داود في كتاب الأدب، باب (٢٣) رقم (٤٨٤٢) (٥/١١٢).

وقد ورد من غير حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر تفصيل ذلك في كتاب «المقاصد الحسنة» للسخاوي الحديث رقم (١٧٩)، وقد قال في آخر كلامه: «وبالجملة؛ فحديث عائشة حسن».

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/٢٧٣).

وشواهد ذلك كثيرة؛ ومن ذلك:

كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وفيه: «من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم...».

ذكر الحافظ ابن حجر عن قوله: «عظيم الروم» أن النبي ﷺ لم يُخله من إكرام لمصلحة التألف^(١).

والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ قد سار على هذا المنهج في خطابه وكتاباته عند ذكره للعلماء وغيرهم ممن له منزلة في مجتمعاتهم خصوصاً أو عند الناس عموماً، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- كان الألباني يلقب ابن حجر بـ «أمير المؤمنين في الحديث»، وقال عنه: لم تلد النساء مثله^(٢).

- «...فهذا مثلاً الشيخ الفاضل العلامة المحقق السيد جمال الدين القاسمي ألف كتابه القيم «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، وقد انتفعت به كثيراً...»^(٣).

- «الأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا»^(٤).

- «فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - وفقه الله لما يحبه ويرضاه - فقد تلقيت من فضيلتكم صورة عن كتابكم الكريم وذيلتم كتابتكم بإبداء رغبتكم في اطلاعي على ذلك والإفادة بما لدي في الموضوع، شكر الله لكم حسن ظنكم بأخيكم،

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٠).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١١٧).

(٣) «الأجوبة النافعة» (ص ١١٣).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٩/ حديث ٤٤١٤).

وجزاكم عن السنة خير الجزاء، فنزولاً عند رغبتكم اطلعت على المقال المذكور بترجمته وأمعت النظر فيه، فتبين لي أنه باطل -كما قلت- برمته...»^(١).

- «... تأليف العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني -رحمه الله تعالى-...»^(٢).

- «صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، أصحاب السمو الأمراء، أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة»^(٣).

- «برعاية خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز، وأن يطيل في عمره في طاعة وسداد أمر وتوفيق موصول، وإني لأشكر لمؤسسة الملك فيصل الخيرية على ما تبذله من خير وجهه وتكريم للعلم والعلماء، وهي بذلك إنما تؤدي شيئاً من حق الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهَا، وهو شيء من معنى قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾»^(٤).

- «العلامة الزركلي هو أعلم من عرفنا في العصر الحاضر بتراجم الأعلام قديماً وحديثاً»^(٥).

- ولما سئل عن سبب قوله: «قال المعلق على الإحسان» وعدم تسمية المعلق، فقال: «أنا أجل شعيباً أن يقع بمثل هذا الخطأ، ويغلب على ظني أنه من عمل أحد

(١) «الذب الأحمدي عن مسند الإمام أحمد» (ص ٩).

(٢) مقدمة «التنكيل» (٣/١).

(٣) مفتتح كلمة الشيخ الألباني الملقاة عنه بالنيابة بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩ هـ.

(٤) مختتم كلمة الشيخ السابقة.

(٥) «السلسلة الضعيفة» (١٢/٩٢٤).

- العاملين تحت يده، وما غلب على ظني أنه من شعيب أصرح باسمه»^(١).
- وقال عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - صاحب «أضواء البيان»: «كنت إذا رأيته كأني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية، رجل بين يديه العلوم يأخذ منها ما شاء»^(٢).
- وقال عن أحمد السالك الشنقيطي: «أشتري مجالسة السالك بالذهب». وكان يقول عنه أيضًا: «أفقه أهل الأردن»^(٣).
- كان يُثني على الشيخ حماد الأنصاري كثيرًا، ويصفه بالإنصاف^(٤).



(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١١٠).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٠٣).

(٣) «محدث العصر» (ص ٩٨).

(٤) «محدث العصر» (ص ٨٩).

بُعد الشيخ عن الشهرة

ويدخل تحت مبحث تواضعه: بُعده - رحمه الله تعالى - عن الشهرة وعدم طلبه لها، ولو أرادها لأتته من جميع وسائلها، ورحم الله الشيخ فقد طرد الشهرة ونبذها لكنها غلبت الشيخ.

ولقد كان البُعد عن الشهرة منهجاً للسلف الصالح؛ ذلك لأن طلب الشهرة قد يكون من طُرق الرياء والسمعة، ومن شواهد بُعد السلف وذمهم لطلب الشهرة ما ورد عن عُمر - رضي الله تعالى عنه - أنه رأى أناساً يمشون خلف رجل، فضربه عمر بالدرة وقال: «إنها فتنة للمتبوع مذلة للتابع»^(١).

ذلك لأن عمر لما رأى أولئك يمشون خلفه خشي على المتبوع من فتنة العجب.

وقال حماد: «كنت أمشي مع أيوب فيأخذ في طرق إني لأعجب كيف يهتدي لها فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب»^(٢).

وقال الإمام أحمد: «أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف وقد بليت بالشهرة»^(٣).

(١) «مسند الدارمي» (١/ ١٤٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٠).

وقال بشر بن الحارث: «ما اتقى الله من أحب الشهرة»^(١).

ومن أمثلة بُعد الشيخ الإمام الألباني عن مظاهر الشهرة: عندما عرض عليه أحد أصحابه من أهل الحجاز - وكان الشيخ وقتها في زيارة للمملكة سنة ١٤٠٥ - الذهاب إلى دولة بنغلادش لمدة ثلاثة أيام للدعوة إلى التوحيد، وأخبر أن الحضور سيصلون إلى قرابة ثلاثة ملايين، فاعتذر الشيخ بعدم استطاعته، فعاود عليه الداعي الدعوة مرة ثانية وثالثة ولو ليوم واحد، إلا أن الشيخ كرر اعتذاره. فلما عاد الشيخ إلى منزله سأله بعض من معه عن سبب اعتذاره عن الذهاب إلى هناك فأجاب - رحمه الله تعالى - بقوله: «إني أخشى على نفسي الفتنة»^(٢).

ومع عدم ظهور الشيخ في وسائل الإعلام وعدم كثرة أسفاره، إلا أن صيته في الآفاق شَرَّقَ وغَرَّبَ وأشمل وأجنب، وذلك - بعد فضل الله تعالى - بسبب انتشار كتبه ورسائله وتلفه أهل العلم على تحصيلها؛ لما فيها من التحقيق والبحث، مع صدق نيته وطيب طويته، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً. ومن الأمثلة: أنه رآه رَحِمَهُ اللهُ مرة رجل والشيخ جالس في السيارة فاندفع الرجل إليه قائلاً: أنت الشيخ الألباني؟ فبكى الشيخ، وعندما سئل - رحمه الله تعالى - عن سبب بكائه؟ قال: ينبغي للمرء أن يجاهد نفسه وألا يغتر بإشارة الناس إليه.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

(٢) «الإمام المجدد» (ص ٥٩).

من دلائل رسوخ قدمه في العلم

- اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع خاصة بـ «موسوعة الفقه الإسلامي» التي عازمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥ م.
- اختير عضواً في لجنة الحديث التي شكلت في عهد الوحدة بين سورية ومصر للإشراف على نشر كتب السنة المطهرة.
- طلبت منه الجامعة السلفية في بنارس بالهند أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك؛ لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.
- درّس في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، من تأسيس الجامعة سنة ١٣٨١ هـ إلى سنة ١٣٨٣ هـ.
- طلب منه وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عام ١٣٨٨ هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة أم القرى بمكة، وقد حالت ظروفه دون تحقيق ذلك.
- اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٥ هـ إلى عام ١٣٩٨ هـ.
- زار الشيخ رحمه الله إسبانية بدعوة من اتحاد الطلبة المسلمين هناك، حيث ألقى محاضرة هامة طُبعت فيما بعد بعنوان: «الحديث حجة بنفسه في العقائد

والأحكام»، كما زار إنجلترا، وقطر حيث ألقى محاضرة هناك بعنوان «منزلة السنة في الإسلام»، والكويت، والإمارات العربية، وعددًا من الدول الأوروبية.

- انتُدب من قبل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ للدعوة للتوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق في مصر والمغرب وبريطانية.

- دُعي إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير منها بسبب أشغاله العلمية الكثيرة.



معرفة الشيخ بواقع حال المسلمين

معرفة واقع حال المسلمين ليس بمجرد جمع الأخبار على هئاتها وعلاقتها، بل باستقراء حال المسلمين ومعايشتهم ومعرفة ما يُكاد لهم وتفويض من يوثق في عقله وصدقه بنقل أخبارهم وحالهم إليه، ثم يعالج قضايا المسلمين بالعلم الشرعي لا بالعاطفة المجردة.

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ من أكثر الناس فيما يعرف إحاطة بمعرفة حال المسلمين، بل ومن أدرى الناس بعلاج قضاياهم ومشكلاتهم بما آتاه الله وَجَلَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الكتاب والسنة، وإن الإنسان ليعجب من إدراك الشيخ وسعة اطلاعه ومعرفته بحال المسلمين، وذلك من خلال:

أولاً: نشره وإكثاره الكلام عن العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص: وذلك من خلال تصنيفه في بعض المباحث العقدية، كـ «التوسل»، و«تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، وما يتعلق بحجية خبر الأحاد، وغير ذلك، وانظر مبحث «من وجوه نصرته للسنة» (ص ٣٩٧).

ثانياً: تحذيره ورده القول والكتابي على كثير من البدع، مثل:

- كلامه عن بدع الأذان «إرواء الغليل» (١/ ٢٥٥).
- كلامه عن بدع الصلاة «صفة الصلاة» (ص ٨٥-٨٦).
- وعن بدع الجمعة «الأجوبة النافعة» (ص ١١٩).
- وعن بدع الذكر والدعاء «السلسلة الصحيحة» (١/ ١ ق/ ١٥٢).

- وعن بدع الجنائز «أحكام الجنائز» (ص ٣٠٧).
- ثالثًا: التحذير والرد على كثير من الطوائف والفرق المنحرفة، ومن ذلك:
- الرد على القاديانية «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٥٢)، «السلسلة الضعيفة» (١/ ٢٥٥، ٦/ ٥٢).
- الرد على الشيعة «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٥٩).
- الرد على الصوفية «السلسلة الضعيفة» (١/ ٧٩).
- الرد على الخوارج «إرواء الغليل» (١/ ٢٢١).
- الرد على الإباضية «صفة الصلاة» (ص ٢٦).
- وللزيادة من هذا انظر مبحث: «ردوده» (ص ١٧٦).
- رابعًا: التفاعل مع مُصاب الإسلام والمسلمين والتعاطف معهم.
- انظر كلامه مثلاً عن احتلال اليهود لفلسطين، وواجب المسلمين في ذلك، «التعليق على الطحاوية» (ص ٨٢-٨٣)، و«الصحيحة» (٧/ ٢ ق/ ١٢٤٣).
- كلامه عن هجرة الأفغان من بلادهم إلى باكستان، وكذا هجرة البوسنيين إلى بعض البلاد الإسلامية «الصحيحة» (٦/ ٢ ق/ ٨٥٦).
- كلامه عن تداعي الكفار على المسلمين «رسالة التوحيد أولاً» (ص ٤١).
- كلامه عن طريقة الخلاص من ظلم الحكام «التعليق على الطحاوية» (ص ٧٨).

وبعد هذا يقال:

- مَن نظر في بعض تعليقاته المثورة في كتبه أو في إجاباته على الأسئلة أدرك بُعد نظره وسعة أفقه في معرفة واقع المسلمين، ومن ثم تشخيص الداء والدواء، وإليك شواهد قليلة من كثير:
- قال رَحِمَهُ اللهُ: «... لذلك فأنا أرى أن أي إصلاح -يجب أن يقوم به الدعوة

إلى الإسلام، والناشدون لإقامة دولة الإسلام بإخلاص - هو أن يعودوا إلى أن يفهموا أولاً أنفسهم ويفهموا الأمة ثانياً: الدين الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- وذلك لا سبيل إليه -فيما أعتقد اتفاقاً بين جميع الفقهاء بأنه لا سبيل إلى الرجوع إلى فهم الدين على الحقيقة التي أنزلها الله ﷻ إلا بدراسة الكتاب والسنة»^(١).

- «من أكبر المصائب التي أصيب بها بعض المسلمين: جهلهم بحقيقة الشرك الذي هو أكبر الكبائر، ومن صفته أنه يحبط الأعمال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾»^(٢).

- «...وعلى أهل العلم والفضل أن يغتنموا فرصة التقائهم بالحُجاج في المسجد الحرام وغيره من المواطن المقدسة، فيعلموهم ما يلزم من مناسك الحج وأحكامه على وفق الكتاب والسنة، وألا يشغلهم ذلك عن الدعوة إلى أصل الإسلام الذي من أجله بُعث الرسل، وأنزلت الكتب، ألا وهو التوحيد، فإن أكثر ما لقيناهم حتى ممن ينتمي إلى العلم -وجدناهم في جهل بالغ بحقيقة التوحيد، وما ينافيه من الشراكيات والوثنيات، كما أنهم في غفلة تامة عن ضرورة رجوع المسلمين -على اختلاف مذاهبهم وكثرة أحزابهم- إلى العمل بالثابت في الكتاب والسنة في العقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق والسياسة والاقتصاد، وغير ذلك من شؤون الحياة، وأن أي صوت يرتفع، وأي إصلاح يزعم على غير هذا الأصل القويم والصراط المستقيم فسوف لا يجني المسلمون منه إلا ذلاً وضعفاً، والواقع أكبر شاهد على ذلك، والله المستعان»^(٣).

(١) «التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٥).

(٢) «حجة النبي ﷺ» (ص ٦-٧).

(٣) «حجة النبي ﷺ» (ص ٢٣-٢٤).

- «... وإن مما يؤسف له أن يكون حق التأليف والنشر مصوناً عند الكفار الغربيين ضائعاً في بلاد الإسلام والمسلمين، والله المستعان»^(١).

- «... ويوم تستجيب النساء المسلمات لأمر الله إلا من شذ منهم وتكون غريبة مهينة بين المستجيبات، فيومئذ يعود إلى المسلمين عزهم ومجدهم، وتقوم لهم دولتهم وينصرهم الله على عدوهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥٠ ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ [الروم: ٤-٥].

ولن يكون ذلك إلا إذا استجاب لأمره تعالى الرجال قبل النساء، وعسى أن يكون ذلك قريباً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]^(٢).

- ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ جملة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ ﴿وَعَآيِنَاهُمْ يَبْئُتِ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٦-١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ءِإِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ٣٦ ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٦-٣٧].

وقوله: ﴿﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص ٢٨).

(٢) «حجاب المرأة المسلمة» (ص ٩).

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]. وغيرها، ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

«...فتبين من الآيات المتقدمة أن ترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم من المقاصد والغايات التي أسسها وجاء بها القرآن الكريم، وقد قام النبي ﷺ ببيان ذلك وتفصيله للأمة، وحققه في أمور كثيرة من فروع الشريعة، حتى عرف ذلك اليهود الذين كانوا في مدينة النبي ﷺ، وشعروا أنه ﷺ يريد أن يخالفهم في كل شئونها الخاصة بهم»^(١).

- «...مخالفة الكفار وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا، فالواجب على كل مسلم -رجالاً ونساء- أن يُراعوا ذلك في شئونها كلها، وبصورة خاصة في أزيائهم وألبستهم»^(٢).

- خرج رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الضعيفة» حديث: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام» وحكم عليه بالوضع، ثم علق عليه بقوله: «ولولا أن في معناه ما يدل على بطلانه لاقتصرننا على تضعيفه؛ ذلك لأن الإسلام لا يرتبط عزه بالعرب فقط، بل قد يعزه الله بغيرهم من المؤمنين، كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية -لا سيما في أوائل أمرها- فقد أعز الله بهم الإسلام حتى امتد سلطانه إلى أواسط أوروبا، ثم لما أخذوا يحيدون عن الشريعة إلى القوانين الأوروبية (يستبدلون الأدنى بالذي هو خير) تقلص سلطانهم عن تلك البلاد وغيرها حتى لقد زال عن بلادهم، فلم يبق فيها من المظاهر التي تدل على إسلامهم إلا الشيء اليسير، فذل بذلك المسلمون جميعاً بعد عزهم، ودخل الكفار

(١) «جلباب المرأة المسلمة» (ص ١٦٥).

(٢) «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٢٠٦).

بلادهم واستذلّوهم إلا قليلاً منها، وهذه وإن سلمت من استعمارهم إياها ظاهراً فهي تستعمرها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة، كالاقتصاد ونحوه.

فثبت أن الإسلام يعز ويذل بعز أهله وذله؛ سواء كانوا عرباً أو عجمًا و«لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، فاللهم أعزّ المسلمين وألهمهم الرجوع إلى كتابك وسنة نبيك حتى تُعزّ بهم الإسلام.

يَبْدُ أن ذلك لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم، بل هذا هو الذي أؤمن به وأعتقد وأدين الله به، وإن كنت ألبانياً فإني مسلم والله الحمد؛ ذلك لأن ما ذكرته من أفضلية جنس العرب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويدل عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب، منها قوله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، رواه أحمد (١٠٧/٤)، والترمذي (٣٩٢/٤) وصححه، وأصله في «صحيح مسلم» (٤٨/٧)، وكذا البخاري في «التاريخ الصغير» (ص ٦) من حديث واثلة بن الأسقع، وله شاهد عن العباس بن عبد المطلب عند الترمذي وصححه، وأحمد، وآخر عن ابن عمر عند الحاكم (٨٦/٤) وصححه.

ولكن هذا ينبغي ألا يحمل العربي على الافتخار بجنسه؛ لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربي ﷺ على ما سبق بيانه، كما ينبغي ألا نجهل السبب الذي به استحق العرب الأفضلية، وهو ما اختصوا به في عقولهم وألستهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهّلهم لأن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنه إذا عرف العربي هذا وحافظ عليه أمكنه أن يكون مثل سلفه عضواً صالحاً في حمل الدعوة الإسلامية، أمّا إذا هو تجرد من ذلك فليس له من الفضل شيء، بل الأعجمي الذي تخلق بالأخلاق الإسلامية هو

خير منه دون شك ولا ريب، إذ الفضل الحقيقي إنما هو اتباع ما بُعث به محمد ﷺ من الإيمان والعلم، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحددة في الكتاب والسنة، مثل: الإسلام، والإيمان، والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربيًّا أو أعجميًّا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم، ولهذا قال الشاعر العربي:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكَلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَب نَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وجملة القول: إن فضل العرب إنما هو لمزايا تحققت فيهم، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم ذهب فضلهم، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خيرًا منهم، «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة وهو لا يتصف بشيء من خصائصها المفضلة، بل هو أوربي قلبًا وقالبا^(١).

- تحت حديث: «بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقعها فاستقت له به، فسقته إياه فغفر لها به».

ذكر الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ آثارًا في الرفق بالحيوان، ثم قال: «تلك هي بعض الآثار التي وقفت عليها حتى الآن، وهي تدل على مبلغ تأثر المسلمين الأولين بتوجيهات النبي ﷺ في الرفق بالحيوان، وهي في الحقيقة قل من جُل، ونقطة من بحر، وفي ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ «الرفق بالحيوان»، خلافًا لما يظنه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع الكفار

(١) «السلسلة الضعيفة» حديث (١٦٣).

الأوربيين، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأوّلين، ثم توسعوا فيها ونظموها تنظيمًا دقيقًا، وتبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم، وغرهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبّقًا في دولة من دول الإسلام، وكانوا هم أحق بها وأهلها»^(١).

- خرج رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» حديث: «إن أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء، فإذا وقع في الطعام فامقلوه، فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء».

ثم قال: «ثم إن كثيرًا من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء، وهو: أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم، والحقيقة أن الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك، بل هو يؤيدهم، إذ يخبر أن «في أحد جناحيه داء»، ولكنه يزيد عليهم فيقول: «وفي الآخر شفاء»، فهذا مما لم يحيطوا بعلمه، فوجب عليهم الإيمان به إن كانوا مسلمين، وإلا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم إن كانوا عقلاء علماء، ذلك لأن العلم الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه.

نقول ذلك على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة، وقد اختلف آراء الأطباء حوله، وقرأت مقالات كثيرة في مجلات مختلفة كل يؤيد ما ذهب إليه تأييدًا أو ردًا، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث وأن النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. لا يهمنا كثيرًا ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب؛ لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي، ومع ذلك فإن النفس تزداد إيمانًا حين ترى الحديث الصحيح يوافق العلم الصحيح...»^(٢).

(١) «السلسلة الصحيحة» (١ / حديث ٣٠).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٦٠-٦٣) حديث (٣٩).

- خرج رَحِمَهُ اللهُ حَدِيث: «خياركم من أطعم الطعام»، ثم ذكر ما فيه من الفوائد، ومنها:

«الثانية: فضل إطعام الطعام، وهو من العادات الجميلة التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ثم جاء الإسلام وأكد ذلك أيما تأكيد كما في هذا الحديث الشريف، بينما لا تعرف ذلك أوروبا ولا تستذوقه، اللهم إلا من دان بالإسلام منها، كالألبان ونحوهم.

وإن مما يؤسف له أن قومنا بدءوا يتأثرون بأوروبا في طريقة حياتها، ما وافق الإسلام منها وما خالف، فأخذوا لا يهتمون بالضيافة، ولا يلقون لها بالاً، اللهم إلا ما كان منها في المناسبات الرسمية، ولسنا نريد هذا، بل إذا جاءنا أي صديق مسلم وجب علينا أن نفتح له دورنا، وأن نعرض عليه ضيافتنا، فذلك حق له علينا ثلاثة أيام، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وإن من العجائب التي يسمعها المسلم في هذا العصر الاعتزاز بالعربية ممن لا يقدرها قدرها الصحيح، إذ لا نجد في كثير من دعائها اللفظيين من تتمثل فيه الأخلاق العربية، كالكرم، والغيرة، والعزة، وغيرها من الأخلاق الكريمة التي هي من مقومات الأمم، ورحم الله من قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأحسن منه قول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم -وفي رواية:

صالح - الأخلاق»^(١).

خرج رَحِمَهُ اللهُ حَدِيث: «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقول قائلهم:

هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله عَجَلَّ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد، الله

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٤-٧٥) حديث (٤٤).

الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً، وليستعذ من الشيطان». ثم قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «دلت هذه الأحاديث الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: من خلق الله؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: آمنت بالله ورسوله، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم يتفل عن يساره ثلاثاً، ويستعيذ بالله من الشيطان، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة.

وأعتقد أن من فعل ذلك طاعة لله ورسوله، مخلصاً في ذلك أنه لا بد أن تذهب الوسوسة عنه ويندحر شيطانه؛ لقوله ﷺ: «فإن ذلك يذهب عنه». وهذا التعليم النبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية؛ فإن المجادلة قلما تنفع في مثلها.

ومن المؤسف أن أكثر الناس في غفلة عن هذا التعليم النبوي الكريم، فتنبهوا أيها المسلمون، وتعرفوا إلى سُنّة نبيكم واعملوا بها، فإن فيها شفاءكم وعزكم»^(١).

قال رَحِمَهُ اللهُ: «...فمن المؤسف أن ينحرف بعض المتفقهة عن سبيل المؤمنين باسم الإصلاح تارة، والعدالة الاجتماعية تارة، فينكروا ما ثبت في الكتاب والسنة وجرى عليه عمل المسلمين بطرق من التأويل أشبه ما تكون بتأويلات الباطنيين من جهة، ومن جهة أخرى يثبتون ما لم يكونوا يعرفون، بل ما جاء النص بنفيه، والأمثلة على ذلك كثيرة».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «...فإلى الله المشتكى من علماء السوء والرسوم الذين

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٥) حديث (١١٨).

يؤيدون الحكام الجائرين بفتاويهم المنحرفة عن جادة الإسلام وسبيل المسلمين، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عِزَّ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]»^(١).

- خرَّج رَحِمَهُ اللَّهُ حديث: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار»، ثم علق عليه بقوله:

«واعتقادي أن كثيرًا من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول، والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام، ممن هو على علم به على حقيقته وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات، ليحسن عرضه على المدعوين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون»^(٢).

- خرَّج رَحِمَهُ اللَّهُ حديث: «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»، ثم علق بكلام ختمه بقوله: «فليتأمل العاقل هذا ولينظر حال المسلمين اليوم واختلافهم في مكيالهم وموازينهم على أنواع شتى بسبب هجرهم لهذا التوجيه النبوي الكريم.

ولما شعر بعض المسئولين في بعض الدول العربية المسلمة بسوء هذا الاختلاف اقترح البعض عليهم توحيد ذلك وغيره كالمقاييس بالرجوع إلى عرف

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٣-٦٤) حديث (١٤٢).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٢) حديث (١٥٧).

الكفار فيها، فوا أسفاه، لقد كنّا سادة وقادة لغيرنا بعلمنا وتمسكنا بشريعتنا، وإذا بنا اليوم أتباع ومقلدون، ولمن؟ لمن كانوا في الأمس القريب يقلدوننا ويأخذون العلوم عنا، ولكن لا بد لهذا الليل من أن ينجلي، ولا بد للشمس أن تشرق مرة أخرى، وهاقد لاحت تباشير الصبح، وأخذت الدول الإسلامية تعتمد على نفسها في كل شئون حياتها بعد أن كانت فيها عالة على غيرها، ولعلها تسير في ذلك على هدي كتاب ربها وسنة نبيها، والله في خلقه شئون»^(١).

وقال الشيخ عصام هادي -حفظه الله تعالى-: «كنت معه يوماً في المكتبة في الصباح الباكر، وكان بالقرب من بيته مدرسة بنات، وقد كانت هناك حفلة بمكبرات الصوت الخارجية، حيث كن يغنين، فتأذى الشيخ كثيراً وقال لي: هذا يا أستاذ من ثمار الثورة العربية الكبرى»^(٢).

وقال الشيخ عصام أيضاً: «لما عدتُ من إسبانيا حَدَّثْتُ شيخنا عن أحوال المسلمين، ومن جُملة ما حدثته حدثته عن العدل الذي يلقاه المسلمون في ديار الكفر من حيث الحرية في عباداتهم وتجمعاتهم، بحيث يتقدمون للبلدية مثلاً من أجل صلاة العيد في المصلّى فتُهيئ لهم بالبلدية مكاناً وترسل شرطي سير لتسهيل وقوف سياراتهم ومرورهم بسلام، وبعض من هذه الصور، فما كان من شيخنا إلا أن بكى وقال: الله أكبر، ويلقى المسلمون في بلاد الكفر من العدل والحرية ما لا يلقونه في بلاد الإسلام! فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٣).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعد حرب الخليج: «نحن قادمون على استعمار من الكفار، سواء مباشر كاستعمار اليهود في فلسطين، أم استعمار فكري وسياسي

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٠٩) حديث (١٦٥).

(٢) «محدث العصر» (ص ١٠٩).

(٣) «محدث العصر» (ص ١١٠-١١١).

واقتصادي رغم أنوفنا»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «المصيبة العظمى التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم: ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب؛ حتى إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يُقال لهم، ويطلب منهم الحاجات المختلفة بلغات متباينة، فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا ويميزون كل لغة عن الأخرى ولو كان الكلام بها في آن واحد، وهذا هو الشرك في صفات الله تعالى الذي جهله كثير من الناس فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى، ويبطل هذا ويرد عليه آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]. والآيات في هذا الصدد كثيرة، بل قد أُلِّفَ في بيان ذلك كتب ورسائل عدة، فمن كان في شك من ذلك فليرجع إليها يظهر له الحق إن شاء الله، ومن أجمعها: «مجموعة التوحيد النجدية» فعليك بمطالعتها، ومنها: «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، و«الرد على البكري» لشيخ الإسلام ابن تيمية»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «...ولكنَّ هناك اختلافاً كبيراً بين الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة ساحة الإصلاح ومحاولة إعادة الحياة الإسلامية، واستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية، هذه الجماعات مختلفة مع الأسف الشديد أشد الاختلاف حول نقطة البدء بالإصلاح، فنحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معاً، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم

(١) «محدث العصر» (ص ١٢٧).

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٣٢).

خرابًا يبابًا، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيدًا عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «إسلام» عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتلين حول أولئك الدعاة، ومن ثمَّ ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في ذوات أنفسهم فيما يمكنهم أن يطبقوه بكل سهولة، بحيث لا أحد مهما كان متكبرًا جبارًا يدخل بينه وبين نفسه.

وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه: لا حكم إلا لله، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل الله وهذه كلمة حق؛ ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان أكثر المسلمين اليوم لا يقيمون حكم الله في أنفسهم ويطالبون غيرهم بأن يقيموا حكم الله في دولتهم، فإنهم لن يستطيعوا تحقيق ذلك، ففاقد الشيء لا يعطيه؛ لأن هؤلاء الحكام هم من هذه الأمة، وعلى الحكام والمحكومين أن يعرفوا سبب هذا الضعف الذي يعيشونه، يجب أن يعرفوا لماذا لا يحكم حكام المسلمين اليوم بالإسلام إلا في بعض النواحي؟ ولماذا لا يطبق هؤلاء الدعاة الإسلام في أنفسهم قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه في دولتهم؟

الجواب واحد، وهو: إما أنهم لا يعرفون الإسلام ولا يفهمونه إلا إجمالًا، وإما أنهم لم يربوا على هذا الإسلام في منطلقهم وفي حياتهم، وفي أخلاقهم، وفي تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم، والغالب كما نعلمه بالتجربة، أنهم يعيشون في العلة الكبرى، وهي: بُعدهم عن فهم الإسلام فهمًا صحيحًا، كيف لا؟ وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يضيعون عمرهم في التوحيد؟ ويا سبحان الله، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل إن لم يكن غافلًا حقًا، عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّغُوتُ ﴿ [النحل: ٣٦] ﴾^(١).

- عندما يَبْنَ أن ذبح ونحر الهدى يكون في مكة كما يكون في منى، يَبْنَ أن جهل كثير من الحُجاج بجواز الذبح في مكة أدَّى إلى تكديس الذبائح في منى، وما يترتب على ذلك من عدم الاستفادة من كثير من اللحوم...

أشار رَحِمَهُ اللهُ إلى أن هناك ما يمكن أن تعالج به مشكلة فساد اللحوم، فقال -رحمه الله تعالى-: «على أن هناك وسائل أخرى تيسرت في هذا العصر: لو اتخذ المسئولون بعضها لقضي على المشكلة من أصلها، فمن أسهلها: أن تُهيأ في أيام العيد الأربعة سيارات خاصة كبيرة فيها برادات لحفظ اللحوم، ويكون في منى موظفون مختصون لجمع الهدايا والضحايا التي رغب عنها أصحابها، وآخرون لسلخها وتقطيعها، ثم تشحن في تلك السيارات كل يوم من الأيام الأربعة وتطوف على القرى المجاورة لمكة المكرمة وتوزع مشحونها من اللحوم على الفقراء والمساكين، وبذلك نكون قد قضينا على المشكلة فهل من مستجيب؟»^(٢).

قلت: وقد قامت الحكومة السعودية -وفقها الله تعالى- بجهود كبيرة بواسطة البنك الإسلامي وغيره، من الإشراف على لحوم الهدى وحفظها، ومن ثم توزيعها على فقراء المسلمين في الخارج، فلله در الإمام الألباني وما أبعد نظره!

وقال رَحِمَهُ اللهُ عند كلامه على عدم كفاية القصد الحسن في الحكم بجواز بعض الرقى والتعاويذ:

«...ومن هذا القبيل معالجة بعض المتظاهرين بالصالح للناس بما يسمونه

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٣٧٨-٣٨٠).

(٢) «حجة النبي ﷺ» (ص ٨٧-٨٨) حاشية (٩٢).

بـ «الطب الروحاني»، سواء كان ذلك على الطريقة القديمة من اتصاله بقريته من الجن كما كانوا عليه في الجاهلية، أو بطريقة ما يُسمّى اليوم باستحضار الأرواح، ونحوه عندي التنويم المغناطيسي؛ فإن ذلك كله من الوسائل التي لا تشرع؛ لأن مرجعها إلى الاستعانة بالجن التي كانت من أسباب ضلال المشركين، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. أي: خوفاً وإثماً، وادعاء بعض المبتلين بالاستعانة بهم أنهم إنما يستعينون بالصالحين منهم دعوى كاذبة؛ لأنهم مما لا يمكن عادة مخالطتهم ومعاشرتهم التي تكشف عن صلاحهم أو طلاحهم، ونحن نعلم بالتجربة أن كثيراً ممن تصاحبهم أشد المصاحبة من الإنس يتبين لك أنهم لا يصلحون.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمِنَ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. هذا في الإنس الظاهر، فما بالك بالجن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُ يَدْرِكُكُمْ هُوَ وَفِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] ^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لقد وقعت مصيبة كبيرة على المصلين في «مسجد الخليل» في الضفة الغربية؛ فقد هاجم جماعة مسلحون بالرشاشات (الأتوماتيكية) من اليهود، الساجدين في صبيحة يوم الجمعة، فقتلوا منهم العشرات وجرحوا المئات. ثم لا شيء بعد ذلك سوى الخطب الحماسية والاحتجاجات السياسية لدى الأمم المتحدة من الدول الإسلامية، والتظاهرات من بعض شعوبها، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ عند كلامه على حديث: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول...»:

(١) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ١ ق/ ٦١٤-٦١٥).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (١٣/ ٢ ق/ ١٠٦١).

«فإذا عرفت هذا؛ فمن «الكهانة» ما كان يعرف بـ: «التنويم المغناطيسي»، ثم بـ: «استحضار الأرواح»، وما عليه اليوم كثير من الناس - وفيهم بعض المسلمين الطيبين - ممن اتخذوا ذلك مهنة يعتاشون منها، ألا وهو القراءة على الممسوس من الجنّي ومكالمتهم إياه، وأنه يحدثهم عن سبب تلبسه بالإنسي حُبًّا أو بُغْضًا! وقد يزعمون أنهم يسألونه عن دينه، فإذا أخبرهم بأنه مسلم صدقوه في كل ما ينبئهم به، وذلك منتهى الغفلة والضلال: أنه يصدقوه وهو لا يعرفه ولا يراه، فكن حذرًا منهم أيها الأخ المسلم! ولا تأتهم ولا تصدقهم، وإلا صدق فيك هذا الحديث الصحيح وما في معناه»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «...ولقد كان من البواعث على تخريج الحديث هنا وتحرير القول فيه أنني سمعته في ضحى هذا اليوم الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ من الإذاعة السعودية...»^(٢).



(١) «السلسلة الصحيحة» (٧/٢ ق ١١٥٧).

(٢) «الضعيفة» (١٣/٢٧).

ثقافته

- كان الإمام الألباني - رحمه الله تعالى - ذا ثقافة مميزة، يشهد لذلك ويؤكده توسع دائرته المعرفية من خلال ما يذكره في ثنايا كتبه وأشرطته الصوتية من أمور متنوعة، سياسية واقتصادية وطبية واجتماعية...
- والناظر في بعض كتبه يجد من تلك الأمور شيئاً كثيراً، وأكتفي في هذا المبحث بذكر بعض ما وقفت عليه - مع قصور في البحث - مما ذكر الشيخ من الكتب والمجلات التي اطلع على بعض مقالاتها:
- «قرأت في جريدة العلم...»^(١).
 - «قرأت مقالاً في «مجلة المختار» عدد مايو ١٩٥٨ تحت عنوان: الفاتيكان المدينة المقدسة القديمة، للكاتب: رونالد كارلوس بيتي...»^(٢).
 - «قال الكاتب القدير المؤرخ الشهير الأستاذ المحقق رفيق بك العظم في كتابه «أشهر مشاهير عظماء الإسلام»...»^(٣).
 - «قال الأستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتاب «دعوة الحق»...»^(٤).
 - «في مقال طويل لبعضهم كنت قرأته منذ سنين في مجلة «نور الإسلام»

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ١٦٢).

(٢) «تحذير الساجد» (ص ١٨١) حاشية.

(٣) «تحذير الساجد» (ص ١٦٣-١٦٤).

(٤) «تحذير الساجد» (ص ١٦٠).

- التي سُمّيت فيما بعد بـ «مجلة الأزهر»...»^(١).
- في «مجلة المرأة» الصادرة في لندن عدد ١٩ آذار ١٩٦٠ م...»^(٢).
- «في بعض الجرائد كـ «البيان» وغيرها...»^(٣).
- «بعض المجلات مثل «التوحيد» المصرية، و«الجامعة السلفية» الهندية...»^(٤).
- «...مجلة «الوعي الإسلامي»...»^(٥).
- «... «مجلة المختار» تحت عنوان: هذا العالم المملوء بالألغاز...»^(٦).
- «... ولعل الكثيرين منكم يعلم أن «مجلة العربي» منذ بضع سنين نشرت مقالة...»^(٧).
- «... نشر في جريدة «الرباط» الأردنية...»^(٨).
- «... ما كنت قرأته في نشرة لحزب إسلامي...»^(٩).
- «... قرأت مقالات كثيرة في مجلات مختلفة...»^(١٠).
- «... ثم وقفت على العدد ٨٢ من «مجلة العربي» الكويتية (ص ١٤٤)»^(١١).

(١) «آداف الزفاف» (ص ١٩١) حاشية.

(٢) «آداف الزفاف» (ص ٢١٣).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٥ / ٣).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (١٦ / ٣).

(٥) «السلسلة الضعيفة» (٢٣١ / ٣).

(٦) «السلسلة الصحيحة» (١٠٣ / ٣).

(٧) «التصفيه والتربية» (ص ١٩).

(٨) «تحريم آلات الطرب» (ص ١٧).

(٩) «تحريم آلات الطرب» (ص ٨).

(١٠) «السلسلة الصحيحة» (٦١ / ١).

(١١) «السلسلة الصحيحة» (٦٢ / ١).

- «...ومن الأمثلة على ذلك ما قرأته في «مجلة الهلال» (مجلد ٢٧، ج ٩، ص ١٢٦) تحت عنوان: الحيوان والإنسان...»^(١).
- «... في بحث له نشره في «مجلة المجمع العربي» بدمشق (ج ١/ ١٤٨٢)...»^(٢).
- «وقد نشر في «مجلة التمدن الإسلامي» في مقالات متتابعة...»^(٣).
- «ويحسن بنا إلى أن نشير... ومكر المستعمرين»^(٤).
- «... جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل محمد الغزالي...»^(٥).
- «... ومن ذلك مقال آخر نشرته مجلة «الإخوان المسلمون» أيضاً في العدد (٥) تحت عنوان: الموسيقى الإسلامية...»^(٦).
- «... ومن ذلك تعلم خطأ بعض المسلمين اليوم من الترحم والترضي على بعض الكفار، ويكثر ذلك من بعض أصحاب الجرائد والمجلات، ولقد سمعت أحد رءوساء العرب المعروفين بالتدين يترحم على «ستالين» الشيوعي الذي هو ومذهبه من أشد وألد الأعداء على الدين، وذلك في كلمة ألقاها الرئيس المشار إليه بمناسبة وفاة المذكور أذيعت في الراديو، ولا عجب من هذا فقد يخفى عليه مثل هذا الحكم، ولكن العجب من بعض الدعاة الإسلاميين أن يقع
-
- (١) «السلسلة الصحيحة» (١/ حديث ٣٠).
- (٢) «تحذير الساجد» (ص ٨٥).
- (٣) «تحذير الساجد» (ص ٢٤) حاشية.
- (٤) «تحذير الساجد» (ص ٥٤-٥٥).
- (٥) «صفة الصلاة» (ص ٦٦).
- (٦) «تحريم آلات الطرب» (ص ١٥).

- في مثل ذلك، حيث قال في رسالة له: رحم الله برناردشو...»^(١).
- ومن الكتب التي قرأها ودرسها أو تدارسها:
- «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي.
- «منهج الإسلام في الحكم» لمحمد أسد.
- «مصطلح التاريخ» لأسد رستم.
- ومن لطيف ثقافته الكتابية قوله رَحِمَهُ اللهُ: «إن وضع الخط فوق الكلمات المراد لفت النظر إليها هو صنيع علمائنا تبعاً لطريقة المحدثين، وأمّا وضع الخط تحت الكلمة فهو من صنع الأوربيين، وقد أمرنا بمخالفتهم»^(٢).
- «كون الأرض تدور في الفضاء أصبح من الحقائق العلمية التي لا تقبل الجدل، وليس في الكتاب ولا في السنة نصٌّ ينافي ذلك، خلافاً لبعضهم»^(٣).
- عندما ذكر حديث: «وَكُلَّ بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم، لولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقت»، بيّن رَحِمَهُ اللهُ أن الحديث موضوع، ثم قال: «ويؤيد وضعه مخالفته لما ثبت في علم الفلك: أن السبب في عدم حرق الشمس لما على وجه الأرض إنما هو بُعْدُها عن الأرض بمسافات كبيرة جداً يُقَدَّرُونها بـ «مائة وخمسين مليون كيلو متر تقريباً»، كما في كتاب «علم الفلك» للأستاذ طالب الصابوني»^(٤).
- عندما ذكر حديث: «أَوَّلُ الأرضين خراباً يُسراها ثم يُمناها»، بيّن ضعفه، ثم قال: «ظاهر الحديث منكر عندي؛ لأن الأرض كروية قطعاً كما تدل عليه

(١) «أحكام الجنائز وبدعها» (ص ٩٧) حاشية.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٤٦٥)، وانظر: «إرواء الغليل» (١/ ٢٢).

(٣) من تعليقاته على كتاب «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص ١٨) حاشية (١).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٣٠٨) حديث (٢٩٣).

الحقائق العلمية، ولا تخالف الأدلة الشرعية، خلافاً لمن يماري في ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فأين يُمنى الأرض من يُسراها؟! فهما أمران نسيان كالشرق والغرب تماماً»^(١).

- عندما تكلم عن فوائد الجوع في شفاء الأمراض قال: «ولكنه لا يُفيد في جميع الأمراض على اختلاف الأجسام، خلافاً لما يُستفاد من كتاب «التطبيب بالصوم» لأحد الكتّاب الأوربيين، وفوق كل ذي علم عليم»^(٢).

- ومما يضاف إلى مبحث «ثقافته» - رحمه الله تعالى - كثرة استشهاده بالأمثال والحكم والأشعار، مما يدل على رصيد ثقافي واسع، وإليك بعضاً من ذلك:

فمن الأمثال والحكم:

- «وقديماً قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء»^(٣).

- «تزبّب قبل أن يتحصّرم»^(٤).

- «من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه»^(٥).

- «عذر أقبح من ذنب»^(٦).

- «رمتني بدائها وانسلت»^(٧).

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ١٥٨ - ١٥٩) حديث (١٦٥٩).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤١٩) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - بقلمه» لعصام هادي (ص ٢٣).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٧).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٨).

(٥) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٨).

(٦) مقدمة «السلسلة الصحيحة» (٤/ ط)، «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٠).

(٧) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٥).

- «كذبٌ له قرون»^(١).
- «تزن بميزانين وتكيل بكيلين»^(٢).
- «يكيل بكيلين ويلعب على الحبلين»^(٣).
- «المتقلب كالهرباء»^(٤).
- «أحق من جمل»^(٥).
- «إذا ورد الأثر بطل النظر»^(٦).
- «أسمعُ جعجعةً ولا أرى طحناً»^(٧).
- «قمّش ثم فتّش»^(٨).
- «أثبت العرش ثم انقش»^(٩).
- «ما لا يدرك كله لا يترك جله»^(١٠).
- «الحرُّ تكفيه الإشارة»^(١١).
- «نفثة مصدور»^(١٢).

(١) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٤).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٧).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٤).

(٥) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٦).

(٦) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٨).

(٧) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٣٢).

(٨) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٣٣).

(٩) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٤٢).

(١٠) «تحذير الساجد» (ص ٤).

(١١) «صفة الصلاة» (ص ٦).

(١٢) «صفة الصلاة» (ص ١٢).

- «الهرب نصف الشجاعة»^(١).

- «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»^(٢).

- «إرضاء الناس غاية لا تدرك»^(٣).

- «ضغثاً على إباله»^(٤).

- «وراء الأكمة ما وراءها»^(٥).

- «يلسع ثم يختبئ»^(٦).

* ومما وقفت عليه من استشهاد بالشعر:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ رلكن لتوقُّ فيه

ومن لا يعرف الخـ يرمن الشرِّ يقع فيه^(٧)

* * *

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم^(٨)

* * *

إن كان تابعُ أحمد متوهِّباً فأنا المُقرُّ بأنني وهَّابي^(٩)

* * *

(١) من الأمثال العامة. «صفة الصلاة» (ص ٢٠).

(٢) قول لبعض السلف. «صفة الصلاة» (ص ٢٨).

(٣) «صفة الصلاة» (ص ٤٤).

(٤) «النصيحة» (ص ٣٥).

(٥) «النصيحة» (ص ٥٥).

(٦) «النصيحة» (ص ٦١).

(٧) «السلسلة الصحيحة» (٨ / ٥).

(٨) «السلسلة الصحيحة» (٤ / ي)، (٨ / ٥)، (١٠).

(٩) «السلسلة الضعيفة» (٤ / ٧).

زوامل للأشعار لا علم عندهم	بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعيرُ إذا غدا	بأحماله أو راح ما في الغرائر ^(١)
ألا لا يجهلن أحدٌ علينا	فنجهل فوق الجهل الجاهلينا ^(٢)
* * *	
وابنُ اللبون إذا مالز في قرَنٍ	لم يستطع صولة البُزل القناعيس ^(٣)
* * *	
لا ترجعُ الأنفس عن غيِّها	ما لم يكن لها منها رادُع ^(٤)
* * *	
أهل الحديث هم أهلُ النبيِّ وإن	لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صحبوا ^(٥)
* * *	
ولستُ بِناجٍ من مقالة طاعِنٍ	ولو كنتُ في غارٍ على جبلٍ وعِرٍ
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا	ولو غاب عنهم بين خافِئتي نسر ^(٦)
* * *	
ومهما تَكُن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ	وإن خالها تخفى على الناس تُعلم ^(٧)
* * *	

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤ / ١٩).

(٢) «تحذير الساجد» (ص ٧).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤ / ٤١).

(٤) «صفة الصلاة» (ص ١٢).

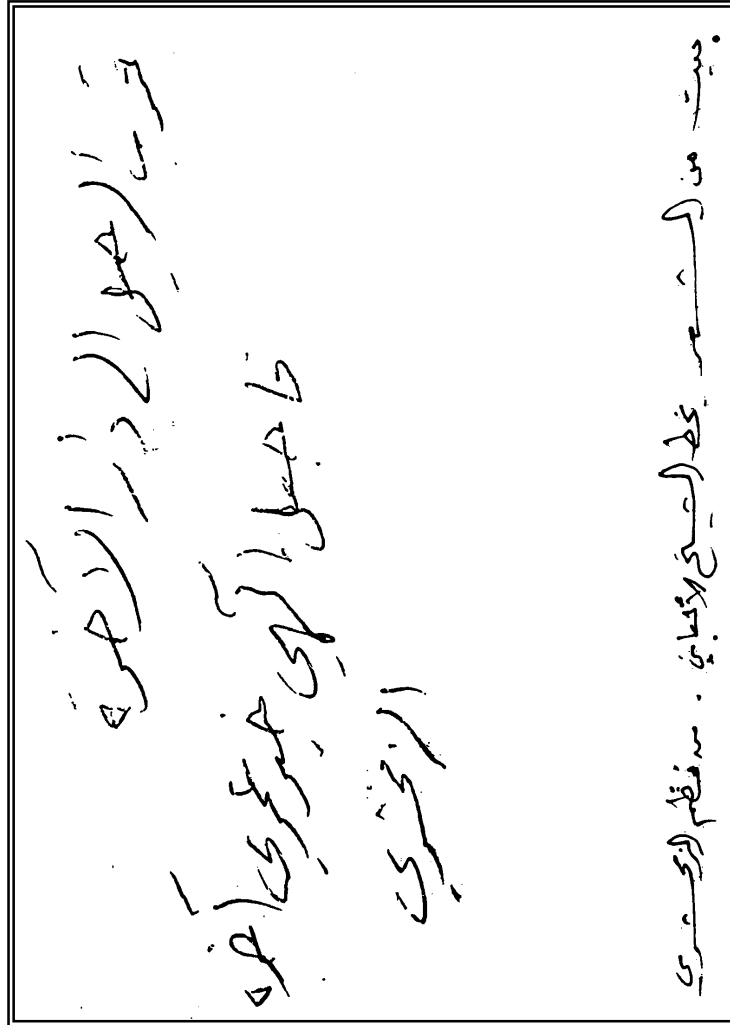
(٥) «صفة الصلاة» (ص ٤٤).

(٦) «صفة الصلاة» (ص ٤٥).

(٧) «النصيحة» (ص ١٤).

فهذا الحق ما به خفاءُ فدعني من بُنَيَاتِ الطريق^(١)

* * *



(١) «النصيحة» (ص ٤٦).

عنايته بالشباب ودعوتهم برفق

شباب الأمة هم عمادها، وبصلاحهم والعناية بشأنهم والحرص على تهذيبهم وإشعارهم بمسئوليتهم تنهض الأمة بقوة وعزة، وفي إهمال أمر الشباب وعدم العناية والترفق بهم يكونون وبالأعلى على أنفسهم ومجتمعاتهم.

ومن الثغور الكبرى في إصلاح الشباب دور العلماء الذين إليهم الشباب يردون سائلين، وعن توجيهاتهم ونصحهم يصدر، ولذا متى أعرض العلماء عن شباب الأمة ولم يفتحوا لهم صدورهم قبل بيوتهم فربما - وهذا هو المتوقع - أن يكون بعض أولئك الشباب معاوّل هدم للفساد الحسّي والمعنوي.

وبكل حال؛ فالناظر في بعض دواوين السنة يرى أحاديث كثيرة في شأن العناية بالشباب، فمن ذلك أن النبي ﷺ أوصاهم بحفظ الفروج وصيانتها عمّا حرم الله تعالى فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

وجاء الأمر بذلك؛ لأن في الزواج عفة للطرفين، وفيه الاستغناء بالحلال عن الحرام، وفيه تكثير لأمة محمد ﷺ.

ومن وصايا النبي ﷺ لشباب أمته: حثه لهم على النشأة في طاعة الله، فثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».

(١) أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومن ضمن أولئك: «شباب نشأ في طاعة الله».

ومن حرصه ﷺ على شباب أمته أنه حذرهم من التفريط في ذلك العمر؛ لأنه زمن القوة والاكتمال، فعن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس... وذكر منها: وشبابك قبل هرمك»^(١).
فعد ﷺ زمن الشباب غنمة وحث على تداركها قبل فواتها؛ ذلك لأن في تلك المرحلة يستطيع العبد أن يُحصِّل فيها ما يعجز عنه بعد فواتها.
ومن حرص الشارع الحكيم على تلك المرحلة أنه بيّن أن العبد مسئول عنها بعينها؛ لعظم شأنها.

عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟... إلخ الحديث»^(٢).

وبكل حال؛ فمرحلة الشباب هي أخصب مراحل العمر، ومن خلالها يبني المرء شخصيته ويشق طريقه في معترك الحياة.

لما كان الأمر كذلك؛ غني علماء الإسلام والمربون بعلم وبصيرة بشباب الإسلام، وعقدوا -لهم بخاصة ولغيرهم بعامة- الدروس العلمية والتربوية التي تحفظ الشباب من فتن الشبهات والشهوات، فأخرج الله تعالى على أيديهم ثمارا يانعة نفعت نفسها وبيوتها ومجتمعاتها.

شاهد المقال: أنه كان للإمام الألباني -رحمه الله تعالى- عناية كبرى بشأن

(١) أخرجه الحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٠٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

الشباب، وبخاصة مَنْ تلوث ببعض الشبهات وغيرها مما يعتري الشباب من حماسة غير منضبطة أو سوء خلق، فكان رَحِمَهُ اللهُ رَحِيمًا بِهِمْ، واسع البال، طويل النفس، يسمع منهم ويجيب على شبهاتهم أو أسئلتهم، ويوجههم بما ينفعهم دون ضجر أو ملل أو كلمة نابية.

وإليك شواهد قليلة من أمثلة كثيرة:

- قال الشيخ باسم فيصل الجوابرة -حفظه الله تعالى-: «...فقد كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، وكنت في ذلك الوقت مع مجموعة من الشباب نكفّر المسلمين، ولا نصلي في مساجدهم بحجة أنهم مجتمع جاهلي. وقد كان المخالفون لنا في الأردن يهدّدوننا دائمًا بالشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وبأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يناقشنا ويقتنعنا، ويُرجعنا إلى الطريق المستقيم، فعندما قدم الشيخ ناصر إلى الأردن من دمشق حدث أن مجموعة من الشبان تكفّر المسلمين.

فرغب في لقائنا، فأرسل صهره -نظام سكجها- إلينا، فنقل إلينا رغبة الشيخ ناصر بلقائنا، فأجبناه: من يريدنا فليأت إلينا ولن نذهب إليه، ولكن شيخنا في التكفير أخبرنا أن الشيخ ناصرًا من علماء المسلمين وله فضل لعلمه وكبر سنه ويجب أن نذهب إليه، فذهبنا إليه في بيت صهره -نظام- وكان قبيل العشاء، فأذن أحدنا، ثم أقمنا الصلاة، فقال الشيخ ناصر الدين: نصلي بكم أم تصلون بنا. فقال شيخنا التكفيري: نحن نعتقد كُفْرَك!

فقال الشيخ ناصر الدين: أمّا أنا فأعتقد إيمانكم، ثم صلى شيخنا بنا جميعًا، ونحن معه، ثم جلس الشيخ ناصر في نقاش معنا استمر حتى ساعة متأخرة من الليل، فكان أكثر النقاش مع شيخنا، أما نحن الشباب فكنا نقوم ونجلس، ثم نمدد أرجلنا، ثم نضطجع على جنوبنا، وأما الشيخ ناصر فهو على جلسة واحدة من

أول الجلسة إلى آخرها لم يُغيّرْها أبداً، في نقاش دائم مع هذا وهذا وذاك، فكنت أستغرب من صبره وجَلَدِه، ثم تواعدنا أن نلتقي في اليوم التالي.

وقد رجعنا إلى بيوتنا نجمع الأدلة التي تدل على التكفير بزعمنا، وجاء الشيخ ناصر في اليوم الثاني إلى بيت أحد إخواننا، وقد جهزنا الكتب والردود على أدلة الشيخ ناصر، واستمر النقاش والحوار من بعد العشاء إلى قبيل الفجر، ثم تواعدنا بالذهاب إليه في محل إقامته، فذهبنا إليه بعد العشاء في اليوم الثالث، واستمر النقاش حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر، ونحن في نقاش وحوار دائم نذكر الآيات الكثيرة التي تدل على التكفير في ظاهرها، وكذلك نذكر الأحاديث التي تنصُّ ظاهراً على تكفير مرتكب الكبيرة، والشيخ ناصر كالطود الشامخ يرد على هذا الدليل ويوجه الدليل الآخر، ويجمع بين الأدلة المتعارضة في الظاهر، ويستشهد بأقوال السلف وبالأئمة المعترين عند أهل السنة والجماعة.

وبعد أذان الفجر ذهبنا جميعاً تقريباً مع الشيخ ناصر الدين إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، بعد أن أقنعنا الشيخ ناصر بخطأ وضلال المنهج الذي سرنا عليه، ورجعنا عن أفكارنا التكفيرية - بحمد الله - إلا نفرًا قليلاً آل أمرهم إلى الردة عن الإسلام بعد ذلك بسنين، نسأل الله العافية»^(١).

- قال الشيخ سمير الزهيري وهو من طلاب الشيخ - رحمه الله تعالى -:
«اجتمعت ذات يوم في عمّان ببعض طلاب العلم، وكالعادة في مثل هذه المجالس ذكر الشيخ وإذا بأحد الحضور يحمل على الشيخ حملة شعواء لاختلاف المنهج، ولم أشعر بجدوى مناقشة الرجل لعدم إنصافه أولاً، وثانياً: لغضبه الشديد الذي أخرجه عن حد الاعتدال، فقلت له: إذا كنت ترى الشيخ

(١) «مقالات الألباني» (ص ٢١٤-٢١٥).

بهذه الصورة - وهو ليس كما ترى - فلماذا لا توجه له النصيحة مباشرة فهو خير من غيبتك له ووقيعتك فيه؟ فقال: الألباني لا يقبل النصيحة. فقلت: هل جربت؟ فقال: أنا لم أره قط ولكن هذا متواتر عنه. فقلت في نفسي: سبحان الله! هذا رجل تأثر كل هذا التأثير بمشايعه دون أن يبحث هو عن الحق أو أن يلتقي بالشيخ وهما في بلد واحد ومضى عليهما سنوات عدة، ثم كان أن رتبت أمسية علمية مع الشيخ في بيتي، ودعوت جموعاً من طلاب العلم، ومنهم ذلك المخالف في ذلك الوقت، ولم أعلم الشيخ بشيء من ذلك، واستأثر صاحبنا بأغلب المجلس، وناقش الشيخ وجادله وعلا صوته واحتد، حتى إنني بدا عليّ الغضب والإحراج، ولما عرف ذلك الشيخ في وجهي التفت إليّ مبتسماً قائلاً: لا عليك، ووالله لم تفارق البسمة وجه الشيخ، وما زال يرد عليه بالحجة من الكتاب والسنة، مع طول بال وسعة صدر كعادته رَحِمَهُ اللهُ.

وفي نهاية المجلس قام الرجل وقال للشيخ: أنا أحمد الله وَجَّاهُ أنك تغيرت وأنتي لقيتك بعد هذا التغير! فقال الشيخ: وهل أنت التقيت معي قبل اليوم؟ فقال الرجل: لا، فأشار الشيخ إلى أحد إخوانه من الشام ممن صحبوه في الدعوة السلفية - وكان ضيفاً في تلك الأيام على الشيخ في عمان - وقال: أنا لم أغير، وهذا صحبني أكثر من عشرين سنة في الدعوة، ويعرف عني هذا، وعلى كل - جزاك الله خيراً -.

وأما أنا فأطلب منك المسامحة إن كنت أخطأت عليك في شيء، وأسأل الله وَجَّاهُ أن يغفر لي إن كنت أخطأت في حق أحد من المسلمين، ثم بكى رَحِمَهُ اللهُ، فما كان من صاحبنا إلا أن بكى هو الآخر، وأخذ يقبل يد الشيخ ورأسه، ولم أعرفه بعد ذلك إلا سلفياً متبِعاً محبباً للشيخ معظماً له^(١).

(١) «محدث العصر» لسمير بن أمين الزهيري (ص ٤٢-٤٤).

- اتصل به شاب هاتفياً، فلما رفع الشيخ سماعة الهاتف بادره الشاب بقوله: أنا شاب حديث عهد بالالتزام، وقد سمعت أنك تغلق الهاتف بسرعة فإياك أن تغلق الهاتف حتى أنهى كلامي! فضحك الشيخ وأعطاه ما يريد^(١).

ومن توجيهات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لطلاب العلم من الشباب قوله: «أنصح لطالب العلم المبتدئ أن يقرأ من كتب الفقه: «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، مع الاستعانة عليه ببعض المراجع مثل: «سبل السلام»، وإن نظر في «تمام المنة» فيكون هذا أقوى له، وأنصح له بـ «الروضة الندية».

وأما في التفسير فعليه أن يعتاد القراءة من كتاب «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، وإن كان مُطَوَّلًا بعض الشيء فإنه أصبح كتب التفسير اليوم. ثم من حيث المواعظ والرفائق فعليه بكتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي.

ثم أنصح فيما يتعلق بكتب العقيدة بكتاب «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، ويستعين عليها أيضاً بتعليقي وشرحي عليها. ثم يجعل بصورة عامة ديدنه دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية -رحمهما الله- اللذين أعتقد أنهما من نوادر علماء المسلمين الذين سلكوا منهج السلف الصالح في فقههم، مع التقوى والصلاح، ولا نُزكي على الله أحداً^(٢).

- ومن ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ: «أنصح لكل من يكتب في مجال التصحيح والتضعيف أن يتَّدد، ولا يستعجل في إصدار أحكامه على الأحاديث، إلا بعد أن يمضي عليه دهر طويل في دراسة هذا العلم في أصوله، وتراجم رجاله، ومعرفة

(١) كتب ذلك إليّ الأخ سامي خليفة.

(٢) «محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني» لسمير بن أمين الزهيري (ص ٧٣).

علله، حتى يشعر من نفسه أنه تمكن من ذلك كله نظرًا وتطبيقًا، بحيث يجد أن تحقيقاته -ولو على الغالب- توافق تحقيقات الحفاظ المبرزين في هذا العلم، كالذهبي والزيلعي والعسقلاني وغيرهم.

أنصح بهذا لكل إخواننا المشتغلين بهذا العلم حتى لا يقعوا في مخالفة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولكيلا يصدق عليهم المثل المعروف: «تَزَيَّبَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّرَ»، ولا يُصيبهم ما جاء في بعض الحكم: «من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه». ذاكراً مع هذا ما صح من قول بعض السلف: «ليس أحدٌ بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ». انظر: «صفة الصلاة» (ص ٢٨).
أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يُسَدِّدَ خُطَانَا وَيُصْلِحَ أَعْمَالَنَا وَنَوَايَانَا، إنه سميع مجيب»^(١).

ومن لطيف كلامه وصادق نصحه للشباب -أحسبه كذلك والله حسيبه- قوله رَحِمَهُ اللهُ: «لذا فإني ناصح أمين لطلاب العلم الشُّدَّة بثلاث:

- ١- أن يتعلموا العلم لأنفسهم.
- ٢- أن يكون هو شاغلهم وهمهم.
- ٣- وألا يعجلوا في أمر لا يُنال إلا بالتريث وإدامة البحث والنظر في خوفه وقوامه.

ثم ليعلموا رابعاً: أن التصحيح والتضعيف في هذا العلم الشريف يدور بين الصدق والكذب، وما لم يكن مريد الاشتغال بهذا العلم حاذقاً فيه فإنه يلبس عليه فيه، فيقع في الكذب وهو يريد الصدق، وكفى بذلك إثماً، والكذب على رسول الله ﷺ

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٨/٤).

ليس ككذب على أحد، إنه أقرب إلى الكفر، بل هو بالتعمد كفر بواح»^(١).
ومن ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: «أنصحكم ونفسي أولاً بتقوى الله، ثم ببعض ما يتفرع من تقوى الله -تبارك وتعالى- من ذلك أولاً: أن تطلبوا العلم خالصاً لوجه الله لا تريدون من ذلك جزاءً ولا شكوراً، ولا تصدُر مجالس، إنما إلى الدرجة التي خص الله تعالى بها العلماء حين قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وثانياً: الابتعاد عن المزالت التي يقع بها بعض طلاب العلم، والتي منها: أنهم سرعان ما يُسيطر عليهم العُجب والغرور فينطلق أحدهم إلى أن يركب رأسه وأن يفتي نفسه وغيره بما بدا له دون أن يستعين بأهل العلم من سلف الأمة الصالح الذين خلفوا لنا تراثاً عظيماً يُنير من العلوم الإسلامية؛ لنستعين به على قضاء كثير من الملمات التي تراكمت على مر العصور، وعشنا بعضها، وكانت ظلاماً دامساً.

والاستعانة بأقوال السلف وآرائهم يساعدنا على إزالة هذه الظلمات، ويرجعنا إلى منهل الكتاب والسنة الصحيحة.

ولا أخفيكم أنني عشت في زمن أدركت فيه أمرين متناقضين:
الأمر الأول: حين كان المسلمون جميعاً شيوخاً وطلاباً، عامة وخاصة، يعيشون في بؤرة التقليد -ليس للمذاهب فقط- بل للآباء والأجداد، ونحن في خضم ذلك ندعو إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هنا وهناك، وفي مختلف البلاد الإسلامية من يقوم مثلنا أفراد كذلك، فكنا نعيش جميعاً كالغرباء الذين وصفهم الرسول ﷺ في بعض الأحاديث المعروفة التي منها: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

(١) من ضمن الكلمة التي ألقى عنه رَحِمَهُ اللهُ، بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

وجاء في بعض الروايات أنه عليه السلام قال: «هم ناس قليل صالحون بين كثير، من يعصيهم أكثر مما يطيعهم». وفي رواية أخرى: «هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي».

أقول: عشنا ذلك الزمان، ثم بدأنا نتبنى الأثر الطيب لدعوة الغرباء المصلحين بين صفوف الشباب المؤمنين، ورأينا هذا الشباب يستقيم على الجادة في كثير من البلاد الإسلامية، ويحرص على التمسك بالكتاب والسنة حيثما صحة عندهم، ولكن ما طال فرحنا هذا بهذه الصحة التي لمسناها بهذه السنوات الأخيرة، حتى فؤجنا بانقلاب وقع في الشباب في هؤلاء بعض البلاد كاد يقضي على آثار هذه الصحة الطيبة، وما سبب ذلك؟ وهنا العبرة إلا لأنهم أصابهم العجب والغرور بسبب ما تبين لهم أنهم أصبحوا على شيء من العلم الصحيح، ليس فقط بين جماعة الشباب المسلم الضائع، بل حتى بين كثير من شيوخ العلم، حين شعروا بأنهم تفوقوا بهذه الصحة على أهل المشيخة والعلم المنتشرين في العالم الإسلامي، كما أنهم لم يشكروا الله عز وجل حيث وفقهم إلى هذا العلم الصحيح وآدابه، بل اغتروا بأنفسهم وظنوا أنهم على شيء، فأخذوا يصدرون الفتاوى الفجة غير القائمة على التفقه بالكتاب والسنة، فظهرت هذه الفتاوى من آراء غير ناضجة، فظنوا أنها هي العلم المأخوذ من الكتاب والسنة؛ فضلوا بتلك الآراء وأضلوا كثيراً.

وليس يخفى عليكم ما كان من آثار ذلك من وجود جماعة في بعض البلاد الإسلامية، الذين أخذوا يصرحون بتكفير كل الجماعات المسلمة بفلسفات لا مجال الآن في هذه العجالة للخوض بها، وبخاصة أننا بصدد نصيحة وتذكير للإخوة طلبة العلم والدعاة، لذلك أنصح إخواننا أهل السنة والحديث في كل بلاد

الإسلام أن يصبروا على طلب العلم، وألا يغتروا بما جنوا من علم، إنما يتابعون الطريق ولا يعتمدون على مجرد أفهامهم أو ما يسمونه بـ: اجتهداهم! وأنا سمعت الكثير من إخواننا... ويقولونها وبمتهى السهولة وبكل بساطة ولا مبالاة بعواقبها: أنا اجتهدت... أنا أرى كذا... أو: أنا لا أرى ذلك! وعندما تسألهم: على ماذا اجتهدت فكان رأيك كذا وكذا؟ هل اعتمدت على فقه الكتاب والسنة وإجماع العلماء من الصحابة وغيرهم؟ وبم استعنت؟ هل استعنت بكتب الفقه والحديث وأفهام العلماء لها؟ أو هو الهوى والفهم القاصر النظر والاستدلال؟ هو هذا بالفعل.

هذا في اعتقادي سببه العجب والغرور؛ لذلك أجد في العالم الإسلامي اليوم ظاهرة غريبة جداً تظهر في بعض المؤلفات، وهي: أنه أصبح من هو عدو للحديث مؤلفاً في علم الحديث، ليقال فقط: إنه ألف في علم الحديث، ولو رجعت إلى هذا الذي كتبه في هذا العلم الشريف لوجدته مجرد نقول لملمها وجمعها من هنا وهناك وألف منها كتابه هذا.

ما الباعث على ذلك يا ترى؟ هو حُبُّ الظهور والبُرُوز، وصدق من قال: حُبُّ الظهور يقطع الظهور.

لذلك أكرر القول لإخواني طلبة العلم أن يبتعدوا عن كل خلق ليس إسلامياً، ومن ذلك ألا يغتروا بما أوتوا من علم، وألا يغلبهم العجب، وأن ينصحوا الناس أخيراً بالتي هي أحسن، ويبتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة في الدعوة؛ لأننا جميعاً نعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ حين قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

إنما قال ذلك لأن الحق في نفسه ثقيل على الناس، ثقيل على النفوس البشرية، ولذلك هي تستكبر عن قبوله إلا من شاء ربك، فإذا انضم إلى ثقل الحق

على النفس البشرية عضو آخر وثقل آخر وهو القسوة في الدعوة، كان ذلك تنفيراً للناس عن الدعوة.

وقد تعلمون قول الرسول ﷺ: «إن منكم لمنفرين -ثلاثاً-». وختاماً: أسأل الله ﷻ ألا يجعل منا منفريين، وإنما يجعلنا حُكماء عاملين بالكتاب والسنة.

ونستودعكم الله جميعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». ومنه قوله رَحِمَهُ اللهُ: «لا أرى لطالب العلم أن يستعجل في التأليف، بمعنى أن ينشر ذلك على الناس، بل عليه أن يفعل ذلك بعد ثلاثين سنة من طلبه للعلم على العلماء، فإن تعجل ففي خمسة عشر، ولا يمنع أن يكتب قبل ذلك ويُراجع من هم أقدَرُ منه في هذا الشأن، ولكنه لا ينشره، وخصوصاً إذا كان في موضوعة العصر (علم الحديث)»^(١).



(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٨٤).

حرصه على طلابه ومحبيه وعنايته بهم

دور العالم لا ينتهي عند إلقاء الدرس على طلابه، بل العالم الرباني ممن يُعنى بالمسلمين عمومًا وبتلاميذه خصوصًا علمًا وعملاً وتربية...

وإليك شاهدًا واحدًا من شواهد كثيرة تدل على عناية النبي ﷺ بهذا الشأن: عن مالك بن الحويرث - رضي الله تعالى عنه - قال: «أتيت النبي ﷺ ونحن شعبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظن أننا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمَّن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم - وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها - وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»^(١).

- فقله: «أتينا النبي ﷺ»، فيه: فضل الرحلة في طلب العلم.
وفيه: الحرص على طلب العلو، وذلك بالعناية بالتلقي من كبار أهل العلم.
- وقوله: «ونحن شعبة متقاربون»، فيه: حرص شباب الصحابة - ناهيك عن كبارهم رضي الله تعالى عنهم - على طلب العلم.
- وقوله: «فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة»، فيه: أن العلم يحتاج إلى مداومة في الطلب ومثابرة في العزم.

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١١) -الفتح).

قال يحيى بن أبي كثير: «لا يُستطاع العلم براحة الجسم»^(١).
 وفيه: أصل سكن طلبه العلم بقرب الشيخ.
 - وقوله: «وكان رحيماً رقيقاً»، فيه: عظيم خلق النبي ﷺ، ومحبه لطلبة العلم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
 وفيه: رحمة المعلم بتلاميذه والترفق معهم، وقد أكد ﷺ ذلك بالوصية بطلبة الحديث، فقد كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول لهم: «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم؛ يعني: طلبة الحديث»^(٢).
 - وقوله: «فلما رأى أنا قد اشتهينا أهلنا -أو قد اشتقنا-»، فيه: عظيم فطنة النبي ﷺ.
 وفيه: أن على المعلم الحرص على تفقد طلابه وملاحظة مشاعرهم، فذلك أدعى لقبولهم لتعليمه ومحبتهم له وتأثرهم به.
 - وقوله: «سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه»، وفيه: أن عناية المعلم بالمتعلم لا تكون بتعليمه فحسب، بل يشمل ذلك معرفة أحواله ولو إجمالاً، وهذا مما يزيد المتعلم حباً لمعلمه ورغبة في زيادة التحصيل.
 - وقوله: «ارجعوا إلى أهليكم»، فيه: حرص النبي ﷺ على إعطاء كل ذي حق حقه.

وعوداً على بدء أقول:

لقد كان الإمام الألباني ممن ضرب في هذا بسهم وافر، فمع كثرة مشاغله

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١/ ٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح ثابت... هو أول حديث في فضل طلاب الحديث، ولا يعلم له علة». وأقره الذهبي، وأورده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٠).

العلمية تحقيقًا وتأليفًا، ومشاغله التعليمية تدريسيًا وتعليميًا... لم يغفل جانب العناية بطلابه ومشاركتهم آلامهم وآمالهم، بل كان ذلك نصب عينيه اقتداء بالنبي ﷺ، وإليك شواهد قليلة من أمثلة كثيرة:

ذكر الأخ الفاضل محمد الخطيب -الذي عمل في بيت الشيخ ست سنوات- ما نصه: «وقد كان الشيخ رحيماً رءوفاً، فقال لي مرة: يا محمد، أنت لا تملك سيارة، وأولادك لا بُدَّ أنهم بحاجة إلى استجمام، فهبي نفسك في أي يوم تريد حتى نذهب سوياً في نزهة تُرفِّه بها عن أولادك.

وفعلاً؛ بعد يومين رتبنا أمرنا وخرجنا بصحبة الشيخ وزوجته إلى بعض الأحرار خارج عمان، وقد أحضرنا طعاماً وفاكهة متنوعة، وسرَّ أولادي أي سرور.

وكنت مرة أعمل للشيخ على سطح بيته، وأُصلح بعض الأمور، فحملت قضيباً طويلاً أرفعه من مكان لآخر، فغلبني القضيبي، وأنا أعلى السطح فكدت - لولا فضل الله - أن أهوي من أعلى السطح، فعلم الشيخ بالخبر، فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجداً لله سجدة شكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مائة دينار أعطاني إياها».

- وذكر أيضاً قال: «لما نويت أن أبني بيتاً احتجت للمال، فطرقت كثيراً من الأبواب ولم أحصل على شيء، فتذكرت رجلاً ثرياً يعرفه الشيخ، فقلت لزوجة الشيخ: لعلك تقولين للشيخ أن يتوسط لي عند فلان حتى يقرضني، وفي اليوم التالي: وكنت أجلس على مكتبي قال لي: يا محمد، أنت تريد أن أتوسَّط لك عند فلان كي يُقرضك؟ فقلت: نعم، قال: أنا أولى بك منه، أنا أعطيك ما تريد. فبكيت، وقلت: يا شيخنا، جزاك الله خيراً، ولكن والله لم يكن ببالي أن أحصل على طلبتي من الشيخ لترفعني عن النظر لما عند الشيخ، فلما أعطاني المال قال:

هذه هدية ألف دينار غير محسوبة، فبكيت مرة أخرى -فجزاه الله خيرًا كثيرًا، رحمه الله تعالى-».

- وقال أيضًا: «...وكانت زوجتي على وشك الولادة، فكان الشيخ دائم السؤال عنها، وقبل يوم الولادة -حينما أردت الانصراف من المكتبة- قال لي الشيخ: خذ سيارة أم الفضل لعلك تحتاجها في منتصف الليل، وبقيت السيارة عندي يومين، وفعلاً جاءت الولادة في منتصف الليل، وخرجت من بيتي لا أعرف أين أذهب، وبعد بحث لم أجد قابلة، فتذكرت أن زوجة الشيخ عندها خبرة بالولادة، فتوجهت نحو بيت الشيخ وأنا متردد خشية أن أزعج الشيخ في هذا الوقت المتأخر، فطرقت الباب، فرد عليَّ الشيخ وقدمت اعتذارًا شديدًا وأعلمته حاجتي، فرد عليَّ بلهجة المداعب: لماذا لم تصنع مثل شيخك؟ فقد قمت بتوليد زوجتي بنفسني، ثم أردف قائلاً: لحظات وأوقظ لك أم الفضل، وذهبت معي، ورزقنا بولدي عبد الله».

قال بعض طلابه: «كنا في رحلة معه فانتبهنا منها في الواحدة ليلاً، وكنا في خمس سيارات، فسبقنا الشيخ، ففوجئت بأن إطار سيارتي قد ذهب هواؤه فأصلحته -وقد ذهبت السيارات جميعاً- فما هي إلا لحظات حتى رجع إلينا الشيخ مع السيارات وسأل عن سبب التأخر، فرأى السبب وعلم بالحال، فطلبنا من الشيخ أن يذهب إلى أهله وبيته ونحن نصلح الإطار ونلحق بهم، فأبى رَحِمَهُ اللهُ إلا أن ينتظرنا لنتتهي مما نحن فيه».

- وحدث بعض تلامذته أنه كان يتصل بالشيخ كل يوم، وفي يوم من الأيام لم يفعل ذلك، فما هو إلا أن يرق جرس الهاتف ويتبين للأخ أنه الشيخ الإمام الألباني، وأنه افتقد هذا الأخ لعدم اتصاله فسارع للسؤال عنه.

- ودخل هذا الطالب نفسه المستشفى لحادث وقع له، وإذا بالشيخ الإمام

يأتي لزيارته في المستشفى، قال: فأثرت هذه الزيارة فيّ وفي أهلي الشيء الكثير.
- واستقبل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ طلبة علم جاءوه وهو على فراش الموت،
وتحدث معهم ودعا لهم.

حدّث الشيخ حُسين العوايشة في منزله يقول: «زارني شيخنا الألباني مرّة،
فجلس على هذا الكرسي في هذه الغرفة، وكنت لا أستطيع أن أقدم له شيئاً على
عُجالة، فقلت له: لا تؤاخذني يا شيخنا، ليس عندي شيء جاهز أقدمه لك، فقال
العوايشة: فسكت الشيخ ولم يتكلم، فقلت له: هل سؤالي هذا بدعة يا شيخ؟ فقال
الشيخ: «الهدف المُطعم للطعام».

وقال الشيخ العوايشة أيضاً: «كان الشيخ يمر على بيوت تلامذته بنفسه
يوقظهم لصلاة الفجر»^(١).

قال تلميذه محمد موسى نصر: «...وكان كلما زرناه في بيته أو خرجنا معه
في رحلة، أو جاء إلينا، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا، كان يبدأ أولاً بالاطمئنان
عناً واحداً واحداً، ويُجاملنا، وما كانت تخلو جلساته من دُعاة تدخل جواً من
المرح والسرور على جلسائه، ثم بعدها يقول: ماذا عندك يا أبا أنس؟ ماذا عند يا
أبا فلان؟ فكانت مجالسه -يرحمه الله- كلها جدّاً وعلماً ومناقشة ومُدارسة،
والمزاح قليل في حياته ولو كان حقاً.

وأذكر أنه فاجأني في إحدى هذه الرحلات قبل موعد الصلاة بوقت يسير،
فقال: يا أبا أنس، زوّر في نفسك خطبة الجمعة، فكان لا بُدَّ من إطاعته، وكان
يستدرك علينا ما يقع منا من سهو أو خطأ أو سوء تعبير أو استدلال خاطئ أو غير
ذلك، وكنا نتلقّى ذلك بقبول حسن»^(٢).

(١) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» (ص ٤٣-٤٤).

(٢) «الإمام المجدد» (ص ٤٨).

ومما ذكره الشيخ حسن بن خالد عثيش: «أن الشيخ قد عُرف بالتواضع الجرم الذي لا يُدانيه فيه أحد، فأذكر في عام ١٩٦٥ م أو ١٩٦٦ م كان عمري يومها بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، بعثت له برسالة أنا وأخ سلفي ندعوه فيها أن يقدم علينا، ولا تتخيل أن الشيخ يُلبّي نظرًا لصغر السن وأنه لا يعرفنا، فما هي إلا أيام وإذا بالشيخ الألباني يأتي إلى بيت الأخ الذي أشرت إليه، وإذا بالأخ يأتيني، ويقول: بشراك! قلت له: ماذا؟ قال: إن الشيخ الألباني قد لبّي دعوتنا، فذهبنا في الشارع كالمجنونين»^(١).

وقال تلميذه الشيخ محمد عيد عباسي: «كنا نسافر معه إلى المدن في سيارته، وكان معنا من تلاميذه أيضًا محمود الجزائري، فأبى الشيخ إلا أن يدفع نفقات السفر ويقول: دعوها أن تكون خالصة لله، فنحاول أن ندفع ولكن يصير على أن يدفع هو المشوار مع أنه مكلف خصوصًا في ذلك الوقت».

وقال بعض تلاميذه: «...حين جئت إلى الإمارات قبل شراء السيارة قال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: لا أقول، سيارتي على حسابك، بل السيارة وصاحبها على حسابك». وقال: «وكم كان يتصل ببعض تلاميذه يستشيرهم ويسألهم عن أمور علمية وحديثية، وسألني عدة مرات عن أمور لغوية، مع أنه هو مرجعي في اللغة وغيرها».

وقال: «...كان يحرص على زيارة إخوانه، ولا سيما الضعفة منهم، حتى إنه قد تخلف ذات يوم أخ لنا ممّن كان يُرافقنا في صلاة الفجر في سيارة شيخنا، فقال رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي أن نذهب إليه لنطمئن عليه»^(٢).

- ومن عنايته - رحمه الله تعالى - وتقديره لطلابه ذكرهم بلفظ الإخوة

(١) «صفحات بيضاء» (ص ٤٤-٤٥).

(٢) «الإمام المجدد والعلامة المحدث» عمر أبو بكر (ص ٦١-٦٢).

والمشيخة، وثناؤه عليهم، مع أنه هو المُعَلِّم وهم المتعلمون، ولكنه تواضع العلماء، ومن أمثلة ذلك:

قوله: «... وإذا بأخيينا عبد المجيد السلفي»^(١).

قوله: «... أخونا عبد الرحمن عبد الخالق»^(٢).

قوله: «الأخ علي الحلبي».

وقال عنه أيضًا: «صاحب القلم السيال الأستاذ النحرير علي بن حسن الحلبي أبي الحارث»^(٣).

وقوله: «في تعليق الأخ مشهور على كتاب «الخلافيات»...»^(٤).

وقوله: «كان مُقبل من أجود الطلاب عندي، والآن أصبح الشيخ مقبل»^(٥).

وقوله: «فهذا هو الشيخ الفاضل مقبل بن هادي اليماني...»^(٦).

- بقي الشيخ الألباني في الجامعة الإسلامية ثلاث سنوات أستاذًا للحديث وعلومه، كان خلالها مثالًا للجد والإخلاص، فقد قال -رحمه الله تعالى-: «كنت مع الطلاب كأني واحد منهم، وهنا صُورُ تُقَرَّبُ لكم هذه الحقيقة:

مثلاً: إذا انتهيتُ من حصّتي من تدريس وجاءت الفسحة، كعادة الأساتذة ينطلقون من درسهم إلى غرفة الاستراحة، وهناك يجلسون مدة الفسحة يشربون الشاي أو القهوة ويتحدثون شتى الأحاديث، أما أنا فكنت أُعرض عن ذلك كله،

(١) «الإمام الألباني» (ص ٢٦).

(٢) «الإمام الألباني» (ص ٣٢).

(٣) مقدمة الجزء السادس من «السلسلة الصحيحة».

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٥ / ٣٨٢).

(٥) «صفحات بيضاء» (ص ٦٢).

(٦) «السلسلة الضعيفة» (٥ / ٩٥).

وأخرج من الدرس إلى الساحة وأجلس على الأرض الرملية، ويجتمع الطلاب الذي كنت أدرسهم قبيل دقائق، ويجتمع الطلاب من كل السنوات؛ لأن الحلقة في العراء، وألقي عليهم بعض التوجيهات وبعض النصائح، وأجيبهم عن بعض الأسئلة، وهكذا قضيت كل السنوات التي درّستها في الجامعة.

وأذكر جيداً أن من يُسمّى في مصطلح الجامعات بـ «المعيد» أنه مرّ عليّ ذات يوم قال: السلام عليكم، قلت: عليكم السلام، قال: ما تدري يا شيخ أن الدرس الحقيقي هو هذا، لأن الطلاب في هذه الحلقة كانوا على حريتهم، أمّا في الدرس النظامي صحيح أنني كنت معهم واسعاً أيضاً، لكن مع ذلك لا بد من حدود وقيود^(١).

ويقول الشيخ: «كنت أحمل معي في السيارة من أصادف من الطلاب إلى الجامعة أو إلى المدينة، وهكذا كان الحال، ففي جميع الأحيان تكون السيارة مملوءة بهم في الذهاب والإياب».

- حتى وصل الأمر برغبة الطلاب وتعلقهم بالشيخ وشعورهم أنه لا فرق بينهم وبين أستاذهم: ما حصل في أحد الأيام أن الشيخ جاء إلى إدارة الجامعة بعد انتهائه من محاضراته فترك سيارته أمام الإدارة ودخل، فإذا بالأستاذ محمد عبد الوهاب البنا يريد النزول إلى المدينة فخرج مع الشيخ إلى سيارته لتوصيله معه، فإذا بالسيارة مملوءة بالطلاب، فلمّا رأوا الشيخ البنا اضطر أحدهم للتنازل له، وهكذا الحال^(٢).

وقال تلميذه الشيخ عصام هادي: «...ولما حضرت الصلاة -وكانت صلاة المغرب- أردنا أن نُصليّ وإذا بشيخنا يطلب من العُبيّان أن يتقدم إماماً فاعتذر،

(١) «الإمام الألباني حياته -دعوته- جهوده في خدمة السنة» تأليف: محمد بيومي (ص ٣١).

(٢) «الإمام المجدد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني» (ص ٢٥-٢٦).

فقال شيخنا: أشعر أنك أحق مني بالإمامة، فاعتذر أشد الاعتذار، وأمنا شيخنا رَحِمَهُ اللهُ، ثم بعدها انطلقنا فقال شيخنا للعبيلان: أين تريد أن تذهب؟ فقال: إلى الفندق، وأصرَّ شيخنا أن يوصله بنفسه، ولكن مع الأسف لم نكن نعرف مكان الفندق بالضبط، وكان الأخ أيضًا حديث عهد به، فبحثنا فلم نَهْتِدِ إليه، فأنزله شيخنا في أقرب مكان من منطقة الفندق.

ولما زار الأخ الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي الأردن عقد شيخنا - إكرامًا له - عدة مجالس، ولما كان آخر مجلس له وكان في صبيحة اليوم التالي موعد سفر الأخ حمدي بعد الفراغ من المجلس قام شيخنا رَحِمَهُ اللهُ بتوديع الأخ حمدي، وعانق كل منهما الآخر بحرارة والدموع تسيل من كليهما في موقف ما شهدت مثله بين شيخ وتلميذه، ثم قال شيخنا للأخ حمدي: اركب معي، فركب معه، ثم أوصله إلى بيت خالنا الشيخ محمد إبراهيم شقرة، فلما وصل شيخنا عند بيت خالنا لقيته مُسَلِّمًا عليه قائلًا: والله يا شيخنا لقد كبرت في عيني لما رأيته تصنع بتلميذك هذا الموقف الذي أثر فيَّ، فقال شيخنا: يا عصام، عرفني متأخرًا. ثم أصرَّ شيخنا أن يأتي بعد صلاة الفجر في اليوم التالي إلى بيت خالنا ليأخذ الشيخ حمدي بنفسه ويوصله إلى المطار^(١).

وقال عصام موسى هادي أيضًا: «لما منَّ الله عليَّ بالزواج سنة ١٩٩١م زارني شيخنا في بيتي في اليوم الثاني من الزواج، وعقد في بيتي مجلسًا علميًا، وبعد عدة أيام اتصل بي شيخنا يدعوني إلى مجلس علم في بيته، فذهبت، فلما انفض المجلس أخذ الإخوة بالمغادرة، فتقدمت مصافحًا شيخنا ومودعًا، وإذا به يمسك بيدي ويجلسني بجانبه، فلما ذهب الجميع قال لي: لقد خططنا أنا وأم الفضل أن

(١) «محدث العصر» عصام هادي (ص ٢٣-٢٤).

نقدم لك مساعدة، فأنت حديث عهد بزواج ولا عمل لديك، فقلت: يا شيخنا -جزاك الله خيرًا- فقد يسر الله لي عملاً، ووالدي قدم لي مساعدة، ولعلك تعرف من أحوج بها مني».

قال: «وكان يتردد على شيخنا طالب عُمانِي يدرس في الأردن كنيته «أبو عبد الرحمن»، فبينما هو ذات يوم في بيت شيخنا ولا يوجد إلا أنا وشيخنا والأخ العُماني قال شيخنا له: من يغسل ملابسك؟ فقال الأخ العُماني: أنا. فقال شيخنا: احضر ملابسك إليّ ونحن نغسلها، فقال الأخ العُماني والحياء قد أخذ بمجامعه: لا أريد أن أغلبك، أو قال: أتعبك، فقال شيخنا -وهو يبتسم-: لا تتعبنا وإنما تتعب الغسالة.

قال: «وعمل عند شيخنا طالب علم كان يدرس في المعهد الشرعي، وفي وقت فراغه يأتي عند شيخنا فينسخ له، فحدثني هذا الطالب بأن شيخنا قال له مرة: أرني هذا الكتاب الذي معك -لكتاب كان معه- ثم أخذ شيخنا ينظر في الكتاب، ثم خرج من المكتبة ومعه الكتاب ثم عاد وأعاد الكتاب للطالب، فلما خرج الطالب من عند شيخنا قال: لاحظت أن في الكتاب شيئاً، فلما نظرت وإذا بشيخنا قد وضع فيه مالا»^(١).

قال: «...وكان يشاور تلامذته فيما يشكل أو يحتاج إلى رأي، ولقد قال لي أكثر من مرة: ما رأيك يا أستاذ في هذه المسألة؟ وكان يتصل أيضاً على شيخنا أحمد السالك^(٢)، ويشاوره أيضاً وخصوصاً في مسائل اللغة، ولما جاء الأخ خالد العنبري إلى الأردن وتردد على شيخنا في مكتبته وسأله يومها عن عدة أشياء... كان

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٢٤-٢٥).

(٢) أحمد السالك الشنقيطي: قال عنه الشيخ الألباني: أفقه أهل الأردن، وكان يقول عنه: اشتري مجالسة السالك بالذهب. «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٨).

بين يدي شيخنا كتابه «صحيح موارد الظمآن»، فشاورني وشاور الأخ خالدًا في مسألة عرضت له في حديث أنس في الرجل الذي كان كاتبًا لرسول الله ﷺ ثم ارتد فلفظته الأرض، وهذا يدل على تواضعه رَحِمَهُ اللهُ وشدة تحريه الحق^(١).

وقال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة الحسني المغربي: «...اعتمرت سنة ١٤٠٤، وفي رجوعي عرجت على دمشق واتصلت بولده -أي: ولد الشيخ الألباني- الأخ عبد اللطيف، وسألته عنه فأخبرني بأنه خرج من دمشق فأرًا بدينه وأنه استقر بعمان، ودلني على عنوانه، فذهبت إليه واهتديت لمنزله الجديد الذي شارك في بنائه بنفسه، فرحب بي وأخبرني أنه قدم يومه من الإمارات، وأنه أُجريت له عملية جراحية، وأنه متعب، ولولا معرفته ورغبته في الاجتماع ما سمح به، ولأنه مُراقب، فجالسته رَحِمَهُ اللهُ ساعة أعدها من أبرك ساعات العمر، وأهدى إليَّ الجزء الرابع من «السلسلة الصحيحة»، وكان حديث الصدور وفي تجليد فاخر، وكتب الإهداء بخطه، فاستأذنته في الرواية مناولة، فقال: وما معنى الإهداء لأهل العلم إلا ذلك؟ ونزل بي من منزله بأعلى جبل الهملان إلى المسجد الحسيني بسيارته...»^(٢).

- ومما حدثني به وكتبه إليَّ الأخ سامي خليفة: «كان الشيخ -رحمه الله تعالى- إذا ركب معه شخص ما في أثناء ذهابه للمسجد يقوم -رحمه الله تعالى- بعد الصلاة بانتظار ذلك الرجل حتى يوصله إلى المكان الذي حمّله منه».

- وكتب إليَّ أيضًا: «مرة ركب معه غلام صغير من الحي الذي يسكن فيه

(١) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ٩٩).

(٢) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ»، بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدمه له: د. جمال عزون.

وهو متجهٌ إلى صلاة التراويح بمسجد صلاح الدين، وبعد الفراغ من الصلاة ركب الشيخ سيارته وما زال فيها ينتظر ذلك الغلام ليرجعه، فلم يأتِ الغلام، وتحجَّج الشيخ أن يرجع بدونه، فقلت -سامي خليفة- للشيخ: تفضل أنت بالذهاب وأنا سأبحث عنه وأتكفل بإرجاعه».

- وكتب إليّ أيضًا قال: «اتصل به شابٌ هاتفيًا، فلما رفع الشيخ سماعة الهاتف بادره الشاب بقوله: أنا شاب حديث عهد بالالتزام، وقد سمعت أنك تغلق الهاتف بسرعة فأياك أن تغلق الهاتف حتى أنهي كلامي! فضحك الشيخ وأعطاه ما يريد».



ردود الشيخ الألباني

أكثر الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - من الردود في ثنايا كُتبه، وصنف كتبًا مستقلة في الرد، وأخذ بعضهم هذا المأخذ، وردوده قليلة في جانب كلامه الواسع عن التخريج والكلام على فقه الأحاديث، وللجواب عليه أقول هنا:

لقد غلب على بعض أهل العلم أفراد كثير من مصنفاتهم في مسلك مخصوص، وهذا أمر مألوف عندهم، ومن هذا الباب عُرِف عن غير واحد من أهل العلم كثرة مصنفاته في نوع معين:

فمثلاً: الإمام ابن أبي الدنيا - رحمه الله تعالى - غلب على كثير من مصنفاته جانب الرقائق والأخلاق، مثل:

«التواضع والخمول».

«الحلم».

«الرقة والبكاء».

«الصمت وآداب اللسان».

«الهم والحزن».

«الورع».

«القناعة والتعفف».

«محاسبة النفس».

إلى غير ذلك من هذا الباب.

وكذا الإمام الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - كثير من مصنفاته في علوم الحديث وأهله، حتى قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : «وقل من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً، فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة - رحمه الله تعالى - : كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه».

ومن مصنفات الخطيب في هذا الباب:

«الكفاية في علم الرواية».

«الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة».

«السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد».

«غنية الملتبس إيضاح الملتبس».

«الموضح لأوهام الجمع والتفريق».

«الجامع لأخلاق الراوي والسامع».

«الرحلة في طلب الحديث».

«شرف أصحاب الحديث».

ومثلهما الإمام ابن رجب - رحمه الله تعالى -، فقد غلب على كثير من

مصنفاته شروح بعض الأحاديث النبوية، فمن ذلك:

«جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم».

«اختيار الأولي في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى».

«نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

«شرح حديث: ما ذئبان جائعان».

«شرح حديث: يتبع الميت ثلاثة».

وعوداً على بدء... إذا تقرّر هذا وعُرف أن من مسلك بعض المصنفين قصر

مصنفاته على نوع معين من منهج التأليف فيقال هاهنا:

إن ما سلكه الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - ليس بدءاً من التصنيف، بل إن كتب ردود الشيخ الألباني تعتبر قليلة بالنظر إلى غيره من أهل العلم، وعوداً على بدء يقال:

إن منهج الرد نفسه قد سلكه جمعٌ من أهل العلم، فمنهم المستقل ومنهم المستكثر، بل إن الناظر والمتصفح لتراجم العلماء وفهارس المكتبات يجد من كتب الردود ما لا يحصيه ديوان كاتب.

وأكتفى هنا بذكر بعض المصنفات في الردود لإمام كبير من الثلة المقدمة في العلوم النقلية والعقلية، أعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، فمن مصنفاته:

«مسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة والاتحادية» (وهي المعروفة

بالسبعينية).

«الرد على أهل كسروان الرافضة».

«الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين».

«الرد على منكري المعاد».

«الرد على ابن سينا».

«الرد على القدريّة وعلى الجبرية».

«الرد على من لم يكفر فرعون».

«الرد على أهل الاتحاد».

«الرد على ابن عربي».

«إثبات الرؤية والرد على نفاتها».

«الرد على من قال بفناء الجنة والنار».

«بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية». (كشف فيه أسرار

الجهمية وهتك أستارهم).

«منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية». (رد فيه على ابن المطهر الرافضي).

«الرد على النصارى» سماه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

«الرد على البكري».

«الصفدية». (في الرد على الفلاسفة).

«الرد على القائلين بالكلام النفسي»^(١).

وإذا علم تنوع المصنفين في مسالك التصنيف وغلبة مسلك على غيره فليعلم أن مسلك الرد على المخالفين بالعلم ولزوم أدب الخلاف من الأهمية بمكان؛ لما فيه من كشف الشبهات والرد عليها، والتنبيه على الشهوات والتحذير منها.

ومما ينبغي أن يقال في هذا المقام أيضاً:

منهج الرد جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ومما يذكر لزماً في هذا المقام كلام من نفائس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في عظيم شأن الردود على المخالفين، وحسبك بمن له يد طولى في الرد على المخالفين قولياً وكتابياً، فكيف إذا كان المقصود شيخ الإسلام؟

(١) وجميع ما ذكرته هنا مأخوذ باختصار وتصرف من «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص ٢٦-٦٧).

ذكر - رحمه الله تعالى - أن «الفروع أمرها قريب، ومن قلد فيها أحدًا من العلماء المقلّدين جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه.

وأما الأصول: فإنني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء - كالمفلسفة والباطنية والملاحدة وغيرهم من أهل البدع - قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبأن لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين، وأن جمهورهم أدفع الناس في التشكيك في أصول دينهم...».

إلى أن قال - رحمه الله تعالى - : «فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حججهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم ذبًا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجليلة». انتهى باختصار.

ومما يذكر في هذا المقام أيضًا كتاب «الرد على المخالف من أصول الإسلام». للشيخ بكر أبو زيد أثابه الله تعالى، وقد خصص المبحث السادس من كتابه لذكر ثمرات القيام بهذه الوظيفة الشرعية، يعني وظيفة الرد على المخالفين، فذكر سبع ثمرات:

- ١ - اتقاء المضار الناجمة عن السكوت.
- ٢ - نشر السنة وإحياء لما تآكل منها.
- ٣ - من أهم المهمات: نصح المخالف ونصح لجميع المسلمين.
- ٤ - تنقية الساحة من المنكودين بالتعريف عليهم بما خالفوا به أمر السنة والكتاب.

٥ - أن الدفع للمخالفات المذمومة كف لبأسها عن المسلمين.

٦ - دفع الإثم عن المسلمين بالقيام بهذا الفرض الكفائي.

٧- نيل شرف الرتبة بالقيام بهذه الحسبة للذب عن الشريعة^(١).

وبيت القصيد ومحط الركب هنا أن مسلك الرد على المخالفين والتفريق بين الخلاف في الأصول والخلاف في الفروع ولزوم آداب الخلاف هو مما عني به أهل العلم سابقاً ولاحقاً، وشواهد ذلك كثيرة، «وفي طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل»، فكتب الرد كثيرة وتقدم ذكر أمثلة يسيرة.

وإليك شيئاً مما كتبه الشيخ الألباني في مقام الردود:
«السلسلة الصحيحة» الجزء الأول:

- الرد على الشيعة الطاعنين في أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - حديث (٣٣٦).

- الرد على بعض المعاصرين الطاعنين في عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنه -، حديث (١٥٥).

- الرد على بعض المتصوفة الذين يطيعون شيوخهم في معصية الله تعالى، حديث (١٨١).

«السلسلة الصحيحة» الجزء الثالث:

- الرد على من زعم أن لكربلاء فضيلة (ص ١٦٢).

«السلسلة الصحيحة» الجزء الرابع:

- الرد على القاديانية (ص ٢٥٢)، وانظر أيضاً: «السلسلة الضعيفة» (٦/ ٥٢).

- الرد على الشيعة (ص ٣٥٩).

«السلسلة الصحيحة» الجزء الخامس:

- الإنكار على أصحاب الطرق المخالفين للسنة في حلقات الذكر (ص ١٣).

(١) انتهى من (ص ٨٥-٨٦) باختصار، لكن لا بد أن يفرق بين الخلاف في مسائل الأصول وبين مسائل الفروع.

«السلسلة الصحيحة» الجزء السادس:

- الرد على الطاعنين في الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٠٥).

- الرد على الشيعة الطاعنين في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ص ٦٥٦).

«السلسلة الصحيحة» الجزء السابع:

- الرد على حسن السقاف (ص ٣٥٣).

- الرد على القائلين بأن الله ليس في السماء (ص ٤٧٢).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الأول:

- الرد على الصوفية (ص ٧٩).

- الرد على المتزهدين الجاهل (ص ٧٤).

- الرد على القاديانية (ص ٢٥٥).

- الرد على القومية العربية (ص ١٩٧).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الثاني:

- الرد على المستحسنين للبدع (ص ١٧-١٩).

- الرد على من يجيز الاستغاثة بالموتى (ص ١١١).

- الرد على المدعو عبد المحسن الموسوي الشيعي (ص ٢٩٥).

- التحذير من الكرامية (ص ٤٢٢).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الثالث:

- التحذير من «كتاب الكافي» للكليني الرافضي (ص ١٩٩).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الخامس:

- الرد على أحد الشيعة (ص ١٦٦).

- الرد على الخميني (ص ٨٨).

«السلسلة الضعيفة» الجزء العاشر:

- الرد على أحد الشيعة (١٠ / ١٠، ٥٣٨، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٥٩، ٦٧٥، ٦٨٠، ٧٠٢، ٧١٣، ٧٢٠).
- الرد على الخميني (ص ١٠).



حدا الإمام الألباني في بعض ردوده

بادئ بدء أقول:

إن الأصل في ردود الشيخ الألباني عدم القسوة، ويوضح هذا قوله رَحِمَهُ اللهُ: «...وقد نمي إليّ أن بعض الأساتذة رأى في ردّي على الدكتور شيئاً من الشدة والقسوة في بعض الأحيان، مما لا يعهدون مثله في سائر كتاباتي، وردودي العلمية، وتمنوا أنه لو كان ردّاً علمياً محضاً»^(١).

بعد هذا أقول: يعلم الله تعالى أنني أكره تلك الحدة الكتابية في بعض كتب الشيخ، وبخاصة إذا كان المردود عليهم من أهل الفضل والعلم والسنة، وكان الشيخ هو المبتدئ في الرد.

ولكن مما ينبغي أن يُعلم أن المردود عليه إذا كان هو المبتدئ - وكان قاسياً في رده - فيشفع للإمام الألباني: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

ولا شك أن: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. أفضل، وبخاصة في شأن أولي الفضل والعلم والسنة. ومما ينبغي تقريره هنا أمور:

- الأول: أن الأصل في الرد على المخالفين الترفق بهم، وذلك عائداً إلى السياسة الشرعية التي خير من يقدرها ويعلم مقاصدها العلماء الراسخون.

(١) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص ج).

والإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ قَدْ عَنِي بِهَذَا، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ قَوْلُهُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «...وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَرَفَّقَ فِي دَعْوَتِنَا الْمَخَالِفِينَ إِلَيْهَا، وَأَنْ نَكُونَ مَعَ قَوْلِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دَائِمًا وَأَبَدًا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ نَسْتَعْمَلَ مَعَهُ هَذِهِ الْحُكْمَةَ هُوَ مَنْ كَانَ أَشَدَّ خُصُومَةً لَنَا فِي مَبْدَأِنَا وَعَقِيدَتِنَا، حَتَّى لَا نَجْمَعَ بَيْنَ ثَقُلِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الَّتِي أَمَتَنَ اللهُ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْنَا، وَبَيْنَ ثَقُلِ أَسْلُوبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَجَلَّ.

فَأَرْجُو مِنْ إِخْوَانِنَا جَمِيعًا أَنْ يَتَأَدَّبُوا بِهَذِهِ الْأَدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ أَنْ يَبْتَغُوا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَجَلَّ وَلَا يَرِيدُونَ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا^(١).

- الثاني: أَنَّ الْإِمَامَ الْأَلْبَانِي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مِنْ أْبَعْدِ النَّاسِ عَنِ الْأَلْفَاظِ النَّابِيَةِ وَالْفَحْشِ مِنَ الْقَوْلِ؛ بَيْنَمَا تَرَى فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ فَحْشًا فِي الْقَوْلِ وَبَدْءًا فِي انْتِقَاءِ الْكَلِمَاتِ.

- الثالث: أَنَّ مَا وَرَدَ فِي رَدُودِ الشَّيْخِ مِنْ قِسْوَةٍ فِي اللفظِ يَعْتَبَرُ نَادِرًا بِالنِّسْبَةِ لَكَثْرَةِ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ، وَلِذَا عِنْدَمَا قَسَا عَلَى أَحَدِهِمْ فِي رَدِّهِ قَالَ -لِيُبَيِّنَ سَبَبَهُ قِسْوَتَهُ غَيْرَ الْمَعْهُودَةِ- كَمَا تَقْدُمُ نَقْلُهُ:

«...وَقَدْ نَمَى إِلَيَّ أَنَّ بَعْضَ الْأَسَاتِذَةِ...»^(٢) إلخ، وَسَيَأْتِي نَقْلُ كَلَامِهِ كَامِلًا

بَعْدَ قَلِيلٍ.

- الرابع: أَنَّ مَا يَحْصُلُ أحيانًا مِنْ قِسْوَةِ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي رُدُودِهِ يَكُونُ بَاعْثُهُ عَظِيمُ جَنَائَةِ الْمَرْدُودِ عَلَيْهِمْ حَسَبَ تَقْدِيرِ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وَإِلَيْكَ شَوَاهِدُ مِنْ ذَلِكَ:

(١) «الإمام الألباني» تأليف: محمد بيومي (ص ١٤٠).

(٢) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص ج).

قال -رحمه الله تعالى-: «...وقد كنت أَوَّلًا أُرَدُّ على هذا السقاف بأسلوب علمي مفعم باللين والرفق، فلما وجدته يقع في الصحابة وأهل السنة والحديث ويفتري عليهم أغلظت عليه -على غير عادتي- والله الموعِد»^(١).

وقوله -رحمه الله تعالى- أيضًا: «...وهناك سبب أقوى استوجب القسوة المذكورة في الرد ينبغي على ذلك البعض المشفق على الدكتور أن يدركه، ألا وهو جلالة الموضوع وخطورته الذي خاض فيه الدكتور بغير علم، مع التبجح والادّعاء الفارغ الذي لم يُسَبَق إليه، فصَحَّحَ أحاديث وأخبارًا كثيرة لم يقل بصحتها أحد، وضعف أحاديث أخرى تعصبًا للمذهب وهي ثابتة عند أهل العلم بهذا الفن والمشرّب، مع جهله التام بمصطلح الحديث وتراجم رواته، وإعراضه عن الاستفادة من أهل العلم العارفين به، ففتح بذلك بابًا خطيرًا أمام الجهال وأهل الأهواء أن يُصَحِّحُوا من الأحاديث ما شاءوا ويُضَعِّفُوا ما أرادوا، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةَ سيئة فعلية وزرّها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(٢).

وخرج رَحِمَهُ اللهُ «في الضعيفة» حديث: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»، ثم قال بعد تخريجه:

«هذا الحديث من الأحاديث الكثيرة الضعيفة التي ضخم بها الشيخ الصابوني الحلبي كتابه «مختصر تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٧٠)، وما كنت لأهتم بذلك لولا أنه تشبع بما لم يعط وزعم في مقدمته أنه اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة، وواقع الكتاب يكذبه»^(٣).

(١) «الإمام الألباني» تأليف: محمد بيومي (ص ١٣٢).

(٢) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص هـ).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٣٠٤) (١٣٠٥).

الخامس: إذا عُلِمَ ما سبق فيقال: إن من أسباب قسوة الشيخ شناعة رد المخالفين، وبخاصة إذا كانوا مبتدئين في الرد.

وقد نال الألباني -رحمه الله تعالى- كثير من سهامهم، حتى أخرجه بعضهم عن الإسلام، فضلاً عن الطعن في معتقده.

ومن شواهد ذلك قوله -رحمه الله تعالى- وقد تقدم نقله عندما ردَّ على أحدهم:

«...وقد نمى إليّ أن بعض الأساتذة رأى في ردّي على الدكتور شيئاً من الشدة والقسوة في بعض الأحيان، مما لا يعهدون مثله في سائر كتاباتي وردودي العلمية، وتمنوا أنه لو كان ردّاً علمياً محضاً.

فأقول: إنني أعتقد اعتقاداً جازماً أنني لم أفعل إلا ما يجوز لي شرعاً، وأنه لا سبيل لمنصف إلى انتقادنا، كيف والله عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه الكريم في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩) وَحَزَّوْا سَيِّئَةً سَبَيْتُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾ [الشورى: ٣٩-٤٣].

فإن كل من يتتبع ما يكتبه الدكتور (...) في كتبه ورسائله ويتحدث به في خطبه ومجالسه يجده لا يفتأ يتهجم فيها على السلفيين عامة وعليّ من دونهم خاصة، ويشهر بهم بين العامة والغوغاء، ويرميهم بالجهل والضلال، وبالتبلة والجنون، ويلقبهم بـ«السفليين»، و«السخفيين»!!

وليس هذا فقط، بل هو يحاول أن يُثير الحُكَّام ضدهم برميهِ إياهم بأنهم: عملاء للاستعمار، إلى غير ذلك من الأكاذيب والترهات»^(١).

(١) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص ج).

- السادس: مما يؤكد ما اشتهر به الشيخ من هدوئه مع حدة الطرف الآخر حادثان حكاهما الشيخ بنفسه:

الأولى: قوله: «زرت أحمد شاكر في الفندق في المدينة المنورة، وجرى بيني وبينه نقاش حول توثيق ابن حبان، ولكن الشيخ أخذته حدة فكان شعلة نار لم أتمكن من مواصلة النقاش معه، ولا أدري هل هذه الحدة في طبعه أم أنها من المرض الذي أصابه، فقد كان حينها قد أصابه الإعياء»^(١).

والثانية: سمع منه بعض تلاميذه: «... أنه - رحمه الله وأثابه - لما لقي الشيخ أحمد بن الصديق - الغماري - بظاهرية دمشق وتذاكرا، وكان الشيخ ناصر يأتيه بنوادر المخطوطات الحديثة التي لم يرها الشيخ الغماري وربما لم يسمع بكثير منها، وفيها أعلاق بخطوط مؤلفيها أو سمعت على كبار الحفاظ، وفي أثناء المذاكرة والمناقشة احتد الغماري وصاح - وكان في خلقه حدة، خصوصاً إذا نوقش في معتقده... -، فرد عليه الشيخ ناصر بهدوء: كيف تفعل هذا يا شيخ أحمد وأنت عربي وشريف هاشمي، كما تقول، وأنا أعجمي ومع هذا أحتفظ بهدوئي وأدبي؟!»^(٢).

- السابع: الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في حديثه ليس بدعاً من أهل العلم، فهناك أئمة من فحول أهل السنة تعترتهم حدة في أقلامهم وألسنتهم غيرة على الدين وحرماته وأحكامه، فشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - على سعة علمه وجلالة قدره كانت تعتريه حدة كما هو معروف في ترجمته، وقد كان يكسر تلك الحدة ويقهرها بحلمه.

(١) «محدث العصر» (ص ٨٨).

(٢) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ» بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدم له: د. جمال عزون.

والإمام ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - في «كتاب التوحيد» يلحظ القارئ له بوضوح - في أبواب الكتاب ناهيك عما جاء في مضامين الكلام - شدة الإمام على المخالفين.

- الثامن: أن تلك الحدة في الإمام الألباني بالإضافة إلى ما اختاره من الأقوال التي خالفه فيها كثيرون تغمر في بحر علمه وجهاده في نشر السنة ونصرها والدفاع عن أئمتها، وما أجمل مقولة الذهبي في آخر ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: «...وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فإله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك، فكان ماذا؟»^(١).

ويقال هاهنا أيضًا: إن حدة الألباني - رحمه الله تعالى - يقابلها رقة قلب فضلاً عن سرعة رجوع إلى الصواب متى تبين له، مع ذكره لمن دله على الصواب وشكره له.

ومما ينبغي تقريره هنا أن من جرت بينه وبينهم ردود من علماء السنة فإن تلك الردود - وإن كثرت أو قلت - لا تؤثر في محبة بعضهم لبعض؛ فمثلاً: الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - مع حدته التي ذكرها الشيخ ناصر عنه فمزلته عالية عند الشيخ الألباني ينقل عنه أحياناً، ناهيك عن الشاء عليه.

ومن ذلك قوله: «...وهذا لا يمنعني من أن أعترف أن هناك بعض الرجال المتأخرين لهم فضلهم الظاهر في هذا العلم، نستفيد كثيراً من تحقیقاتهم وتعليقاتهم كأمثال الشيخ أحمد شاكر وغيره من الأفاضل»^(٢).

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٩٧).

(٢) مقدمة «السلسلة الصحيحة» (٤/ ص م).

وقوله أيضًا: «... عالمان فاضلان لهما وزنهما عندي، وهما: الشيخ أحمد شاكر رحمَهُ اللهُ، والشيخ بديع الدين الراشدي»^(١).

ولما ذكر كتاب الشيخ أحمد شاكر «شرح وتخريج المسند» قال: «... للمحقق العلامة أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - وهو أشهر من أن يذكر»^(٢).

وقل مثل هذا في الشيخ حمود التويجري - رحمه الله تعالى - وما جرى بينه وبين الشيخ الألباني من ردود^(٣)؛ فعلى رغم ما جرى بينهم من الردود - أو بينهم وبين غيرهم من علماء السنة - لا تجد فحشاً في القول ولا في القلم مع المخالفين، فكيف فيما بينهم؟ بل هو نقاش علمي محض بقصد الوصول إلى الحق.

فرحم الله أحمد شاكر، والتويجري، والألباني، وجميع علماء السنة.
فائدتان:

الأولى: قال معاوية لأبي إدريس الخولاني: يا أهل اليمن، إن فيكم خلافاً ما تخطئكم، قال: وما هي؟ قال: الجود، والحدة، وكثرة الأولاد. قال: أما ما ذكرت من الجود، فذلك لمعرفتنا من الله وَجَلَّ بِحُسْنِ الْخَلْفِ، وأما الحدة فإن قلوبنا ملئت خيراً فليس فيها للشر موضع، وأما كثرة الأولاد فإننا لسنا نعزل ذلك عن نسائنا، قال: صدقت، لا يفضض الله فاك^(٤).

الثانية: «لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق، كما قيل:

ووضع النَّدَى في موضع السيف بالعلا مُضَرَّ كوضع السيف في موضع النَّدَى^(٥)

(١) «السلسلة الضعيفة» (١٢ / ٣٧١).

(٢) «الذب الأحمَد عن مسند الإمام أحمد» (ص ٢١).

(٣) انظر مبحث: بين الشيخين الألباني وحمود التويجري.

(٤) «تاريخ دمشق» (٢٦ / ١٦٦).

(٥) البيت للمتنبّي

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى، وهو ألد من الزبد بالشهد، وهكذا.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأنى فكتب إليه معاوية: أما بعد؛ فإن الفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي. وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها.

وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه، فإن مع كل إنسان شيطاناً، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن: المؤمن وقاف متأن، وليس كحاطب ليل.

فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواضع العنف فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق، فإن النجاح معه في الأكثر^(١).

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٦).

عناية الشيخ بدروسه العلمية

هذا الإمام الفحل كبير في علمه، كبير في تواضعه، فمع سعة علمه وإطلاعه كان على عناية تامة بشأن الدروس العلمية، فقد كان يعنى بالتحضير والاستعداد لها، مما يجعل تلك الدروس مليئة بالفوائد والتوجيهات، فينهى الشيخ درسه مفيداً ويقوم الطلاب بعد فراغه مستفيدين، وإليك ما قاله الشيخ - رحمه الله تعالى - عندما سئل عن دروسه.

قال - رحمه الله تعالى -: «...فكنت أقرأ عليهم المقطع من كتاب «الزاد» ثم أعلق عليه بما عندي من علم سابق، أو من تعليقات استحضرتها قبل أن أحضر للدرس، وكان الدرس يومئذ ما بين ثلاثة أرباع الساعة والساعة الكاملة، ثم بعد ذلك نصف ساعة للإجابة على الأسئلة»^(١).

وقال أيضاً: «...ومن كل هذه الدراسات كان هناك مجهود علمي، الأصل فيه هو التحضير، وكان من آثار ذلك: «التعليقات الجياد على زاد المعاد» الجزء الأول، والتعليقات الموجودة على هامش «الروضة الندية»، و«التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب»؛ لأنه كانت طبيعتي ألا ألقى عليهم حديثاً إلا بعد أن أثبت من صحته والتأكد مما يراد من فقه أو معنى، هكذا كان إلقائي للدرس هناك»^(٢).

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٨).

(٢) «الإمام الألباني» (ص ٢٩).

وإليك أيضًا ما قاله بعض تلاميذه عن عناية الشيخ -رحمه الله تعالى- بالدروس: حكى تلميذه الشيخ محمد عيد عباسي عندما تحدث عن الكتب التي درسها الشيخ في دمشق، قال محمد عيد عباسي: «...» الروضة الندية في شرح الدرر البهية» للعلامة محمد صديق حسن خان، وهو جزءان كبيران، ولقد درسناه كاملاً بجميع أبوابه، من عبادات، ومعاملات، وبيع، ونكاح، وطلاق، وقصاص، وحدود وديات، ورهن، وصرف، وبغاة، وأطعمة وأشرية، وجهاد... إلخ، وكان أستاذنا -حفظه الله- يشرح البحوث شرحاً علمياً محققاً يكاد لا يترك مسألة صغيرة ولا كبيرة إلا يجليها ويوضح غامضها، ويُعلّق على ما يقرأ موافقاً أو مخالفاً^(١)، وهو في جميع ذلك يستند إلى أقوى الحجج وأثبت البراهين^(٢). وقد كانت عنايته بالدرس مسلماً ملازماً له، يؤكد ذلك أنه لما كان في الجامعة الإسلامية كان يُعنى عناية تامة بإيصال الفهم إلى أذهان الطلاب، وإليك شاهداً على ذلك:

فمن آثاره -رحمه الله تعالى- في الجامعة الإسلامية أنه وضع في منهج الحديث الذي يُدرّس في الجامعة درس «علم الإسناد»، «فكان الشيخ يختار من «صحيح مسلم» حديثاً للسنة الثالثة، وآخر للسنة الثانية من «سنن أبي داود» فيسجله على السبورة بالسند ويأتي إلى كتب الرجال -ك «الخلاصة»، و«التقريب»- فيعمل لهما دراسة حديثة عملية في كيفية تخريج الحديث وكيفية نقده من رجاله، فكان يعطي الطلاب هذه الدروس العلمية من الكتب^(٣).

(١) في كتاب الشيباني: «مختلفاً»، ولعله خطأ مطبعي، والمراد ما أثبت.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٥٨).

(٣) «حياة الألباني» (١/ ٦١).

من رحلات الألباني العلمية

العالم كالغيث أينما حل نفع، وكان أهل العلم يجوبون أقطار الأرض لنشر العلم والخير بين الناس، وكان للإمام الألباني نصيب من ذلك.

قال -رحمه الله تعالى-: «رتبنا برنامجاً لزيارة بعض مناطق البلاد، ما بين حلب واللاذقية إلى دمشق، وعلى الرغم من قصر الأوقات التي خصصت لكل من المدن فقد صادفت هذه الرحلات نجاحاً ملموساً؛ إذ جمعت العديد من الراغبين في علوم الحديث على ندوات شبه دورية، يقرأ فيها من كتب السنة، وتتوارد الأسئلة، ويثور النقاش المفيد»^(١).

رحلته إلى حلب:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ومن عاداتي منذ بضع سنين أن أسافر إلى حلب أسبوعاً من كل شهر، أقضيه أو أقضي غالبه في مكتبتي الوحيدة العامرة بالمخطوطات، وهي «مكتبة الأوقاف الإسلامية»، أقضي فيها ساعات من كل يوم في دراسة مخطوطاتها ونسخ ما هو ضروري منها لمشروعاتي العلمية، وعلاوة على هذا فإنني أأدارس السنة وعلومها مع بعض الراغبين في العلم، فأقوم بإلقاء عدد من الدروس في كل أسبوع».

ولم تقف همة الشيخ -رحمه الله تعالى- على رحلاته الداخلية، بل وسع

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١١١-١١٢).

دائرة نشر علمه فرحل إلى خارج قطره، ومن ذلك:

رحلته إلى مصر:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «لم يتيسر لي في المدة القصيرة التي قضيتها في القاهرة وفي الإسكندرية الاتصال إلا بقليل من أهل العلم والفضل، أذكر منهم على سبيل المثال الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب، والأستاذ محمد الغزالي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد العزيز الراشد.

وفي مدة إقامتي في القاهرة كنت أتردد -كلما سنحت لي الفرصة- إلى دار الكتب المصرية لدراسة مخطوطات كتب الحديث فيها، وكذلك فعلت حين سافرت منها إلى الإسكندرية، فكنت أتردد إلى مكتبتها المعروفة بالمكتبة البلدية، وقد استفدت من المكتبتين فوائد هامة جمة، ونسخت بيدي من المكتبة الثانية رسالة للحافظ ابن حجر العسقلاني يحقق القول فيها في الأحاديث التي استخرجها الحافظ القزويني من كتاب «مصابيح السنة» وحكم عليها بالوضع».

رحلته إلى بيت المقدس:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولقد شددت الرحل إلى بيت المقدس لأول مرة بتاريخ ٢٣/٥/١٣٨٥ هـ حين اتفقت حكومتا الأردن وسوريا على السماح لرعاياهما بدخول أفراد كل منهما إلى الأخرى بدون جواز سفر، فاهتبلتها فرصة فسافرت فصليت في المسجد الأقصى، وزرت الصخرة للاطلاع فقط؛ فإنه لا فضيلة لها شرعاً، خلافاً لزعم الجماهير من الناس، ومشايعة الحكومات لها».

رحلته إلى الأندلس (إسبانيا):

في شهر رجب عام ١٣٩٢ هـ الموافق لشهر آب من سنة ١٩٧٢ م، بدعوة من مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين المنعقد في مدينة غرناطة.

رحلته إلى المغرب:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «سفرتي الأولى إلى المغرب آخر الشهر الرابع من سنة ١٣٩٦ هـ».

رحلته إلى قطر:

في شهر رمضان المبارك ١٣٩٢ هـ، وفي أوائل ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ.

رحلته الثانية إلى الإمارات:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «عدت إليها بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٩٨٥ م».

رحلته إلى الكويت:

عام ١٤٠٢ هـ.

المملكة العربية السعودية:

وأما المملكة العربية السعودية فكما هو معلوم مقامه في المدينة أثناء تدريسه في الجامعة الإسلامية، وبعد الجامعة كان يتردد على المملكة، فزار الرياض وغيرها، فضلاً عن مجيئه للحج والعمرة.



وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ

عندما تقرأ بعض الكتب أو تسمع بعض المتكلمين فإنك تحتاج إلى قاموس لحل غامضها وكشف خفيها، وهذا النهج يتعسر من خلاله الحصول على الفائدة، وكان كلام النبي ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه»^(١).

قال بعض شراح الشمائل: «أي: ظاهر مفصول ممتاز بعضه من بعض، بحيث يتبينه من يسمعه ويمكنه عده، وهذا أدعى لحفظه ورسوخه في ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبينه بياناً تاماً بحيث لا يبقى فيه شبهة»^(٢).

وكلام الشيخ الألباني رحمته الله يفهمه العامي والمتعلم، ويفهمه الصغير والكبير، كلامه في منتهى الوضوح لا غموض فيه ولا تكلف ولا تشدق، فالذي يسمع محاضرات الشيخ ودروسه ومواعظه وإجاباته يرى مصداق ذلك، وهذا هو الأنفع للناس؛ لأنه بهذا تكون الفائدة مشاعة لجميع المسلمين والمستفيدين، ولا تتم الفائدة إلا بوضوح أسلوبها.

وما أجمل ما ذكره الذهبي في «السير»، عن الأصمعي رحمته الله أنه قال: «كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننته لا يعرف شيئاً، كان يتكلم كلاماً سهلاً»^(٣).

ومن أبو عمرو هذا؟ إنه شيخ القراء والعربية.

(١) «الشمائل» للترمذي (ص ١٨٦).

(٢) «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» (ص ١١٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠).

ثناء الشيخ على بعض بحوثه وكتبه

أخذ بعضهم هذا المأخذ على الشيخ -رحمه الله تعالى-، والجواب فيما يظهر لي من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن ذلك من التحدث بنعمة الله تعالى إذا أمن الإنسان على نفسه العجب، وأحسب أن علماء الأمة الكبار هم من هذا القبيل، والألباني أحدهم -على الجميع رحمة الله تعالى-.

الوجه الثاني: أن ذلك من باب تنبيه القارئ والسماع على الجهد المبذول في المسألة، فيزداد -القارئ والسماع- طمأنينة إلى النتيجة التي وصل إليها المؤلف.

الوجه الثالث: أن له سلفاً في ذلك؛ فمن أولئك:

ابن الأثير رحمه الله، حيث قال في مقدمة كتابه «جامع الأصول»:

«...على أن هذا الكتاب في نفسه بحرٌ زاخرة أمواجه، وبرٌّ وعرةٌ فجاجة، لا يكاد الخاطر يجمع أشتاته، ولا يقوم الذكر بحفظ أفراده، فإنها كثيرة العدد، متشعبة الطرق، مختلفة الروايات، وقد بذلت في جمعها وترتيبها الوسع، واستعنت بتوفيق الله تعالى ومعونته في تأليفه وتهذيبه، وتسهيله وتقريبه»^(١).

الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-، وهو يكثر من ذلك وحق له ولا تشريب

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» (١/ ٥٢).

عليه، فكتبه في غاية التحقيق، فقد قال في آخر مقدمة كتابه «طريق الهجرتين»: «فجاء الكتاب غريباً في معناه، عجبياً في مغزاه، لكل قوم منه نصيب، ولكل وارد منه مشرب»^(١).

وقال بعد كلامه على حديث طلاق ابن عمر رضي الله عنهما: «...فهذه كلمات نبهنا بها على فوائد حديث ابن عمر، فلا تستطلها فإنها مشتملة على فوائد جمّة، وقواعد مهمّة، ومباحث لمن قصده الظفر بالحق وإعطاء كل ذي حق حقه، من غير ميل مع ذي مذهبه، ولا خدمة لإمامه وأصحابه، بحديث رسول الله ﷺ، بل تابع للدليل، حريص على الظفر بالسنة والسبيل، يدور مع الحق أنى توجهت ركائبه، ويستقر معه حيث استقرت مضاربه، ولا يعرف قدر هذا السير إلا من علت همته، وتطلعت نوازع قلبه، واستشرفت نفسه إلى الارتضاع من ثدي الرسالة، والورود من عين حوض النبوة، والخلاص من شبك الأقوال المتعارضة والآراء المتناقضة إلى فضاء العلم الموروث عمن لا ينطق عن الهوى، ولا يتجاوز نطقه البيان والرشاد والهدى، ويبداء اليقين التي من حلّها حُشد في زمرة العلماء وعد من ورثة الأنبياء...»^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في آخر مفتاح كتابه «حادي الأرواح»^(٣): «وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه، فهو للمحزون سلوة، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب، وحادٍ للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه المجلس، ولا يملّه الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد، على ما لعل

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٩).

(٢) «تهذيب السنن» (٣/ ١١١).

(٣) (ص ٣٢-٣٣).

المجتهد في الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملته كثيرة من الأحاديث المرفوعات والآثار الموقوفات والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً، وجلّى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليات إلى العيش الهنيء في تلك الغرفات، وسميته «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه...».

وقال في كتابه «مدارج السالكين» في آخر كلامه عن بعض لطائف أسرار التوبة: «فهذه نبذة من بعض لطائف أسرار التوبة لا تستهزئ بها، فلعلك لا تظفر بها في مصنف آخر ألبتة»^(١).

- وهذا الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «الإصابة»: «وهذا القسم الرابع لا أعلم من سبقني إليه، ولا من حام طائر فكره عليه، وهو الضالة المطلوبة في هذا الباب الزاهر، وزبدة ما يمخضه من هذا الفن اللبيب الماهر».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «القواعد الحسان»: «أما بعد؛ فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم جليلة المقدار، عظيمة النفع، تُعِين قَارِئَهَا وَمَتَأَمِّلَهَا عَلَى فَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ وَالِاهْتِدَاءِ بِهَا، وَمُخْبِرَهَا أَجَلَ مَنْ وَصَفَهَا، فَإِنَّهَا تَفْتَحُ لِلْعَبْدِ مِنْ طَرُقِ التَّفْسِيرِ وَمِنْهَاجِ الْفَهْمِ عَنْ اللَّهِ مَا يَغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْبَحْثِ النَّافِعَةِ».

وقد علق تلميذه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِلْكِتَابِ:

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٢٢٧).

«وثناء شيخنا عبد الرحمن بن سعدي على كتابه ليس بغريب؛ لأن ثناء أهل العلم على مؤلفاتهم لا يقصدون به الفخر والتفاخر على الخلق، إنما يقصدون شد الناس إلى قراءتها، والالتفاف حولها، وله من سلف الأمة قدوة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أعلم أحدًا تناله الإبل أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه». كذلك ثناء ابن مالك على «ألفيته»^(١).



(١) انظر: «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله». إعداد وتأليف محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ومساعد بن عبد الله بن سليمان السعدي (ص ١٧٩-١٨٠).

من المكتبات التي زارها الشيخ رحمه الله أو تردد عليها

سَلْ عَنْهُ مَكْتَبَةٌ بَلْ مَكْتَبَاتٌ هُدًى تَرَبَّعَ الشَّيْخُ فِي أَرْجَائِهَا وَرَبَا
مَا كَانَ يَسَامُ مِنْ عَيْشٍ بِهَا أَبَدًا وَكَانَ يَهْجُرُ فِيهَا الصَّحْبَ وَالْعُنْبَا
وَلَا يَفَارِقُهَا حَرَصًا عَلَى زَمَنِ حَتَّى يُطَالَعَ مِنْهَا الدَّقُّ وَالسَّهْبَا
فِي فَصْمِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ عَنْ زَبَدٍ وَيُطْعَمُ الْعَسَلُ الْمَعْسُولَ وَالرُّطْبَا^(١)
فَمِنْ الْمَكْتَبَاتِ:

١ - المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢ - مكتبة القصبياني: وهي مكتبة تجارية من أكبر مكتبات دمشق، وقد
مكن أصحابها الشيخ من كل كتاب يحتاجه للاطلاع، ويبقى الكتاب عند الشيخ
لزمان غير محدود دون أجر حتى يأتي راغب في شراء الكتاب فيبعث إليه
أصحاب المكتبة ليرد إليهم الكتاب^(٢).

٣ - المكتبة العربية الهاشمية: وكان له من أصحابها خير معين^(٣).

٤ - مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب.

(١) «محدث العصر» (ص ١٠٤)، لسمير الزهيري، والآيات من قصيدة في رثاء العلامة
الألباني رحمه الله بقلم: أبي الفضل عادل بن المحجوب المغربي.
(٢) بتصرف واختصار من كتاب «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٥١-٥٢).
(٣) «حياة الألباني» (١/ ٥٢).

- ٥ - مكتبة الشيخ زهير الشاويش ببيروت^(١).
- ٦ - دار الكتب المصرية بالقاهرة.
- ٧ - المكتبة البلدية بالإسكندرية.
- ٨ - المكتبة المحمودية في المدينة المنورة^(٢).
- ٩ - مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة.
- ١٠ - مكتبة الأستاذ أحمد عطية في الأردن^(٣).
- ١١ - مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية^(٤).



(١) «رفع الأستار» (ص ٦).

(٢) «محدث العصر» لعصام هادي (ص ١٠٦).

(٣) مقدمة «مختصر الشمائل للترمذي» (ص ٤).

(٤) «الآيات البينات» (ص ٥-٦).

من آثار الشيخ العلمية

خَلَّفَ الشيخ -رحمه الله تعالى- تراثاً علمياً كثيراً، سواء من المكتوب أو المسموع، وسأذكر هنا مسرداً لمؤلفاته المكتوبة، وقد ذكرها غير واحد ممن كتب عنه، إلا أن أجمعهم -فيما وقفت عليه- لذلك هو الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد -حفظه الله تعالى-، فلقد ذكر مسرد مؤلفات الإمام الألباني في كتابه «مع شيخنا ناصر الدين والسنة»، وقبل ذلك أقول:

قد يعمد الشيخ -رحمه الله تعالى- أحياناً إلى تسمية بعض مؤلفاته بالأسماء المسجوعة، وهذا مسلكٌ مألوفٌ عند أهل العلم، ومن فوائد ذلك المسلك:

١- تقريب المضمون الإجمالي للكتاب.

٢- سهولة حفظ العنوان.

٣- إضفاء قوة معنوية على الكتاب، وبخاصة في مجال الردود، ومن أمثلة

ذلك: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق».

«الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد».

«النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الرجيحة ومن

تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة».

وعوداً على بدء أقول:

كانت مؤلفات الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- جامعة علمية متنقلة،

حوت درراً من فنون العلم، وليست وقفاً على طبقة معينة من أهل العلم، بل

مشاعة لكل مستفيد؛ فقد كان كثيرٌ من كبار أهل العلم يعززون إليها ويستأنسون بأحكام الشيخ على كلامه على سند الحديث أو متنه، ناهيك عن الفائدة الكبرى التي جناها ويجنيها كثير من طلاب العلم من تحقیقات الشيخ وأحكامه. ومما يؤكد القيمة العلمية لتلك المؤلفات: ثناء بعض العلماء عليها، فمن ذلك:

قول سماحة الإمام ابن باز: «... مع ما يبذله من الجهود المشكورة في العناية بالحديث الشريف، وبيان الحديث الصحيح مع الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة كله عمل مشكور ونافع للمسلمين، نسأل الله أن يضاعف مثوبته، ويعينه على مواصلة السير في هذا السبيل الطيب، وأن يكمل جهوده بالتوفيق والنجاح».

وقال العلامة محمد بن عثيمين: «... وأن الله قد نفع بما كتبه كثيرًا من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج، والاتجاه في علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين والله الحمد».

وقال الشيخ المحدث عبد المحسن العباد: «... ولا يستغني طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه وإلى مؤلفاته، فإن فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير، ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالبًا من كتبه، أو من وجود شيء منها».

وقال الشيخ أحمد النجمي: «... صاحب التأليف النافعة والتخريجات المفيدة».

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «... وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف».

وقال الشيخ عبد الله المنيع: «... هذا فضلًا عمّا لفضيلته من تحقیقات صائبة في سبيل تمحيص السنة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم الإثيوبي: «... وكذا كتب العلامة ناصر الدين الألباني فإنها ممتعة جداً؛ لأن له اليد الطولى في معرفة الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، كما تشهد بذلك كتبه القيمة».

وقال الشيخ مقبل الوادعي: «... لا يستغني طالب علم في هذا الزمان عن الاستفادة من كتب الشيخ الألباني - حفظه الله - وإني أنصح كل طالب علم باقتنائها والاستفادة منها، فقد جمع فيها الشيخ - حفظه الله - ما لا يستطيع الوقوف على كله، وتيسر له الاطلاع على كتب لم يطلع عليها كثيرٌ من طلبة العلم»^(١).

وبعد هذه الشهادات المتنوعة الدالة على عظيم قيمة مؤلفات الإمام الألباني أقول:

هذا مسرد بكتب الشيخ^(٢):

- ١ - «آداب الزفاف في السنة المطهرة».
- ٢ - «الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات».
- للألوسي - تحقيق وتخريج.
- ٣ - «الآيات والأحاديث في ذم البدعة». (خ).
- ٤ - «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة».
- ٥ - «أحاديث الإسراء والمعراج».
- ٦ - «أحاديث التحري والبناء على اليقين في الصلاة». (خ).
- ٧ - «الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمهات الكتب الفقهية». (خ).

(١) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٥٥٦).

(٢) من كتاب «مع شيخنا ناصر السنة والدين» بقلم: علي بن حسن الحلبي (ص ٣٧-٦١)، والحواشي المنقولة هنا بقلم الشيخ علي أيضاً، وقد اختصرت في ذكرها.

- ٨- «الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعفها أو أشار إلى ضعفها ابن تيمية في مجموع الفتاوى» (خ).
- ٩- «الأحاديث المختارة» للضيء المقدسي - تحقيق وتخريج (خ).
- ١٠- «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية - تحقيق.
- ١١- «أحكام الجنائز وبدعها».
- ١٢- «أحكام الركاز» (خ).
- ١٣- «الأحكام الصغرى» لعبد الحق الإشبيلي - تخريج وتعليق وتحقيق (خ).
- ١٤- «الأحكام الوسطى» للإشبيلي - تخريج وتعليق وتحقيق (خ).
- ١٥- «أداء ما وجب من بيان الوضّاعين في رجب» لابن دحية - تحقيق وتخريج.
- ١٦- «الأذكار» للنووي - تعليق وتخريج (خ).
- ١٧- «إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد» للصنعاني - تخريج وتعليق (خ).
- ١٨- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».
- ١٩- «إزالة الدهش والوله عن المتحير في صحة حديث: ماء زمزم لما شرب له» - تخريج.
- ٢٠- «إزالة الشكوك عن حديث البروك» (خ) ^(١).
- ٢١- «الأسئلة والأجوبة» (خ).
- ٢٢- «أسباب الاختلاف» للحميدي - تحقيق (خ).
- ٢٣- «أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية» (خ).
-
- (١) أصله تسجيل صوتي لمجلس علمي فيه رد على كلام ابن القيم في المسألة.

- ٢٤- «إصلاح المساجد من البدع والعوائد». للقاسمي -تخريج وتعليق.
- ٢٥- «أصول السنة واعتقاد الدين». للحميدي -تحقيق (خ).
- ٢٦- «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان». لابن القيم -تخريج.
- ٢٧- «اقتضاء العلم العمل». للخطيب البغدادي -تحقيق وتخريج وتعليق.
- ٢٨- «الإكمال في أسماء الرجال». للتبريزي -تحقيق.
- ٢٩- «الأمثال النبوية». (خ).
- ٣٠- «الإيمان». لابن أبي شيبه -تحقيق وتخريج وتعليق.
- ٣١- «الإيمان». لابن تيمية -تعليق.
- ٣٢- «الإيمان». لأبي عبيد القاسم بن سلام -تحقيق وتخريج وتعليق.
- ٣٣- «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث». لأحمد شاكر -تعليق.
- ٣٤- «بداية السؤل في تفضيل الرسول». للعز بن عبد السلام -تحقيق وتخريج.
- ٣٥- «بغية الحازم في فهارس مستدرك الحاكم». (خ).
- ٣٦- «بين يدي التلاوة». (خ).
- ٣٧- «تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام». للشيخ أحمد بن يحيى النجمي -تعليق^(١).
- ٣٨- «تاريخ دمشق». لأبي زرعة رواية أبي ميمون -تحقيق وتعليق (خ).
- ٣٩- «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد».
- ٤٠- «تحريم آلات الطرب»^(٢).

(١) طبع منه الجزء الأول.

(٢) وله اسم آخر هو: «الرد بالوحيين وأقوال أئمتنا على ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغنا وعلى الصوفيين الذين اتخذوه قربة ودينًا».

- ٤١ - «تحقيق معنى السنة». لسليمان الندوي - تخريج.
- ٤٢ - «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للرَّبَعي».
- ٤٣ - «تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر للقرضاوي».
- ٤٤ - «تخريج حديث أبي سعيد الخدري في سجود السهو». (خ).
- ٤٥ - «تصحيح حديث إفطار الصائم قبل الفجر».
- ٤٦ - «التعقيب على رسالة الحجاب للمودودي».
- ٤٧ - «التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطُّرُوث». (خ).
- ٤٨ - «التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب».
- ٤٩ - «التعليق على رسالة: كلمة سواء». (خ).
- ٥٠ - «التعليق على سنن ابن ماجه». (خ).
- ٥١ - «التعليق الممَّجَّد على موطأ الإمام محمد للكنوي». تعليق وتحقيق (خ).
- ٥٢ - «التعليقات الجياد على زاد المعاد». (مفقود).
- ٥٣ - «التعليقات الحسان على الإحسان».
- «التعليقات الخيار...» = «رفع الأستار...».
- ٥٤ - «التعليقات الرضية على الروضة الندية لصديق حسن خان».
- ٥٥ - «تلخيص أحكام الجنائز».
- ٥٦ - «تلخيص حجاب المرأة المسلمة». (خ).
- ٥٧ - «تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ». (خ).
- ٥٨ - «تمام المنة في التعليق على فقه السنة».
- ٥٩ - «تمام تمام المنة في التعليق على فقه السنة». (خ).
- ٦٠ - «تمام النصح في أحكام المسح».
- ٦١ - «التمهيد لفرض رمضان». (خ).

- ٦٢- «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للمعلمي». تحقيق وتعليق.
- ٦٣- «تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه». (خ).
- ٦٤- «التوحيد لمحمد أحمد العدوي». تخريج وتعليق.
- ٦٥- «التوسل أنواعه وأحكامه».
- ٦٦- «تيسير انتفاع الخلان بثقات ابن حبان». (خ).
- ٦٧- «الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب». (لم يتم).
- ٦٨- «جزء في تصحيح حديث شبرمة»^(١).
- ٦٩- «جلباب المرأة المسلمة»^(٢).
- ٧٠- «الجمع بين ميزان الاعتدال ولسان الميزان لابن حجر». (خ).
- ٧١- «جواب حول الأذان وسنة الجمعة». (خ).
- «الحج الكبير» - «حجة الوداع»، و«صفة حجة النبي».
- «حجاب المرأة المسلمة» = «جلباب المرأة المسلمة».
- ٧٢- «حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة لابن تيمية». تحقيق وتعليق وتخريج.
- ٧٣- «حجة النبي ﷺ كما رواها جابر ورواها عنه ثقات أصحابه الأكابر».
- ٧٤- «حجة الوداع». (خ).
- ٧٥- «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».
- ٧٦- «الحديث النبوي لمحمد الصباغ». تخريج.
- ٧٧- «حقوق النساء في الإسلام لرشيد رضا». تعليق.
- ٧٨- «حقيقة الصيام لابن تيمية». تخريج.

(١) ذكره الشيخ في حاشية «المشكاة» (٢٥٢٩)، ولا أعلم عنه شيئاً.

(٢) سماه الشيخ قديماً «حجاب المرأة المسلمة»، ثم رأى تغيير اسمه إلى هذا الاسم.

- ٧٩- «حكم تارك الصلاة».
- ٨٠- «الحوض المورود في زوائد منتقى ابن الجارود» (خ).
- ٨١- «خطبة الحاجة».
- ٨٢- «الدعوة السلفية أهدافها وموقفها من المخالفين لها» (خ).
- ٨٣- «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في فقه السيرة».
- ٨٤- «ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي» . تحقيق وتعليق (خ).
- ٨٥- «الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد».
- ٨٦- «رجال الجرح والتعديل لابن أبي حاتم» (خ).
- «الرد بالوحيين» = «تحريم آلات الطرب».
- ٨٧- «الرد على أرشد السلفي»^(١).
- ٨٨- «الرد على التعقيب الحثيث للحبشي الهرري».
- ٨٩- «الرد على رسالة التوجيه في بحوث من صفة الصلاة» (خ).
- ٩٠- «الرد على السخاف فيما سوده على دفع شبه التشبيه» (خ).
- ٩١- «الرد على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلق»^(٢).
- ٩٢- «الرد على عز الدين بليق في منهاجه» (خ).
- ٩٣- «الرد على كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة لمحمد عبد الحلیم أبو شقة» (خ).
- ٩٤- «الرد على كتاب ظاهرة الإرجاء لسفر الحوالي».
- ٩٥- «الرد على كتاب المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الرافضي» (خ).

(١) مطبوع ضمن كتاب «الرد العلمي» تأليف: الشيخ علي حسن بمشاركة الشيخ سليم الهلالي.

(٢) مطبوع ضمن كتاب «حياة الألباني وآثاره» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.

- ٩٦- «الرد على هدية البديع في مسألة القبض بعد الركوع». (خ).
- ٩٧- «الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب، وألزم المرأة بستر وجهها وكفيها وأوجب، ولم يقنع بقولهم: إنه سنة ومستحب».
- ٩٨- «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني»^(١). تحقيق وتعليق.
- ٩٩- «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» (خ)^(٢).
- ١٠٠- «رياض الصالحين للنووي». تخريج.
- ١٠١- «زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير للخضير». تحقيق وتعليق (خ).
- ١٠٢- «الزوائد على المورد»^(٣).
- ١٠٣- «سؤال وجواب حول فقه الواقع»^(٤).
- ١٠٤- «سبل السلام للصنعاني». تعليق.
- ١٠٥- «السفر الموجب للقصر». (خ).
- ١٠٦- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها».
- ١٠٧- «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة».
- ١٠٨- «شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي». تخريج.
- ١٠٩- «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب للسيوطي». تخريج.

(١) قال الشيخ علي حسن: «وقد رأيت بخطه تسميته له: التعليقات الخيار».

(٢) كتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى طَرْتِهِ بِخَطِّهِ: «المؤلف لا يرغب بطبع هذا الكتاب؛ لأنه من أوائل أعماله العلمية. ناصر».

(٣) وهو مطبوع في حواشي «صحيح الموارد»، و«ضعيف الموارد».

(٤) فتوى مطبوعة بإعداد وتقديم: علي بن حسن الحلبي، بإشراف الشيخ.

- ١١٠ - «صحيح ابن خزيمة». تخريج ومراجعة.
- ١١١ - «صحيح الأدب المفرد للبخاري».
- ١١٢ - «صحيح الإسراء والمعراج». (خ).
- ١١٣ - «صحيح الترغيب والترهيب».
- ١١٤ - «صحيح الجامع الصغير وزيادته».
- ١١٥ - «صحيح سنن ابن ماجه».
- ١١٦ - «صحيح سنن أبي داود مع التخريج المفصل».
- ١١٧ - «صحيح سنن أبي داود».
- ١١٨ - «صحيح سنن الترمذي».
- ١١٩ - «صحيح سنن النسائي».
- ١٢٠ - «صحيح السيرة النبوية»^(١).
- ١٢١ - «صحيح كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي». (خ).
- ١٢٢ - «صحيح الكلم الطيب».
- ١٢٣ - «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان».
- ١٢٤ - «الصراط المستقيم فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان لعلماء الأزهر». تخريج.
- «صفة حجة النبي ﷺ من خروجه من المدينة إلى رجوعه إليها كأنك تصحبه فيها» = «حجة الوداع».
- ١٢٥ - «صفة صلاة النبي ﷺ». (الأصل أو الكبير).
- ١٢٦ - «صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها».

(١) طبع في رسالة متوسطة، ولم يتم.

- ١٢٧ - «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان». تخريج وتعليق.
- ١٢٨ - «صلاة الاستسقاء». (خ).
- ١٢٩ - «صلاة التراويح».
- ١٣٠ - «صلاة العيدين في المصلّى خارج البلد هي السنة».
- ١٣١ - «صلاة الكسوف وما رأى ﷺ فيها من الآيات».
- ١٣٢ - «صوت الطبيعة ينادي بعظمة الله لعبد الفتاح الإمام». تخريج^(١).
- ١٣٣ - «صوت العرب تسأل وناصر الدين يجيب». مقابلة.
- ١٣٤ - «صيد الخاطر لابن الجوزي». تخريج.
- ١٣٥ - «ضعيف الأدب المفرد للبخاري».
- ١٣٦ - «ضعيف الترغيب والترهيب».
- ١٣٧ - «ضعيف الجامع الصغير وزيادته».
- ١٣٨ - «ضعيف سنن ابن ماجه».
- ١٣٩ - «ضعيف سنن أبي داود مع التخريج المفصل».
- ١٤٠ - «ضعيف سنن أبي داود».
- ١٤١ - «ضعيف سنن الترمذي».
- ١٤٢ - «ضعيف سنن النسائي».
- ١٤٣ - «ضعيف كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي». (خ).
- ١٤٤ - «ضعيف موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان».
- ١٤٥ - «ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم».
- ١٤٦ - «العبودية».

(١) هو أول عمل في التخريج طبع للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

- ١٤٧ - «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق» .
- ١٤٨ - «العلم لأبي خيثمة» . تحقيق وتعليق وتخريج .
- ١٤٩ - «عودة إلى السنة» . (خ) .
- ١٥٠ - «غاية الآمال بتضعيف حديث عرض الأعمال والرد على الغماري بصحيح المقال» . (خ) .
- ١٥١ - «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للقرضاوي» .
- ١٥٢ - «فتنة التكفير» . فتوى .
- ١٥٣ - «فتوى حكم تتبع آثار الأنبياء والصالحين» ^(١) .
- ١٥٤ - «فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل بن إسحاق القاضي» . تحقيق وتخريج .
- ١٥٥ - «فقه السيرة للغزالي» . تخريج .
- ١٥٦ - «فهرس أحاديث كتاب التاريخ الكبير للبخاري» . (خ) .
- ١٥٧ - «فهرس أحاديث كتاب الشريعة للأجري» . (خ) .
- ١٥٨ - «فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في معجم الطبراني الأوسط» . (خ) .
- ١٥٩ - «الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب الكامل لابن عدي» . (خ) .
- ١٦٠ - «فهرس الصحابة الرواة في مسند الإمام أحمد بن حنبل» .
- ١٦١ - «فهرس كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي» . (خ) .
- ١٦٢ - «فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية» . (خ) .
- ١٦٣ - «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث» .

(١) مطبوعة ضمن كتاب «جزيرة فيلكا وخرافة أثر الخضر فيها» . للحصين .

- ١٦٤ - «الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف بمراكش». (خ).
- ١٦٥ - «القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي». تعليق.
- ١٦٦ - «قاموس البدع». (خ).
- ١٦٧ - «قاموس الصناعات الشامية لمحمد سعيد القاسمي». تخريج مشاركة مع الشيخ محمد بهجت البيطار رَحِمَهُ اللهُ.
- ١٦٨ - «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه في آخر الزمان».
- ١٦٩ - «قيام رمضان».
- ١٧٠ - «كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات».
- ١٧١ - «الكلم الطيب لابن تيمية». تحقيق وتخريج.
- ١٧٢ - «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب». تخريج.
- ١٧٣ - «كيف يجب أن نفسر القرآن؟»^(١).
- ١٧٤ - «اللفية في نظر الدين».
- ١٧٥ - «لفتة الكبد في تربية الولد لابن الجوزي». تحقيق وتخريج مشاركة مع الأستاذ محمود مهدي إستانبولي رَحِمَهُ اللهُ.
- ١٧٦ - «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان للآلوسي». تخريج.
- ١٧٧ - «مجموع فتاوى الشيخ الألباني ومحاضراته»^(٢).
- ١٧٨ - «المحو والإثبات الذي يُدعى به في ليلة النصف من شعبان» (خ)^(٣).

(١) أصله محاضرة فرغها بعض الطلبة من شريط مسجل وراجعها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) هو تحت الطبع في ثمانية عشر مجلدًا.

(٣) له اسم آخر هو: «فتح الودود في الرد على من زعم ثبوت لفظة «أم الكتاب». في حديث ابن مسعود».

- ١٧٩ - «مختصر تحفة المودود لابن القيم» اختصار وتخريج (خ).
- ١٨٠ - «مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان»^(١). (خ).
- ١٨١ - «مختصر التوسل» (خ).
- ١٨٢ - «مختصر شرح العقيدة الطحاوية»^(٢). (خ).
- ١٨٣ - «مختصر الشمائل المحمدية للترمذي» اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.
- ١٨٤ - «مختصر صحيح البخاري».
- ١٨٥ - «مختصر صحيح مسلم» (مفقود).
- ١٨٦ - «مختصر صحيح مسلم للمنذري» تحقيق وتعليق.
- ١٨٧ - «مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي»^(٣). اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.
- ١٨٨ - «مذكرات الرحلة إلى مصر» (خ).
- ١٨٩ - «المرأة المسلمة لحسن البنا» تخريج.
- ١٩٠ - «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة» تحقيق وتعليق (خ).
- ١٩١ - «مسائل غلام الخلال التي خالف فيها الخرقى» تعليق.
- ١٩٢ - «مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح» تحقيق وتعليق.

(١) ذكره الأخ الشيباني، ولم يتبين لي ولم أعرفه.

(٢) ذكره الأخ الشيباني، ولا أعلمه، ولعله التبس عليه بـ «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق» والله أعلم.

(٣) طُبِعَ باسم: «للعلي الغفار». وهو خطأ من الطابع، ثم صحح في الطبقات الأخيرة.

- ١٩٣ - «مساوئ الأخلاق للخرائطي». تحقيق وتخريج (خ).
- ١٩٤ - «المستدرک علی المعجم المفهرس لألفاظ الحديث». (خ).
- ١٩٥ - «مسح الجوربين للقاسمي». تحقيق وتخريج.
- ١٩٦ - «مشكاة المصابيح للتبريزي». تحقيق.
- ١٩٧ - «المصطلحات الأربعة للمودودي». تخريج.
- ١٩٨ - «مع الأستاذ الطنطاوي». (خ).
- ١٩٩ - «معالم التنزيل للبغوي». تخريج (خ).
- ٢٠٠ - «معجم الحديث النبوي»^(١). (خ).
- ٢٠١ - «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي». تعليق وتخريج (خ).
- ٢٠٢ - «مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف».
- ٢٠٣ - «المناظرات والردود». (خ).
- ٢٠٤ - «المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي». نسخها: عبد الصمد البقالي (خ).
- ٢٠٥ - «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية». (خ).
- ٢٠٦ - «مناقب الشام وأهله لابن تيمية». تخريج.
- ٢٠٧ - «منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية». (خ).
- ٢٠٨ - «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن».
- ٢٠٩ - «موارد السيوطي في الجامع الصغير». (خ).

(١) في أربعين مجلداً، وهذا الكتاب هو نتيجة القصة العجيبة المعروفة بقصة «الورقة الضائعة». تقدم ذكرها تحت مبحث: «همة عالية وعزيمة صادقة ونية نحسبها إن شاء الله تعالى خالصة».

٢١٠- «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر». تعليق وتحقيق

(لم يتم).

٢١١- «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق».

٢١٢- «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة

الرجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة».

٢١٣- «نقد التاج الجامع للأصول لمنصور علي ناصف». تعليق وتخريج (خ).

٢١٤- «نقد نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية».

٢١٥- «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام».

٢١٦- «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشداً للجيش

السعودي». (خ).

٢١٧- «وضع الآثار في ترتيب أحاديث مشكل الآثار». (خ).

٢١٨- «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة لابن حجر».

تخريج^(١).

فائدة:

بعد الفراغ من الصف الأولي للكتاب وقفت على كتاب فيه تتبع واستقراء واسع لآثار الألباني العلمية، مع بيان كون الكتاب مطبوعاً أو مخطوطاً، وكون عمل الشيخ تحقيقاً أو تأليفاً... إلى غير ذلك من الجهد المتميز لجامع الكتاب ومُعدّه: الشيخ الكريم عبد الله بن محمد الشمراني - أثابه الله تعالى خيراً، وبارك في قلمه وشأنه كله-، وقد سمى كتابه «ثبت مؤلفات المحدث الكبير الإمام محمد ناصر الدين الألباني الأرناؤوطي»، وقد أوصل الباحث الشيخ عبد الله آثار الشيخ العلمية إلى ٢٣١، وبذلك يكون كتابه هو المقدم في هذا الشأن.

(١) طبع بتحقيق الشيخ علي حسن في ستة مجلدات.

مكاته العلمفة وثناء العلماء والأدباء والكتباء علفه

ثناء الناس على المسلم من عاجل بشراه، فكفف إذا كان المشنف علفه هم من صفوة المجتمعات من العلماء الرّاسخفن وطلبة العلم وغيرهم من دّعاة الخفر؟ وقد كان للإمام الألباني -رحمه الله تعالى- نصيبٌ كبفر من ثناء كثر من أولئك ومحبتهم له -إن شاء الله تعالى-، ولعل هذا -إن شاء الله تعالى- من عاجل بشراه نظفر ما خدم السنة كتابة ومشافهة وغير ذلك من جهوده المباركة، وإللك ما وقفت علفه من ثناء الناس علفه:

قال الشفخ محمد بن إبراهيم آل الشفخ -رحمه الله تعالى- فف حق أخفه العلامة الألباني: «وهو صاحب سنة، ونصرة للحق، ومصادمة لأهل الباطل». قال الشفخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ فف حق العلامة الألباني: «الشفخ الألباني معروف أنه من أهل السنة والجماعة، ومن أنصار السنة، ومن دعاة السنة، ومن المجاهدفن فف سبفل حفظ السنة».

وقال أفضاً: «الشفخ معروف لدفنا بحسن العقفدة والسفرة، ومواصلة الدعوة إلى الله سبحانه، مع ما ببذله من الجهود المشكورة فف العنافة بالحديث الشرف، وففان الحديث الصفح من الضعف من الموضوع، وما كتبه فف ذلك من الكتابات الواسعة كله عمل مشكور ونافع للمسلمفن، نسأل الله أن يضاعف مثوبته، وفعفه على مواصلة السفر فف هذا السبفل الطفب، وأن فكلل جهوده بالتوففق والنجاح».

وقال: «والشيخ الألباني - وفقه الله - معروف لدينا بحسن العقيدة والسيره وتأيد مذهب السلف الصالح واعتناقه له».

وقال: «من إخواننا الثقات المعروفين، من إخواننا الطيبين، صاحبنا وأخونا العلامة الشيخ محمد ناصر الدين، وهو من المجددين».

وقال: «لا أعلم تحت قبة الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث».

- وسئل سماحته عن حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». فسئل من هو مجدد هذا القرن؟ فقال رَحِمَهُ اللهُ: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني، والله أعلم»^(١).

- وفي أحد دروس الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ قُرئ عليه تخريج حديث من كتاب «إرواء الغليل». واستمع الشيخ إلى التخريج كاملاً، فلما فرغ القارئ، قال الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - : «إن لم يكن التخريج كهذا فلا تخريج».

- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لست أشك في علمه وسعة اطلاعه وعنايته بالسنة، زاده الله علماً وتوفيقاً، وهو بحمد الله ممن ينشد الحق ويسعى إليه ويبذل جهوده في إيضاحه والدعوة إليه».

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في حق العلامة الألباني: «فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به - وهو قليل - أنه حريص جداً على العمل بالسنة ومحاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أو في العمل».

وقال: «...أما من خلال قراءاتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم

(١) «الإمام المجدد» (ص ٩٦).

جم في الحديث رواية ودراية، وأن الله قد نفع بما كتبه كثيرًا من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج، والاتجاه في الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين والله الحمد».

- ووصفه بأنه: «طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع».
- ورأى ذات مرة شريطاً كتب عليه: «لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني». فقال: «بل محدث العصر».

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل -حفظه الله تعالى- عن الألباني: «من أئمة السنة، ومن كبار المحدثين، وخدم الحديث خدمة كبيرة بمؤلفاته»^(١).

- وسمعه بعض تلاميذه يقول: «الألباني شيخنا وأستاذنا»^(٢).
- وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية -حفظه الله- بأنه: «نصر السنة في هذا العصر»، وأثنى عليه وعلى علمه.
- ووصفه بالوصف نفسه الشيخ الفقيه صالح بن فوزان الفوزان.
وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية: «أمّا كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة». فمؤلفه واسع الاطلاع في الحديث، قويٌّ في نقده والحكم عليه بالصحة والضعف، وقد يخطئ».
- ووصفوه بـ «أخينا العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني». ووقع على ذلك كل من الشيخ ابن باز، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الله الغديان، والشيخ عبد الله القعود.

(١) «فتح الجليل» (ص ١٥٦) حاشية.

(٢) «فتح الجليل» (ص ١٥٥) حاشية.

وقال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري - رحمه الله تعالى - عنه بأنه: «ذو اطلاع واسع في علم الحديث».

وقال: «الألباني كان حنيفياً ثم دخل في علم الحديث حتى وصل فيه إلى الغاية، وهو ممن يقال في مثله: درس بنفسه»^(١).

وقال: «الشيخ الألباني درس العلم دراسة وافية»^(٢).

وقال الشيخ عبد المحسن العبد البدر المدرّس في المسجد النبوي - حفظه الله تعالى -: «والألباني عالم جليل خدم السنة، وعقيدته طيبة، والطعن فيه لا يجوز»، ثم ذكر كلام الإمام الطحاوي في عقيدته: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

وقال: «إنه فقيد الجميع، العالم الكبير الشهير العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله وغفر له -، وله جهود عظيمة في خدمة السنة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتب التي ذكرتها، وبيان درجتها من الصحة والضعف، خدمته للسنة مشهورة، ودافع عن عقيدة السلف ومنهج السلف دفاعاً عظيماً، ولا يستغني طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه وإلى مؤلفاته، فإن فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير، ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالباً من كتبه، أو من وجود شيء منها، وله عناية بالبحث والكتابة والرجوع إلى كلام العلماء والاستفادة منهم، وإن ذهب مثل هذا العالم هو في الحقيقة نقص كبير على المسلمين، ومصيبة وثلمة في الدين».

(١) «المجموع» (٢/ ٥٩٧).

(٢) «المجموع» (٢/ ٥٢٣).

- «وإن هذين العلمين -أي: ابن باز والألباني- ومن العلماء الكبار الجهابذة المحققين، الذين لهم العناية الفائقة، والهمة العالية، وكل منهما له جهود عظيمة في العقيدة، وقد حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسن الجزاء وغفر لهما، وتجاوز عن سيئاتهما».

- «فإنه بحق من العلماء الأفاضل الذين كانوا في هذا العصر، والذين لهم جهود في خدمة سنة المصطفى ﷺ».

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله تعالى-: «الألباني الآن علم على السنة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنة».

- ولما ذكر عند الشيخ حمود جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، قال الشيخ حمود: «إن الشيخ ناصرًا أحق من يعطاها؛ لخدمته للسنة»^(١).

وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللهُ: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المحدث الكبير والعالم الشهير، صاحب التأليف النافعة، والتخريجات المفيدة، سُوري الموطن، سلفي العقيدة، بذل جهدًا في التخريج لا يوازيه فيه أحد، فجزاه الله خيرًا».

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-: «لا شك أن فقد العلامة محمد ناصر الدين الألباني مصيبة؛ لأنه علم من أعلام الأمة، ومحدث من محدثيهم، وبهم حفظ الله -جل وعلا- هذا الدين ونشر الله بهم السنة».

وقال: «إن للفقيه مآثر في نصرة العقيدة السلفية، ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، وأثره في العالم الإسلامي كبير، ويعد من علماء الأمة بمآثره الجليلة العظيمة».

(١) وقد تحقق ما أراده الشيخ حمود -رحمه الله تعالى-؛ فكانت الجائزة في عام ١٤١٩ هـ من نصيب الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-.

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام المدرس في المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء -رحمه الله تعالى-: «اليوم هو من أئمة هذا الزمان، بذل نفسه وجهده وماله لخدمة السنة».

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله تعالى-: «العلامة الألباني»^(١).

- ولما نقل الشيخ بكر أبو زيد مقولة بعض الطاعنين في الإمام الألباني قال -الشيخ بكر- ما نصه: «وهذا عين التجاهل وغمط الناس أشياءهم بغير حق، وارتسام علمية الألباني في نفوس أهل العلم ونصرته للسنة وعقيدة السلف أمر لا ينازع فيه إلا عدو جاهل، والحكم ندعه للقراء فلا نطيل»^(٢).

- وذكره مرة ومعه الشيخ أحمد شاكر فقال عنهما: «الشيخان الجليلان»^(٣).

وقال الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع رئيس محكمة تمييز مكة وعضو هيئة كبار العلماء -حفظه الله تعالى-: «لقد فُجع معشر المسلمين بفقد عالم كبير من السلفين، الذي كان له باع طويل في محاربة البدع والضلالات، والرد على أصحابها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذا فضلاً عما لفضيلته من تحقیقات صائبة في سبيل تمحيص السنة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم الأثيوبي -حفظه الله تعالى-: «... وكذا كُتب العلامة ناصر الدين الألباني فإنها ممتعة جداً؛ لأن له اليد الطولى في معرفة الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، كما تشهد بذلك كتبه القيمة، فقلَّ مَنْ يدانيه في هذا العصر الذي ساد فيه الجهل بهذا العلم الشريف».

(١) انظر: «جزء في كيفية النهوض في الصلاة» (ص ٣٠، ٣٨، ٤٠، ٨٧).

(٢) «كتاب الردود» (ص ٣٤٤).

(٣) (ص ٣٠) من المرجع السابق.

وقال الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض - رحمه الله تعالى -: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من الأعلام البارزين في هذا العصر، وقد عُني بالحديث وطرقه ورجاله ودرجته من الصحة أو عدمها، وهذا عمل جليل من خير ما أنفقت فيه الساعات وبذلت فيه المجهودات، وهو كغيره من العلماء الذين يصيبون ويخطئون، ولكن انصرافه إلى هذا العلم العظيم مما ينبغي أن يعرف له به الفضل، وأن يُشكر على اهتمامه به، وأسأل الله لنا وله التوفيق ولعلماء المسلمين وعامتهم»^(١).

وقال الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ: «من دعا السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها».

- وأرسل له الشيخ عبد الصمد شرف الدين - شيخ أهل الحديث في الهند - رحمه الله تعالى - رسالة هذا نصها: «...هذا وقد وصل إلى الشيخ عبيد الله الرحمانى شيخ الجامعة الإسلامية -يعني: الجامعة السلفية ببنارس - استفسار من دار الإفتاء بالرياض من المملكة العربية السعودية عن حديث غريب في لفظه، عجيب في معناه، له صلة قريبة بزمنا هذا، فاتفق رأي من حضر هاهنا من العلماء على مراجعة أكبر عالم بالأحاديث النبوية في هذا العصر، ألا وهو الشيخ الألباني العالم الرباني».

وقال الشيخ محمد بن لطفي الصباغ - حفظه الله -: «العلامة المحدث الكبير أعظم محدث في هذا العصر...وقف حياته على خدمة السنة المطهرة تعليمًا وتأليفًا وتخريجًا وتحقيقًا».

وقال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: «الشيخ ناصر أعلم مني بعلوم الحديث،

(١) «الإمام المجدد» (ص ٩٧).

وأنا أحترمه لجده ونشاطه وكثرة تصانيفه التي يطبعها له أخي وولدي النابغة زهير الشاويش، وأنا أرجع إلى الشيخ ناصر في مسائل الحديث، ولا أستنكف أن أسأله عنها، معترفاً بفضلته...».

وقال عنه الشيخ علي الطنطاوي وأخوه ناجي: «وهو -الألباني- المرجع اليوم في رواية الحديث في البلاد الشامية».

وقال الشيخ مصطفى الزرقا رَحِمَهُ اللهُ: «صديقي الأستاذ ناصر الدين الألباني المحدث المعروف بدمشق».

وقال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «الأستاذ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وللرجل من رسوخ قدمه في السنة ما يعطيه هذا الحق».

وقال الشيخ يوسف القرضاوي -حفظه الله تعالى-: «محدث بلاد الشام ناصر الدين...». «العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني».

وقال الشيخ عبد الكريم زيدان -حفظه الله تعالى-: «محدث العصر الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني....».

وقال الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي -حفظه الله تعالى-: «الشيخ الألباني من أئمة السنة في هذا العصر، وممن حملوا لواء السنة خدمة لها، وتصحيحاً وتضعيفاً، وفي الرجال جرحاً وتعديلاً، وواجه البدع في كثير من كتبه كـ«الصلاة»، و«المناسك»، و«الجنائز»، وغيرها، وما تمر به مناسبة إلا ويتطرق للبدع يحذر منها ويبين السنن، فقد سار على القاعدة التي قررها: «التصفية والتربية»؛ تصفية السنة من العقائد الباطلة والبدع والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتربية النفس على العقيدة الصافية والسنة الصحيحة»^(١).

(١) «الذب الأحمد» (ص ٢١).

- « كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ الذي ما عُلِمَ مثله في عصره في علم التفسير واللغة يجلس الشيخ الألباني إجلالاً غريباً، حتى إذا رآه ماراً وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائماً ومُسَلِّماً عليه إجلالاً له »^(١).

وقال الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله تعالى -: « الأخ السلفي البحاثة الشيخ ناصر الدين »^(٢).

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله تعالى -: « أما بعد؛ فقد سئلت مراراً عن الشيخ ناصر الدين الألباني - حفظه الله - فأقول كما قال كثير من السلف إذا سئلوا عَمَّنْ هو أجل منهم قدرًا فيقول أحدهم: أنا لا أسأل عن فلان، هو يسأل عني، إن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله تعالى - لا يوجد له نظير في علم الحديث، وقد نفع الله بعلمه وبكتبه أضعاف أضعاف ما يقوم به أولئك المتحمسون للإسلام على جهل أصحاب الثورات والانقلابات، والذي أعتقده وأدين الله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله - من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها». رواه أبو داود وصححه العراقي وغيره.

إذا عرفت أن الشيخ - حفظه الله - ليس له نظير في علم السنة فما منزلته في فهم النصوص؟ الذي أعرفه عنه أن فهمه للنصوص كفهم كبار علمائنا المعاصرين، على أنني أقول كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر - يعني رسول الله ﷺ »^(٣).

(١) «الإمام المجدد» (ص ٩٥).

(٢) «الإمام المجدد» (ص ٩٥).

(٣) «الإمام المجدد» (ص ١٠٤-١٠٦).

قال الدكتور أمين المصري رَحِمَهُ اللهُ -رئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية سابقاً-: «من نكد الدنيا أن يختار أمثالنا من حملة الدكتوراه لتدريس مادة الحديث في الجامعة، وهناك من هو أولى بذلك منا، مما لانصلح أن نكون من تلامذته في هذا العلم، لكنها النظم والتقاليد»^(١).

وقد كان الدكتور أمين المصري رَحِمَهُ اللهُ يصرح دائماً أن الشيخ الألباني أحق منه بهذا المنصب وأجدر، ويعد نفسه من تلاميذه^(٢).

وجاء في كتاب «شهر في دمشق» للأستاذ المؤرخ الأديب عبد الله بن خميس -حفظه الله تعالى- ما نصه: «وهكذا وجدت السلفية في دمشق بين صفوف الجامعة وفي حلقات العلماء يحملها شباب مثقف مستنير، يدرس الطب والحقوق والآداب قال لي شاب منهم: ألا تحضر درسنا اليوم؟ فقلت: يشرفني ذلك، فذهبت مع الشباب لأجد فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني محدث دمشق الكبير، وحوله من يزيد على الأربعين طالباً من شباب دمشق المثقف، وإذا الدرس جارٍ في «باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده طرق الشرك»، من «كتاب التوحيد» وشرحه «فتح المجيد» للمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحفيده -رحمهما الله-، فعجبت أشد العجب لهذه المصادفة الغريبة، وأنصت لأسمع درس الشيخ وإذا بي أسمع مناقشة الطلبة الهادئة الرزينة واستشكلاتهم العميقة، حتى انتهى درس التوحيد، وبدءوا في درس الحديث بـ «الروضة الندية» وهنا سمعت علماً جماً، وفقهاً وأصولاً وتحقيقاً، وهكذا حتى انتهى الدرس.

ولم أزل طيلة مقامي بدمشق محافظاً على درس الشيخ، وقد انتهوا في علم

(١) «الإمام المجدد» (ص ١١١).

(٢) «الإمام المجدد» (ص ٣٠).

التوحيد من كتاب «فتح المجيد» وبدءوا في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم». لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي كل حين يزداد عددهم، وتتجدد رغبتهم ويكتبون وينشرون، ومن تتبع «مجلة التمدن الإسلامي» وقف على ما لهذا الشيخ وتلاميذه من نشاط وجهود، ولقد لمست بنفسني لهم تأثيراً كبيراً على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرأي العام، مما يبشر بمستقبل جد كبير لهذه الدعوة المباركة»^(١).

وقال الشيخ المؤرخ النسابة حمد الجاسر -رحمه الله تعالى-: «ولقد عرفت في مدينة دمشق عددًا من أجلة المعنيين بتحقيق التراث... كما عرفت الشيخ ناصر الدين الألباني بكثرة ترددي على «دار الكتب الظاهرية»، إذ كان يعد من أحلاسها، وقد كتب كثيرًا من فهارسها، ونقب عن نواذر مخطوطاتها، وفي الوقت نفسه كان يعمل في إصلاح الساعات، له دكان صغير قرب باب الجامع الأموي»^(٢).

- وكتب إليه الشيخ محمد طيب أوكيج اليوسنري أستاذ التفسير والحديث والفقه بكلية الإلهيات بجامعة أنقرة بتركيا وبالمعهد الإسلامي العالي بمدينة «قونيا» عدة رسائل يظهر فيها إعجابه بالشيخ، وليسأله بعض الأسئلة العلمية، منها رسالة في ٧ شعبان ١٣٨٩ هـ يقول فيها: «حضرة صاحب الفضيلة العلامة الباحثة سماحة الأستاذ السيد أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني المحترم، حفظه الله من كل مكروه، ونفعنا بعلومه، سيدي وأستاذي المحترم، أهنتكم بنجاحكم العظيم هذا في ميدان العلم، كثّر الله أمثالكم في العالم الإسلامي، والواقع أنني أود أن أظفر على كافة مؤلفاتكم القيمة، فمن فضلكم أن تأمروا

(١) «الإمام المجدد» (ص ١١٢).

(٢) «الوطن العربي من رحلات حمد الجاسر» (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

قال بعض المعلقين: بل دكانه في منطقة العمارة البرانية خارج سورية دمشق وهي ما تزال يعمل فيها أولاده. من كتاب: «علماء ومفكرون معاصرون» (ص ١٨).

ناشريكم أن يرسلوها على عنواني، ولكم الشكر سلفاً»^(١).

- وقد كتب عنه الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس جمعية التمدن الإسلامي بدمشق، الذي أعجب بعلمه وفسح له المجال لينشر في المجلة كثيراً من مقالاته الهادفة الناقدة، غير مبال بأهواء الكثيرين من المعارضين، وكان من قول الأستاذ أحمد مظهر: «عرفت دمشق محدثها الأكبر العلامة بدر الدين الحسيني، فلما توفاه الله خلت الديار من إمام تتجه الأنظار إليه في علوم الحديث، غير أن فتى أرناؤوطياً نشأ نشأة علم وتقى، وكان له من اسمه نصيب: هو الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني، عرف في أوساط الشباب بخدمته للحديث، وعلومه، وجمع الشباب عليه واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي، وطلاوة حديثه، وجودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتلّمذ عليه»^(٢).

وقال الشيخ الفقيه محمد بن الأمين بوخبزة الحسني المغربي: «...أشهد بمنتهى الصدق والنزاهة -والله على ما أقول وكيل- أنني ما رأيت فيمن لقيت من العلماء وهم كثير وأخذت عنهم مثل الشيخ محمد ناصر الدين محمد بن نوح نجاتي الألباني الأرناؤوطي، في علمه وإخلاصه وإطلاعه على علوم الحديث ودقائقه، وإنصافه في البحث والمناظرة، علاوة على سلوك أشبه بسلوك السلف الصالح، أقول هذا ولا أزكي على الله أحداً»^(٣).

وقال الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ اللهُ: «ذكرت عدة مرات أنني أحب الشيخ ناصر الألباني وأقدره، وفعلاً: أشهد الله، ثم أشهدكم -الحضور-

(١) «ترجمة موجزة» د. عاصم عبد الله القريوتي (ص ١٧-١٨).

(٢) «ترجمة موجزة» (ص ١٩).

(٣) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ» بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدم له: د. جمال عزون.

بأنني أحب فضيلة الشيخ ناصر الألباني وأقدره؛ لأنه من أهل العلم، ومن كبار علماء الحديث، فيجب أن نحب أهل الحديث وأهل العلم، وأهل الفضل نحبه ونحترمهم»^(١).

وقال عنه الشيخ عمر الأشقر: «محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني». وكتب إليه الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد: «الوالد الجليل محدث الشام، بل محدث الدنيا في عصره...»^(٢). وكتب إليه الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: «والدنا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الموقر تقديرًا لعلمه وصلابته...»^(٣). وكتب إليه الشيخ السيد سابق: «العالم العامل المحدث الأستاذ...»^(٤).



ولما كان ثناء الناس على العبد من البشائر المحمودة؛ كان للإمام الألباني قبول في الأوساط العلمية، وكان من نتائج ذلك ترشيحه -وهو أحق بها وأهلها- لجائزة الملك فيصل العالمية. ومن جميل ما يُذكر في هذا: مقتطفات من كلمة الشيخ محمد إبراهيم

(١) «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» كتبه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد (ص ٣٧) حاشية.

(٢) «حصول التهاني بالكتب المهداة إلى محدث الشام محمد ناصر الدين الألباني» (٢/ ٣١٣). والناظر في هذا الكتاب «حصول التهاني» وما جاء فيه من إهداءات كثير من المؤلفين والمحققين إلى الشيخ الألباني يرى مصداق ما لهذا الإمام الكبير من المنزلة الرفيعة، وانظر على سبيل الاختصار إلى فهرس الألقاب العلمية الذي عقده صاحب الكتاب الشيخ جمال عزون -أثابه الله تعالى- في (٣/ ٧٥٤-٧٦٨).

(٣) «حصول التهاني» (٣/ ٦٣٩).

(٤) «حصول التهاني» (٢/ ٧٧٨).

شقرة في كلمته التي ألقاها في حفل الجائزة عندما استلم الجائزة نيابة عن الإمام الألباني الذي أقعده المرض.

جاء في كلام الشيخ شقرة: «...وأجمعت البصيرتان -بصيرة الملك والعلم- أمرهما أن يدعا للجائزة الفيصلية الرفيعة الشأن تحتار من تريد لتكون جزاءً وفاقاً له، فأجالت بصرها في الآفاق، فأشأمت في أفق الشام شامة جميلة، مكتوباً فيها: هنا ديوان الأثر، وناشر السنة، ومحدث العصر: محمد ناصر الدين الألباني، يكاد سناها يملأ الآفاق كلها، وما كادت الجائزة الفيصلية الرفيعة التي كانت بعض تكريم للملك الراحل فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ تبصر بهذا الاسم حتى عادت مسرعة لتقول للبصيرتين: لقد جئكما من الشام بنباً يقين، إني وجدت من يُسعدني أن أكون بعضاً من جزائه في الدنيا، لأكون من الشهداء لكم أنكم يا أبناء عبد العزيز ممن قيل فيهم قديماً: لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل، فاهتئوا بما من الله عليكم، وعرفتم الحق في أهله فأديتموه، ولقد كانت هذه منكم يداً بيضاء لهذا الشيخ الجليل، ونصرة لدعوة الحق التي أحيها وجاهد فيها الإمام محمد بن عبد الوهاب، فثأتم بها وقدة نفوس كزت، واسبتم بها وغرة قلوب كظت، فأبشروا وأملوا خيراً، فوالله ما نصر مؤمن مؤمناً في موطن يُظلم فيه إلا ونصره الله في موطن لا يكون فيه الناصر إلا الله وحده، فكونوا أنصار الله، والله ما كان لكم في الأرض تمكين إلا لأنكم نصرتموه، ولا أبقى الملك فيكم إلا لأنكم عززتموه، ومن أصاب خيراً كثيراً، فاحفظوها بما حفظ الله، وعضوا على الأمر العتيق الأول بالنواجذ، واعلموا أنكم في أعين الناس المثل المحتذى بتحكيم شريعة الإسلام بمقتضى التوحيد الحق، فلا يؤتين فيه -لا قدر الله- من قبلكم، فتؤتون أجركم مرتين، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة من كان شعاره: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]»^(١).

(١) «الإمام المجدد» (ص ٣٧-٣٨).

قلت: إذا كانت الجوائز تُشرفُ كثيرًا ممن يحصلون عليها، فإن قليلًا من الناس يُشرفون الجائزة إذا جاءت تسعى إليهم، ومن أولئك الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وهذه صورة وثيقة الجائزة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِرَّاءةُ جَائِزَةِ الْمَلِكِ فَيْصَلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لِحَقِّهِ تَهْنِئَةٌ وَلِشَيْخِ فَيْصَلِ الْعَالَمِيَّةِ، بِعَدْلِهِ وَطَوْلِهِ عَلَى قِطَاعِ تَهْنِئَةِ الْمَلِكِ فَيْصَلِ الْعَالَمِيَّةِ
وَالْمُصَادِقِ تَحْلِيَّةٍ مِنْ كِبَارِ أَسَاءِ مُؤَرِّسَةِ الْمَلِكِ فَيْصَلِ الْعَالَمِيَّةِ بِالْمَعْلُومِ ١٣٧٧/٢٣ - ١٣٧٨/١١
تَارِيخَ ١١/١٢/١٤٠٣ هـ، وَحَلِّهِ كَمُتَرْفِئَةٍ لِلْإِسْتِخَارَةِ لِشَيْخِ فَيْصَلِ الْعَالَمِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فِي دَوْرَتِهَا الْخَامَةِ وَالْعَشْرِيَّةِ تَارِيخَ ١٥-١٨ رَجَبِ ١٤١٩ هـ وَالْمُتَّفَقِ ٢-٥ يَنَابْرِ ١٩٩٩ م مُتَّفَقٌ مَعِ:

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ حَاجٍ نَوْحٍ الْأَلْبَانِيِّ

تَهْنِئَةً وَلِشَيْخِ فَيْصَلِ الْعَالَمِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) وَخُضُوعَهَا
(لِلْجَهْدِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي تُخْبِتُ بِالْهَدْيِ الْفَنِيِّ؛ حَقِيقًا وَتَحْقِيقًا أَوْ دَوْرًا لِسُنَّةِ) وَفِيهِ تَقْدِيرٌ لِلْجَهْدِ
وَالْعَبَقَةِ فِي مَهْمَةِ الْهَدْيِ الْفَنِيِّ تَحْقِيقًا وَدَوْرًا لِسُنَّةِ. وَفِيهِ تَقْدِيرٌ فِي كِتَابِهِ وَلِكُنْزِهِ
وَحَاضِمَةِ الْبُرُودِ وَالْعَلِيلِ فِي تَحْقِيقِ أَسَاءِ سَنَةِ الْبَيْتِ، وَبِاسْمَةِ الْهَادِيَةِ وَالصَّحِيحَةِ،
وَبِاسْمَةِ الْهَادِيَةِ وَالصَّغِيرَةِ، وَتَحْقِيقِ كُنْزِ سُنَّةِ الْمَصَابِيحِ لِلْفَنِيِّ، وَحَاجِ الْإِسْلَامِ
وَالصَّغِيرِ وَبِاسْمِهِ، وَصَغِيرِ الْإِسْلَامِ وَالصَّغِيرِ وَبِاسْمِهِ.

وَمِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِيِّ تَحْقِيقًا لِسُنَّةِ الْهَادِيَةِ، وَحَاضِمَةِ سُنَّةِ الْهَادِيَةِ وَبِاسْمِهِ
وَالْعَلِيلِ، وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ
وَالْهَادِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ وَبِاسْمِهِ.

وَالْقُدْرَةُ وَالْجُودُ وَالْزُفْرُ

رَبِّهِ تَحْقِيقًا لِسُنَّةِ الْهَادِيَةِ

مُنْكَتٌ فِي الْإِسْلَامِ بِرَجْمِ ١٢٦٠ وَتَارِيخِ
١٣٧٧/١١ - ١٣٧٨/١٢ هـ وَالْمُتَّفَقِ ٢٠١٩ م

بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صورة من براءة جائزة الملك فيصل العالمية

من وجوه نصرته للسنة

اجتاحت رياض السنة زوابع كثيرة فكثر الكذب والدس في سنة النبي ﷺ لأسباب كثيرة:

من جملتها: شراذم من الزنادقة أرادوا الكيد والتليس على المسلمين، فوضعوا الأحاديث المرغبة والمرهبة لتشويه مقام السنة النبوية. ومن الأسباب أيضاً: جهلة من العباد والزهاد، قلّت بضاعتهم من العلم الشرعي، فاستحسنوا وضع بعض الأحاديث في فضائل الأعمال؛ ليحببوا إلى الناس -بزعمهم- فعل الخيرات.

ومن جملة الأسباب أيضاً: التعصب لبلد، أو حرفة، أو مذهب، ترتب من جرائه الكذب على النبي ﷺ لنصرة ما تُعصّب له.

ويُضاف إلى تلك الأسباب: أصناف من الرواة غير المعتمد بروايتهم، من كذاب ومختلط، وغيرهم.

ومع هذه الزوابع التي اجتاحت رياض السنة لتكدر نقاءها وتعكر صفوها، مع هذا كله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. قيض الله للسنة جنوداً يحفظون ساحتها الغراء من عبث العابثين وفساد المفسدين.

ولقد كان للمحدثين -على أمواتهم وأحيائهم رحمة الله تعالى- قصبُ السبق في ذلك؛ بل هم فرسان الميدان وحاملو ألويته، شَمَرُوا عن سواعدهم، دافعوا عن حياض السنة أعظم دفاع، وكانوا بحق حُرَّاساً على أبواب السنة، منعوا

كل دخيل وكشفوا عوار كل عليل.

ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -: أن هارون الرشيد أمر بقتل زنديق، فقال ذلك الزنديق: يا أمير المؤمنين، أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أحرم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام، ما قال النبي ﷺ فيها حرفاً؟ فقال له الرشيد: أين أنت - يا زنديق - من عبد الله بن المبارك، وأبي إسحاق الفزاري، ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً؟

وقال الإمام ابن قتيبة يمدح المحدثين: «ولم يزلوا في التنقيح عنها والبحث لها حتى عرفوا صحيحها وسقيمها، وناسخها، ومنسوخها، وعرفوا من خالفها إلى الرأي».

وقال ابن خزيمة - رحمه الله تعالى -: «ما دام أبو حامد الشرقي في الأحياء فلا يتهاى لأحد أن يكذب على رسول الله ﷺ».

وقال الدارقطني - رحمه الله تعالى -: «يا أهل بغداد، لا تظنوا أن أحداً يقدر يكذب على رسول الله ﷺ وأنا حي»^(١).

وبكل حال؛ فجهود المحدثين في الذب عن السنة لا تكاد أن تحصي، يشهد لذلك ويؤكد عشرات بل مئات المصنفات المطولة والمختصرة في بيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مع بيان علل أسانيدھا ومتونها.

ناهيك عن كتب التراجم التي تضم بين دفتيها آلاف الرواة، مع بيان حالهم ومروياتهم، سواء كانوا من الثقات أم الضعفاء.

ومع هذا؛ فقد أفردت كتب مستقلة عن الوضاعين الكذابين لتعرف رواياتهم، وتتقى أخبارهم.

(١) «اهتمام المحدثين بنقد الحديث» (ص ١٤٠-١٤١).

قال الإمام مسلم - رحمه الله تعالى -: «وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معاييب رواة الحديث وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا؛ لما فيه من عظيم الخطر، إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل أو تحريم، أو أمر أو نهى، أو ترغيب أو ترهيب»^(١).

إن جهود المحدثين من أعظم الجهود المبذولة في خدمة الإسلام والمسلمين، وكيف لا يكون ذلك وهم المقيضون لحراسة قلعة السنة من عبث العابثين وإفساد المفسدين؟

ومع هذه الجهود العظيمة التي عُنيت بالمحافظة على السنة النبوية؛ لا يزال لكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة حظ في التداول على ألسنة الناس، وعلى صفحات الجرائد والمجلات، وبعض الكتب الوعظية وغيرها. وذلك راجع إلى التساهل في الثبوت من صحة الحديث، أو الجهل بعلم الحديث رواية.

ويجمع هذا كله: عدم السؤال، والإصرار على ما اشتهر على الألسنة. وإذا كان المحدثون السابقون - على اختلاف أزمنتهم - قد بذلوا جهوداً عظيمة في شأن الدفاع عن حياض السنة كما تقدم، فإن إخوانهم من المحدثين المعاصرين قد تولوا قيادة سفينة السنة والمحافظة عليها وبيان الدخيل عليها. ولعل الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ يتقدم تلك الثلة المباركة في مجال التحقيق الحديثي، وكيف لا يكون ذلك وقد شهد له الأكابر من علماء الأمة بالرسوخ في هذا الشأن، بل نص أبرز العلماء في عصره - وهو شيخ الإسلام ابن باز - على أن الإمام الألباني يتبوأ الصدارة في هذا الشأن»^(٢).

(١) مقدمة «الصحيح» (ص ٢٨).

(٢) انظر مبحث: مكانته وثناء العلماء عليه (ص ٢١٧).

بعد هذا يقال:

إن جهود الإمام الألباني في العناية بالتحقيق الحديثي أشهر من علم في رأسه نار، ومن جهوده في ذلك:

- «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المطبوع منها سبعة أجزاء تحتوي على ٤٠٣٥ حديثاً.

- «سلسلة الأحاديث الضعيفة» المطبوع منها ١٤ جزءاً تحتوي على ٧١٦٢ حديثاً.

- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».

- «صحيح الجامع الصغير وزيادته».

- «ضعيف الجامع الصغير وزيادته».

- «صحيح الأدب المفرد».

- «ضعيف الأدب المفرد».

إلى غير ذلك مما تراه مثبتاً في مبحث: آثاره العلمية.

ولم تقف همّة الإمام الألباني وعزيمته على جانب التحقيق الحديثي

فحسب، بل بذلك جهوداً كثيرة في وجوه متنوعة في نصرة السنة، فمن ذلك:

١ - تحقيق بعض رسائل شيوخ وأئمة من أهل السنة المتقدمين:

«أصول السنة واعتقاد الدين» . للحميدي.

«الإيمان» . لابن أبي شيبة.

«الإيمان» . لأبي عبيد القاسم بن سلام.

«الاحتجاج بالقدر» . لابن تيمية.

«الإيمان» . لابن تيمية.

٢- تحقيق بعض رسائل شيوخ من أهل السنة المتأخرين والمعاصرين:

«القائد إلى تصحيح العقائد». للمعلمي.

«التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل». للمعلمي.

«إصلاح المساجد من البدع والعوائد». للقاسمي.

٣- إبراز كتب السنة بالنص على وجودها فيما وقع عليها منها أثناء بحثه

في المخطوطات بفهرستها:

٤- التصنيف في مسائل عقدية:

«الآيات والأحاديث في ذم البدعة».

«تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد».

«الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».

«قاموس البدع».

«منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن».

٥- الرد على المخالفين:

«الرد على السخاف فيما سوده على دفع شبه التشبيه».

«الرد على التعقب الحثيث».

«مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية».

٦- ثناؤه على أئمة السنة ومحبتهم لهم واعترافه بفضلهم وما لهم من

الحقوق:

- قال في أثناء كلامه عن سبب تأليف كتابه «إرواء الغليل في تخريج

أحاديث منار السبيل»: «...فرايت من واجبي تجاه إمام السنة -الإمام أحمد بن

حنبل- ومن حقه عليّ أن أقوم بخدمة متواضعة لمذهبه وفقهه -رحمه الله تعالى-

وذلك بتخريج هذا الكتاب».

- ومن ثنائه على شيخ الإسلام والإمام ابن القيم قوله رَحِمَهُ اللهُ: «...كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية -رحمهما الله- الذي أعتقد أنهما من نواذر علماء المسلمين الذين سلكوا منهج السلف الصالح في فقههم، مع التقوى والصلاح ولا نزكي على الله أحداً»^(١).

- انظر كتابه «تحذير الساجد» (ص ٦٣) في ثنائه العاطر البليغ أيضاً على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ليس غرضي الآن أن أشبع الكلام في توحيد الربوبية والألوهية وما يُنافيهما من الشرك والوثنية، فذلك أمرٌ لا تتسع له هذه المقدمة، لاسيما وقد قام بذلك خير قيام أئمة التوحيد وشيوخ الإسلام، كالإمام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب، والصنعاني، والشوكاني، وغيرهم من أولي الألباب»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «فلا بد أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان سلفياً في العقيدة، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهم الله جميعاً- في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة، وفي البلاد النجدية والحجازية بصورة خاصة، يعود الفضل إليه بعد ابن تيمية»^(٣).

٧- الدفاع عن أئمة السنة:

- انظر مثلاً دفاعه عن الإمام القطيعي -رحمه الله تعالى-؛ فقد نقل الألباني -رحمه الله تعالى- قول الطاعن في الإمام القطيعي: «وهذا الرجل كان فاسد

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٤١).

(٢) «آيات البينات في عدم سماع الأموات» (ص ١٥)، وعنه «الإمام الألباني». لمحمد بيومي (ص ٤٤).

(٣) «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» (ص ١١٢).

العقيدة من أشرار الناس».

ثم قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «فأقول: سُبْحَانَكَ هذا بهتان عظيم من هذا الأفك الأثيم، الطاعن في العلماء الصالحين، بغير حق مبين، فقد مضى على وفاة القطيعي رَحِمَهُ اللهُ أكثر من عشرة قرون لم يتعرض أحد له بطعن في عقيدته، ولا في خلقه مطلقاً، لا تلويحاً ولا تصريحاً، بل إن العلماء الذين ترجموا له كلهم أجمعوا على أنه كان حسن العقيدة صالحاً، وإليك بعض ما يحضرنا من أقوالهم».

ثم ساق -رحمه الله تعالى- أقوالاً لبعض أهل العلم^(١).

- مقدمته لكتاب «مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي»، ومن ذلك مثلاً دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

- وانظر «الضعيفة». (ص ٦٤) (حديث ٤٧) فقد دافع أيضاً عن شيخ الإسلام.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ونحن بلا شك لا يسرنا أبداً أن ينال أحد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما يفعل أعداء الدعوة وأعداء التوحيد، حيث يتهمونه بكل ما اتهم به السلفيون في كل بلاد الدنيا»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ بعد تخريجه الحديث المشهور في: «نجد قرن الشيطان»: «... وإنما أفضت في تخريج هذا الحديث الصحيح وذكر طرده وبعض ألفاظه؛ لأن بعض المبتدعة المحاربين للسنة والمنحرفين عن التوحيد يطعنون في الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد دعوة التوحيد في الجزيرة العربية، ويحملون الحديث عليه باعتباره من بلاد «نجد» المعروفة اليوم بهذا الاسم، وجعلوا أو تجاهلوا أنها ليست هي المقصودة بهذا الحديث، وإنما هي العراق، كما دل عليه

(١) «الذب الأحمَد عن مسند الإمام أحمد» (ص ٣١).

(٢) «مسائل علمية» (ص ١١٥).

أكثر طرق الحديث، وبذلك قال العلماء قديماً، كالإمام الخطابي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم»^(١).

- وزاد في موضع آخر تعليقاً على الحديث السابق قوله رَحِمَهُ اللهُ: «...خلافًا لما عليه كثير من الناس اليوم، ويزعمون لجهلهم أن المقصود بـ «نجد» هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وأن الحديث يشير إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، حاشاهم؛ فإنهم الذين رفعوا راية التوحيد خفاقة في بلاد نجد وغيرها، جزاهم الله عن الإسلام خيراً»^(٢).

- تعليقاته المنشورة في حواشي كتاب «التنكيل» للمعلمي - رحمه الله تعالى -.

٨- الثناء على كتب السنة:

- من ذلك حظه رَحِمَهُ اللهُ لمن أراد معرفة الحق في بعض مسائل التوحيد وما يناقضه فعليه بالرجوع إلى كتاب «مجموعة التوحيد النجدية»، وكتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، و«الرد على البكري» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

- وانظر كثيراً من مقدماته لكتب العقيدة التي حققها.

٩- تدريسه لكتب أئمة السنة:

«اقتضاء الصراط المستقيم». لشيخ الإسلام ابن تيمية.

«تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد». للإمام الصنعاني.

«فتح المجيد». للعلامة عبد الرحمن بن حسن.

(١) «مسائل علمية» (ص ١١٨) نقلاً عن «السلسلة الصحيحة» (٥ / ٣٠٥).

(٢) «مسائل علمية» (ص ١١٩) نقلاً عن تعليق للشيخ على كتابه «مختصر صحيح البخاري» (ص ٤٨٠).

(٣) «حياة الألباني» للشيباني (١ / ٤٣٢).

واقراً ما خطه الأستاذ عبد الله بن خميس، انظر (ص ٣٩١) من هذا الكتاب.

١٠ - رحلاته لنشر السنة:

انظر: مبحث «من رحلات الألباني العلمية» (ص ٣٥٦).

١١ - شكره لمن سعى في نشر كتب السنة:

- قال - رحمه الله تعالى - في مقدمة تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن أبي شيبه - مطبوع ضمن أربع رسائل -: «فهذه أربع رسائل من آثار سلفنا الصالح وأئمتنا المحدثين، أزمعنا على نشرها بعد أن يسر الله - تبارك وتعالى - لها من ينفع على طبعها من ذوي الكرم والشرف، ويعود الفضل في البدء بذلك إلى فضيلة الشيخ محمد نصيف السلفي الشهير، فهو الذي كان كتب إلي سنة ١٣٨٣ - وأنا يومئذ في المدينة المنورة - أن أختار له بعض الرسائل المخطوطة التي لم يسبق أن نُشرت من قبل، فانتقيت له من فهرستي - التي كنت جمعت فيها أسماء كتب الحديث المحفوظة في المكتبة الظاهرة بدمشق - الرسائل المشار إليها، وهي لبعض الأئمة المعروفين بالحفظ والعلم والعقيدة، وأرسلت بأسمائها إليه، وهي:

«كتاب الإيمان». للحافظ أبي بكر بن أبي شيبه.

«كتاب الإيمان». للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام.

«كتاب العلم». للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب.

«كتاب اقتضاء العلم العمل». للخطيب البغدادي ...».

ثم ختم بقوله: «فخذها أيها القارئ الكريم رسائل أربعاً مصححة منقحة، معلقة مخرجة، مطبوعة طبعاً متقناً، ولا تنس من دعائك الصالح مؤلفيها، ومن كان له فضل في السعي لطبعها والإنفاق عليها، ومن قام على تحقيقها وتخريج أحاديثها.

والله تعالى هو المسئول أن يجزي من ذكرنا خير ما يجزي من يسعى لنشر

دينه وحفظ سنة نبيه ﷺ، ويجعله لهم أجرًا مستمرًا إلى يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الأنبياء: ٨٨-٨٩]. والحمد لله رب العالمين».

ويقول في مقدمة «مختصر العلو للعلي الغفار»^(١): «... ويعود الفضل في إقدامي على اختصار هذا الكتاب الجليل - فضلًا عن نشره - إلى أخي في الله تعالى الأستاذ زهير الشاويش، فقد كنت في حديث علمي معه والكتب المؤلفة في العقيدة حين جاء ذكر هذا الكتاب».

«... وشكر الله له سعيه في قيامه على طبع آثار السلف الصالح»^(٢).

«... وهو - كتاب «الجوهر الباهر في زوار المقابر» - كتاب نفيس جامع في باب، وفق الله له من يطبعه، ثم حقق الله الأمنية فطبع عن النسخة الظاهرية في المطبعة السلفية في القاهرة، عني بنشره العالمان الجليلان: الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئة الأمر بالمعروف في الحجاز - بارك الله في عمره -، والشيخ محمد نصيف - رحمه الله، وجزاه عن السنة خيرًا -»^(٣).

١٢ - شكره للمستولين عند قيامهم بما ينصر السنة:

ومن ذلك قوله:

- «... أقول هذا مع الاعتراف بأنني لم أرَ أحدًا يأتي ذلك المكان للصلاة فيه؛ لشدة المراقبة من قبل الحراس الموكلين على منع الناس من أن يأتوا بما يخالف الشرع عند القبر الشريف، فهذا مما تشكر عليه الدولة السعودية»^(٤).

- «... ونحن نشكر الأوقاف في سوريا على هذه المواقف الطيبة وحرصها

(١) (ص ٥).

(٢) «كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص ٥).

(٣) «تحذير الساجد» (ص ١٨٢-١٨٣) حاشية (١).

(٤) «تحذير الساجد» (ص ٩٢).

على منع الدفن في المساجد»^(١).

- «... لا سيما وزير الأوقاف فضيلة الشيخ الباقوري له مواقف كريمة في محاربة كثير من هذه المنكرات، وخصوصاً بناء المساجد على القبور»^(٢).

- «... كان ذلك مساعدة من المسؤولين في المكتبة -الظاهرية- والمجمع العلمي على التحقيق في علم الحديث والسنة، فلهم مني الشكر الجزيل، فإن «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(٣).

١٣ - التسجيل الصوتي لكثير في مسائل عقدية وغيرها.

١٤ - مسارحته إلى دعم ما ينصر السنة:

قدمت له لجنة مسجد الجامعة سنة ١٣٧٠ هـ أسئلة تتعلق بأحكام المسجد، قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «... فلما قدمت إليّ هذه الأسئلة رأيتني مندفعاً إلى الإجابة عنها محاولة مني ومشاركة في جعل مسجد الجامعة أقرب إل السنة وأبعد عن البدعة...»^(٤).



(١) «تحذير الساجد» (ص ١٠).

(٢) «تحذير الساجد» (ص ١٠).

(٣) «كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص ٤) حاشية (٢).

(٤) «الأجوبة النافعة» (ص ٤).

من دفاع مشايخ السنة عن الشيخ الألباني

معرفة حق العلماء مما نص عليه الشرع وعني بشأنه، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»^(١). وهذا الوعيد «ليس منا» دليل على خطورة الاستخفاف بحق العلماء، وإضافة النبي ﷺ لفظ «العالم» - «عالمنا» إلى الأمة دليل على ما لعلماء السنة من المكانة الرفيعة والرتبة الشريفة.

ولبيان خطورة هذا الأمر يُقال:

إن إهانة العلماء أو ازدراءهم أو تنقصهم أو الاستخفاف بهم أعظم جرماً وأشدّ إثماً من إهانة وازدراء غيرهم؛ ذلك لأن إهانة العلماء ليست إهانة لذواتهم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى إهانة ما يحملونه من العلم، وما يتمثلون به من الدين والخلق، ولذا يُخشى على من أهان أهل العلم من حلول العقوبة المعجلة به؛ لشناعة جرمه وعظيم جنايته.

والعجب أن رمي العلماء بالجهل وازدراءهم قضية ليست وليدة هذا العهد، بل أصولها ضاربة في أول عهود الإسلام، وكان ممن تبوأ إثمها وباء بوبالها شرازم

(١) رواه أحمد وأحمد والحاكم من حديث عبادة - رضي الله تعالى عنه -، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

المبتدعة على اختلاف مشاربهم.

فقد ذكر الإمام الشاطبي في «الاعتصام»: «أن المعتزلي واصل بن عطاء تكلم يوماً وعنده عمرو بن عبيد، فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عند ما تسمعون إلا خرقة حيض ملقاة! وروي أن زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل علم الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج من سراويل امرأة!

هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله». انتهى كلام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ. ولا يزال أهل الضلال يكيدون للعلماء؛ بغية الحط من سُمعتهم وكرامتهم، وتنوع أساليبهم بحسب البيئة التي يعيشون فيها، والمظلة التي يستظلون بها؛ فللمعتزلة أذنان، وللخوارج أفرار، وكذا لغيرهم ممن جانب طريق الهداية وسلك طرق الغواية، يتبعونهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وحذو النعل بالنعل، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه هم تبعًا. وكيد أولئك العلماء ليس أمرًا غريبًا ومستنكرًا منهم، بل ذلك من صميم مبدئهم، ومذهبهم، لكن الذي يندى له الجبين وتدمع له العين أن تشم رائحة ازدراء العلماء وتنقصهم ممن نصب نفسه مدافعًا عن السنة! وهذا من المصاب العظيم في قلعة السنة، وهم بصنيعهم ذاك لا للسنة نصرُوا ولا للبدعة كسروا، بل للسنة كسروا وللبدعة نصرُوا.

ولو أنهم سلكوا مسلك الأدب في الرد لكان ذلك زيادة في رأب الصدع وقوة البُنيان.

نسأل الله أن يهدينا إلى الخُلُق القويم على صراطه المستقيم.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فالحذر كل الحذر من الجرأة باللسان والبنان على صفحة العلماء، ومحاولة تشويه سمعتهم أو توزيع التهم عليهم، فإن ذلك يفتح باباً من الشر عظيمًا، لما يجره من الفساد والإفساد الحسي والمعنوي، لا إلى قائله فحسب، بل إلى المجتمع.

وبعد هذا يقال:

لقد كان علماء السنة جسداً واحداً؛ متى اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، ومن تصفح كتب التراجم رأى مصداق ذلك، بل قد صنفت مصنفات في هذا الأمر، فمن ذلك:

- «الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر». للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن شمس الدين أبي بكر بن ناصر الدين الشافعي الدمشقي.

رد الياضي على قصيدة السبكي التي طعن فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية.

- «جلاء العينين». للآلوسي.

- «صيانة الإنسان». للسهرسواني.

- «القول الجلي في تبرئة ابن تيمية الحنبلي». للصفدي البخاري.

وعوداً على بدء يقال:

لقد طال الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- كما طال غيره من علماء السنة سهام مسمومة أراد بها أصحابها سوءاً، ولكن الله تعالى قيض له من يدافع عنه من علماء وطلبة علم ومحبين، فردوا وأنكروا تارة مكاتبة، وتارة مشافهة، وإليك يسيراً من كثير في شأن دفاع بعض علماء السنة عن الإمام الألباني -رحمه الله تعالى-:

- دفاع سماحة الشيخ عبد الله بن حميد عن الشيخ الألباني -رحمه الله

تعالى-: في أحد دروس شيخنا عبد الله بن حميد أحضر أحدهم كتاباً فيه قدح

شنيع في مقام الشيخ الألباني، وفي أثناء قراءة القارئ وكنت حاضراً أسمع قاطع سماحة الشيخ ابن حميد القارئ وقد بدا عليه التضجر، ثم قال ما معناه: «هذا كلام قبيح لا يجوز مثله، والرد على أهل العلم ينبغي أن يكون بأدب». ثم ذكر الشيخ ابن حميد مكانة الألباني وخدمته للسنة، ثم قال: «كان للشيخ الألباني آراء لا يوافق فيها، لكن لا يجوز الطعن فيه».

- وبلغني ساعتها أن الإمام ابن باز قبل زمن استدعى مؤلف الكتاب المذكور وناصحه وذكره بالله، فلما أصر المؤلف على كتابه كلم سماحته الملك فيصلاً رَحِمَهُ اللهُ أو خالداً رَحِمَهُ اللهُ ليمنع الكتاب، فوجه الملك بمنعه.

- وقال سماحة الشيخ ابن باز أيضاً: «الشيخ ناصر الدين الألباني من إخواننا المعروفين المحدثين من أهل السنة والجماعة، نسأل الله لنا وله التوفيق والإعانة على كل خير، والواجب على كل مسلم أن يتقي الله وأن يراقب الله في العلماء وألا يتكلم إلا عن بصيرة»^(١).

- وسئل سماحته في مخيمه بمنى فجر يوم الجمعة ١٣/١٢/١٤١٨ هـ عن الكلام في الألباني بقصد القدح، فجاء في ضمن جواب سماحته: «الألباني معروف بأنه من أهل السنة والجماعة، ومن أنصار السنة، والذي تكلم فيه قد غلط وأخطأ، فهو من إخواننا الطيبين ومن أنصار السنة، وله جهود مباركة في السنة، وليس بمعصوم؛ كل يخطئ ويصيب، كل واحد يخطئ ويصيب.

يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر؛ يعني: النبي ﷺ».

كل عالم له أخطاء؛ الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد، والثوري،

(١) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» (ص ٤٠-٤١).

والأوزاعي، ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، كل واحد ما يسلم من الخطأ، كل بني آدم خطأ، لكن المهم أنه معروف من أنصار السنة، ومن دعاة السنة، ومن حفاظ السنة، ومن المجاهدين في حفظ السنة، وفقه الله وزاده خيرًا».

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - في معرض دفاعه عن الشيخ الألباني: «أقول كما قال الأول:

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ مِنَ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عالم محدث فقيه، وإن كان محدثًا أقوى منه فقيهاً، ولا أعلم له كلامًا يدل على الإرجاء أبدًا، لكن الذين يريدون أن يكفروا الناس يقولون عنه وعن أمثاله: مرجئة، فهو من باب التلقيب بألقاب سوء، وأنا أشهد للشيخ الألباني بالاستقامة وسلامة المعتقد»^(١).

وكتب إليَّ الشيخ أبو محمد عبد الله بن رشيد العنزي^(٢) قال: «حدثني من أثق به أنه سمع بعض الناس من المحسوبين على العلم يقول عن الشيخ الألباني: إن الشيخ الألباني كبر وبدأ يتخبط في بعض مسائل العقيدة.

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن رشيد: فعزمت السفر للقاء هذا القائل والذب عن هذا الإمام الجليل، وقبل أن ألقى القائل حضرت محاضرة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعد أن أنهى محاضرتيه تبعته خارج القاعة وحدثته بما سمعت، فرأيت علامات الغضب والانزعاج على وجهه رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعدما أنهيت حديثي قال الشيخ ابن عثيمين: والله من قال عن الشيخ الألباني «بدأ يتخبط» والله هو الذي

(١) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» فيه رد على كتيب «حقيقة الإيمان عن الشيخ الألباني» (ص ٤٢).

(٢) إمام مسجد هشام بن العاص بمحافظة حفر الباطن، وقد كتب لي بذلك في رسالة أرسلها بالفاكس بتاريخ ١٨/١٤٢٨ هـ.

يتخبط وليس الشيخ، ثم قال: إن كثيرًا من المشايخ قبل دعوة الشيخ ما كانوا يفرّقون بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع، ومن المشايخ من كان يفتي ويبنّي فتواه على أحاديث ضعيفة، بل بعضها موضوع، فبدأ الشيخ ينشر هذا العلم الشريف حتى تبصر الناس وعرفوا الصحيح من الضعيف، فجزاه الله خير الجزاء...

ثم بدأ يوصيني ويحذرنى من أولئك الذين يقعون ويتكلمون في العلماء».

وقال الشيخ حمود التويجري -رحمه الله تعالى-: «الألباني الآن علم على

السنة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنة».

وقال الشيخ حماد الأنصاري -وفي معرض دفاعه عن الألباني-: «صاحب

كتاب «تنبيه المسلم على تعدي الألباني على صحيح مسلم» ليس له ذوق ولا علم»^(١).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «الألباني عالم جليل خدم السنة،

وعقيدته طيبة، والطعن فيه لا يجوز».

ثم نقل الشيخ عبد المحسن -أثابه الله تعالى- كلام الإمام الطحاوي إذ

يقول: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر- لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

وقال الشيخ عبد المحسن العباد أيضًا: «والله الشيخ الألباني عالم كبير،

ومحدث مشهور، وخدم السنة، وعقيدته طيبة، وله جهود في العقيدة، وكتابات

في العقيدة السليمة، لا يستغني طلبة العلم عن علمه وعن كتبه، فالإنسان عندما

يتكلم في عالم كبير والرسول ﷺ قال: «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل

خيرًا أو ليصمت...» وماذا يريد من الكلام؟ هل يريد من هذا الكلام أن يحذر

(١) «المجموع» (٢/٦٢٣).

الناس من الخير الذي كتبه؟ ومن الخدمة التي خدمها الألباني لسنة الرسول ﷺ؟ هل المقصود من ذلك قطع الطريق أمام طلبة العلم إلى ألا يستفيدوا من هذا العلم؟ الإنسان عليه أن يتقي الله عَجَّلَ وأن يحفظ لسانه عن الكلام في مثل الألباني إلا بخير»^(١).

- ولما نقل الشيخ بكر أبو زيد مقولة بعض الطاعنين في الإمام الألباني قال -الشيخ بكر- ما نصه: «وهذا عين التجاهل وغمط الناس أشياءهم بغير حق، وارتسام علمية الألباني في نفوس أهل العلم ونصرتة للسنّة وعقيدة السلف أمر لا ينازع فيه إلا عدو جاهل، والحكم ندعه للقراء فلا نطيل»^(٢).



(١) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» (ص ٤٢-٤٣).

(٢) «كتاب الردود» (ص ٣٤٤).

من كلمات الشيخ الألباني

من المؤلف في كتب التراجم ذكر شيء من أقوال المترجم له، سواء كان ذلك عرضاً في أثناء الترجمة أو عقد مبحث مستقل لذلك؛ وأصبحت بعض تلك الأقوال دارجة على ألسنة كثير من الناس، ناهيك عن كثرة الاستشهاد بها في مباحث العلم. ومن هذا المنطلق انتقيت قليلاً من كثير من سديد كلام الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-، فمن أقواله:

- «يجب عليك أيها المسلم أن تعتقد أن الله في كل ما شرع لعباده من أمر أو نهي أو إباحة حكمة بل حكماً بالغة، عَلِمَهَا من علمها وجهلها من جهلها، تظهر لبعضهم وتخفى عن آخرين، ولذلك فالواجب على المسلم حقاً أن يبادر إلى طاعة الله، ولا يتلأأ في ذلك حتى تتبين له الحكمة، فإن ذلك مما ينافي الإيمان الذي هو التسليم المطلق للشارع الحكيم، ولذا قال ﷺ في القرآن الكريم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وعلى هذا عاش سلفنا الصالح، فأعزهم الله وفتح لهم البلاد وقلوب العباد، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولقد كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قصب السبق فيه، وكان مثلاً صالحاً لغيره، كما يدل على ذلك موقفه الرائع في قصة صلح الحديبية»^(١).

(١) «تحريم آلات الطرب» (ص ١٣٧).

- «... لا بد من التركيز على الدعوة إلى التوحيد في كل مجتمع أو تكتل إسلامي يسعى حقيقة وحيثاً إلى ما تدندن به كل الجماعات الإسلامية أو جُلّها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله على أي أرض لا تحكم بما أنزل الله، هذه... الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية التي أجمعوا على تحقيقها، وعلى السعي حيثاً إلى جعلها حقيقة واقعية إلا بالبداية بما بدأ به الرسول ﷺ»^(١).

- «... واعتقادي أن كثيراً من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات ليحسن عرضه على المدعويين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقوداً، فالقضية تتطلب استعدادات هامة؛ فلعلهم يفعلون»^(٢).

«... فوا أسفاه، لقد كنا سادة وقادة لغيرنا بعلمنا وتمسكنا بشريعتنا، وإذا بنا اليوم أتباع ومقلدون، ولمن؟ لمن كانوا في الأمس القريب يقلدوننا ويأخذون العلوم عنا، ولكن لا بد لهذا الليل من أن ينجلي، ولا بد للشمس أن تشرق مرة أخرى، وهاقد لاحت تباشير الصبح، وأخذت الدول الإسلامية تعتمد على نفسها في كل شئون حياتها، بعد أن كانت فيها عالة على غيرها، ولعلها تسير في ذلك

(١) «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» (ص ٢١-٢٢).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ تحت الحديث ١٥٧).

على هدي كتاب ربها وسنة نبيها، والله في خلقه شئون»^(١).

- «...ويجب على أهل العلم أن يتولوا تربية النشء المسلم الجديد على ضوء ما ثبت في الكتاب والسنة، فلا يجوز أن ندع الناس على ما توارثوه من مفاهيم وأخطاء؛ بعضها باطل قطعاً باتفاق الأئمة، وبعضها مختلف فيه وله وجه من النظر والاجتهاد والرأي، وبعض هذا الاجتهاد والرأي مخالف للسنة»^(٢).

- «...وبدون هاتين المقدمتين «العلم الصحيح»، و«التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح...» يستحيل -في اعتقادي- أن تقوم قائمة الإسلام أو حكم الإسلام أو دولة الإسلام»^(٣).

- «...وإذا كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- جعل العلاج في رفع الذل المخيم علينا إنما هو الرجوع إلى الدين، فيجب علينا إذن أن نفهم الدين بواسطة أهل العلم فهمًا صحيحًا موافقًا للكتاب والسنة، وأن نربي النشء الصالح الطيب على ذلك، وهذا هو الطريق لمعالجة المشكلة التي يشكو منها المسلم.

وقد أعجبتني كلمة هي في الواقع كأنها خلاصة لما قلته أو بينته آنفًا - لبعض المصلحين في العصر الحاضر، وهي في رأيي كأنها من وحي السماء؛ يقول: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقم لكم على أرضكم». ولا بد من أن نصلح نفوسنا على أساس من إسلامنا وديننا، وهذا كما ذكرنا لا يكون بالجهل؛ وإنما بالعلم، حتى تقوم دولة الإسلام على أرضنا هذه.

وفي الختام؛ أوصي كل من يستطيع أن يشارك في تحقيق هذا الأمر العظيم أن يتعاون هو وغيره -من ذوي الاختصاصات- على بيان الإسلام الذي جاء في الكتاب

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ تحت الحديث ١٦٥).

(٢) «التصفية والتربية» (ص ٣٠).

(٣) «التصفية والتربية» (ص ٣١).

والسنة وتربية النشء على ذلك، وهذه ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين»^(١).

- «... فثبت أن الإسلام يعزُّ ويذلُّ بعزِّ أهله وذُلِّهم، سواء كانوا عرباً أو عجمًا، و«لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، فاللهم أعز المسلمين وألهمهم الرجوع إلى كتابك وسنة نبيك حتى تعز بهم الإسلام»^(٢).

- «ينبغي أن يلاحظ الداعية أنه إذا تبين له أنه لا جدوى من المجادلة مع المخالف له لتعصبه لرأيه، وأنه إذا صابره على الجدل فلربما ترتب عليه ما لا يجوز، فمن الخير له حينئذ أن يدع الجدل معه؛ لقوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحققًا». رواه أبو داود بسند حسن عن أبي أمامة، وللترمذي نحوه من حديث أنس وحسنه»^(٣).

- «... ومن القواعد التي يدخل تحتها فرعيات كثيرة، وتظهر بها عظمة الإسلام وسعة دائرة الإسلام في التشريع قوله ﷺ على سبيل المثال: «لا ضرر ولا ضرار».

وقوله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

وقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

هذه قواعد وكميات لا يفوتها شيء مما يتعلق بالضرر بالنفس أو الضرر بالمال»^(٤).

- «نلح دائمًا في دروسنا ومحاضراتنا أنه لا يكفي إذا دعونا الناس إلى العمل بالكتاب والسنة أن نقتصر على هذا فقط في الدعوة، بل لابد من أن نضم

(١) «التصفية والتربية» (ص ٣٣-٣٤).

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١/ ٣٠٣).

(٣) «حجة النبي ﷺ» (ص ٢٥).

(٤) «كيف يجب علينا أن نفسر القرآن؟» (ص ٩).

إلى ذلك جملة «على منهج السلف الصالح». أو نحوها؛ لقيام الأدلة الشرعية على ذلك، وهي مذكورة في غير هذا الموضع، لا بد من ذلك، وخصوصاً في هذا العصر حيث صارت الدعوة إلى الكتاب والسنة موضحة العصر الحاضر، ودعوة كل الجماعات الإسلامية والدعاة الإسلاميين على ما بينهم من اختلافات أساسية أو فرعية، وقد يكون فيهم من هو من أعداء السنة عملياً، ومن يزعم أن الدعوة إليها يفرق الصف، عياداً بالله منهم.

أسأل الله تعالى أن يحيينا على السنة وأن يمتينا عليها، متبعين لمن أثنى الله -تبارك وتعالى- عليهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ^(١).

- «... فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبينه نبينا محمد سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وفيهم الأئمة الأربعة -الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين- وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها، وترك كل قول يخالفها مهما كان القائل عظيماً؛ فإن شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوم، ولذلك فإني اقتديت بهداهم واقتفيت آثارهم، وتبعت أوامر التمسك بالحديث وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم،

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص ٤٥).

وإعراضي عن التقليد الأعمى، فجزاهم الله تعالى عني خيرًا»^(١).

- كتاب «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للحافظ السيوطي من أجمع كتب الحديث مادة وأغزرها فائدة، وأقربها تناولاً، وأسهلها ترتيباً، فلا غرابة أن سارت به الركبان، وتداولته أيدي العلماء والطلاب في كل زمان ومكان، على اختلاف درجاتهم وتباين مشاربهم وتباعد اختصاصاتهم؛ فلا يكاد يستغني عنه المحدث، فضلاً عن الفقيه والخطيب، بل الأديب، ولذلك تعددت طبعاته، وكثر شراحه، ولكنه مع ذلك...»^(٢).

- «فالنصيحة أسُّ الدين، وكشف المبطل صيانة للحق المبين، ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]. ولو بعد حين»^(٣).

- «فالغرور قتال، وحُبُّ الظهور يقصم الظهور...»^(٤).

- «...إنه كلام مرتجل لا سنام له ولا خطام، لم يقله عالم من قبل، فليضرب به

عرض الحائط»^(٥).

- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية «كُنَيْفٌ ملئ علماً»^(٦).

- «علم الكلام مزلة للأقدام»^(٧).

- «وأمّا أنا؛ فإنني أرجو منه تعالى أن يزيدني توفيقاً في خدمة الحديث

والسنة والانتصار لها، وأن يسد في ذلك خطاي، وأن يجعل ذلك سبباً ليغفر لي

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص ٢٥).

(٢) «صحيح الجامع الصغير» (ص ٤٣).

(٣) «النصيحة» (ص ٧).

(٤) «النصيحة» (ص ٧).

(٥) «تحريم آلات الطرب» (ص ٩-١٠).

(٦) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ١١٥).

(٧) «محدث العصر» لعصام موسى هادي (ص ١٢٧).

خطيئتي يوم الدين.

وأما الخلاص من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، وطعن الطاعنين؛ فلا سبيل إليه إلا بالوفاء على الإيمان إن شاء الله تعالى، وما أحسن ما قيل:

وَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةِ طَاعِنٍ وَلَوْ كُنْتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَعَرٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا وَلَوْ غَابَ عَنْهُمْ بَيْنَ خَافِيَتِي نَسْرٍ^(١)

- «إن المسلمين كانوا وما زالوا يعانون أزمة عقيدة، وقد أضيفت إليها أزمة أخلاق، وهما أزمطان حادثان خطيرتان لا تطيب الحياة معهما»^(٢).

- «إن وضع الخط فوق الكلمات المراد لفت النظر إليها هو صنع علمائنا تبعاً لطريقة المحدثين، وأما وضع الخط تحت الكلمة فهو من صنع الأوربيين، وقد أمرنا بمخالفتهم»^(٣).

- «التسلسل الشرعي المنطقي هو أن نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك تصحيحاً وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي»^(٤).

- خرج حديث: «أحصوا لي كل من تلفظ بالإسلام». ثم عنون عليه: ب: «أصل إحصاء النفوس»^(٥).

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ»، بقلم الشيخ العلامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة، قرأه وقدم له: د. جمال عزون.

(٣) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٤٦٥)، وانظر: «إراء الغليل» (١/ ٢٢).

(٤) «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» (ص ٣٧).

(٥) «السلسلة الصحيحة» (١/ حديث ٢٤٦).

- «...حتى يعلم الناس أن في فضل الشام أحاديث كثيرة صحيحة؛ خلافاً لظن بعض الكتّاب، وحتى يعرف المستوطنون فيه فضل ما أنعم الله به عليهم، فيقوموا بشكره بالعمل الصالح وإخلاص العبادة لوجهه ﷺ، وإلا فإن الأمر كما قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنه: «إن الأرض المقدسة لا تُقدس أحداً، وإنما يُقدس الإنسان عمله». رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٣٥)»^(١).

- «...وفي الحقيقة إن كل هدفي في هذه الحياة -بعد القيام بما فرض الله عليّ من الواجبات والحقوق- إنما هو تعريف المسلمين تديراً ومحاضرة وتأليفاً بسيرة النبي ﷺ الصحيحة من جميع نواحيها، حسب استطاعتي، وحضهم على أن يتخذوه القدوة الوحيدة لهم، كما رغب الله تعالى منهم في مثل قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ وفي ذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة»^(٢).



(١) مقدمة كتابه «تخريج أحاديث فضائل الشام وأهله» (ص ٦).

(٢) «بداية السؤل» (ص ٧) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص ٢٨).

من أوجه التشابه بين الإمامين الألباني وابن باز
- رحمهما الله تعالى -

بادي بدء أقول:

كان بين الشيخين الإمامين وشائج محبة عظيمة؛ فقد اجتمعا في ظرف المكان بأبدانهما وقلوبهما، وفي ظرف الزمان بقلوبهما، اجتمعا في ظرف المكان في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، واجتمعا في ظرف الزمان بمحبة كل منهما لصاحبه وتقديره له مع تباعد المكان، إلا أن القواسم المشتركة بينهما قد قربت - بل جمعت بفضل الله تعالى - قلوبهما مع تباعد بدنيهما.

ومن القواسم المشتركة بينهما بالإضافة إلى ما سبق:

- رفعهما لراية السنة ومنهج السلف الصالح.

- كونهما من أشهر علماء السنة في هذا العصر.

- العناية بصحة الحديث النبوي من ضعفه.

- البذل والعطاء العلمي مشافهة ومكاتبة.

- التراث العلمي المكتوب والمسموع.

- حرصهما وعنايتهما على إخراج كتب السنة والدفاع عنها:

جاء في مقدمة «كتاب السنة» لابن أبي عاصم - رحمه الله تعالى - قول

الناشر - أثابه الله تعالى -: «وأول بحث جرى حول هذا الكتاب كان بيني وبين

أستاذي المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يوم كنا نتدارس فيما يجب

علينا تقديمه من كُتب لأئمة الإسلام خدمة لأنفسنا ولأبناء ملتنا مما ينفع يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

إلى أن قال: وبعد مدة كتب إليَّ سماحة الأستاذ الفاضل العالم العامل الشيخ عبد العزيز بن باز مستفهماً عما ترامى إليه من موضوع نشر هذا الكتاب، وسأل عن الطريقة التي سينشر بها ومنهج التحقيق، فكتبت إليه بما عندي، ثم قدر الله لقاء بيني وبين الشيخ ناصر الدين الألباني، فتحدثا بهذا الموضوع، وعرفت منهما بعد ذلك ما جرى بينهما.

وجاء في مقدمة كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ». للإمام الجهضمي -رحمه الله تعالى- قول الشيخ ناصر -رحمه الله تعالى-: «فقد كنت في مذاكرة علمية في إدارة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١ هـ مع فضيلة نائب رئيسها الشيخ عبد العزيز بن باز، فجرى الحديث فيها عن كتب السنة ومخطوطاتها، فذكرت لفضيلته أن في المكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطاً قيماً بعنوان «كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ» للإمام الحافظ إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي، وأن المؤلف يسوق فيه الأحاديث والآثار الواردة في فضل الصلاة عليه ﷺ وذكر مواضعها بالأسانيد المتصلة منه إلى رواها من الصحابة والتابعين، كما هي طريقة المتقدمين من المحدثين، بحيث يتمكن العارف بعلم الحديث ورجاله من الحكم على أخباره بما تستحقه من صحة أو ضعف، فقال -حفظه الله تعالى-: لعله لا يوجد فيه من الموضوعات والخرافات مما يوجد عادة في كتب الفضائل والرقائق؟ أو نحو هذا من الكلام.

فقلت: الذي أذكره -وعهدي بالكتاب بعيد- أنه ليس فيه شيء من ذلك، فقال: إذا انتهت السنة الدراسية ورجعت إلى دمشق -إن شاء الله تعالى- فأعد النظر في الكتاب فإذا وجدته كما ذكرت فاستنسخه، ثم خرج أحاديثه، وأظنه قال:

على وجه الاختصار، ثم قدمه إلى الأخ زهير الشاويش ليطبعه على نفقتنا. فلما انتهت السنة وعدت إلى دمشق في أواخر شهر محرم سنة ١٣٨٢ هـ واستقر بي المقام في غرفتي الخاصة بي من المكتبة الظاهرية، وأعيدت إليها الكتب التي كانت فيها وكنت سلمتها إلى أمين المكتبة قبل سفري إلى الجامعة الإسلامية في السنة السابقة ١٣٨١ هـ، بادرت إلى تحقيق رغبة فضيلة الشيخ.

- تخريج كثير من طلبة العلم في مدارسهم، وإن كان للشيخ ابن باز النصيب الأكبر بحكم أن تفرغه للتدريس أكثر، وتفرغ الشيخ ناصر للتأليف أكثر، ولعل كثيرًا من المستفيدين من كتب الإمام الألباني يكونون من طلابه حكمًا، وكذا من استفاد من كتب الإمام ابن باز ولم يحضر دروسه.

- الزهد في متاع الدنيا.

- القبول في الداخل والخارج.

- تقدير كل منهما لصاحبه مع طول زمن معرفتهما وتباعد أقطارهما، ومن أدلة ذلك المكاتبات بينهما، وثناء كل منهما على صاحبه عندما يذكره في كتاب له أو في مجلسه، وهذا مشهور عند الأبعد فضلًا عن الأقارب وخاصة الطلاب.

- وقد حدثني أحد كبار السن في المدينة أن الشيخ ناصرًا الألباني كان مرة في مجلس علمي، والطلاب حوله، فلما كان في ابتداء الدرس أسرَّ أحدهم في أذنه حديثًا، فاعتذر الشيخ عن المواصله وتعذر بأن الشيخ ابن باز سيصل إلى المدينة وسيذهب للسلام عليه أو سيكون في استقباله في المطار، وذلك عندما كان الشيخ ابن باز في الجامعة الإسلامية، لكن الذي لا أجزم به هل كان ذلك عندما كان الشيخ ناصر أستاذًا في الجامعة أو أنه كان في زيارة للمدينة فصادف وجوده مجيء الشيخ إليها من أحد أسفاره؟

وقال الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة - أثابه الله تعالى -: «ومن الأمور التي

يجب أن تعرف للشيخ الألباني - أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ يَعْرِفُ الشيخ ناصرًا من زمن طويل، فقد حدثنا سمو الأمير عبد الله بن فيصل الفرحان - شفاه الله وعافاه^(١) - بأنه أراد الذهاب إلى الشام قبل خمس وأربعين سنة تقريبًا، فقال: فذهبت إلى سماحة الشيخ ابن باز، وقلت له: بأني ذاهب إلى الشام وأنا لا أعرف أحدًا هناك، فهل تعرف أحدًا أذهب إليه وهو على عقيدة سليمة وبعيد عن البدع والخرافات؟

فقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: اذهب إلى الشيخ ناصر الدين الألباني فإنه على عقيدة سليمة.

فيقول سمو الأمير: فذهبت إلى الشيخ ناصر، فعلمت أن له درسًا أسبوعيًا في بيته أظنه من كل يوم خميس بعد المغرب، فكنت أذهب إليه طيلة مكثي في دمشق التي استمرت حوالي شهرين^(٢).

قلت: وهذه القصة تذكرني بخبر سلمة عندما أراد ابنه أحمد بن سلمة أن يرحل إلى قتيبة بن سعيد فسأل سلمة إسحاق في رحيل ابنه إلى قتيبة، فقال إسحاق: إن ابنك هذا قد أخذ عني وروى عني وأرى أن تأذن له في الرحيل إلى قتيبة ليأخذ عنه، فإن عند قتيبة ما ليس عندنا، عسى أن ينتفع^(٣).

- استفادة كل منهما من صاحبه: كتب الشيخ الألباني للشيخ ابن باز كلامًا يتعلق بالأموال الربوية المودعة في البنوك وأنه -الألباني- توصل إلى أنها تنفق في وجوه الخير غير الطعام والشراب واللباس، وأنها تدفع قيمة للمحروقات من

(١) قد توفي -رحمه الله تعالى-.

(٢) «مقالات الألباني» (ص ٢١٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٢٠-٢١) بتصرف.

بنزين وحطب وإصلاح حمامات وطرق وطبع كتب... فكتب إليه الشيخ ابن باز موافقاً له على رأيه^(١).

وكتب الشيخ ابن باز كتاباً إلى الشيخ الألباني يطلب منه إطلاعه والإفادة بما لديه حول مقالة زعم صاحبها عدم صحة نسبة «المسند» إلى الإمام أحمد، وكذا طعنه في الإمام القطيعي... إلى آخر الرسالة.

- تواضعهما وهضم نفسيهما عند مدحهما، وأكتفي بمثال لكل منهما:
أمّا الإمام ابن باز فلما مدحه أحد أهل العلم الأفاضل -رحمه الله تعالى- بقصيدة، وفضّله فيها على ابن أدهم في الزهد، وعلى حاتم في الكرم، وجعله مساوياً لشريح في القضاء، ولما كان ذلك كتب الإمام ابن باز خطاباً إلى المجلة التي نشرت القصيدة وذكر في خطابه أن تلك القصيدة كدرته وأنه يبرأ إلى الله من الرضا بها وأنه كرهها وامتنع منها.

والإمام الألباني كلما مدح هضم نفسه ثم ذكر الأثر المشهور عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون»، وأحياناً يبكي عند ذكر المدح أو البشائر له.

- الفراغ الكبير بعد موتهما: ويضاف إليهما الإمام ابن عثيمين؛ فموت مثل هؤلاء الثلاثة في وقت متقارب خطب جلل، ومما يحسن ذكره في مثل هذا ما ذكره الإمام الذهبي عندما ترجم لإسحاق بن الفرات، قال الذهبي ما نصه: «إسحاق بن الفرات، الإمام الكبير فقيه الديار المصرية، وقاضيه، قال أبو سعيد ابن يونس: مات في شهر ذي الحجة سنة أربع ومائتين.

قلت -الذهبي-: وفيها مات قبله الشافعي، وأشهب بمصر، فمثل هؤلاء

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٣٣).

الثلاثة إذا خلت منهم مدينة في عام واحد فقد بان عليها النقص»^(١). انتهى.

وما أحسن قول القائل:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرفُ
كالأرض تحيا إذا ما الغيث بها وإن أبى عاد في أكفانها التلفُ

تقاربهما في الممات: الإمام ابن باز في ٢٥ / ١ / ١٤٢٠ هـ، والإمام الألباني في ٢٢ / ٦ / ١٤٢٠ هـ - رحمهما الله تعالى -.

- اتفقا في مبدأ قول الحق دون مبالاة للمخالف قريباً كان أو بعيداً:
قال الإمام ابن باز - رحمه الله تعالى -: «إني بحمد الله منذ عرفتُ الحق في شبابي وأنا أدعو إليه وأصبر على الأذى في ذلك، ولا أُحابي في ذلك أحداً، ولا أداهن في ذلك أحداً، أقول الحق وأصبر على الأذى؛ فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فالحمد لله».

وقال الإمام الألباني - رحمه الله تعالى - عندما سعى خصومه في الكيد له:
«لقد كان لهذا كله آثار عكسية لما أرادوه، إذا ضاعفت من تصميمي على العمل في خدمة الدعوة حتى يقضي الله بأمره»^(٢).

وقال أيضاً: «وجوب بيان العلم وحرمة كتمانها يحملاني على ألا أبالي بالناس رضوا أم سخطوا»^(٣).

- حصول كل منهما على جائزة الملك فيصل العالمية.
- الرؤيا المشهورة، ولعلهما المرادان بها: حدثني الشيخ محمد إبراهيم

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩ / ٥٠٤).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص ٢٩٥).

(٣) «حياة الألباني» (ص ٤١).

شقرة - حفظه الله تعالى - أحد كبار طلبة الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - قال: «رأى أحد الصالحين عندنا في الشام رؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة، رأى كوكبين في السماء، وقد اتجها بقوة نحو الأرض، أما أحدهما فوصل إلى الأرض، وبقي الآخر قريباً من الأرض.

فأما الذي وصل إلى الأرض فأحدث دوياً هائلاً جعل الناس يفرعون ويتساءلون ما الخبر؟ ثم استيقظ، فسأل أحد المعبرين عن تلك الرؤيا فقال المعبر: هذا أمر يحدث يهتز له المجتمع ويكون لذلك أثر بليغ، ثم يعقبه مثله وهو الكوكب الثاني.

قال محدثي: فلم يمضِ أيامٌ حتى جاء الخبر بموت الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، ثم مات الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بعده بفترة يسيرة، وهو تأويل الكوكب الثاني الذي تأخر عن اللحوق بالكوكب الأول.

رحم الله الشيخين وجعل الفردوس الأعلى مستقرهما ومثواههما.

- اشتراكهما في الآلام والآمال، فما سار أحدهما مسيراً ولا هبط وادياً إلا كان صاحبه معه يألم لألمه ويؤمل لأمله؛ أما اشتراكهما في الآمال فيدخل في ذلك نصرتهما للسنة وكتبها، والسعي في نشرها، وقد تقدم شيء من ذلك في حرصهما وعنايتهما على إخراج كتب السنة، وأما اشتراكهما في الآلام فمن صورته:

- عندما حصل للإمام الألباني ما حصل من بعضهم في الجامعة الإسلامية، وقامت إدارة الجامعة بدورها على إنهاء خدماته، وبلغ ذلك الشيخ ناصر قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الإمام ابن باز مسلماً له: «حيثما تقوم بواجب الدعوة لا فرق عندك».

- وعندما بلغ الشيخ ابن باز أن حكومة الأردن قررت إخراج الشيخ من الأردن كتب الشيخ كتاباً إلى ملك الأردن السابق يشفع فيه بعدم إخراج الشيخ

ناصر ويذكرهم بمقام الشيخ، فما كان من الملك إلا الموافقة، وقرت عينُ الشيخ ابن باز بقبول الشفاعة، وعين الشيخ ناصر بالبقاء.

- ومن دفاع الشيخ الألباني عن الشيخ ابن باز أن الشيخ الألباني ذكر كلاماً لأحد المخالفين جاء فيه:

«ولا عبرة بكلام المعلق على «الفتح» ألبتة؛ لأنه لا يعرف، فليخجل بعد هذا من يدعو الناس إلى عقيدة «الله في السماء» وليتب».

فتعقبه الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- بقوله: «... ويشير بقوله: «المعلق على الفتح» إلى فضيلة الشيخ ابن باز -حفظه الله من كل مكروه ونفع به المسلمين-، وذلك لأنه قال في تعليقه: الصواب عند أهل السنة وصف الله سبحانه بأنه فوق العرش كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ويجوز عند أهل السنة السؤال عنه بـ «أين»، كما في «صحيح مسلم»...

وهذا حق لا يخفى إلا على أعمى البصر والبصيرة -عياداً بالله تعالى-»^(١).

- وجاء في رسالة كتبها الشيخ ابن باز إلى الشيخ ناصر: «... فأرجو الله أنكم في صحة وعافية وأن المرض الذي ألمَّ بكم قد زال، شفاكم الله من كل سوء ونصر بكم الحق، وأسبغ علينا وعليكم وعلى جميع إخواننا لباس العافية في الدين والبدن إنه خير مستؤل»^(٢).

- عندما بلغ الشيخ ناصر خبر موت الشيخ ابن باز لم يتمالك نفسه من البكاء فدمعت عيناه دموع حارة، وتكلم عنه بكلمات رقيقة بارة، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبتى واخلفنى خيراً منها، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً».

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٣/ القسم الثاني ص ٧٣٢-٧٣٣).

(٢) «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» (ص ١٦٧).

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدَبَاءَ مَحْمُولٍ

لقد كان الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ من خيرة العلماء، نسأل الله تعالى أن يجعل مأواه الجنة، ولو أن هذه الحياة دامت لأحد لدامت للمصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- رحمه الله وألحقنا وإياه بالصالحين^(١).

- ومن لطيف ما قرأت من بديع الشعر في وصف الاثنين اللذين يشتركان في صفات متشابهة خمسة أبيات^(٢) أسوقها مع تغيير يسير في ثلاث كلمات لا يختل بها وزن الأبيات، وأحسب أن هذه الأبيات تناسب تشابه الإمامين ابن باز والألباني -رحمهما الله تعالى-:

رَأَيْتُ سَفِينَةً تَجْرِي بِبَحَرٍ	إِلَى بَحْرَيْنِ دُونَهُمَا الْبَحُورُ
إِلَى قَمْرَيْنِ ^(٣) ضَوْؤُهُمَا جَمِيعًا	سَوَاءٌ حَارٌّ بَيْنَهُمَا الْبَصِيرُ
كَلَا الْقَمْرَيْنِ ^(٤) يَشْبَهُ ذَاكَ هَذَا	وَذَا هَذَا وَذَاكَ وَذَا بَصِيرُ ^(٥)
فَلِإِنْ يَكُ ذَاكَ ذَا أَوْ ذَاكَ هَذَا	فَلِي فِي ذَا وَذَاكَ مَعًا سُرُورُ
رِوَاقُ الْمَجْدِ مَمْدُودٌ عَلَى ذَا	وَهَذَا وَجْهَهُ بِدَرٍ مَنِيرُ

- ثمرات من رياض محبتهم:

آثرت أن أذكر كلمات انتقيتها من رسائل^(٦) بعضهم لبعض، فمما جاء في

(١) «مع شيخنا ناصر الدين والسنة» (ص ١٥).

(٢) الأبيات لأصرم بن حميد، وقد نقلها الإمام السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص ٣٠٤).

(٣) في أصل القصيدة: «ملكين».

(٤) في أصل القصيدة: «الملكين».

(٥) في أصل القصيدة: «أمير».

(٦) انظر الرسائل كاملة من (ص ١٥١) إلى (ص ١٧٣) في كتاب «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» إعداد: محمد الموسى، ومحمد الحمد.

بعض رسائل الإمام ابن باز إلى الإمام الألباني: «...ومحبكم مستعد لكل لازم وحاجة في إمكانه قضاؤها، جعلني الله وإياكم من المتحابين في جلاله إلى أن نلقاه سبحانه».

«وسنبذل الوسع - إن شاء الله - في التوسط لدى بعض محبي الخير للقيام بطبع مختصر لك: «صحيح مسلم»، ونفيدكم بما يتم في ذلك - إن شاء الله -». ومما جاء في بعض رسائل الإمام الألباني إلى أخيه الإمام ابن باز - رحمهما الله -: «...فإني أتقدم إلى سماحتكم بالشكر الأخوي الجزيل على ما بذلتموه من جهود حثيثة في سبيل تيسير شأن زيارتي للمملكة العربية السعودية، وتسهيل ظروف معالجاتي في مستشفياتها».

«...وأشكر لكم حسن ظنكم بأخيكم حيث رشحتوني لأقوم على تصحيح نسخته المعدة للطبع ومقابلتها بالنسخ المطبوعة والمخطوطة، ولكنني أرى أن تعفوني من القيام بذلك وتكلفوا به غيري».

ومن باب الترويح أسوق هذه القصة المتعلقة بالإمامين:

كان أحد طلبة العلم راكباً مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وكان الشيخ ناصر يُسرع في قيادته للسيارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سرعة ولا تجوز، والشيخ ابن باز أخبر أن ذلك من إلقاء النفس إلى التهلكة - أو كلاماً قريباً من هذا - فضحك الشيخ الألباني وقال: هذه فتيا من لم يجرب فن القيادة. فقال الطالب: يا شيخ، سأنقل هذا الكلام إلى الشيخ عبد العزيز. فقال: انقله. قال الطالب: فقابلت الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في مكة وأخبرته بكلامي مع الشيخ الألباني وأخبرته بكلام الشيخ لي، فضحك وقال: هذه فتوى من لم يجرب دفع الدية»^(١).

(١) «الإمام ابن باز» (ص ٧٣).

- ومن لطائف الموافقات فيما يتعلق باسم الإمام ابن باز ما جاء في «سير أعلام النبلاء» أن الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - ترجم لإمام يشاركه الشيخ في الكنية واللقب، فقال: «ابن باز الحافظ الإمام، أبو عبد الله...». ثم قال: «محدث متقن مفيد، ولد سنة ٥٢٢هـ، ومات ٦٢٢هـ».

ومما يتعلق باسم الإمام الألباني ما جاء في «تاريخ دمشق». لابن عساكر^(١): «محمد بن نوح، قدم دمشق وحدث بها وببغداد ومصر. قال الخطيب: كان ثقة مأموناً، وما رأينا كتباً أصح من كتبه ولا أحسن».

- ومما يحسن ذكره ختاماً لهذا المبحث كلام سديد عن الشيخين قاله الشيخ المحدث عبد المحسن العباد البدر - أثابه الله تعالى -، ونص كلامه: «وإن هذين العلمين - أي: ابن باز والألباني - من العلماء الكبار الجهابذة المحققين، الذين لهم العناية الفائقة والهمة العالية، وكل منهما له جهود عظيمة في العقيدة، وقد حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسن الجزاء، وغفر لهما، وتجاوز عن سيئاتهما».



بين الشيخين الألباني وحمود التويجري -عليهما رحمة الله تعالى-

آثرت أفراد هذا الموضوع بمبحث مستقل؛ لأن فيه فوائد كثيرة وتذكرة بآداب أهل العلم التي قرأناها مكتوبة فرأيناها ترجمة عملية بين أهل العلم، ومنهم الشيخان الألباني وحمود التويجري -عليهما رحمة الله تعالى- وأيضا لإزالة توهم في أذهان بعض الناس ممن يظن أن بين الشيخين عداً وشحناء، أعاذهما الله تعالى من ذلك.

والله تعالى نسأل أن يُعيننا على التخلق بحسن الأخلاق، وأن يصرف عنا سيئها.

عوداً على بدء... أذكر مقدمة ثم أعقبها بنتيجة:

أما المقدمة: فعلماء السنة تجمعهم المحبة في الله ونصرة السنة، وإن اختلفت أعصارهم وتباعدت أقطارهم، فالحق رائدهم والنص قائدهم. وما يقع بينهم من الخلاف في المسائل العلمية فهو خلاف له حظ من النظر؛ المجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجرٌ واحد، أما مسائل الأصول فهم على قلب رجل واحد.

ردَّ الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- على الشيخ حمود -رحمه الله تعالى- في غير مسألة، وردَّ الشيخ حمود -رحمه الله تعالى- على الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-، فكان ماذا؟

لزوم لمنهج الأدب يعرف كل منهما صاحبه بالعلم ونصرة السنة، بل بينهما قواسم مشتركة متشابهة:

فالشيخان من علماء السنة ومن أبعد الناس عن المناصب والشهرة.
والشيخان ممن لهما المكانة والتقدير عند مشايخ العلم وطلبته.
والشيخان من المكثرين في التصنيف.

والشيخان من أصحاب الردود على المخالفين، وإن كان للشيخ حمود - رحمه الله تعالى - قصب السبق والكثرة في ذلك.

وكتبهما مشهورة متداولة، وإن كان للشيخ الألباني قصب السبق في كثرة تداول كتبه وطباعتها.

شاهد المقال: أن الردود بينهما كانت مأطورة بإطار أدب الخلاف، وطلب الحق مقصد الجميع.

رد الشيخ حمود - رحمه الله تعالى - على الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - في بعض مسائل الصلاة، فقال الشيخ حمود - رحمه الله تعالى - في فاتحة كتابه «التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة»: «وقبل ذكر التنبيهات نبدأ بشكر الشيخ الألباني على اعتناؤه بشأن الصلاة، وعلى إنكاره على المبتدعين في النية، وعلى رده على من أنكر الصلاة على آل النبي ﷺ، وعلى إنكاره على المحافظين على التوسلات المبتدعة كالتوسل بالجاء والحرمة والحق وغير ذلك مما لا يجوز التوسل به، والله المسئول أن يجعلنا وإياه من حزبه المفلحين الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

وقال في (ص ٦): «وما وقع من المؤلف - وفقنا الله وإياه - فهو لا شك سهو

منه، وقل من يسلم من ذلك».

وفي (ص ١٣) نقل عن الألباني - رحمه الله تعالى - كلاماً حول تفسير قوله ﷺ:

«والشر ليس إليك» بين أن في تفسيره نظرًا، ثم ساق الأدلة والتعليل، ثم قال في آخر كلامه: «...ومن تدبر ما قرره الشيخ الألباني في أثناء كلامه لم يشك في حسن عقيدته في باب القدر، وما وقع في أول كلامه وآخره فذلك خطأ في العبارة وقل أن يسلم من الخطأ أحد من البشر، والله المسئول أن يوفقنا وإياه وجميع المسلمين لما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال، وأن يسلك بالجميع سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إن ربي لسميع الدعاء قريب مجيب».

وجاء في مقدمة الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- لكتابه «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص ٣٢) الطبعة الأولى لمكتبة المعارف: «وختامًا لا بد لي أن أشكر فضيلة الشيخ التويجري على اهتمامه بالكتاب وحرصه على نصح القراء والطلاب...». إلى أن قال: «وأرى من تمام الشكر أن أعترف بإصابته الحق فيها وهي أربع مسائل من ثلاث عشرة مسألة، وإنني رجعت إلى رأيه فيها...».

هذا مجمل كلاميهما.

ومع أن كلامهما في كتابيهما قد مر عليه أكثر من أربعين سنة إلا أن محبتيهما لبعضهما وتوقير كل منهما للآخر دام حتى موتهما، وهذا أمر معلوم بل هو الأصل بين علماء السنة، والناقل عن الأصل محجوج بإيراد الدليل، ولا دليل هنا، فكيف إذا كان مع استصحاب حال الأصل أدلة كثيرة؟؛ منها:

- زار الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- الرياض عام ١٤١٠هـ وأخبر بعض من معه أنه يود مقابلة الشيخ حمود التويجري -رحمه الله تعالى-، فأخبر الشيخ حمود ودُعي إلى وليمة مقامة للشيخ الألباني فحضر الشيخ حمود ودعا الألباني إلى بيته فلبى الشيخ الألباني الدعوة وحضر جمع كثير من طلبة العلم فتح لهم الشيخ حمود قلبه قبل بيته، فكان لقاء تقدير ومحبة وتوقير. انتهى الشاهد منه.

- كان الشيخ الألباني -كما حدثني الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد

وهو من خواص طلابه -يعظم ردود الشيخ حمود ويفخّمها ويقول: إن فيها نصراً للسنة وأهل السنة.

- وبمناسبة صدور جائزة الملك فيصل قال الشيخ حمود: «إن الشيخ ناصرًا من أحق من يعطاها لخدمته للسنة».

وقد أصابت فراسة الشيخ حمود، فقد منح الشيخ الألباني تلك الجائزة سنة ١٤١٩هـ، وذلك بعد موت الشيخ حمود بسبع سنين تقريبًا.

- وقال الشيخ حمود أيضًا: «الألباني علّم على السنة، الطعن فيه طعن في السنة».

بعد هذا نخلص بنتيجة فيها فوائد جمّة، منها:

- حرص علماء السنة على طلب الحق ولزومه علمًا وعملاً.
- إن اختلاف الآراء بين علماء السنة لا يلزم منه اختلاف القلوب كما هو الشأن في أهل الأهواء.
- دعاء علماء السنة لبعضهم مع حمل كلّ منه لصاحبه على أحسن المحامل.
- فرح علماء السنة بلقاء بعضهم بعضًا.
- رحم الله الشيخين ناصرًا الألباني وحمودًا التويجري، وجمعهما في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



فبوركت مولوداً وبوركت ناشئاً

وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

كانت حياة الشيخ حياة خير في مقتبل عمره وشبابه وشيخوخته، وقد أعجبني هذا البيت الشعري فجعلته عنواناً لهذا المبحث، وذكرت حوادث وأخباراً من حياة الشيخ تناسبه.

وقبل سياق تلك الحوادث والأخبار أذكر كلاماً للشيخ -رحمه الله تعالى- أحسب -إن شاء الله تعالى- أن الشيخ -رحمه الله تعالى- قضى عمره في جميع مراحل على خير.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وأهم المشروعات العلمية عندي هو ما أسميته: «تقريب السنة بين يدي الأمة»، قصدت فيه جمع ما أمكن من الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد، على طريقة المحدثين وقواعدهم العلمية في تمييز الصحيح والضعيف. أسأل الله وَعَلَّاهُ أن ييسر لنا تحقيق ذلك»^(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «...فإني قد أفنيت فيه شبابي، وقضيت فيه كهولتي، وأتمم به الآن شيخوختي، سائلاً الله -جل في علاه- أن أكون ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»، راجياً منه -جل شأنه- حسن الختام، والوفاء على الإيمان»^(٢).

(١) «حياة العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- بقلمه». جمع وإعداد: عصام موسى هادي (ص ٢٧-٢٨).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨) نقلاً عن المرجع السابق.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «...فهانذا، وقد بذلت نضارة شبابي، ونشاط كهولتي، وما بقي عندي من القوة في شيخوختي، وجل فراغي ووقتي في خدمة هذا العلم الشريف، مع الحرص الشديد على الاطلاع على المخطوطات والمصورات، فضلاً عن المطبوعات، لا يكاد يشغلني عن ذلك شيء مما يشغل غيري من طلاب العلم وأهله، إلا ما لا بد منه، ومع ذلك فإني كلما تقادم العهد بي وطال عمري ازددت إيماناً بقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبأن الإنسان كلما ازداد علماً مع الزمن كلما ازداد معرفة بجهله، ولذلك كان من أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن قال له تعليماً لنا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ولذلك كان من دعائه ﷺ: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً»^(١).

فبوركت مولوداً:

ظهر نبوغ الشيخ -رحمه الله تعالى- في مقتبل عمره، يؤكد ذلك حصوله على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات كما سيأتي.

قال -رحمه الله تعالى- عندما سئل: هل كان يحسن اللغة العربية عندما

هاجر إلى دمشق مع والده وأهله؟

«لا أعرف من اللغة العربية شيئاً، بل كنت لا أعرف من الأحرف العربية شيئاً، من أجل أنه لم يكن هناك عناية من الوالد رَحِمَهُ اللهُ في تعليمنا، مع أنه كان إمام مسجد، وربما كان شيخ كُتَّاب، فلما جئنا إلى دمشق ما كنا نعرف شيئاً من القراءة والكتابة، كما يقولون عندنا في سورية: ما نعرف الخمسة من الطمسة، ولا الألف من النفطية، النفطية: هي العصا التي يستعملها شيخ الكُتَّاب حينما يريد أن يصطاد

(١) تحقيق «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧-٨).

آخر ولد يعث هناك يطوله بها، وكانت المدرسة هناك مدرسة أهلية لجمعية خيرية اسمها: جمعية الإسعاف الخيري، فهناك بدأت تعليمي، وبطبيعة الحال بسبب مخالطة الطلاب كان تعلمي للغة العربية -أو بالأحرى اللغة الشامية- أقوى من الذين لم يكونوا متمين إلى المدرسة، وأذكر جيداً يبدو لتقدمي في السن بالنسبة للطلاب الابتدائيين، فقد جاوزت السنة الأولى والثانية في سنة واحدة، ولذلك حصلت على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات، ويبدو أن الله وَعَلَّمَ قد فطرني على حب اللغة العربية، وهذا الحب هو الذي كان سبباً كسبب مادي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميزاً متفوقاً على زملائي من السوريين في علم اللغة العربية ونحوها.

وأذكر جيداً أن أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملة أو بيت شعر على اللوح ويسأل الطلاب عن إعراب تلك الجملة أو ذلك البيت يكون آخر من يطلب منه هو الألباني، وكنت يومئذ أعرف بـ «الأرناؤوط»، أما كلمة «الألباني»، فحينما خرجت من المدرسة وبدأت أكتب؛ لأن كلمة «الأرناؤوط» تشبه أو تقابل كلمة «العرب»، وكما أن العرب ينقسمون إلى شعوب ففيهم المصري والشامي والحجازي... إلى آخره، كذلك الأرناؤوط ينقسمون إلى: ألبان، وإلى الصرب من يوغسلافيا، وإلى بوشناق، فإذاً بين كلمة «الألبان» وكلمة «الأرناؤوط» عموم وخصوص، فالألبان أخص من الأرناؤوط.

فكان أستاذ النحو يخرجني آخر واحد إذا عجز الطلاب عن الإعراب وينادي بي: إيه يا أرناؤوط إيش تقول؟ فأصيب الهدف في كلمة واحدة، فيبدأ يُعير السوريين بي ويقول: مش عيب عليكم؟ هذا أرناؤوطي؟ وهذا من فضل الله عليّ»^(١).

(١) «الإمام الألباني حياته -دعوته -جهوده في خدمة السنة» لمحمد بيومي (ص ٨-٩).

- وبوركت ناشئاً:

قال -رحمه الله تعالى-: «كنت من بين كل إخواني الولد الوحيد الذي يُلَازِم أباه في ذهابه إلى المساجد»^(١).

ومما قاله الشيخ رحمه الله عن أبيه: «قال لي مرة: أنا لا أنكر أنني استفدت منك، وأنا ابنه وصغير، وهذا أنا أعرفه جيداً منه أنه استفاد؛ لأنه كان يأتي للمساجد التي فيها قبور كعامة المشايخ، فأنا كنت أقول له: هذا يا والدي لا يجوز، وهذا فيه كذا وفيه كذا... إلى آخره»^(٢).

وقال أيضاً عن بعض شيوخه: «...ولقد كنت أذهب مع بعضهم -وأنا صغير لم أتفقه بالسنة بعد- إلى قبر الشيخ ابن عربي لأصلي معه عنده، فلما أن علمت حرمة ذلك باحث الشيخ المشار إليه كثيراً حتى هداه الله تعالى، وامتنع من الصلاة هناك، وكان يعترف بذلك لي، ويشكرني على أن كنت سبباً لهدايته -رحمه الله تعالى- وغفر له-، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»^(٣).

وقال أيضاً: «والحق أن هذه المسألة -أي: الصلاة عند قبور الصالحين- من أوائل الأسباب التي انفصلت بها عن معظم المشايخ، إذ كانوا فيها على طريقة والدي؛ فكان من بواكير ما بدأت به مما يشبه البحث العلمي أن تتبعت هذه القضية في بعض المراجع الفقهية والحديثية مما تحتوي مكتبة والدي، فكتبت بعض الصفحات ذهبت فيها إلى كراهية الصلاة تحريماً في تلك المواطن، وبخاصة المساجد المبنية على قبور الأنبياء والأولياء، مستنداً على ذلك بما وقعت عليه من أقوال العلماء في تلك المراجع، وقدمت رسالتي إلى شياخي البرهاني في

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ١٤).

(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص ٢٠).

(٣) «تحذير الساجد» (ص ١٢٩) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص ١٦).

الأواخر من رمضان...»^(١).

ولما سمع الشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب المشهور بالألباني رغب في لقائه، وكان الألباني وقتها شاباً في مقتبل العمر، فلما قابله أعجب به لما سمع عنه من نشاطه العلمي والعملية، ورغب الشيخ الطباخ في إجازته بمروياته وقدم له كتاباً فيه إجازة مشايخه له.

وقال عنه الأستاذ أحمد مظهر العظمة: «عرفت دمشق محدثها الأكبر العلامة بدر الدين الحسيني، فلما توفاه الله خلت الديار من إمام تتجه الأنظار إليه في علوم الحديث، غير أن فتى أرناؤوطياً نشأ نشأة علم وتقى، وكان له من اسمه نصيب: هو الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني، عرف في أوساط الشباب بخدمته للحديث وعلومه، وجمع الشباب عليه واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه وجودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتلمذ عليه»^(٢).

وفي مقتبل شبابه كان للألباني -رحمه الله تعالى- جهود مباركة.

قال -رحمه الله تعالى-: «وبعد الاستمرار في دراسة علم الحديث تبينت

لي أخطاء كانت سائدة في ذلك الوقت، باتباعهم بعض البدع.

فمثلاً في «حاشية ابن عابدين» في الكتاب الأخير ذكر فيه عن سفيان الثوري: أن الصلاة في مسجد بني أمية بسبعين ألف صلاة، وهذا الأثر معزول ابن عساكر في «تاريخه» فوجدت هذا الأثر وإذا بإسناده ظلمات بعضها فوق بعض، فقلت: سبحان الله، كيف يروي هؤلاء الفقهاء هذا الأثر والسند كما ذكرت؟ ولو كان السند غير ذلك لكان معضلاً كما يقول علماء المصطلح»^(٣).

(١) «علماء ومفكرون» (ص ٢٧٩) نقلاً عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» (ص ١١).

(٢) «ترجمة موجزة» (ص ١٩).

(٣) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» لأبي أسماء عطية بن صدقي علي سالم (ص ٢٦).

ومن الأسباب الرئيسة في بداية طلبه لعلم الحديث -بعد توفيق الله تعالى- قوله -رحمه الله تعالى-: «... وذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدى أحد الباعة جزءاً من «مجلة المنار» فاشتريته^(١)؛ وقعت فيه على بحث بقلم السيد رشيد يصف فيه كتاب «الإحياء» للغزالي، ويشير إلى محاسنه ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبتني ذلك إلى مطالعة الجزء كله، ثم أمضي لأتابع موضوع «الإحياء»...»^(٢).

وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب:

١- لما ثقل في مرضه الذي مات فيه كان يقول لأهله: احملوني إلى المكتبة، فإذا أدخلوه إليها قال: أجلسوني، قالوا: لا تستطيع، فكان -رحمه الله تعالى- يضطجع ويأمر بالكتاب فيقرأ عليه.

٢- لما ضعفت يده عن الكتابة الطويلة كان يُملي على بعض أبنائه وحفدته ما يخرج من أحاديث.

قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة -حفظه الله تعالى-: «كان الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- لا يهدأ عن البحث، حتى إنه إذا أراد أن يكتب شيئاً قال: اكتب يا عبد اللطيف... اكتب يا عبادة... اكتب يا لؤي...»^(٣).

٣- قال الشيخ علي بن حسن: «أملئ الشيخ الألباني قبل وفاته بشهور قليلة ثماني عشرة صفحة في تخريج حديث ضعيف منكر حشد له بين يديه على طاولته عشرات المراجع الحديثية مخطوطة ومطبوعة».

(١) انظر القصة كاملة في مبحث: «الحادثة التي غيرت مجرى تاريخ حياة الألباني».

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص ٢٧١).

(٣) «صفحات بيضاء» (ص ٩٤-٩٥).

- ٤- وذكر كذلك أن الشيخ الألباني اتصل به قبل شهر من وفاته وسأله عن تفسير للقرآن نسي اسمه.
- ٥- وقال أيضًا: «كان آخر كتاب عمل به شيخنا -يرحمه الله- في السنتين الأخيرتين هو كتابه «تهذيب صحيح الجامع الصغير والاستدراك عليه» ولقد قال لي حين سألته عنه أول اشتغاله به: «هذا مشروع اقترحه عليّ مرضي وعجزي»^(١).
- ٦- ذكر الشيخ علي خشان أن الشيخ قبل وفاته بأيام كان إذا أفاق من مرضه قال: أعطوني الجرح الثاني، يعني: كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.
- ٧- وذكر الشيخ علي بن حسن أن عبد اللطيف نجل الشيخ الألباني أخبره أن الشيخ -رحمه الله تعالى- طلب منه قبل نحو ثمان وأربعين ساعة من وفاته إحضار كتاب «صحيح سنن أبي داود» لينظر فيه شيئاً وقع في قلبه وورد على ذهنه.



(١) «مع شيخنا ناصر السنة والدين» (ص ١٧).

الألباني ... مالى الدنيا وشاغل الناس

هذا الوصف «مالئ الدنيا وشاغل الناس» أطلقه ابن رُشيق على الشاعر المذهل المبدع المتنبي، ونص عبارة ابن رشيق: «ثم جاء المتنبي فملاً الدنيا وشغل الناس» وذلك من خلال قوة قريحته مع الظروف والأحوال وتقلبات الأمور في حياة المتنبي التي جعلته يرتقي مرتقى يصعب الوصول إليه على كثير من الشعراء، تلك الأمور وغيرها جعلت ابن رشيق يطلق هذا الوصف على المتنبي.

ومما يحسن ذكره هنا ما قاله الثعالبي عن أحوال الناس في المتنبي، قال: «مجالس الدرس غُذيت بشعره، ومجالس الأُنس تغنت بقوله، وجرى على لسان الخطباء والمتكلمين أبرز أقواله، واشتغل به المؤلفون وانشغل معهم الناقدون، وكثرت التآليف في تفسير قصائده وحل مشكله وعويصه، فتفرقوا فرقاً بين محب هائم أو معتدل، وبين قادح جائر أو ناقد صادق، ولا يهتم النقاد عادة إلا بالمشهور وبمن طبق الآفاق خبره»^(١).

وأقول في هذا المقام: «إني بحسب معرفتي وإطلاعي على أحوال الشيخ الإمام المحدث الألباني، من خلال ما رأيت وما سمعت منه وعنه، وما قرأت من كتبه، وما كُتب عنه دفعاً ودفاعاً أو ظلماً وعدواناً، ومن خلال ردوده ومن رد عليه من المنصفين والشامتين، سواء كانت تلك الردود من علماء أو طلبة علم أو

(١) «يتيمة الدهر» (١/ ١١١).

متعالمين، فضلاً عن رحلاته الاختيارية راغباً أو الاضطرارية راغمًا، وقل مثل هذا في تنوع البلاء الذي نزل به من طرد وسجن وتهديد وتشويه سُمعة ورمي ببهتان، ناهيك عن شهرة كتبه وانتشارها بعشرات الطبعات المشروعة والمسرودة؛ كتب في فنون متعددة: مباحث عقديّة وفقهية، مع تبحر في التخرّيج ونُكت علمية وفوائد فقهية وعقدية وتربوية وغير ذلك، زد على ذلك آراؤه وقوة انتصاره لها، وما يعتري ذلك من حدة في القلم -وليس الحدة مذمومة بإطلاق بل الضابط المصلحة الشرعية- تلك الحدة يقابلها مبادرة في الرجوع عن الخطأ متى ما تبين له، مع رقة قلب تذوب فيها تلك الحدة -من خلال ذلك وغيره حق لي - فيما يظهر لي - أن أقول:

إن الإمام الألباني حقيق بهذا الوصف بين علماء عصره، كما أن المتنبي استحقه بين الشعراء، مع أنه لا مقارنة -بل لا مقارنة- بما قدم المتنبي وما قدم الألباني، وهذا من البدهيات فلن أعرج عليه، ذلك لأن التحذير من كذبة واحدة عن رسول الله ﷺ خير من نَظْمٍ ملء الأرضِ شعراً.

وإنما الشاهد من المقال ومحط الركب وبيت القصيد: أمر هذا الإمام العظيم في أطوار حياته وما حدث له أو عليه، إن ربك حكيم عليم^(١).

قال الأستاذ المحقق والأديب الكبير محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه «المتنبي»^(٢): «ما في الدنيا أديب عربي لم يقرأ هذه الكلمة التي قالها ابنُ رُشيق». انتهى كلام

(١) ومُرادي بقولي عنه «مألاً الدنيا»: ما نشر الله تعالى له من الصيت والذكر الحسن، وأما «شاغل الناس»: فقد شغل كثيراً من أهل العلم وطلابه بالبحث في الأسانيد وتتبع كتب الحديث والعناية بالتحقيق.

كما أنه أشغل أهل البدع المخالفين للسنة وأقلقهم بردوده الكتابية واللسانية. أما ردوده على من رد عليهم من أهل السنة فذلك مسلك معلوم عند أهل السنة، مع محبة كل منهم للآخر وتوقيره وتقديره، وتجمعهم قلعة السنة في المحافظة عليها والذب عنها.

(٢) (ص ٤١٥).

الأستاذ محمود شاكر.

قلت: ولعلي لا أبلغ إذا قلت: ما في الدنيا عالم أو طالب علم إلا ويعلم شيئاً عن الألباني، ولا شك أن هناك أكابر في عصره حقيقون بهذا الوصف؛ لكن لعل للألباني قصب السبق بحكم مسيرة حياته وما حصل له من أحوال كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وأرى أن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ حقيق بهذا الوصف مع الشيخ الألباني -عليهما رحمة الله تعالى-.

عوداً على بدء أقول:

من عجيب شأن هذا الإمام أيضاً اجتماع متفرقات من أحوال الأئمة في شخصه^(١)، فمن ذلك:

ابن تيمية والألباني:

- ما ذكره العلامة إبراهيم بن مفلح في أثناء كلامه عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قال ما نصه: «ووقع له أمور وأحوال قام عليه فيها المعاند والحاسد، إلى أن وصل الحال به أن وُضع في قلعة دمشق»^(٢).

- قلت: وكذلك الإمام الألباني وقعت له أمور وأحوال قام عليه فيها المعاند والحاسد، إلى أن وصل الحال به أن وضع في قلعة دمشق.

- شيخ الإسلام ابن تيمية كتب لهم -لخصومه- ألفاظاً اقترحوها عليه

(١) ولا يفهم من هذا أن الشيخ الألباني أعلم من أولئك؛ فهو رَحِمَهُ اللهُ يُقر بفضلهم وعلمهم، بل تلك الأحوال موافقات تذكرتها أثناء قراءتي لسيرة الإمام الألباني، وهي تقع لغيره، فالقواسم المشتركة في حياة العلماء كثيرة، كما هي في حياة غيرهم ممن يجمعهم أمر من الأمور.

(٢) «المقصد الأرشد» (١/ ١٣٢-١٣٣)، وانظر في ذلك: «العقود الدرية» (ص ١٩٧).

وهُدِّد وتوعد بالقتل إن لم يكتبها^(١).

- والإمام الألباني تحت التهديد اضطر إلى توقيع تعهد بألا يقدم على الخطابة في الناس^(٢).

الإمام أحمد والألباني:

- قال الإمام ابن عقيل^(٣): «ومن عجيب ما تسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه لكنه مُحدث، وهذا غاية الجهل»^(٤).

قال الذهبي بعد سياقه لكلام ابن عقيل: «أحسبهم يظنون أنه كان محدثاً وبس! بل يتخيلون من بابه محدثي زماننا! والله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث ومالك الشافعي... إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره؟!»^(٥).

- والألباني لما قيل: إنه محدث وليس بفقيه، قال عنه الإمام ابن عقيل^(٦): «ما يضر الشيخ الألباني إن تكلم فيه واحد أو اثنان أو عشرة أو مائة، الشيخ الألباني عالم، وهذه آثاره موجودة مطبوعة، والغلط لا يضره أحد ما يغلط؟ أحد ما له

(١) «العقود الدرية» (ص ١٩٧).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجدوب (١/ ٢٩٦).

(٣) هو أبو الوفاء بن عقيل، ولد سنة (٤٣١هـ)، انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٣).

(٤) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ٦٤)، «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٥٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢١).

(٦) هو شَيْخِي الإمام الفقيه المتواضع عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل -متع الله بالصحة والعافية-، وإنما ذكرت الإمامين -ابن عقيل المتقدم والمتأخر- بهذا السياق لينسجم الكلام اللاحق مع السابق، وكلامه المذكور انظره في كتاب: «فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبد الله العقيل» (ص ١٥٦) حاشية.

غلطات وسقطات؟ الكمال لله -تبارك وتعالى-». انتهى كلام شيخنا ابن عقيل.
قلت: نعم غلب على الشيخ -رحمه الله تعالى- الصنعة الحديثية من باب الرواية، لكن له حظ كبير من باب الدراية؛ فقد درّس كثيرًا من كُتب الفقه، وله تصانيف مفردة في مسائل فقهية^(١)، فضلًا عن مئات الفتاوى الفقهية، فيا عجبًا مع أن هناك غيره ممن عليه مؤاخذات في اختياراته مع أنه لم يبلغ درجة الألباني في الحديث والفقه ولا يكاد ولم يُشَنَّع عليه ببعض ما شُنَّع على الألباني!

الشافعي والألباني:

- قال ابن أبي حاتم: سمعت المُرَني يقول: «قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به مثل ما تنعمت الآذان، فقليل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، فقليل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره»^(٢).

- وقال الشيخ الألباني -في أثناء حديثه عن أوّل طلبه للعلم عندما قرأ كلام الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى- عن كتاب العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء»- قال الألباني: «فنزلت إلى السوق أسأل عنه كالعاشق الولهان، ولما وجد الكتاب قال: «وأخذت الكتاب وأنا أكاد أطير فرحًا».

(١) وذكر الشيخ علي بن حسن الحلبي أن الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد كتب إليه ضمن رسالة خاصة ذكر فيها أن له مشروعًا علميًا باسم: «اختيارات الشيخ الألباني وتحقيقاته»، قال عنه -الشيخ بكر-: «...وقد قطعت فيه مرحلة، وكنت أبين بإيجاز سلفه من أهل العلم فيها، وقصدي تقريب فقه الدليل من ناحية، وإحباط المقولة الشائعة عنه: أنه ليس فقيهاً، أو أنه لديه شذوذ في الرأي». «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» كتبه: علي بن حسن الحلبي (ص ٣٧) حاشية.

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» لبدر الدين بن جماعة.

الآلوسي والألباني:

- الإمام محمود شكري الآلوسي - رحمه الله تعالى - شغب عليه أهل الباطل ولفقوا عليه دعوى بث «الوهابية»، وهذه التهمة كانت تكفي للإيقاع بصاحبها لما يُضمّره السلطان التركي من عدااء لها ولأصحابها، وهو عدااء سياسي محض^(١).

- والإمام الألباني - رحمه الله تعالى - كتب فيه قوم من المشايخ عريضة يزعمون فيها أنه يقوم بدعوة وهابية! وجعلوا يجمعون توقيعات الناس ثم رفعوها إلى مفتي الشام فأحالها بدوره إلى مدير الشرطة^(٢).

الإمام مالك والألباني:

- رأى أحدهم في الإمام مالك رؤيا خلاصتها: أن الرائي رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله، مُر لَنَا، فقال ﷺ: إني كنزت تحت المنبر كنزًا وقد أمرتُ مالكًا أن يقسمه، قال الراوي: فرق مالك وبكى ثم خرجت وتركته^(٣).

- والألباني قصت عليه امرأة جزائرية رؤيا رُئي فيها النبي ﷺ والألباني يمشي على نفس الطريق، فلمّا سمعها الشيخ الألباني بكى، ثم طلب ممن عنده أن ينصرفوا والشيخ يبكي متأثرًا.

ابن شاذان والألباني:

- ابن شاذان: هو الإمام مسند العراق. دخل عليه شاب فسَلَّم، فقال: أيها الشيخ، رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: سل عن أبي علي بن شاذان، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، وانصرف الشاب، فبكى الشيخ وقال: ما أعرف لي عملاً

(١) انظر: مقدمة المحقق لكتاب «المسك الأذفر» للآلوسي (ص ١٧).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (١/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «الحلية» لأبي نُعيم (٦/ ٣١٧).

أستحق به هذا إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكر^(١).

- والألباني لما حدثه أحدهم أنه رأى النبي ﷺ فسأله: إذا أشكل عليّ شيء في الحديث من أسأل؟ فقال النبي ﷺ: سل محمد ناصر الدين الألباني، فما أن انتهى المتحدث من قص الرؤيا حتى بكى الشيخ بكاء عظيمًا، وهو يردد: «اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون...».

قلت: ولعل صبر الشيخ على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلما ذكر، وخدمته للسنّة من عاجل بشره، ومن ذلك هذه الرؤيا.

الموفق ابن قدامة والألباني:

- كان ابن قدامة لا يُناظر أحدًا إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه^(٢).

- والألباني رأيته وسمعت عنه هدوءه التام عند المناقشة، وهذا أمر شبه متواتر عنه.

فائدة: يوسف بن الجوزي كان يُناظر ولا يحرك له جارحة^(٣).

الخطيب البغدادي والألباني:

- تمنى الخطيب البغدادي أن يدفن بجانب قبر بشر الحافي، فكان ذلك^(٤).

- ومروا الألباني على مقبرة قديمة قريبة من بيته فتمنى أن يُدفن فيها، فكان ذلك^(٥).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤١٧-٤١٨).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٧).

(٣) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٦٠).

(٤) «المنتظم» لابن الجوزي (١٦/ ١٣٤-١٣٥)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١١٤٤-١١٤٥).

(٥) «الإمام المجدد» (ص ٦٥).

الإمام البخاري والألباني:

- لما خرج الإمام البخاري من بخارى، وقيل له: كيف ترى هذا اليوم؟ فقال: لا أبالي إذا سلم ديني^(١).

- والألباني لما عُودي وأوذي قال: وجوب بيان العلم وحرمة كتمانها يحملاني ألا أبالي بالناس رَضُوا أم سَخَطُوا^(٢).

ابن باز والألباني:

- شُنع على الإمام ابن باز - رحمه الله تعالى - لما أفتى بالصلح مع اليهود بضوابط مذكورة في تلك الفتوى المشهورة.

كما شُنع على الإمام الألباني في مسألة الهجرة من فلسطين، وملخص هذه المسألة: أن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ سئل عن أناس يعيشون في بلاد لا يستطيعون إظهار شعائر دينهم فيها، فقال لهم الشيخ بوجوب الهجرة إلى بلاد يستطيعون فيها ذلك؛ استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]. وهذا تبكيت من الملائكة لمن ظل بين الكفار أو العصاة فأثر ذلك في دينه فاحتج على فعله بغيره.

ولما سئل الشيخ: هل هذا ينطبق على فلسطين؟ قال: على كل بلاد الدنيا، ما الفرق بين فلسطين وغيرها؟! كما أن مكة أعظم عند الله من فلسطين، ومع هذا هاجر منها المسلمون، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، ومن الصحابة من هاجر إلى الحبشة، وهي بلاد كفر لما لم يكن يستطيع إظهار دينه.

طهر الله فلسطين من عصابة يهود، وردَّ من أخرج من أهل فلسطين إليها ردًّا جميلاً، وأسكن الإمامين ابن باز والألباني فردوسه الأعلى... آمين.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٦٣).

(٢) «حياة الألباني» (ص ٤١).

وأما بنعمة ربك فحدث

من أعظم العبادات وأرفعها قدرًا عند الله: التعبد لله تعالى بشكره؛ فشكر العبد لربه ﷻ بصدق وإخلاص يفتح على العبد أبواب الخير، ويغلق عنه أبواب الشر، ذلكم؛ لأن نتيجة الشكر تتضمن خيري الدين والدنيا والبرزخ والآخرة. وأما حقيقة الشكر فكما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «الشكر هو القيام له بطاعته، والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرًا وباطنًا»^(١).

ومن عظيم أمر الشكر أن الله تعالى أمر العباد به، بل حَضَّهم عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

بعد هذا أقول:

مما لاحظته في أثناء قراءتي وتصفحتي لكثير من كتب الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - كثرة شكر الله تعالى والتحدث بنعمه عليه كسائر العلماء، وقد انتقيت شيئاً من كلامه في هذا المبحث، فمن ذلك قوله:

(١) «الفوائد» (ص ١٢٧).

«إن نعم الله عليّ كثيرة ولا أحصي لها عدّاً، ولعل من أهمها اثنتين: هجرة والدي إلى الشام، ثم تعليمه إياي مهنته في إصلاح الساعات. أما الأولى: فقد يسرت لي تعلم العربية، ولو ظللنا في ألبانيا لما توقعت أن أتعلّم منها حرفاً، ولا سبيل إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا عن طريق العربية. وأما الثانية -وهي تعلم مهنة الساعات-: فقد قيضت لي فراغاً من الوقت أملؤه بطلب العلم، وأتاحت لي فرص التردد على المكتبة الظاهرية وغيرها ساعات من كل يوم، ولو أنني لزمّت صناعة النجارة التي حاولت التدرب عليها أولاً لالتهمت وقتي كله، وبالتالي لسدت بوجهي سبل العلم الذي لا بد لطالبه من التفرغ»^(١).

وقال -رحمه الله تعالى-: تحت حديث: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك». قال ابن عرفة: وأنا من ذلك الأقل -فقال الشيخ الألباني رحمه الله معلقاً على قول ابن عرفة: «وأنا أيضاً من ذلك الأقل؛ فقد جاوزت الرابعة والثمانين، سائلاً المولى ﷺ أن أكون ممن طال عمره وحسن عمله، ومع ذلك فإني أكاد أتمنى الموت؛ لما أصاب المسلمين من الانحراف عن الدين، والذل الذي نزل بهم حتى الأذلين، ولكن حاشى أن أتمنى وحديث أنس ماثلاً أمامي منذ نعومة أظفاري، فليس لي إلا أن أقول كما أمرني نبي ﷺ: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي». وداعياً بما علّمني -عليه الصلاة والسلام-: «اللهم متّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعلها الوارث منّا».

وقد تفضل سبحانه فاستجاب ومتعني بكل ذلك، فهأنذا لا أزال أبحث

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص ٢٨٢).

وأحقق، وأكتب بنشاط قل مثيله، وأصلي النوافل قائماً، وأسوق السيارة بنفسي المسافات الشاسعة، وبسرعة ينصحني بعض الأحبة بتخفيفها، ولي في ذلك تفصيل يعرفه بعضهم، أقول هذا من باب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، راجياً من المولى ﷺ أن يزيدي من فضله، فيجعل ذلك كله الوارث مني، وأن يتوفاني مسلماً على السنة التي نذرتُ لها حياتي دعوة وكتابة، ويلحقني بالشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، إنه سميع مجيب^(١).

وقال - رحمه الله تعالى -: «وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بياناً للتاريخ، وشكراً لوالدي - رحمه الله تعالى -: وكذلك في الحديث^(٢) بُشِّرْ لَنَا آلَ الْوَالِدِ الَّذِي هَاجَرَ بِأَهْلِهِ مِنْ بَلَدِهِ «أَشْقُودَرَةَ» عَاصِمَةَ «أَلْبَانِيَا» يَوْمَئِذٍ فَرَارًا بِالَّذِينَ مِنْ ثَوْرَةِ «أَحْمَدَ زَوْغُو» أَزَاغَ اللَّهِ قَلْبَهُ، الَّذِي بَدَأَ يَسِيرُ فِي الْمُسْلِمِينَ الْأَلْبَانِ مَسِيرَةَ سَلْفِهِ «أَتَاتُورَك» فِي الْأَتْرَاكِ، فَنَجِيتُ - بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ - بِسَبَبِ هَجْرَتِهِ هَذِهِ إِلَى دِمَشْقَ الشَّامِ مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ لِرَبِّي بِوَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَوْ عَشْتُ عُمرَ نوحَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؛ فَقَدْ تَعَلَّمْتُ فِيهَا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ السُّورِيَّةَ أَوَّلًا، ثُمَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْفَصَحِيَّ ثَانِيًا، الْأَمْرَ الَّذِي مَكَّنَنِي أَنْ أَعْرِفَ التَّوْحِيدَ الصَّحِيحَ الَّذِي يَجْهَلُهُ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ حَوْلِي، فَضْلًا عَنْ أَهْلِي وَقَوْمِي إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، ثُمَّ وَفَّقَنِي اللَّهُ - بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ دُونَ تَوْجِيهِ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ - إِلَى دِرَاسَةِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَصُولًا وَفَقْهًا، بَعْدَ أَنْ دَرَسْتُ عَلَى وَالِدِي وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايخِ شَيْئًا مِنَ الْفَقْهِ الْحَنْفِيِّ وَمَا يُعْرَفُ بِعِلْمِ الْآلَةِ، كَالنَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْبَلَاغَةِ، بَعْدَ التَّخَرُّجِ مِنْ مَدْرَسَةِ «الْإِسْعَافِ الْخَيْرِي»

(١) «صحيح موارد الظمان» (٢/ ٤٦٤-٤٦٥) حاشية.

(٢) وهو حديث: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم». رواه أبو داود (٢٤٨٢).

الابتدائية، وبدأتُ أدعو من حولي من إخواني وأصحابي إلى تصحيح العقيدة، وترك التعصب المذهبي، وأحذّرهم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأرغبهم في إحياء السُّنن الصحيحة التي أمّتها الخاصّة منهم».



خير في الحياة وبعد الممات

- حدثني أخ كويتي قال: كان رجلٌ يعمل معنا في الوظيفة، رجلٌ على مذهب خلاف مذهب أهل السنة، وكان حريصًا على السؤال عن مذهب أهل السنة والبحث في كتبهم، وبخاصة كتب المشايخ: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، وكان مُعظَّمًا لهم ولا يذكرهم إلا بـلقب العلماء أو المشايخ، وتأثر عندما رأنا يُعزِّي بعضنا بعضًا في الإمام الألباني، وعزانا في الشيخ الألباني، وأخبرنا أنه «تسنن»، ولكنه يكتُم ذلك، فلما مات ابن عثيمين عزانا فيه، ثم أشهر أنه على مذهب أهل السنة، ودعا إخوانه إلى مذهب أهل السنة، وفقهم الله تعالى إلى كل خير^(١).

- قوله -رحمه الله تعالى- في وصيته: «...وأوصي بمكتبتي كلها سواء ما كان منها مطبوعًا أو تصويرًا أو مخطوطًا -بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح يوم كنت مُدرِّسًا فيها، راجيًا من الله تعالى أن ينفع بها رُؤادها كما نفع بصاحبها -يومئذٍ- طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم».

(١) نشرت بعض الصحف أن قسيسًا إيطاليًا دخل الإسلام لما شاهد جنازة الملك فهد -رحمه الله تعالى-؛ تأثرًا بطبيعة الجنازة بالنظر إلى شخصية المتوفى، فرحم الله أهل السنة حُكامًا وعلماء.

- جاء في وصيته أيضًا قوله -رحمه الله تعالى-: «...وأن يكون القبر في مقبرة قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش...».

قال تلميذه الشيخ محمد إبراهيم شقرة -وفقه الله تعالى-: «المقبرة التي دُفن فيها مقبرة مغلقة مُنع الدفن فيها أو كانت البلدية تفكر في إزالتها، فحضر وكيل أمين العاصمة وشهد الدفن وأمر أن يُدفن الشيخ في المقبرة نفسها رغم أنها مغلقة، ثم أمروا بأن يقام سور حولها وألا يكون هناك دفن بعد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، فربما يكون آخر من دفن في هذه المقبرة، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ حفظ بوجوده فيها الأموات الذين سبقوه أن تنبش قبورهم».

قلت: فائدة: قال ابن المنكدر -رحمه الله تعالى-: «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ والدُّوَيَرَات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر»^(١).



(١) «جامع العلوم والحكم» شرح الحديث التاسع عشر.

نص وصيته

وصيتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكل مُحِبٍّ لي إذا بلغه وفاتي أن يدعُوا لي بالمغفرة والرحمة أولاً، وألا يبكوا عليَّ نياحةً وبصوت مرفوع.
وثانياً: أن يُعجلوا بدفني، ولا يُخبروا من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل بهم واجب تجهيزي، وأن يتولّى غسلِي «عزت خضر أبو عبد الله» جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره هو لإعانتته عليّ ذلك.
وثالثاً: أختارُ الدفن في أقرب مكان، لكيلا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر في مقبرة قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش.
وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألا يُخبروا من كان خارجها من أولادي -فضلاً عن غيرهم- إلا بعد تشييعي، حتى لا تتغلب العواطف وتعمل عملها، فيكون ذلك سبباً لتأخير جنازتي.
سائلاً المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت وما أخرت.
وأوصي بمكتبتي كلها -سواء ما كان منها مطبوعاً أو تصويراً أو مخطوطاً بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأن لي

فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح يوم كنت مدرساً فيها.

راجياً من الله تعالى أن ينفع بها رُؤادها كما نفع بصاحبها يومئذ طُلابها، وأن ينفعني بهم بإخلاصهم ودعواتهم.

٢٧ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

وكتب الفقير إلى رحمة ربه

محمد ناصر الدين الألباني

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

مرضه ووفاته - رحمه الله تعالى -

كان - رحمه الله تعالى - في الثلاث السنوات الأخيرة من عُمره يُعاني من عدة أمراض، وكان مع كل ذلك صابراً محتسباً، وقد نحل جسمه كثيراً، وقد رأيت ذلك بنفسى قبل موته بشهر، ومن الأمراض التي كان يعاني منها فقر الدم، والكبد، وإحدى كليتيه.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والدعوة والصبر توفي - رحمه الله تعالى - آخر عصر يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠ هـ، جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثواه.

وفي اليوم نفسه تم تجهيز جنازته والإسراع بها حسب وصيته - رحمه الله تعالى - فكان ذلك.

وقد حُملت جنازته على الأكتاف من بيته إلى المقبرة، وصلى عليه تلميذه الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة.

ومع سرعة تجهيزه والصلاة عليه فقد قُدر الحضور الذين شهدوا جنازته بخمسة آلاف^(١)، وهو عدد كبير جداً بالنسبة إلى سرعة تجهيز الجنازة.

رحم الله تعالى الإمام الألباني وجزاه الله تعالى خيراً ما جزى عالماً عن أمته.



(١) ينظر: «صفحات بيضاء» لعطية بن صدقي، و«محدث العصر» لسمير الزهيري.

من المبشرات في حياته وبعد مماته

قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». أخرجه البخاري.

وأخرجه مسلم بلفظ: «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو تُرى له».

والرؤى في الشيخ - رحمه الله تعالى - كثيرة، سواء في حياته أو بعد مماته، ومن عجيب أمر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وسمو أخلاقه وتواضعه أنه كان حذرًا من مداخل الشيطان وبخاصة إذا كان المقام مقام مدح وثناء.

- رأى بعضهم فيما يرى النائم جمعًا من الناس قد تراحموا أمام درج يصعد به إلى شرفة أمامها باب، ولا أحد يصعد هذا الدرج وإنما ينظرون إلى هذه الشرفة وإلى ذلك الباب، فقلت لهم: من تنتظرون؟ وإلامَ تنظرون؟ فقالوا: رسول الله ﷺ فاخترقت صفوفهم وصعدت الدرج حتى وصلت إلى المصطبة (الشرفة) قبالة الباب حتى أحظى برؤية رسول الله ﷺ والناس تحت الدرج ينظرون نحو الباب، وإذا بالباب يفتح فيظهر منه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

رؤيا أخت جزائرية رأت أبا عبيدة عامر بن الجراح رَحِمَهُ اللهُ الصحابي الجليل أمين هذه الأمة في المنام وقت السحر وهو يقول لها: أقرئي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مني السلام، فاستيقظت وهي تبكي فرحًا، وتقول: لست أهلاً

لذلك، لست أهلاً لذلك^(١).

- سمع في شريط رقم (٥٠٠) أن امرأة جزائرية اتصلت بالشيخ هاتفياً فذكرت له أنها رأت النبي ﷺ في الطريق، وجاء شيخ يسأل عن النبي ﷺ فدل عليه، فقالت زميلتي التي كانت تحدثني من شرفة البيت: من هذا الشيخ الذي يمشي وراء النبي ﷺ؟ فقلت لها: هذا الشيخ الألباني.

فلم يتحمل الشيخ الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ كَلامها، وأجهش بالبكاء.

وقال الشيخ الفاضل إحسان العتيبي: «وفي آخر لقاء لي به رَحْمَةُ اللَّهِ حدثته عن رؤيا بعض إخواننا، وهي: أن هذا الأخ رأى النبي ﷺ فسأله: إذا أشكل عليه شيء في الحديث من أسأل؟ فقال النبي ﷺ: سل محمد ناصر الدين الألباني، فما أن انتهيت من حديثي حتى بكى بكاء عظيماً، وهو يقول: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»^(٢).

- وما أجمل قول القائل في الإمام الألباني:

وكم رأى الصالحون الغرَّ فيه رؤى
من عاجل البشر قد جاءته فاكترَ با
أن قيل إنك تقفو المصطفى وبكى
واستوكف العبرات الحمر وانتحبا^(٣)

- حدثني الشيخ محمد إبراهيم شقرة -حفظه الله تعالى- قال: رأى أحد الصالحين عندنا في الشام رؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة رأى كوكبين في السماء وقد اتجها بقوة نحو الأرض، أما أحدهما فوصل إلى الأرض، وبقي

(١) «الإمام المجدد» (ص ٦٧-٦٨).

(٢) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» (ص ٤٩).

(٣) «محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني» لسمير بن أمين الزهيري (ص ١٠١)، والبيتان من قصيدة في رثاء العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ بقلم أبي الفضل عادل بن المحجوب رفوش المغربي.

الآخر قريباً من الأرض، فأما الذي وصل إلى الأرض فأحدث دويّاً هائلاً، جعل الناس يفزعون ويتساءلون ما الخبر؟

ثم استيقظ، فسأل أحد المعبرين عن تلك الرؤيا فقال المعبر: هذا أمر يحدث يهتز له المجتمع ويكون لذلك أثر بليغ، ثم يعقبه مثله وهو الكوكب الثاني.

قال محدثي: فلم يمضِ أيامٌ حتى جاء الخبر بموت الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، ثم مات الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بعده بفترة يسيرة، وهو تأويل الكوكب الثاني الذي تأخر عن اللحوق بالكوكب الأول.

ومن عاجل بشراهما في حياتهما انتشار كتبهما والقبول لها، رحمهما الله تعالى وجعل الفردوس الأعلى مستقرهما ومثواههما.

- وكتب إليّ أبو محمد عبد الله بن رشيد العنزي^(١) أنه رأى فيما يرى النائم أربعة طيور في السماء ناصعة البياض قادمة من جهة الشمال أي من جهة الشام تحمل جنازة، فعندما وازت رءوسنا تبين لنا أنها جنازة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ. قال: «والذي لا إله غيره رأيته مُسَجِّى وقد كُفِن بكفن متواضع جداً أقرب مما يشبه بالشاش الذي تلف به الجروح، حتى أنني رأيته من وراء الكفن، وقد وضع يده اليمنى على اليسرى وهو رافع سبابته اليمنى إلى السماء، فسارت به الطير نحو الأفق حتى توارت عن أعيننا...».

قال: «وكانت هذه الرؤيا بعد صلاة الفجر... وبعد صلاة المغرب يتصل بي أحد الإخوة ويقول: أحسن الله عزاءكم بالشيخ الألباني! فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون».

(١) إمام مسجد هشام بن العاص بمحافظة حفر الباطن، وقد كتب لي بذلك في رسالة أرسلها بالفاكس بتاريخ ١٨/٤٢٨ هـ.

مما قيل فيه من الشعر
في حياته وبعد موته رَحِمَهُ اللهُ

هذه أبيات نظمها الشيخ محمد المجذوب رَحِمَهُ اللهُ في مدح الشيخ الألباني

رَحِمَهُ اللهُ في حياته:

قَالُوا أَلَا كَلِمَةٌ فِي الشَّيْخِ تُنْصِفُهُ	فَقَدْ طَغَى الْجَوْرُ حَتَّى فِي الْمَوَازِينِ
شُنَّتْ عَلَيْهِ حُرُوبٌ لَا يَسُوغُهَا	عَقْلٌ يَرَى الْحَقَّ فِي ظِلِّ الْبَرَاهِينِ
فَقُلْتُ فَوْقَ ثَنَائِي مَا يَبْلُغُهُ	مَحَدَّثَ الشَّامِ عَنْ خَيْرِ النَّبِيِّينِ
وَرَدَّةُ الْجِيلِ لِلْوَحْيِ الْجَلِيلِ يَدُ	مَا إِنْ يَكْبُرُ فِيهَا غَيْرُ مَفْتُونِ
وَحَسِبَهُ أَنَّهُ هَزَّ الْعُقُولَ وَقَدْ	بَاتَتْ مِنَ الْحَجَرِ وَالتَّقْلِيدِ فِي هُونِ
فَأَصْبَحَتْ ذَاتُ وَعْيٍ لَيْسَ يُعْجِزُهُ	الْتِمِيزُ مَا بَيْنَ مَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
وَالدِّينِ سِرٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ بَيِّنُهُ	رَسُولُهُ وَسِوَاهُ مُحَضُّ تَحْمِينِ
وَالْجَامِدُونَ حَيَارَى لَيْسَ فِي يَدِهِمْ	إِلَّا رَوَايَةَ مَجْرُوحٍ لِمَوْهُونِ
فَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الشَّعْرُ فِي رَجُلٍ	يَدْعُوهُ حَتَّى عِدَاةُ نَاصِرِ الدِّينِ
وَأَيُّ خَيْرٍ إِذَا فَرَدَ تَجَاهَلَهُ	وَقَدْ فَشَا فَضْلُهُ بَيْنَ الْمَلَائِكِينَ ^(١)

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/ ٢٩٩-٣٠٠)

ومما قيل في الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعد موته:

هَوَى نَجْمُ الْحَدِيثِ كَمَا	هَوَتْ مِنْ قَبْلِهِ قِمَامُ
وَكَمْ رَجُلٌ تَمَوْتُ بِمَوِ	تَهِ الْأَجْيَالُ وَالْأُمَمُ
أَنَاصِرَ سُنَّةِ الْمُخْتَا	رِ دَرَبِكَ قَصْدُهُ أَمَمُ
رَفَعْتَ لِإِهْوَاءِ سُنَّتِنَا	وَلَمْ تَقْصُرْ بِكَ الْهِمَمُ
قَضَيْتَ الْعَمَرَ فِي عَمَلٍ	بِهِ الْأَوْقَاتُ تُغْتَنَمُ
خَدِمْتَ حَدِيثَ خَيْرِ النَّاسِ	سِ لَمْ تَسَأَمْ كَمَنْ سَأَمُوا
حَدِيثَ الْمُصْطَفَى شُرِحَتْ	بِهِ الْآيَاتُ وَالْحِكَمُ
فَنَحْنُ بِنُورِ سُنَّتِهِ	إِلَى الْقُرْآنِ نَحْتَكُمُ
خَدِمْتَ حَدِيثَ خَيْرِ النَّاسِ	سِ لَمْ تَنْصِتْ لِمَنْ وَهَمُوا
وَلَمْ تُشْغَلْ بِمَا نَثَرُوا	مَنْ الْأَهْوَاءِ أَوْ نَظَمُوا
سَلِمْتَ بِعِلْمِكَ الصَّافِي	مَنْ الْبَلَوَى وَمَا سَلِمُوا
غَنِمْتَ بِمَا اتَّجَهْتَ لَهُ	وَمَنْ نَشَرُوا الْهُدَى؛ غَنِمُوا
وَمَنْ جَعَلَ الْعُلَاهِدًا	فَلَنْ يَنْتَابَهُ السَّأَمُ
أَنَاصِرَ سُنَّةِ الْهَادِي	سَقَاكَ الْهَاطِلُ الْعَمَمُ
بَكَتْكَ الشَّامُ، وَيَحَ الشَّا	مَ أَخَفَّتْ بِدُرِّهَا الظُّلَمُ
بَكَتْ أَلْبَانِيَا لَعَبَتْ	بِهَا أَحْقَادُ مَنْ ظَلَمُوا
وَعَشَّشَ فِي مَرَابِعِهَا	بَغَاثُ الطَّيْرِ وَالرَّخَمُ
وَحَيَّمْ فَوْقَ أَرْضِهَا	سَحَابٌ غِيْثُهُ الْأَلَمُ

بَكَاءُ الْمَسْجِدِ الْقُدْسِيِّ	وَالْمَدَنِيِّ وَالْحَرَمِ
بَكَائِكَ سَلَسِلُ الْكُتُبِ الـ	تِي كَالِدُرِّ تَنْتَظِمُ
فَسَلْسَلَةُ الْأَحَادِيثِ الـ	تِي صَحَّتْ لِمَنْ فَهَمُوا
وَسَلْسَلَةُ الْأَحَادِيثِ الـ	تِي ضَعُفَتْ لِمَنْ وَهَمُوا
وَتَحْقِيقُ الْأَسَانِيدِ الـ	تِي ثَبَتَتْ لِمَنْ عَلِمُوا
عُلُومٌ كُلُّهَا شَرَفٌ	تُعَزُّ بِعِزِّهَا الْقِيَمُ
أَنَاصِرَ سُنَّةِ الْهَادِي	لَنَا مِنْ دِينِنَا رَحِمُ
لَقِيْتُكَ دُونَ أَنْ أَلْقَا	كَ تُورِقُ بَيْنَنَا الشَّيْمُ
لَقِيْتُكَ فِي ظِلَالِ الْعِلْمِ	مِ وَالْأَزْهَارِ تَبْتَسِمُ
تُجَمِّعُنَا مَحَبَّةٌ خَيْرٌ	رٍ مِنْ سَارَتْ بِهِ قَدَمُ
خَدِمْتَ جَلَالَ سُنَّتِهِ	فِيَا طُوبَى لِمَنْ خَدَمُوا
رَحَلْتَ رَحِيلَ مَنْ أَخَذُوا	مِنْ الْأَمْجَادِ وَاقْتَسَمُوا
كَأَنَّكَ لَمْ تُدِرْ قَلَمًا	وَلَمْ يُجَرِّ الْحَدِيثَ فَمُ
حَزَنًا، كَيْفَ لَمْ نَحْزَنْ؟	وَشَرِيَانُ الْقُلُوبِ دَمُ
وَلَكِنَّا بِرَغَمِ الْحُزَنِ	لَمْ يَشْطَحْ بِنَا الْكَلِمُ
وَلَوْلَا أَنَّ أَنْفُسَنَا	بِرَبِّ الْكُفُونِ تَعَتَّصِمُ
لَمَاجَتْ بِالْأَسَى وَغَدَتْ	أَمَامَ الْحُزَنِ تَنْهَزِمُ ^(١)

(١) «مقالات الألباني» (ص ٢٣٩-٢٤٠)، وهذه الأبيات من قصيدة بعنوان: «وقفه أمام عام

الحزن» شعر: عبد الرحمن بن صالح العثماوي.

ومن ذلك أيضًا هذه المراثية:

الموت يخفي وتزهو اليوم إعلانا	مالى أراك تباري الشمس إمعاناً
وُلدت مرتقباً عرساً وتيجاناً	سواك يطمسه موت وأنت به
ينفك إشعاعها ينداح ألواناً	كأنك الشمس أخفاها السحاب فما
حتى وإن حجبته الغاب أغصاناً	كأنك النبع دفع الماء يفضحه
إلا وأيقظ أبصاراً واذناناً	كأنك الصبح مهما الليل غالبه
وصرت للسنة الغراء عنواناً	سواك ذكراه في مال وفي نسب
فكنت بحرًا وكانت فيك حيتاناً	وعيت منها جبلاً من مراجعها
وللائمة تعلني قدرهم شاناً	حررت رأيك من أغلال مذهبها
كما تنقي من الشيطان ذهباناً	محصت كل صحيح من شوائبها
حسنًا وسقمًا وتصحيحًا ونكراناً	نخلتها فاستبان في مواطنها
حتى غدا كل شرق منك مزداناً	فرقت للحق شمسًا في مطالعها
أودى القلوب فهل أحصيت قتلتاناً؟!	جددت للناس في نهل الحديث هوئ
في كل عصر من الإبداع ميداناً	أشهدتنا مثلاً للعبقري طوئ
من سابقك وما آليت إتقاناً	وجئت صدقاً بما لم يستطع علم
قد جاوز الدهر آفاقاً وشطاناً	ونلت في حومة الأعلام مفتدًا
فما عليك إذا وفيت إحساناً	قالوا وقالوا وما أعيت مقالتهم
لكنه غادر المربع رياناً	وما على السيل إن طفت جوانبه

أهل الحديث على الأعصار جنُّها
 هذا هو الدين يعلي شأن حامله
 يا ناصر الدين قد صدقت نصرته
 في واسع الأمل الفواح تنشدها
 وفي مريثة أخرى:

مَضَى إِلَى اللَّهِ وَاسْتَوْفَى الَّذِي كُتِبَا
 وَمَا تَلَوْتُ فِي أَدْرَانِهَا رَغْبَا
 بَلْ كَانَ حَيْثُ ثَوَى كَالْبَدْرِ مُكْتَمِلَا
 مَضَى إِلَى اللَّهِ يَا لِلْحُزْنِ مِنْ خَبِرٍ
 أَوْ أَنَّهُ مِنْ كَرَى الْأَضْغَاثِ صَاعِقَةً
 وَأَعْطَيْنَ بِتَكْذِيبٍ لَهُ مُهْجَا
 لَكِنَّهُ الصَّدْقُ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى
 صِدْقٍ يُبَدِّدُ آمَالًا وَيَبْعَثُ مِنْ
 صِدْقٍ أَحْرَ مِنْ الرَّمْضَا عَلَى كَيْدِي
 أَلْوِي بِصَبْرِي حَتَّى خِفْتُ مِنْ جَزَعٍ
 وَلَسْتُ وَحْدِي أَرْثِيهِ وَأَنْدُبُهُ
 تَبْكِيهِ أَعْلَامُ حَقٍّ كَانَ يَحْمِلُهَا
 وَمَا تَلَوْنَ بِالدُّنْيَا وَمَا اضْطَرَبَا
 وَمَا تَرَدَّدَ فِي حَقِّ بِهَا رَهْبَا
 يَعْلُو سَمَاءَ الْعُلَا فِي عِزَّةٍ وَإِبَا
 لَوْ أَنَّهُ كَذِبٌ قَدْ أَمْدَحُ الْكَذِبَا
 لَأَهْجُرَنَّ فِرَاشَ النَّوْمِ وَالْأَهْبَا
 وَأَبْذُلَنَّ عَلَيْهِ الْوُرُقَ وَالذَّهْبَا
 مَا أَمْسَكَ الدَّهْرُ مِنْ نِعْمِي وَمَا وَهَبَا
 أَصْدَائِهِ أَخُوفَ الْآلَامِ وَالشَّجْبَا
 أَبْقَى الْفُؤَادَ غَلِيلًا هَيِّنًا وَصَبَا
 وَأُسْبِلُ الدَّمَعَ مِنْهَا وَمُنْسَكِبَا
 فَلَسْتُ إِلَّا فَتًى فِي عَالَمٍ نَدَبَا
 شَرْقًا وَغَرْبًا بِأَيْدٍ تَقْهَرُ الْأَلْبَا

(١) «مقالات الألباني» (ص ٢٤١-٢٤٢)، والأبيات من قصيدة بعنوان: «يا عام عشرين»
 للشاعر: عبد الرزاق الحمد.

فَمَا تَرَى بَلَدًا إِلَّا لَهُ أَثَرُ
 فَسَلْ دِمَشْقَ وَسَلْ عُمَانَ سَلْ حَرَمًا
 تَجِدْ مَرَاثِي فِي الْجُدُرَانِ بَاكِيةً
 تَبْكِيهِ حُزْنًا وَإِجْمَاعًا تَقُولُ لَنَا
 سَلْ عَنْهُ طُلَّابُهُ الْأَفْذَاذُ فِي دُولٍ
 وَمَا لِنَاظِرَةٍ كَانَتْ تَقْرُؤُ بِهِ
 إِلَيْهِ تَحْقُّقًا لَهَا الشُّكُورُ فَقَدَتْ
 فَمَا رَأَتْ مِثْلَهُ فِي وَدِّهِ طَرَبًا
 وَسَلْ مُعَاشِرَهُ عَنْ خَشْيَةٍ وَتَقَى
 يَأْبَى الْمُبَاحَ وَيَأْبَى الْمَدْحَ عَنْ وَرَعٍ
 وَكَمْ رَأَى الصَّالِحُونَ الْغُرُفِيهِ رُؤًى
 أَنْ قِيلَ إِنَّكَ تَقْفُو الْمُصْطَفَى وَبَكَى
 سَبْعُونَ عَامًا مُحْيَاهُ يَنْضَرُّ فِي
 مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَحْظَى بِجَائِزَةٍ
 سَبْعُونَ عَامًا يَذُبُّ الرِّيبَ عَنْ سُنَنِ
 يُسْتَنْفِرُ الشَّيْخَ مَنْصُورًا بِحُبَّتِهِ
 فَيُبْطِلُ الْبِدْعَ السَّوْدَا وَيُزْهِقُهَا

فِيهِ وَمُتَّخِذٌ فِي بَعْثِهِ سَبَبًا
 وَالْهِنْدَ وَالْمَغْرِبَ الْأَفْصَى وَسَلْ حَلَبًا
 كَأَنَّ دَمْعَتَهَا قَدْ فَارَقَتْ صَبِيًا
 أَكْرَمَ بِهِ عِلْمًا وَعَالِمًا وَأَبَا
 شَتَّى تَجِدْ عَبْرَاتٍ تَسْبِقُ الذُّرْبَا
 إِلَّا إِلَيْنُهَا^(١) أَنْ تَهْجُرَ الطَّرَبَا
 بِفَقْدِهِ الْعِلْمَ وَالْإِحْسَانَ وَالْأَدَبَا
 وَلَا رَأَتْ مِثْلَهُ فِي الْحَقِّ إِنْ غَضِبَا
 كَمْ أَرْسَلَتْ دَمْعُهُ فِي اللَّيْلِ مُتَّصِبَا
 وَيَسْتَعِيدُ بِرَبِّ الْعَرْشِ مُرْتَقِبَا
 مِنْ عَاجِلِ الْبِشْرِ قَدْ جَاءَتْهُ فَاكْتَرَبَا
 وَاسْتَوْكَفَ الْعَبْرَاتِ الْحُمُرَ وَانْتَحَبَا
 سَرْدَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ مُحْتَسِبَا
 لِذَاكَ لَمَّا أَتَتْهُ أَشْرَقَتْ طَرَبَا
 إِنْ يُبْدِ مُبْتَدِعٌ أَوْ ذُو هَوًى نَعَبَا
 حَتَّى كَأَنَّ لَهُ مِنْ رَبِّهِ شُهْبَا
 وَلَا تُصِيبُ دَمَامِنُهُ وَلَا سَلْبَا

(١) أي: يمينها.

يَدْعُو إِلَى دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ مُتَّبِعًا
 أَعْلَى لِأَهْلِ الْحَدِيثِ رَايَةً حُجِبَتْ
 أَعْلَى بِهِ اللَّهُ قَوْلَ الْحَقِّ فِي زَمَنِ
 دَوَى بِهِ سَلَفِي النَّهْجِ مُتَّبِعًا
 صَفَى وَرَبَّى وَقَدْ أَبَتْ إِبَابُهُ^(١)
 وَأَيْقَظَ الْأُمَّةَ السَّكَرَى بِأَجْوِيَةٍ
 وَصَارَ لِلْسُّنَّةِ الْغَرَاءِ مَدْرَسَةً
 لِلَّهِ دُرُّكَ يَا شَيْخَ الشُّيُوخِ وَيَا
 إِلَى أَنْ قَالَ:

سَلَّ عَنْهُ مَكْتَبَةٌ بَلْ مَكْتَبَاتٍ هُدًى
 مَا كَانَ يَسَامُ مَنْ عَيْشَ بِهَا أَبَدًا
 وَلَا يُفَارِقُهَا حِرْصًا عَلَى زَمَنِ
 فَيَقْصِمُ اللَّوْلُو الْمَكْنُونِ عَنْ زَبَدٍ
 فَأَتَحَفَ الْكَوْنُ بِالْإِرْوَاءِ أَرْسَلَهُ
 وَرَصَّعَ الْجِيدَ عَنْ عَطَلٍ بِسِلْسِلَةٍ
 وَكَمَ مِنَ الْكُثْبِ الْغَرَاءِ أَفَادَ بِهَا
 وَكَمَ تَحَاكَمَ أَقْوَامٌ إِلَيْهِ فَمَا

تَرَبَّعَ الشَّيْخُ فِي أَرْجَائِهَا وَرَبَا
 وَكَانَ يَهْجُرُ فِيهَا الصَّحْبَ وَالْعِنَبَا
 حَتَّى يُطَالِعَ مِنْهَا الدَّقَّ وَالسَّهْبَا
 وَيُطْعِمُ الْعَسَلَ الْمَعْسُولَ وَالرُّطْبَا
 كَالْجَارِيَاتِ يُسْرِ تَمَحَّقُ الْجَدْبَا
 كَالثَّالِيَّاتِ لِيَذْكُرَ تَذْرَأُ الْكَذْبَا
 تَرْوِي الصَّحِيحَ وَتَنْفِي الزُّورَ وَالشَّغْبَا
 نَادُوهُ إِلَّا وَأَنْهَى الرَّيْبَ وَالصَّخْبَا

(١) أي: استقامت طريقته.

فَسَلِّ مُنَازِرَهُ عَنْ قَدْرِ هَيْبَتِهِ هَلْ يَسْتَطِيعُ امْتِدَادَ اللَّحْظِ إِنْ قُرْبًا
 وَسَلِّ مُحَاجَّجَهُ عَنْ حَدِّ عَارِضَةٍ هَلْ يَسْتَطِيعُ لَهَا أَنْ يُثْبِتَ الرُّكْبَا
 جَمُّ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُفْسِدْ وَدَادَ أَخٍ بِالْخُلْفِ فِي نَظَرٍ كَلَّا وَلَا أَشْبَا
 وَإِنْ تَبَدَّى لَهُ الْبُرْهَانُ مِنْ أَحَدٍ أَفْضَى إِلَيْهِ بِفَيْضِ الشُّكْرِ مُنْتَعِبَا

إلى أن قال:

فَاللَّهُ يُجْزِيهِ خَيْرًا ثُمَّ يُسْكِنُهُ فَسِيحَ جَنَاتِهِ مَثْوًى وَمُنْقَلَبَا
 وَاللَّهُ يَجْعَلُ فِي الْبَاقِينَ تَعْزِيَةً لِكُلِّ ذِي سُنَّةٍ مِنْ فَقْدِهِ رُعْبَا^(١)



(١) «محدث العصر» لسمير الزهيري (ص ٩٩-١٠٤)، والأبيات من قصيدة في رثاء العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِقَلَمٍ: أبي الفضل عادل بن المحجوب رفوش المغربي.

اقتراحات

١- أفراد ما كُتب عن سيرة الشيخ -رحمه الله تعالى- أيًا كانت الكتابة: مقال، كتاب، محاضرة مسجلة، وإخراج ذلك في رسالة صغيرة أو ملحق في مجلة، ونشر ذلك في موقع الشيخ؛ لتكون ترجمة الشيخ سهلة التناول لمن أراد القراءة أو الكتاب، وهذا أمر مألوف: جمع أسماء ما كُتب في ترجمة إمام. انظر مثلاً مبحث: «من ألف في مناقب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ» (ص ٢٦٥) من كتاب «مناقب الإمام الشافعي» لابن كثير.

٢- استقراء وتتبع جميع ما كتب عن الشيخ وعن كُتبه من رسائل جامعية أو غيرها من كُتب وقصائد؛ طلابه وغيرهم من محبيه، حتى ما كتبه المخالفون له؛ ليكون ذلك التتبع والاستقراء بعد طباعته أرشيفاً متكاملًا، ويحسن أن يوضع في الحاشية تعريف يسير بموضوع الرسالة أو الكتاب.

٣- أفراد ترجمة -بعناية خاصة- للشيخ وإرسالها إلى من عرف بالكتابة في التراجم من جهات رسمية أو غيرها؛ لتكون معتمدة؛ لأن الملاحظ على بعض كُتّاب التراجم عدم الإنصاف في بعض من يكتبون عنه، بل وإلباس بعض المترجمين ثيابًا أوسع منهم مدحًا أو ذمًا^(١).

(١) قال القاضي ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة والده رَحِمَهُ اللهُ: «...ولولا أن الذين قد جمعوا التواريخ حملتهم عصبيتهم وأهواؤهم على ترك فضائله ونشر مناقبه لما ذكرنا ما ذكرناه،

٤ - الأشرطة الصوتية المسجلة للشيخ - رحمه الله تعالى -، أكتفي هنا بمقولة شيعي الفقيه العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل - أثابه الله تعالى - قال: - ختم الله له بالخير - في كتاب «فتح الجليل» (ص ١٥٦ حاشية) ما نصه: «على تلاميذه أن يتداركوها قبل أن تُنسى أو تدرس أو يمضي عليها وقت يقل الانتفاع بها».

٥ - أفراد رسالة للتعريف بكتب الشيخ تسرد فيها كتابات الشيخ مع تمييز التأليف عن التحقيق مع الوصف الموضوعي لتأليفاته.

فلما رأينا الذين قد رأوه وحفظوا ما سمعوه من فضائله من الشيوخ، وشاهدوا بعض ذلك ينقرضون، والمؤرخون الذين أرخوا قصروا في نشر فضائله؛ لأجل من يهوى هواهم من المخالفين، آثرنا ذكر بعض ما انتهى إلينا من فضائله، فليعذرنا من وقف عليه ولا ينسبنا من الذين يتشبعون بما لم يعطوا، وليسأل من يثق به من أهل الثقة والمعرفة والخبرة بالقاضي الإمام رحمته الله، ولا يلتفت إلى قول مخالف ومباين بالبدعة، فيعلم أن الذي سطرناه ما استعرنا منه ذلك، إذ كان فيه أضعاف ما ذكر من الفضل والعلم والزهد. فنسأل الله أن يُحيينا على الإسلام والسنة، وأن يُميتنا عليهما، ولا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا بمنه وكرمه، إنه سميع الدعاء». «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣٠).

ولما سرد ابن أبي يعلى بعض فضائل والده قال:

«وهذا بعض مناقبه وفضائله، وما هو شائع له بين الناس من زهده وعلمه أكثر فأغنانا عن أن نسطره، ولولا أن أكثر من رآه وعاصره وحضر مجلسه وناظره قد درج وانقرض.. لما ذكرنا هذه الشذرات من مناقبه، إذ كانت تتضمن مدحنا، والإنسان لا يمدح نفسه، ولعل ناظرًا في هذا الذي أوردناه وسطرناه يقول: كيف استجاز مدح والده على لسانه؟ وهو الأصل، ومدح الأصل مدح للفرع؟ فنقول: إنما حملنا على ذلك كثرة قول المخالفين، وما يلحقون إلى تابعيهم من الزور والبهتان، ويتخرصون على هذا الإمام من التحريف والعدوان، وكان لنا في ذلك رخصة قد سبق إليها الأنبياء والأولياء - رضوان الله عليهم وسلامه». «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٢٧).

٦- جمع النظائر، وهذا باب واسع؛ ومنه جمع آراء الشيخ في الرجال لتكون معجمًا باسم الرواة الذين حكم عليهم الشيخ جرحًا أو تعديلاً، ومنه كلام الشيخ في المباحث العقدية، ومنه تنبيهاته التي وقف عليها خلال مسيرته العلمية البحثية الطويلة، والمراد بالتنبيهات: التصحيف، والتحريف، والنقل المغلوط، وما يتبع ذلك، ومنه كلام الشيخ ووصفه وأحكامه على الكتب والرسائل.

٧- دفاعه عن كتب وأئمة السنة: فهرس شامل للفوائد المنشورة في كتب الشيخ، وتكون بانتقاء الفوائد النفيسة خصوصًا.

ومما رأته بعد ذلك كتاب «التقريب لعلوم الألباني» لأبي الحسن محمد حسن عبد الحميد الشيخ، بذل فيه جهدًا مشكورًا في تتبع كثير من كتب الشيخ وأحسن ترتيب مسائلها ترتيبًا موضوعيًا؛ فقرب بعيدًا، وجمع متفرقًا، فجزاه الله تعالى خيرًا.

وسيكون هذا الكتاب -بعد توفيق الله تعالى- مفتاحًا لكثير من كلام الشيخ ناصر المنشور في كتبه.



الألباني كما عرفته

أول ما مرّ ذكره عليّ أنني كنت خارجاً من الباب الشمالي لجامع الإمام تركي بن عبد الله عام ١٣٩٧هـ أو قبله بيسير بعد الاستماع إلى ندوة الجامع أو محاضرة للشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى -، فكان بعض أولئك الذين كنت معهم يتحدثون عن الشيخ ابن باز وعن سعة علمه، ثم تطرق الحديث إلى عناية الشيخ بالحديث، ثم تكلم أحدهم فقال: وكذلك الشيخ الألباني أيضاً محدث مشهور، فلما سمعت اسمه وأنه من أهل الشام سألتهم عنه، فقالوا بأن له كتباً بالحديث ويُعنى بالصحيح، ويبين الضعيف.

ولما سافرت مع بعضهم للمدينة سمعت أن الألباني سيحضر في بيت يُعرف بـ «بيت الإخوان» فذهبنا -الذين جئنا من الرياض-، ودخلنا ذلك البيت، وإذا بجمع محتشد من الناس؛ منهم من يلبس عمامة ومنهم من يلبس غترة أو شماغاً ومنهم من هو حاسر الرأس، وكان الاجتماع في سطح المنزل، ورأيت كرسيّاً منصوباً في صدر المجلس، وقد احتف به -بل تراحم عليه- القرييون منه، وكنت أترقب دخول الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى -، وبينما كنت جالساً في الصفوف قبل الأخيرة أطل علينا رجل تعلوه مهابة ووقار، تزداد تلك الهيبة عند نظره إليك، يمشي بسكينة بين الجمع، وقد أفسحوا له طريقه حتى وصل إلى الكرسي فجلس، وكان يرتدي ثوباً واسعاً يميل لونه إلى اللون البني الفاتح، وعلى رأسه طاقيّة خليجية (شبكة)، فلما بدأ حديثه رأيت إصغاء تاماً من

الحاضرين وقد أمسك كثير منهم وبخاصة من حوله بأقلامهم، وكانوا يقيدون بعض كلامه - رحمه الله تعالى -.

انتهى الشيخ من كلامه، ثم بدأت الأسئلة من الحضور والشيخ يجيب، إلى أن استسمح الحاضرين فيما أظن ثم استأذن للمغادرة، فلما قام لاث به بعضهم وبدءوا يمشون معه ويسألونه، وأنا أمشي خلفهم، فلما وصل - أو كاد يصل - إلى سيارته تمكنت من أن أكلمه، فسألته عن حديث قرأته في كتاب «تحفة الذاكرين»، والحديث يتضمن دعاء يقال بعد الأكل، فقال لي الشيخ بالحرف الواحد: «لا أستصحبه يا بُني»، ثم ودعته ورجعت، وقد وقع حُبّه ومكانته في قلبي.

قابلته في منى حج عام ١٣٩٨ هـ، وأذكر أن أحدهم سأله بصوت مرتفع فقال: يا شيخ، إذا قرأت حديثاً في أحد كُتب السنة، ثم وجدت في إسناده رجلاً ضعيفاً فهل أقول: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ؟ فكان جواب الشيخ ما معناه: قد يكون نفيك هذا باطلاً، فما يدريك لعل الحديث قد صح من طريق آخر، فالأولى أن تُقيّد ضعف الحديث بذلك الإسناد، فتقول: هذا الحديث ضعيف عند ابن ماجه مثلاً.

قابلت الشيخ بعد ذلك أيضاً في الحج، وكان مقيماً في مخيم السكن الخاص للقائمين على مستشفى الحرس الوطني في منى، زُرته في خيمته بصحبة الشيخ عبد الكريم المنيف، ولم يكن أحدٌ عنده سوى ولده - أظنه عبد المصور - فلما انتهت الزيارة وقمنا من عنده وأردنا الخروج رجعت إليه فقلت: يا شيخ، جرى كلام فيك مع بعض المحبين لك في مكة، وقلت له كلمة ليست قدحاً في شخصك معاذ الله، لكنني ندمت على قولها، وأنا أريد مسامحتك فلم يسألني - رحمه الله تعالى - عنها، بل قال لي كلاماً أذكره إن شاء الله بحروفه، قال لي: «أحلك الله فيما قلت وفيما ستقول وفيما لم تقل» فقبلت رأسه وودعته.

جاء الشيخ إلى الرياض فدعوته للإفطار في بيتي، وكان ذلك بعد فجر الخميس ٦/٧/١٤١٠هـ، فحضر جمع من الأفاضل على رأسهم فضيلة الشيخ عبد الله بن قعود -رحمه الله تعالى-.

في مجلس الشيخ الألباني -وقد حضرت له بضع مجالس- تشعر بتعظيم السنة، ناهيك عن تشنيف الأذان بسماع أسماء رواة الحديث ومصنفيه وذكر بعض المصنفات من كتب السنة المشهورة، وكذا بعض أسماء كتب الرجال والعلل، وأمثال هذه المجالس لم أرها ولم أشعر بها -خلال معرفتي- إلا في مجالس الشيخ ابن باز.

ومما أذكره في مجالس الشيخ الألباني طرقة دائمة على واقع المسلمين، وأن سبب تفرقهم وكثرة اختلافهم هو ابتعادهم عن منهج السلف الصالح، وأن دعاة الإصلاح يتحملون عبئاً كبيراً بسبب إهمالهم العناية بإصلاح ما يستطيعون إصلاحه من عقائد كثيرة من أقوامهم التي تلوث بالقوادح العقدية القولية والعملية.

وسمعت مباشرة -كما سمعت ذلك في غير مناسبة في التسجيل الصوتي- يتأسف ويتحسر على أناس نصبهم الناس دعاة للخير وكانوا -أولئك الدعاة- ممن يصبغ بعض البدع بصبغة شرعية، إما لجهل بالعلم أو محاكاة لمن يقلدهم. وللشيخ -رحمه الله تعالى- قدرة عجيبة في امتصاص وتهذئة الانفعال والاندفاع الحماسي، يأتي أحدهم متحمساً لفكرة ما قد قدم لها بمقدمة ضمنها شواهد قرآنية ونبوية، فما أن يفرغ من كلامه حتى يفاجئه الشيخ بسؤال ثم يتبع السؤال بإيرادات متعلقة بالسؤال نفسه، كل ذلك بهدوء وسكينة، ثم يبدأ مع السائل في أخذ ورد، ما هي إلا سويعة فإذا تلك الحماسة قد تلاشت، والشاهد الذي أريده هنا: أثر العلم في علاج تلك الانفعالات والعواطف الجياشة، وكيف

كان لسماع العالم من أصحاب العواطف، ورحابة صدره في استماعه لأولئك حتى يفرغوا شُحنات نفوسهم، ثم علاج تلك العواطف المتهيجَة برفق وتؤدّة. فلولا -فضل الله تعالى- ثم حلم الشيخ ورفقه في الجواب لانقلبت تلك العواطف المتهيجَة إلى عواصف هوجاء.

مما لاحظته على الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- طول نفسه في أثناء المناقشة مع رحابة صدره، يتخلل ذلك أحياناً دُعابة، وغالبًا ما تأتي عند إلزام الشيخ لمناقشه بلازم، فإذا بدأ المناقش يتلعثم في الإجابة على الإلزام رمى عليه الشيخ جُملة دعائية أو مثلاً شامياً يناسب المقام، فيسود الجمع جو من المودة والانبساط.

ومما يناسب ذكره في هذا المقام: أني قرأت وصفاً ليوسف ابن الإمام ابن الجوزي حال المناظرة، ورأيت أن أحق العلماء الذين قابلتهم بهذا الوصف هو الشيخ الألباني، والخبر المشار إليه رأيته في كتاب «ذيل طبقات الحنابلة»^(١)، وخلاصته: أن يوسف ابن الإمام ابن الجوزي، كان يُناظر ولا يحرك جارحة. ووصف آخر أيضاً للشيخ للألباني حظ منه جاء؛ فإن في المرجع السابق^(٢): أن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة كان لا يُناظر أحداً إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم.

زرت^(٣) قبل موته بشهر في عمّان في منزله في حيِّ همّلان شارع شهرزاد، وكان قد ضعف جسمه من أثر المرض، فقلت له وأنا مصافح له بيدي: يا شيخ،

(١) (٢/٢٦٠).

(٢) (٢/١٣٧).

(٣) بصحبة الإخوة: سليمان الهديب، وسلمان القريني، وفيصل القحيز، ومحمد الشهراني، وكان الشيخ علي بن حسن هو الذي رتبّ لنا موعد الزيارة -فجزاه الله تعالى خيراً-.

أبشر فأنت على خير، المحبون لك كثير، والداعون لك كثير، وكتبك قد نفع الله تعالى بها وانتشرت في أقطار الأرض، فتحامل على نفسه ورفع كفه اليسرى ثم وضع كفي بين كفيه وضغط على كفي قليلاً وأثر الضعف عليه واضح، وقال بصوت ضعيف: «جزاك الله خيراً» وخرجت بعدها من عنده.

لما كنت في عمّان حدثني الشيخ محمد إبراهيم شقرة في منزله: «أن أحدهم رأى فيما يرى النائم أن كوكبين انقضا من السماء فسقط أحدهما على الأرض فأحدث دويّاً هائلاً، وأما الآخر فوصل أو كاد إلى الأرض لكنه توقف». وقد عبرت لهم بموت رجلين عظيمين.

قال الشيخ محمد شقرة: بعد الرؤيا بفترة جاءنا خبر موت الشيخ ابن باز، قلت: وقد فهمت من كلام بعض محبي الشيخ أنه يتوقع أن يكون الألباني هو الكوكب الثاني.

قلت: وليس ذلك ببعيد، فقد توفي الشيخ الألباني بعد الشيخ ابن باز ببضعة أشهر؛ كانت وفاة الشيخ ابن باز فجر الخميس ٢٥ / ١ / ١٤٢٠ هـ، وفواة الشيخ الألباني عصر السبت ٢٣ / ٦ / ١٤٢٠ هـ.

رحم الله تعالى الإمامين، وجمعنا وإياهما في الفردوس الأعلى... آمين.



ملحق

فيه صور لبعض المقالات القديمة للشيخ الألباني
- رحمه الله تعالى - في بعض المجلات ونموذج
من خطه لوصيته وغيرها بيده

بسم الله الرحمن الرحيم

المُسْتَلَبُونَ

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة اعداد

الاشتراكات
في سورية

١٠ عن سنة كاملة
٦ عن نصف سنة
في الخارج
١٢ ليرة سورية
او ما يعادلها

صاحب الامتياز
رئيس التحرير
مصطفى السباعي

✽ ✽
الادارة
دمشق - سنجق دار
ص.ب ٨٠٨

رمضان ١٣٧٨ المجلد السادس : العدد السادس آذار ١٩٥٩

دعوة جديدة

تحدثنا في المقال السابق كيف انتشر الخضوع للفلسفات الغربية ،
التي تحارب ما جاء به الأنبياء والشرائع السماوية من عقائد وأسس
وقيم ، في العالم الاسلامي ، وكيف انتشرت بتأثيرها الزندقة ، وبصراحة
الردة - اذا كان الاسلام ديناً وعقيدة متعينة ، ولا بد - في الطبقات
المتقنة في دنيا الاسلام ، لا فرق في ذلك بين الشرق والغرب ، والعرب
والمعجم .

وكان أكثر حديثنا عن العقيدة الأساسية كالإيمان بالله والإيمان
بالرسالات والإيمان بالغيب والإيمان بالآخرة ولا شك أنها في المكان
الاول من الأهمية ، وهي نقطة الفصل بين **الأيمان والكفر** ، والإسلام
والزندقة .

نقد كتاب (التاج) في الحديث

للاستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

منذ بضع سنين جمعني مجلس مع أحد الطلاب للعلم الشرعي فجرى البحث فيه حول بعض السنن النبوية التي هجرها الناس جهلاً بها أو غفلة عنها ، ومنها وضع اليدين على الصدر في الصلاة ، فذكر الطالب المشار إليه أن من السنة وضعهما تحت السرة ، فقلت له : أنها لا تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بلى أنها ثابتة ! ثم جاءني بكتاب « التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول » تأليف الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر ، وأراني فيه (ص ١٨٨ ج ١) الحديث المعروف عن علي رضي الله عنه قال : « السنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السرة » وقال في تخريجه : « رواه أبو داود وأحمد » وعلق عليه بقوله : « فالسنة وضعهما تحت السرة ٠٠٠ » فقلت له : أن هذا الحديث ضعيف باتفاق علماء الحديث ، فلم يقبل ذلك مني بحجة أن أبا داود سكت عليه ، بناء على سكوت المؤلف عليه ! فقلت : لو سكت أبو داود عليه فلا حجة فيه بعد تبين علة الحديث واتفاق العلماء على تضعيفه ، وفي سنن أبي داود كثير من الأحاديث الضعيفة وقد سكت عنها أبو داود ، وهو إنما تعهد أن يبين ما فيه وهن شديد ، وأما الضعيف فقط الذي لم يشتد ضعفه فلم يتعهد بيانه كما هو مشروح في « مصطلح الحديث » ، ومع ذلك فإن أبا داود لم يسكت على هذا الحديث بالذات ، بل عقبه ببيان ضعفه وعلته فقال : « سمعت أحمد بن حنبل يضعف عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي » يعني أحد رواة الحديث . ثم أحلته في الإطلاع على تفصيل الأصول في تضعيف الحديث على كتاب « المجموع » للنووي و « نيل الأرباب » للزيلعي ، وذكرت له أن الأحاديث الصحيحة تصرح بخلاف هذا الحديث وأن السنة وضع اليدين على الصدر لا تحت السرة .

من المجلد ٢٦

الأجزاء ١ - ٤

المادة والشوك

عمر بن كمال الخطيب

أحمد البشير

محمّد

التمجيد



الديرة
١٥١٢

٨ ديار في سورية ولبنان
جنيه أوديشا خارجيًا
٢٥ ليرة سورية للدراسة في سورية
٥٠ لواء
سنة المجلة ٤٠ جزء
الاعلانات تنفس عليها

(آب ١٩٦٩ م)

(المحرّم ١٣٧٩ هـ)

الإحاديث الصحيحة

مؤسّس ومحرر: محمد ناصر الدين الألباني

- ١ -

المستقبل للإسلام

قال الله عز وجل . (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

تبشّرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها ، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد يتحقق في عهده عليه السلام وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين ، وليس كذلك ، فالذي يتحقق إنما هو جزء من الوعد الصادق كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

١ - « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ، فقالت عائشة : يا رسول الله ان كنت لأظن حين أنزل الله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ان ذلك تاماً ، قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله » الحديث وهو صحيح رواه مسلم وغيره وقد خرجته في « تحذير الساجد » (ص ١٢٢) .

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره بحيث لا بدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام باذن الله وتوفيقه وما أنا أسوق ماتيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سبباً لشعور العاملين للإسلام وحجة على البائسين المتواكلين :

- ٨ -

تفسير أبي محمد البقي الشافعي

١- هو كما حدّثه إبراهيم الهيثمي في المعجم الكبير للشيخ الشافعي، وأورد به جماعة في التقاسيم (١/١٠٠) وروى له في صحيح «تكملة حديث»، بخلاف رواية في فهرس مسيوخ في الإلهام (٥/١٨) طبعته (الموسسة)، وارتفعت في «تاريخ دمشق» لابن عكاك (٧٠٧/٤)، وروى وفاته تبعاً للإمام (٥/١٨) طبعته سنة (١٠٧٠)، وبلغت على طي أنه عامه نحو ثمانية سنة أو أكثر، فقد أريته (١٦٠/٢) في صحيح أبي موسى النعمان سنة (٤٤٢)، ولا بد أن يكون قد عمده يوسف نحو (١٥) عامًا أو أقل، فإنه - بالتحال والرواية - فهو من طيفر الأئمة الستة، وقد ضارها الشيخ في الرواية عند بعض مشهورها، مثل أبي موسى هذا، محمد بن الحنفية، وفتين بن سعيد، وبنو محمد بن تمار وغيرهم، فذكر عبد الله بن أبي بكر السدي في «تاريخ طبرستان» (١/١٠٠) أن من هذا الأئمة ثمانية، وهذا هو الذي عليه الحديث، كما في الحديث، كما في الحديث، ولا كلام فيه.

٢- ويبدو أن في حديثه، وهذا الثاني منها، وفيه غم في موضع، ونوسه في الإبرار، جاء في حديثه حسب الطائفة. وهو ملغوه ثلاثين خطوط، وهو في نسخة اللغات في كثير من الأوراد، بحيث أنه ينفذ لا ينفذ، ويبدو أن بصحة. وهو مذكور على يد الشيخ الشافعي، وعليه بعض الساعات.

عالمه في رمضان سنة ١٤١٢

وكتب

محمد بن

وصيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصي زوجهي وأولادي وأصدقائي وكل من يحب لي ما يبعثني
في طاعة الله بدعوتي بالمعروف والنهي عن المنكر وأولاً، وأدركوا
علي نيلهم من صوته مخرج.

فتابعاً : أنه يعلموا بدعوتي ولا يخبروا بي من أقرابي
ولا غواني إلا بقدر ما يحصل بهم من حجب غيري.

وأدركوا علي عنيتهم فمضوا به عبد الله جاري وصيبي
المخلص ومد يده له هو لا عاينته على ذلك.

والتالي : أعتار الدعوة في الحرب مكانه لكي لا يضطرب
يكل جنة زفالي وضو في السيارة ، وبالنسبة لركب المستقيم
سياراتهم ، وأدركوا لغيري مقبولة قدرته ، يخطب على الطهر
أنها سوف لا تنبهر.

فهرس موضوعات كتاب الإمام ابن باز .. دروس ومواقف وعبر

٥	مقدمة الطبعة الجديدة
١١	تقديم لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر
١٣	المقدمة
١٦	كتب التراجم
١٨	أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفن والتخصص
١٩	أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر
٢١	سمت الشيخ ووقاره
٢٢	من صفات دروس الشيخ
٢٤	ظهور القدوة في جميع شأنه
٢٦	محافظة الشيخ على وقته
٣٠	تحضير الشيخ ومراجعته للدرس قبل حضوره
٣٢	عناية الشيخ بصحة الحديث
٣٤	صبر الشيخ وجلده على البحث
٣٩	حفظ الشيخ وضبطه

٤٣	سرعة استحضاره للأدلة
٤٥	تطبيق الشيخ العملي للسنة ونشر العلم
٥٠	تجرد الشيخ في مقولة الحق
٥٣	تعظيمه للنصوص الشرعية
٥٦	التثبت في نقل الأخبار
٥٧	وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ
٥٩	تورع الشيخ في الفتيا وقوله: «لا أدري»
٦١	مناصحة الشيخ للمسلمين
٦٤	شفاعة الشيخ للمحتاجين
٧٤	حرص الشيخ على أداء عمله وعلى قضاء الحوائج
٧٦	دعابة الشيخ ومزاحه
٧٩	اجتهاد الشيخ في العبادة
٨١	زهده في متاع الدنيا
٨٣	سلامة قلبه على المسلمين
٨٧	تواضع الشيخ وعفوه ومحبة للفقراء
٩٧	بعد الشيخ عن الشهرة
١٠٢	صلته للرحم
١٠٣	عناية الشيخ بأهله
١٠٥	توقير الشيخ لمشايخه
١٠٧	عناية الشيخ بالصغار

١١٠	معرفة الشيخ بحال المسلمين
١١٦	إنزال الناس منازلهم
١٢٠	آخر أيام الشيخ
١٢٢	من المحبرة إلى المقبرة
	بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول ما نشر في الصحف
١٢٣	عن المرأة
١٢٨	جنازة الشيخ
١٣٢	الرؤى المنامية والمبشرات
١٣٢	ومن الرؤى في الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في حياته
١٣٦	ومن الرؤى بعد وفاته رَحِمَهُ اللهُ
١٣٨	أسباب قبول الشيخ
١٤٠	شذرات
١٥٧	المراجع



فهرس موضوعات كتاب الإمام الألباني .. دروس ومواقف وعبر

١٦٣	تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عليل العليل
١٦٨	كتب التراجم
١٧٤	نبذة من سيرته منتقاة مما قاله وكتبه
١٨٧	الألباني الساعاتي
١٨٩	الحادثة التي غيرت مجرى تاريخ حياة الألباني
٢٠١	صور من ابتلائه - رحمه الله تعالى -
٢٠٩	الألباني في السجن
٢١٥	همة عالية وعزيمة صادقة ونية نحسبها - إن شاء الله تعالى - خالصة
٢٢٩	من أخلاق الألباني - رحمه الله تعالى - وكريم سجاياه
٢٣٨	تورع الشيخ عن القول بلا علم واعترافه بعد العلم
٢٤٢	رجوعه إلى الحق عندما يتبين له
٢٥٢	عبادته ورقة قلبه
٢٥٤	عبراته تسبق عباراته
٢٦٠	أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر
٢٦٣	محافظة على وقته

٢٧١	الترتيب في حياة الشيخ
٢٧٤	دعابته ومزاحه
٢٧٦	مواقف في حياة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ
٢٨٢	التثبت في قبول الأخبار
٢٨٥	فراسته
٢٨٧	إنزال الناس منازلهم
٢٩١	بُعد الشيخ عن الشهرة
٢٩٣	من دلائل رسوخ قدمه في العلم
٢٩٥	معرفة الشيخ بواقع حال المسلمين
٣١٢	ثقافته
٣٢١	عنايته بالشباب ودعوتهم برفق
٣٣٢	حرصه على طلابه ومحبيه وعنايته بهم
٣٤٤	ردود الشيخ الألباني
٣٥٢	حدة الإمام الألباني في بعض ردوده
٣٦٠	عناية الشيخ بدروسه العلمية
٣٦٢	من رحلات الألباني العلمية
٣٦٥	وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ
٣٦٦	ثناء الشيخ على بعض بحوثه وكتبه
٣٧٠	من المكتبات التي زارها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أو تردد عليها
٣٧٢	من آثار الشيخ العلمية
٣٨٨	مكانته العلمية وثناء العلماء والأدباء والكتّاب عليه

- ٤٠٣ من وجوه نصرته للسنة
- ٤١٤ من دفاع مشايخ السنة عن الشيخ الألباني
- ٤٢١ من كلمات الشيخ الألباني
- ٤٢٩ من أوجه التشابه بين الإمامين الألباني وابن باز -رحمهما الله تعالى-
- ٤٤٠ بين الشيخين الألباني وحمود التويجري -عليهما رحمة الله تعالى-
- ٤٤٤ فبوركت مولوداً وبوركت ناشئاً... وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب
- ٤٥١ الألباني ... مالى الدنيا وشاغل الناس
- ٤٥٩ وأما بنعمة ربك فحدث
- ٤٦٣ خير في الحياة وبعد الممات
- ٤٦٥ نص وصيته
- ٤٦٧ مرضه ووفاته -رحمه الله تعالى-
- ٤٦٨ من المبشرات في حياته وبعد مماته
- ٤٧١ مما قيل فيه من الشعر في حياته وبعد موته :
- ٤٧٩ اقتراحات
- ٤٨٢ الألباني كما عرفته
- ملحق: فيه صور لبعض المقالات القديمة للشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-
- ٤٨٧ في بعض المجلات ونموذج من خطه لوصيته وغيرها بيده
- ٤٩٧ فهرس موضوعات كتاب الإمام ابن باز .. دروس ومواقف وعبر
- ٥٠٠ فهرس موضوعات كتاب الإمام الألباني .. دروس ومواقف وعبر

